شرح نهج البلاغة

لشارح مجهول

من اعلام القرن الثامن

تحقيق

الشيخ عزيز الله العطاردي الخبوشاني

ساعد على نشره مكتبة چهل ستون.

فی جامع طهران

طبع بالافست فی مدينة دهلی عاصمة بلاد الهند فی يوم الثالث عشر من رجب يوم ميلاد الامام امير المؤمنين علی بن ابی طالب عليه السلام سنة ١٤٠٤ .

الاهداء

الى الشهداء الكرام من العلماء الاعلام والفقهاء العظام ورجال الدولة وامراء الجنود وقواد الحرث الثورى والضباط والعسكريين من ابناء الشعب الايرا فى المسلم الذين جاهدوا بانفسهم و بذلوا مهجتهم فى سبيل النصر الثورة الاسلامية واسسو بنيانها وشيدوا اركانها ورفعوا اعلامها بدمائهم الطيبة.

نهدى هذا الكتاب الشريف الى ارواحهم ونسئل الله تعالى ان يحشرهم مع الشهداء الذين استشهدوا بين يدى رسول الله واهل بيته عليهم السلام وان يقبل منا هذا العمل باحسن قبول ويجعله لناذخرا ليوم لاينفع فيه مال ولابنون الامن اتى الله بقلب سليم.

قال الامام امير المومنين عليه السلام :

نحن امراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه

وقال ايضا :

نحن افصح وانصح واسمح

وقال ايضا :

نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالى واليها يرجع الغالى.

ولنعم ماقيل :

كلام على كلام على

وما قاله المرتضى مرتضى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله الذى هدانا إلى مناهج الايمان و الاسلام و أرشدنا إلى معالم الحلال و الحرام و بين لنا السنن و الاحكام الصلوة و السلام على نبينا نبي الرحمة و على آله أهل البلاغة و الفصاحة .

اما بعد ! فان كتاب نهج البلاغة مجموع انتخبه الشريف أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوى المعروف بالسيد الرضى رضوان الله عليه من كلام الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام و جعله على ثلاثة ابواب :
الرسائل ـ الخطب ـ و الحكم فى الآداب و المواعظ .

هذا الكتاب الشريف أشرف الكتب بعد كلام الله تعالى و كلام رسوله صلى الله عليه و آله . وهو دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين و أفضل الكلام و أفصحه و أنفعه و أرفعه و هذا واضح لمن تأمل فى الكتاب و تفكر فى ألفاظه و معانيه .

نهج البلاغة كتاب يشتمل على المعارف الالهية و الأسرار النبوية و الأحكام الاسلامية و القواعد السياسية يستفيد منه الحكيم الالهى و الفقيه

الربانى و الواعظ الصمدانى و المصلح السياسى . و فيه آداب الحرب و تنظيم العساكر و الجيوش . وردت فيه .واعظ شافية للتعظين و آداب للعارفين و ترغيب للعابدين و تحذير للنافقين و تخويف للامراء و السلاطين . و ارشادهم فى الحلم و بسط العدل للسلمين . وكظم الغيظ و العفو عن لمجرمين .

من نظر فى نهج البلاغة و تعمق فى خطبه و رسائله يرى نفسه مع خطيب و أمير الهى تارة يتكلم فى التوحيد . و يبحث عن اسرار الكائنات و يكشف غوامض المسائل و يشرح مكنون العلم و تارة يتكلم عن النبوة و صفات الانبياء عليهم السلام و الأولياء . و أخرى يتكلم عن العباد و الزهاد و صفات المتقين وآونة عن فنون الحرب و الجهاد مع الاعداء فى الغزوات و مقارنة الابطل و مصارعة الشجعان و حينا يعظ الناس و يحذرم من الدنيا و زينتها و يرغبهم بالآخرة و نعيمها .

﴿ كلمات العلماء حول النهج ﴾

قال الراوندى : كنت قديما شرحت الخطبة الأولى من نهج البلاغة بالاطناب و كشفت بيان جميع ما فيه من أنواع العلوم التى أومأ اليها بالاسهاب و هو كلام عند أهل الفطنة و النظر دون كلام الله و كلام رسوله و فوق كلام البشر .

واضحة منارة مشرقة آثاره و لا يستبعد فى هذا الدهر ان يلتبس شيء من مشكلاته على من يقتبس اما من الفاظه الغرائب او معانيه العجائب

فعزمت

فعزمت الى شرح جميع الكتاب مستعينا بالله على وجه الصواب و ان استخرج فكنونه و استكشف مخزونه[1] .

قال ابن الحديد : و أما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء و سيد البلغاء و فى كلامه قيل : دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين و منه تعلم الناس الخطابة و الكتابة[1] .

قال عبد الحميد بن يحى : حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت[1] ، قال ابن نباتة : حفظت من الخطابة كنزا لايزيده الانفاق إلا سعة و كثرة حفظت مائة فصل من مواعظ على بن ابى طالب[1]

قال فى اعلام نهج البلاغة :

لله درك يا نهج البلاغة من ✽ نهج نجا من مهاوى الغى سالكه

أودعت زهر نجوم ضل منكرها ✽ و حاد عن جدد غيا مسالكه

لأنت در و يا لله ناظمه ✽ لأنت نضر و يا لله سابكه[2]

قال الشيخ عبد الحسين الأمينى ـ رضوان الله عليه : نهج البلاغة كان يهتم بحفظه حملة العلم و الحديث فى العصور المتقادمة حتى اليوم و يتبركون بذلك كحفظ القرآن الشريف و عدّ من حفظته فى قرب عهد المؤلف القاضى جمال الدين محمد بن الحسين بن محمد القاسانى فانه كان يكتب نهج البلاغة من حفظه و كذا حفظه ابو عبد الله الفارقى المتوفى سنة ٥٦٤[2] .

(١) شرح الراوندى مخطوط .

(٢) شرح نهج البلاغة : ١/٢٤ . (٣) اعلام النهج مخطوط .

(٤) الغدير : ١٨٩/٤ .

قال الشيخ آغا بزرك الطهرانى : قدس الله سره ، نهج البلاغة هو كالشمس الطالعة فى رائعة النهار فى الظهور و علو الشأن و القدر و ارتفاع المحل قد جعلت رؤيتها لجميع الناس مرأى واحدا لا تخفى على احد فيقبح من العاقل البصير سؤال ما هى الشمس الطالعة و هى مما يقتبس من اشراق نورها كافة الكائنات فى البر و البحر .

كذلك النهج قد طبقت شهرته الشرق و الغرب و نشر خبره فى أوساط الخافقين و يتنور من تعليمات النهج جميع افراد البشر لصدوره عن باب معدن الوحى الالهى فهو تلو القرآن الكريم فى التبليغ و التعليم و فيه دواء كل عليل و سقيم و دستور للعمل بموجبات سعادة الدنيا و سيادة دار النعيم و قد قيل فيه :

نهج البلاغة نهج العلم و العمل ٭ فاسلكه ياصاح تبلغ غاية الأمل[1]

قال السيد عبد الزهراء الحسينى : كنت مولعا بكتاب نهج البلاغة منذ حداثة سني أجعله سمير وحدتى و أنيس وحشتى استظهر فصولا من خطبه و أحفظ قطعا من رسائله و ألتقط دررا من حكمه و كان هذا الولع يتضاعف كلما اتسعت مداركى و تضاعف معلوماتى و من أجل ذلك أبحث عن كلّ ما يتعلق به و ما كتب حوله[2] .

قال صبحى صالح : لا بد لدارس نهج البلاغة ان يلم بهذه الوقائع التاريخية و نومن ؟ خلال لحة خاطفة عجلى ليعرف السر فى غروب شمس الخلافة الراشدة بين المسلمين الاولين الذين استروحوا شذا النبوة و نعموا

---

(١) الذريعة : ١٤/١١١ .   (٢) مصادر النهج ١/١٥ .

بظلالها الورفة واستناروا بما يلوح من أضوائها الباقية .

لا بد لدارس النهج ان يلم بهذه الحقائق ليرى رأى العين كيف تحولت هذه الخلافة الراشدة الى ملك عضوض وكيف اشعلت من أجلها الحروب الطاحنة و اثخنت الأمة فى سبيلها بالجراح الدامية و اصيب مقتلها بمصرع امام الهدى على كرم الله وجهه .

ثم لا بد لدارس النهج أن يكون لنفسه صورة حقيقية عن تلك الحقبة من تاريخ المسلمين ليستنبط البواعث النفسية إلى أن حملت عليا على الاكثار فى خطبه من النقد و التعريض و العتاب و التقريع و التذمر و الشكوى فقد عاندته الايام و عجت خلافته عجيجا بالاحداث الجريرة و خابت آماله فى تحقيق الاصلاح[1] .

قال الهادى كاشف الغطاء : ان نهج البلاغة من كلام مولانا امير المؤمنين و امام الموحدين باب مدينة العلم على بن ابى طالب عليه السلام من اعظم الكتب الاسلامية شانا و أرفعها قدراً و أجمعها محاسن و أعلاها منازل ، نور لمن استضاء به و نجاة لمن تمسك بعراه و برهان لمن اعتمده و لب لمن تدبره أقواله فصل و أحكامه عدل حاجة العالم و المتعلم و بغية الراغب و الزاهد و بلغة السائس و المسوس و منية المحارب و المسالم ، و الجندى و القائد .

فيه من الكلام فى التوحيد و العدل و مكارم الشيم و محاسن الاخلاق و الترغيب و الترهيب و الوعظ و التحذير و حقوق الراعى و الرعية

(١) مقدمة النهج طبع صبحى صالح .

و اصول المدنية الحقة و ما ينقع الغلة و يزيل العلة لم تعرف المباحث الكلامية إلا منه و لم يكن إلا عيالا عليه فهو قدوة فطا حلها و إمام أفضلها[1] .

قال محمد محى الدين : نهج البلاغة هو الكتاب الذى جمع بين دفتيه عيون البلاغة و فنونها و تهيئات به للناظر فيه اسباب الفصاحة و دنا منه قطافها اذ كان من كلام أفصح الخلق بعد الرسول صلى الله عليه و سلم منطقا و أشدهم اقتدارا و أبرعهم حجة و أملكهم للغة .

يدبرها كيف شاء الحكيم الذى تصدر الحكمة عن بيانه و الخطيب الذى يملاء القلب سحر لسانه العالم الذى تهيأ له من خلاط الرسول و كتابة الوحى والكفاح عن الدين بسيفه و لسانه منذ حداثته ما لم يتهيأ لاحد سواه[1] .

قال الاستاذ امتياز علی خان العرشی : يعد كتاب نهج البلاغة من الكتب التی لها اسمى مكانة فی الأدب العربی و هو يحتوی علی نخبة من خطب سيدنا علی بن ابی طالب و رسائله و حكمه و مما يضاعف الكتاب اهمية ان علی بن ابی طالب كان علی بلاغته المبتكرة أحد الخلفاء الراشدين أو إماما معصوما عند طائفة من المسلمين[2] .

قال الشيخ محمد عبده : فقد أوفى لی حكم القدر بالاطلاع علی كتاب نهج البلاغة مصادفة بلا تعمل أصبته علی تغير حال و تبلبل بال ، و تزاحم أشغال و عطلة من أعمال ، فحسبته تسلية و حيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته و تأملت جملا من عباراته من مواضع مختلفات و مواضع متفرقات

(۱) مستدرك النهج ۳ : (۲) مقدمه النهج طبع عبده .

(۳) استناد نهج البلاغة : ۲ .

فكان

فكان يخيل لى فى كل مقام أن حروبا شبت ، و غارات شنت ، و أن للبلاغة دولة و للفصاحة صولة و أنّ للاوهام عرامة ، و للريب عارة و أن جحافل الخطابة وكتاب الدراية فى عقود النظام و صفوف الانتظام تنافح بالصفيح الابلج و القويم الاملج .

ان مدبر تلك الدولة و باصل تلك الصولة ، هو حامل لوائها الغالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع ، أحس بتغير المشاهد و تحول المعاهد فتارة كنت أجدنى فى عالم يغمره من المانى أرواحا عالية فى حلل من العبارات الزاهية .

طور كانت تنكشف لى الجمل عن وجود باسرة و أنياب كاشرة . و أرواح فى اشباه النمور و مخالب النسور ، قد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاف . نخلت القلوب عن هواها ، و أخذت الخواطر دون مرماها ، و اغتالت فاسد الأهواء و باطل الآراء .

أحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا ، لا يشبه خلقا جسدانيا ، فصل عن الموكب الالهى و اتصل بالروح الانسانى فخلعه عن غاشيات الطبيعة ، و سمابه إلى الملكوت الأ ، و نمابه إلى مشهد النور الأجلى . و سكن به الى عمار جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس .

آنات كانى أسمع خطيب الحكمة ينادى بأعلياء الحكمة ، و أولياء أمر الأمة ، يعرفهم مواقع الصواب ، و يبرهم مواقع الارتياب ، يحذرهم مزالق الاضطراب و يرشدهم الى دقائق السياسة و يهديهم طرق الكياسة ،

و يرتفع بهم الى منصفات الرئاسة و يسعدهم شرف التدبير و يشرف بهم على حسن المصير .

ذلك الكتاب الجليل ، هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي ـ رحمه الله من كلام سيدنا و مولانا أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، جمع متفرقه و سماه هـــذه الاسم نهج البلاغة و لا أعلم اسما أليق بالدلالة على معناه منه ، و ليس فى وسعى ان أصف هذا الكتاب بازيد مما دل عليه اسمه ، و لا ان آتى بشيء فى بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار[1] .

كلمات الباحثين عن نهج البلاغة فى هـذا الباب كثيرة و فيما ذكرناه كفاية .

• • • • •

موضوعات نهج البلاغة :

ان أمير المؤمنين عليـه السلام ذكر فى خطبـه و رسائله و عهوده ما تحتاج الامة الاسلامية فى أمر دينهم و دنياهم و ما يرشدهم إلى السعادة الأبديـــة و يهديهم الى الفوز فى الدنيا و الآخرة و يجنبهم من ارتكاب الذنوب و الآثام و يحذرهم عن المعاصى و الشهوات و الحرام .

جاء فى الخطب و الرسائل ، ابواب التوحيـــد . و النبوة و صفات الانبياء و التعليم و الارشاد . و النصح و النقد و التعريض ، و التقريع و الزهد فى الدنيا و تعريف صفات الاولياء الاشقياء و المنافقين و الجهاد مع الكفار

(١) مقدمة النهج طبع عبده .

و آداب الحروب و الانذر و التخويف و التحذير من الفتن.

المناظرة و السياسات و الابتهال و الدعاء. و الشكوى و التضرع و الوصف و الدقة ، و المناقب و الفضائل و البلدان و خصوصياتها و الوصايا و المواعظ ، و الترغيب و الترهيب و العدل و الاحسان و الترحم و الشفقة .

الخراج و الاموال و الجنود و العساكر و حقوق الرعية و حقوق الراعي و حقوق الفقراء على الاغنياء و حقوق أهل البيت و الوصية و الوراثة و الهجرة و الوحي و العلم و العلماء و الطاووس و النملة و الخفاش و البعوض و الصحابة و الصلوة و الحج و الاسلام و التقوى .

اجازات نهج البلاغة :

قد روى كتاب النهج عدة من العلماء عن السيد الرضي - رضوان الله عليه - وكان المؤلف يقرأه على تلامذته . و نحن نذكر هنا أسماء الرواة الذين جاء ذكرهم في شروح نهج البلاغة و معاجم الشيوخ و رجال الحديث .

١ - السيدة النقية بنت السيد الشريف المرتضى عن عمها الشريف الرضي ، قال عبد الرحيم البغدادي المعروف بابن الاخوة : قالت بنت المرتضى قرأ عليّ عمّي نهج البلاغة .

٢ - أبو منصور العكبري . قرأ نهج البلاغة على السيد الرضي و روى عنه ، قال الراوندي أخبرنا أبو نصر الغازي عن أبي منصور العكبري عن الرضي .

٣ - عبد الكريم بن محمد الديباجي المعروف بسبط بشر الحافي احد رواة نهج البلاغة قال : قرأ على السيد الرضي النهج و سمعته منه قال الراوندي

اخبرنا ابن الاخوة عن ابى الفضل التافلى عنه عن السيد الرضى .

٤ - محمد بن على الحلوانى روى كتاب النهج عن الرضى قال الراوندى أخبرنا السيد أبو الصمصام ذوالفقار بن محمد بن معبد الحسينى عن الحلوانى عن الشريف الرضى .

٥ - شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى روى نهج البلاغة عن الشريف الرضى قال الراوندى أخبرنا أبو جعفر محمد بن على بن محسن الحلبى عن الطوسى عن الرضى[١] .

٦ - محمد بن همام البغدادى من تلامذة السيد الرضى روى نهج البلاغة عن استاذه روى أبو الحسن على بن زيد البيهقى بطريقه عنه .

٧ - جعفر بن محمد الطرشتى الرازى الفقيه المحدث روى نهج البلاغة عن السيد الرضى روى البيهقى عن أبيه عن الحسن بن يعقوب عن جعفر بن محمد عن الشريف الرضى قال أبو الحسن البيهقى فى شرحه على النهج و قد رأيت اجازة الشيخ جعفر بخطه عند أبى و خط الشيخ جعفر شاهد لى[٢] .

٨ - محمد بن على بن أحمد بن بندار روى عنه أبو عبد الله الحسين كتاب النهج فى سنة ٤٩٩ .

٩ - على بن فضل الله الحسينى روى عنه كتاب النهج على بن محمد بن حسين المتطبب فى سنة ٥٨٩ .

١٠ - نجيب الدين يحى بن احمد الحلى روى عنه السيد عز الدين حسن بن على المعروف بابن ابرزسنة ٧٤١ .

(١) شرح النهج البلاغة الراوندى .

(٢) شرح نهج البلاغة للبيهقى .

١١ - الحسن

١١ - الحسن بن يوسف جمال الدين المعروف بالعلامة الحلى أجاز رواية النهج فى سنة ٧٢٣ وهو من شراح النهج .

١٢ - فخر الدين محمد بن الحسن الحلى روى عنه ابن مظاهر نهج البلاغة فى سنة ٧٤١ .

١٣ - محمد بن الحسين بن أبى الرضا العلوى روى عنه جمال الدين بن أبى المعالى كتاب نهج البلاغة فى سنة ٧٣٠ .

١٤ - محمد بن مكى الشهيد الاول روى عنه ابن نجدة كتاب نهج البلاغة فى سنة ٧٧٠ .

١٥ - على بن محمد البياضى مؤلف الصراط المستقيم روى عنه ناصر بن ابراهيم الاحساوى كتاب نهج البلاغة فى سنة ٨٥٢ .

١٦ - الشيخ على الكركى المحقق روى عنه المولى حسين الاسترابادى و الشيخ ابراهيم كتاب النهج فى سنة ٩٠٧ .

١٧ - الشيخ الشهيد زين الدين العاملى روى عنه الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملى كتاب نهج البلاغة فى سنة ٩٤١ .

١٨ - الشيخ حسن بن زين الدين العاملى روى عنه تلامذته كتاب النهج .

١٩ - الشيخ محمد تقى المجلسى روى عنه ولده المجلسى محمد باقر كتاب نهج البلاغة فى سنة ١٠٦٢ .

٢٠ - الشيخ صالح بن عبد الكريم روى عنه محمد هادى الشولستانى كتاب النهج فى سنة ١٠٨٠ .

٢١ ـ احمد بن نعمة الله بن خاتون روى عنه المولى عبد الله التستري في سنة ٩٨٨[1].

• • • • •

شروح نهج البلاغة:

قد تصدى لشرحه عدة من فطاحل العلماء و جهابذة الادباء منذ عصر المؤلف الى زماننا هذا يعني سنة (١٤٠٢) و بين كل منهم على حسب تخصصه من العلوم و المعارف ما حوى نهج البلاغة منها و قد استقصيت شروح النهج من العربية و الفارسية و غيرها من اللغات فبلغت اكثر من مأتين بين مفصل و مختصر.

قال الشيخ آغا بزرگ الطهراني و الشيخ عبد الحسين الاميني - رضوان الله عليهما: اول من شرح النهج السيد على بن ناصر المعاصر لسيدنا الشريف الرضي و اسماه باعلام نهج البلاغة و هذا خطا نشأ من الكنتوري صاحب كشف الحجب و اعتمد الطهراني و الاميني على قوله و نقلا عنه.

النسخة الموجودة المسمى بأعلام نهج البلاغة، عندنا نسخة مصورة منه عن النسخة الاصلية المحفوظة في مكتبة رضا برامفور الهند، تصفحت هـذا الكتاب من اوله الى آخره و لم أجد فيها ذكرا من على بن ناصر بعنوان الشارح او يكون معاصرا للسيد الرضي.

يقول الشارح بعد المقدمة: وسميته باعلام نهج البلاغة للاهتداء بها في متاهاته، و هـذا الاثر النفيس لا يعد شرحا لنهج البلاغة بل هو شرح

---

(١) الغدير: ٤/١٩٣.

لبعض الكلمات الغامضة من الخطب و الرسائل و تبيين ألفاظه النادرة و تفسيرها .

ليس هذا الكتاب اول شرح كما قال الكنتورى و هذا واضح لمن نظر فى أول الكتاب و هو يقول فى ذيل قوله عليه السلام : ليس لصفته حد محدود و لا نعت موجود ، قال الوبرى فى معناه لا نهاية لكونه مختصا بصفات ذاته لأنه قديم .

ترى أن هذا الشارح ينقل عن الوبرى ، و الوبرى هذا كان معاصرا لأبى الحسن على بن زيد البيهقى شارح النهج - المتوفى سنة ٥٦٥ - قال البيهقى فى شرحه على النهج : و ممن سمعت خبره و عاينت أثره و لم اره الامام احمد بن محمد الوبرى ، الخوارزمى الملقب بالشيخ الجليل و قد شرح من طريق الكلام مشكلات نهج البلاغة شرحا انا اورده و أنسبه اليه و اثنى عليه[١] .

فظهر ان هذا الشرح لا يكون للسيد على بن ناصر المعاصر للشريف الرضى وكذا لا يكون اول شرح لنهج البلاغة و الظاهر كان الشارح من علماء القرن السابع ، و استفاد فى شرحه من شروح متعددة لانه يقول فى موارد من الكتاب قال بعض الشارحين وكذا ينقل عن السيد الرضى و السيد المرتضى فى تفسير بعض الكلمات و غوامض الالفاظ فى نهج البلاغة .

ان الشارح الاول لنهج البلاغة هو جامعه الشريف الرضى لانه شرح الالفاظ الغريبة النادرة ، و بعد اخوه الشريف المرتضى و هو أيضا علق

(١) شرح النهج للبيهقى مخطوط فى المكتبة الرضوية و عندى نسخة مصورة منه .

على النهج و شرح الخطبة الشقشقية و أبو الحسن على بن زيد البيهقى هو أول من شرح نهج البلاغة و بسط القول فيه ، و نحن نذكر هنا عدة من الشروح .

١ ـ آصف القزوينى شرح خطبة الهمام كان من علماء القرن الثانى عشر .

٢ ـ ابراهيم بن حسين الدنبلى الخوئى المقتول فى سنة ١٣٢٥ .

٣ ـ السيد ابو القاسم بن محمد حسن البختيارى الاصفهانى المتوفى سنة ١٣٦٨ .

٤ ـ أحمد الكاشانى مؤلف كشف الستارة عن نهج البلاغة وكان حيا فى سنة ١٣٥٦ .

٥ ـ أحمد بن محمد الوبرى الخوارزمى من علماء القرن السادس .

٦ ـ اعجاز حسين الهندى المتوفى سنة ١٣٥٠ .

٧ ـ أولاد حسن الهندى المتوفى بأمروهه فى سنة ١٣٣٨ .

٥ ـ جواد الطارمى الزنجانى المتوفى سنة ١٣٢٥ .

٩ ـ جهانگير خان القشقائى الحكيم الفيلسوف المتوفى سنة ١٣٢٨ .

١٠ ـ حبيب الله الخوئى له شرح كبير و توفى سنة ١٣٢٤ .

١١ ـ حسن بن على الماء آبادى المتوفى سنة ٥٨٥ .

١٢ ـ الحسن بن على البجنوردى الخراسانى المولود فى سنة ١٣٤٥ .

١٣ ـ الحسن بن يوسف العلامة الحلى .

١٤ ـ حسين بن شرف الدين الاردبيلى المتوفى سنة ٩٠٥ .

١٥ ـ حسين بن شهاب الدين العاملى الكركى المتوفى سنة ١٠٧٦ .

١٦ ـ خليل الكمرئي نزيل طهران .

١٧ ـ ذاكر حسين الهندي الدهلوي .

١٨ ـ رفيعا الجيلاني نزيل مشهد الرضا المتوفى سنة ١١٦٠ .

١٩ ـ سعيد بن هبة الله الراوندي أبو الحسن قطب الدين المتوفى ٥٧٣

٢٠ ـ شمس الدين بن محمد مراد من علماء الدولة الصفوية في القرن الحادي عشر .

٢١ ـ صدر الدين الموسوي الدزفولي المتوفى سنة ١٢٥٦ .

٢٢ ـ الصغاني أبو الفضائل الحسن بن محمد المتوفى سنة ٦٥٠ .

٢٣ ـ الظافر مهدي الهندي اللكنوي .

٢٤ ـ عبد الباقي التبريزي الخطاط كان معاصرا للشاه عباس الصفوي

٢٥ ـ عبد الجبار القاضي نقل عنه ابن العتائقي الحلي .

٢٦ ـ عبد الحميد ابن أبي الحديد الشارح المعروف .

٢٧ ـ عبد الرحمان العتائقي الحلي كمال الدين من علماء القرن الثامن

٢٨ ـ عبد الله بن سليمان البحراني السماهيجي .

٢٩ ـ عبد الله بن شبر بن محمد الحسيني الكاظمي المتوفى سنة ١٢٣٢ .

٣٠ ـ عبد النبي الطسوجي الآذربايجاني المتوفى سنة ١٢٠٣ .

٣١ ـ عز الدين الآملي الفقيه فرغ من شرحه سنة ٩٤٤ .

٣٢ ـ علاء الدين محمد گلستانه المتوفى سنة ١١١٠ .

٣٣ ـ علي اظهر الهندي الكهجوي المتوفى سنة ١٣٥٢ .

٣٤ ـ علي شير النوائي الوزير المعروف الهروي المتوفى سنة ٩٠٦ .

٣٥ - على العيارى التبريزى .

٣٦ - على نق فيض الاسلام الاصفهانى نزيل طهران .

٣٧ - على بن أنجب أبو طالب البغدادى المتوفى سنة ٦٧٤ .

٣٩ - على بن حسن نظام الدين الجيلانى المسمى بأنوار الفصاحة .

٤٠ - على بن الحسين السيد المرتضى شرح الخطبة الشقشقية .

٤١ - عـلى بن زيد أبو الحسن البيهـقى المتوفى سنة ٥٦٥ و قبره مزار بقرية ششتمد من أعمال بيهق .

٤٢ - على بن طاوس رضى الدين الحلى من علماء القرن السابع .

٤٣ - على بن عماد الدين الماندرانى المعاصر للشاه طهماسب الصفوى .

٤٤ - على بن محمد بن أفضل الدين تركه الاصفهانى المتوفى ٨٣٠ .

٤٥ - غلام على بن اسماعيل البهاونكرى الهندى المتوفى سنة ١٣٦٧ .

٤٦ - فتح الله بن شكر الله الكاشانى المتوفى ٩٨٨ .

٤٧ - فخر الدين الطريحى النجفى المولود فى النجف سنة ٩١٩ .

٤٨ - فضل الله بن ضياء الدين الراوندى من علماء القرن السادس .

٤٩ - محمد باقر بن محمد اللاهيجى نزيل اصفهان .

٥ - محمد تقى الالماسى حفيد العلامة المجلسى .

٥١ - محمد تقى التسترى المعاصر شرح نهج البلاغة فى عدة مجلدات .

٥٢ - محمد تقى الجعفرى التبريزى المعاصر نزيل طهران له شرح كبير على نهج البلاغة .

٥٠ - محمد تقى بن مؤمن الحسينى القزوينى له شرح نهج البلاغة .

محمد

٥٤ ـ محمد جواد مغنية اللبنانى المتوفى سنة ١٤٠٠ .

٥٥ ـ محمد حسين بن محمد خليل الشيرازى المتوفى سنة ١٣٤٠ .

٥٦ ـ محمد حسين بن رفيع بن فرج الجيلانى نزيل مشهد الرضا المتوفى حدود ١١٦٠ .

٥٧ ـ محمد صالح بن محمد باقر القزوينى الروغنى .

٥٨ ـ محمد الجعفرى العسكرى الهندى شرح النهج باللغة الانكريزية .

٥٩ ـ محمد على الانصارى القمى من المعاصرين نزيل قم .

٦٠ ـ محمد على بن نصير الدين الجهاردهى الكيلانى المتوفى سنة ١٣٣٤ .

٦١ ـ محمد على الحزين الجيلانى نزيل الهند و المتوفى ببنارس سنة ١١٨١ .

٦٢ ـ محمد على بن الشيخ بشارة النجفى نزيل النجف الاشرف .

٦٣ ـ محمد كاظم الخراسانى المعروف بالآخوند استاذ الفقهاء و المجتهدين .

٦٤ ـ محمد كاظم بن محمد ابراهيم الموسوى القزوينى المولود سنة ١٣٤٨ .

٦٥ ـ محمد مهدى بن مرتضى الحسينى الخاتون آبادى المتوفى سنة ١١٥٠ .

٦٦ ـ محمد مهدى بن أبى تراب الهندى فرغ من شرحه سنة ١٠٩٧ .

٦٧ ـ محمد بن حبيب الله الحسينى شرح نهج البلاغة فى سنة ٨٨١ .

٨٦ ـ محمد بن الحسين قطب الدين الكيذرى البيهقى المتوفى ، بعد ستمائة .

٦٩ ـ محمد بن الحسين بهاء الدين العاملى المتوفى سنة ١٠٣١ .

٧٠ ـ محمد بن عبد العزيز فرغ من شرحه سنة ١٠٢٨ .

٧١ ـ محمد بن عمر فخر الدين الرازى نزيل هرات و المتوفى بها سنة ٦٠٦ .

٧٢ ـ محمد بن قنبر على الكاظمى المدنى المتوفى سنة ١٣٠٠ .

٧٣ ـ محمود الطالقانى العالم المشهور المتوفى سنة ١٣٩٩ .

٧٤ ـ محمود بن محمد تقى المشهدى نزيل الهند فرغ من شرحه سنة ١١٧٢ .

٧٥ ـ محمود بن ميرك الرازى ذكره البيهقى فى شرحه على النهج .

٧٦ ـ مسعود بن عمر سعد الدين التفتازانى المتوفى سنة ٧٩٢ .

٧٧ ـ مهدى بن السيد والد الفقيه السيد محسن الحكيم الطباطبائى .

٧٨ ـ ميثم بن على كمال الدين البحرانى المتوفى سنة ٦٧٩ .

٧٩ ـ نعمت الله الجزائرى المحدث المعروف المتوفى سنة ١١١٢ .

٨٠ ـ نور محمد بن قاضى عبد العزيز المحلى فرغ من شرحه سنة ١٠٢٨ .

٨١ ـ يحيى بن حمزة بن على توجد من هذا الشرح نسخة فى النجف شرحه فى سنة ٧٠١ .

٨٢ - يحيى بن أبي طي ابو الفضل الطائي البخاری الحلبي المتوفى سنة ٦٣٠ .

٨٣ - يوسف بن حسن قوام الدين الشيرازی المتوفى سنة ٩٢٧ [١] .

* * * * *

شبهات حول النهج :

وردت شبهات حول نهج البلاغة و مطاويه من قبل جماعة من العلماء قديما و حديثا و هذه الشبهات صدرت منهم عن العصبية و عدم الاطلاع عن حقيقة الأمر و نحن نذكرهنا كلمات المخالفين و عقائدهم حول النهج .

اول من فتح باب الاعتراض و شك فى انتساب خطب النهج الى أمير المؤمنين عليه السلام هو ابن خلكان فى كتاب و فيات الاعيان و اخطأ أيضا فى نسبة الكتاب الى السيد المرتضى و تبعه فى ذلك الذهبي وابن حجر .

قال ابن خلكان فى ترجمة الشريف المرتضى ، و قد اختلف الناس فى كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الامام على بن أبي طالب رضى الله عنه هل هو جمعه أم جمع اخيه الرضى و قد قيل انه ليس من كلام على و إنما الذى جمعه نسبه اليه هو الذى وضعه و الله اعلم [٢] .

(١) ذكرنا هذه الشروح و غيرها و حققناها فى كتابنا أميرالمؤمنين و نهج البلاغة بالفارسية

(٢) و فيات الاعيان : ٣/٣ .

هذا كلام ابن خلكان فيعلم منه بالصراحة انه لم يطالع النهج و كذا ساير مؤلفات السيد الرضى لأن من عرف الحياة السيد الرضى و آثاره علم أن نهج البلاغة من تأليفاته لا تأليف أخيه المرتضى ، لان السيد الرضى فى موارد كثيرة من نهج البلاغة يقول فى ترجمة بعض الكلمات ، قال الرضى كذا و هذا واضح لمن يعرف نهج البلاغة .

يظهر من كلام ابن خلكان أنه لم يقطع بان نهج البلاغة لم يكن من كلام على و انما نسبه الى قيل و معلوم ان هذا ليس معتقده و فى آخر كلامه خاص نفسه و قال : و الله اعلم . يعنى هذا الكتاب وردت مورد اختلاف و الله يعلم حقيقة الأمر .

قال الذهبي : عـلى بن الحسين الموسوى الشريف المرتضى المعتزلى صاحب التصانيف مات سنة ٤٣٠ عن ثمانين سنة و هو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة و له مشاركة قوية فى العلوم و من طالع كتابه نهج البلاغة جزم بانه مكذوب على أمير المؤمنين رضى الله عنه[1] .

يظهر أيضا من كلمات الذهبى انه لم يراجع نهج البلاغة و الا لم ينسبه الى السيد المرتضى و العجب من الذهبى كيف اتهم المرتضى رضوان الله عليه و كذا اخوه الرضى فى كلام ابن حجر يكون متهما بوضع نهج البلاغة و نسبته الى الامام امير المؤمنين عليه السلام و لوطالعا نهج البلاغة و تعمقا فيه لما صدر منهم هـذا الافتراء على الشريفين المرتضى و الرضى . و هما رضوان الله عليهما فى مكان عال من القداسة و الديانة و العلم و الفضيلة

(١) ميزان الاعتدال : ٣/١٢٤ و لسان الميزان : ٤/٢٢٣ .

معلوم أن الذهبي رأى في نهج البلاغة بعض الكلمات التي ألقاها أمير المؤمنين عليه السلام على أصحابه مثل الخطبة الشقشقية و أمثالها و علم ان هذه الالفاظ مخالف لما يعتقده فلهذه حمل على السيد المرتضى رضوان الله عليه بانه وضع هذه الخطبة و نسبها الى أمير المؤمنين، و نحن نذكرها اسناد، الخطبة الشقشقية في الكتب التي الفت قبل الرضي مؤلف نهج البلاغة .

١ ـ أبو جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقي القمي من علماء الشيعة المتوفى سنة ٢٧٤ ذكر هذه الخطبة في كتاب المحاسن .

٢ ـ ابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي المتوفى سنة ٢٨٣، ذكر هذه الخطبة في كتاب الغارات .

٣ ـ عبد الله بن محمود الكعبي البلخي المعتزلي المتوفى سنة ٣١٩ ذكر الخطبة في كتابه .

٤ ـ أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائي البصري المعتزلي المتوفى سنة ٣٠٣ روى هذه الخطبة .

٥ ـ محمد بن عبد الرحمان أبو جعفر بن قبة الرازي المتكلم الشيعي تلميذ أبي القاسم البلخي روى في كتابه الخطبة الشقشقية .

٦ ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي المشهور بالشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ روى هذه الخطبة في كتابه معاني الاخبار و علل الشرايع .

٧ ـ أبو عبد الله محمد بن النعمان استاذ السيد الرضى روى هذه الخطبة فى كتاب الارشاد[١] .

قال ابن أبى الحديد فى شرحه على النهج : حدثنى شيخى ابو الخير مصدق بن شبيب الواسطى فى سنة ثلاث و ستمائة قال قرأت على الشيخ أبى محمد عبد الله بن احمد المعروف بابن الخشاب و كان صاحب دعابة و هزل قال فقلت له : أتقول انها منحولة ، فقال لا و الله ، و انى لأعلم انها كلامه كما اعلم انك مصدق .

قال فقلت له : ان كثيرا من الناس يقولون انها من كلام الرضى ـ رحمه الله تعالى ـ فقال أنى للرضى و لغير الرضى هذا النفس و هذا الاسلوب قد وقفنا على رسائل الرضى و عرفنا طريقته و فنه فى الكلام المنثور و ما يقع مع هذا الكلام فى خل و لا خمر .

ثم قال و الله لقد وقفت على هذه الخطبة فى كتب صنفت قبل أن يخلق النقيب ابو احمد والد الرضى[٢] .

قال الاستاذ العرشى : ان اكثر الخطب عرضة للنقد و الايراد فى نهج البلاغة هى الخطبة المعروفة بالشقشقية ذكر فيها أمير المؤمنين تاريخ الخلافة ، و شكا بان أولى الامر أعرضوا عنه مع انه احق الناس بالخلافة .

لكنه اصطبر على هذا العدوان حتى اصر عليه الناس مرة رابعة بان يتحمل اعباء الخلافة بيد انه خالفه بعض الناس بعد البيعة و نشبت

(١) استناد نهج البلاغة للعرشى .   (٢) استناد نهج البلاغة .

الحرب

الحرب بين المسلمين ، فلو لم يكن انصاره و لو لم يأمر الله بنصرة المظلوم لطوى كشحه عن الخلافة[1] .

فظهر بما نقلناه أن هذه الخطبة نقلها الحفاظ و المحدثون فى كتبهم قبل أن يولد الرضى ، و كذلك سائر الخطب و الرسائل ، و من أراد الاطلاع فليراجع مصادر نهج للعلامة ، للسيد عبد الزهراء الحسينى و استناد نهج للاستاذ امتياز على العرشى الهندى ـ رحمه الله .

* * * * *

علم الغيب فى نهج البلاغة :

قال المعترض : ان فى نهج البلاغة كلمات تدل على ان صاحبه يعلم الغيب و يخبر عن الحوادث قبل وقوعها كغرق البصرة و خرابها ، و ظهور الاتراك و المغول و غلبة معاوية و بنى امية على البلاد و ولاية الحجاج الثقفى على العراق و غيرها .

علم الغيب و الاخبار عن الحوادث الآتية مختص بالله تعالى و لا يعلم الغيب الا هو و لما كان فى نهج البلاغة عبارات تتضمن علم الغيب فمعلوم أن هذا الكتاب مصنوع منسوب الى الامام على بن أبى طالب .

فنقول فى جواب المعترض قد جاء فى القرآن العظيم ، فى موارد كثيرة ذكر الغيب ، قال الله تعالى : الذين يؤمنون بالغيب ، و قال : عالم الغيب ، و قال : عالم الغيب و الشهادة ، و قال : أعنده علم الغيب و هو يرى ، و قال :

(١) استناد نهج البلاغة .

ولله غيب السموات والارض وقال وعنــده مفاتح الغيب وغيرها من الايات الشريفة .

قال فى سورة الجن : ولا يظهر على غيبه احد الامن ارتضى من رسول ، يظهر من هذه الآية الشريفة ان الله تعالى يطلع رسوله عن الغيب هــذا عيسى بن مريم سلام الله عليــه كما جاء فى القرآن يقول .انبئكم بما تأكلون و تدخرون فى بيوتكم ، أليس هذا علم الغيب .

قال نبينا محمد صلى الله عليه وآله لبنته فاطمة : انت اول من تلحق بى ، و قال : ان امتى يختلفون بعدى . و قال لأمير المؤمنين عليه السلام تقاتل من بعــدى الناكثين و المــارقين و القاسطين . و قال لعمار بن ياسر : تقتلك الفيئة الباغية و آخر شرابك ضياح من لبن ، وكذا أخبر بشهادة الحسين عليه السلام .

الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليــه السلام كان مع النبى صلى الله عليــه و آله فى صغره وكبره . قال ان النبى علمنى ألف باب من العــلم و قال رسول لله أنا مدينة العلم وعلى بابها ، و قال أمير المؤمنين أن النبى دعانى عند موته و اخبرنى عن الحوادث التى تظهر فى امته ، و لذلــك يقول ، سلونى قبل ان تفقدونى فظهر بما ذكرنا بطلان قول المعترض .

* * * * *

السجع فى نهج البلاغة :

قال المعترض : ان فى النهج اصطلاحات أدبية و كلمات مستحدثة ما كانت العرب تعرفها فى عصر الامام على بن أبى طالب ، و إنمــا ظهرت

هذه الاصطلاحات فى العصر العباسى . عند اختلاط العرب بسائر الملل و تعلمت منهم .

هذه الشبهة صدرت منه بدافع العصبية العمياء و الجهل المتراكم و لو أنه راجع القرآن المجيد و خطب النبي صلى الله عليه و آله ما تكلم بهذه الكلمات ، نعم التعصب و العناد يورد الانسان موارد الهلكة و يخرجه عن طريق الحق و الصواب .

قال رسول الله فى كلماته : ان الاعمار تفنى ، و الاجسام تبلى ، و الايام تطوى ، و الليل و النهار يتطاردان تطارد البريد ، يقربان كل بعيد و يخلقان كل جديد ، و أيضا قال ، ان لكل شيء حسابا و لكل حسنة ثوابا و لكل سيئة عقابا و ان على كل شيء رقيبا .

قال قسّ بن ساعدة الانصارى : ايها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ، و من مات فات و كل ما هو آت آت . ليل داج ، و نهار ساج ، و سماء ذات ابراج ، و نجوم تزهر و بحار تزخر و جبال مرساة و ارض مدحاة و نهار مجراة [1] هذا مختصر من الكثير التى : رويت فى كتب الاخبار و السيرة فظهر فساد قول المعترض و بطلان رأيه فى النهج .

الاصطلاحات فى نهج البلاغة :

قال المعترض : ان فى نهج البلاغة اصطلاحات فلسفية و اصولية و كلامية ، و هذه الاصطلاحات ظهرت فى القرن الثانى و لم يعرفها الناس

(١) راجع مصادر النهج : ١/١٥٦ .

فى عصر على و ما كانت هذه الالفاظ مصطلحة ، حتى يتكلم بها أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

هذه الشبهة وردت عن المستشرقين و المتجددين المقلدين عنهم . و هؤلاء قوم لا يعرفون الاسلام و لا يعرفون الامام أمير المؤمنين عليه السلام و لو بحثوا فى حياة الامام على و سيرته لما و قعوا فى الاشتباه و لم يتكلموا بالباطل و لم يقولوا غير الحق فضلوا عن سواء السبيل .

أما جواب المعترض فنقول هذا القرآن المجيد جاء فيه لفظ الحكيم و الحكمة قال الله : و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ، و قال: و لقد آتينا لقمان الحكمة ، و قال : ان الله عليم حكيم ، و صف الله تعالى بالعلم و الحكمة أليس هذه اللفظة من اصطلاحات الفلاسفة ؟

و الجواب الثانى ان أمير المؤمنين عليه السلام كان متبكرا فى العلوم و المعارف الاسلامية و هو الذى ابتكر علم النحو و علم اصولها و لم تعرف العرب علم النحو و هو الذى عين تاريخ الاسلام و اسس الدفاتر و ديوان الخراج و الاموال و علم منه الناس القضاء و الاحكام و غيرها .

التقسيمات فى نهج البلاغة :

قال المعترض : ان فى النهج تقسيمات لبعض الفضائل و الرذائل مثلا جاء فى النهج : الناس على أربعة اصناف أو قال : من اعطى اربعا لم يحرم اربعا ، و قال : الناس ثلاثة ، و قال يا بنى احفظ عنى اربعا و اربعة

و كذا

وكذا قال الايمان على اربع دعائهم و الصبر على اربع شعب و غيرها .

هذه الشبهة أيضا قد وردت من قبل المستشرقين و تبعهم فى ذلك جماعة من المتجددين الذين لا بصيرة لهم فى معارف الدين ، و يقولون ان هذه التقسيمات ما كانت مصطلحة فى زمن على و ما يعرفها العرب ، و انما ظهر فى القرن الثانى و الثالث .

هذه الشبهة غير واردة و بطلانها واضح لمن تأمل فى الاخبار الواردة عن النبى صلى الله عليه و آله ، قال رسول الله : ستة أشياء حسنة و لكنها من ستة أحسن ، و قال : ثلاث كفارات و ثلاث درجات و ثلاث منجيات و ثلاث مهلكات .

قال أيضا معشر المسلمين اياكم و الزنا فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا و ثلاث فى الاخرة ، قال : أخلاء ابن آدم ثلاث واحد يتبعه الى قبض روحه و الثانى الى قبره ، و الثالث الى محشره ، و من راجع خصال الشيخ الصدوق يجد فيه أمثال هذه الروايات .

فاذا ثبت هذه الروايات لرسول الله صلى الله عليه و آله فى التقسيمات و كذلك ثبت للامام امير المؤمنين سلام الله عليه . لانه كان مع رسول الله واخذ منه العلوم و المعارف الالهية و باب مدينة علمه فليس فى هذا الباب شك لمن تدبر فى حياته و سيرته .

الطاووس فى نهج البلاغة :

قال المعترض ان فى نهج البلاغة جاء ذكر الطاووس و وصفه

و خصوصياته ، لا شك أن الطاووس ما كان يعيش فى الحجاز ، فمن اين رأى على بن أبى طالب عليه السلام الطاووس حتى يصفه بهذه الصفات و يعرفه بهذه الدقة فى خلقته و لونه و لقاحه و سائر ما يختص به كأنه عاش مع الطاووس أياما كثيرة .

هذه الشبهة أيضا كسائر الشبهات واهية ، يدل على جهل قائلها ، نحن نسأل عن المعترض و نقول جاء فى القرآن العظيم ذكر الفيل أكان يعيش هذا الحيوان فى الحجاز أو يعرفها العرب حتى يذكر فى القرآن قال الله تعالى : ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل .

نعم جاء أبرهة ملك الحبشة لغزو مكة و اهلها وكان فى مقدمة جيشه فيلا عظيما و رآه اهل مكة فصار عندهم عام الفيل مبدا للتاريخ و ارخوا الحوادث من هذه السنة و قالوا ولد فلان بعد عام الفيل او وقع حرب فى ناحية كذا بعد عام الفيل .

اليس فى وسعنا أن نقول فى جواب المعترض ، من اين تقول ان الامام على بن أبى طالب لم ير هذا الحيوان الجميل فى مدة عمره ، ان امير المؤمنين عليه السلام سافر الى اليمن و العراق و كذا بعض بلاد الحجاز و رأى فيها هذا الحيوان ، و يمكن أيضا ان يكون الطاووس عند بعض أهل مكة و المدينة .

لان الطاووس طائر جميل ظريف ، يحبه الناس لظرافته و ألوانه ، و مشيه و يحفظونه فى منازلهم و حدائقهم ، قال ابن أبى الحديد فى شرحه

على نهج البلاغة : يمكن ان رأى أمير المؤمنين عليه السلام الطاووس فى العراق لأن الهدايا توصل اليه من البلدان المختلفة .

ثم ان ذكر الطاوس جاء فى الشعر و لو أن العرب لم يره كيف ورد ذكره فى أشعارهم ، و هذا رؤبة بن العجاج الشاعر المعروف يقول :

كما استوى بيض النعام الاملاس ❊ مثل الدمى تصويرهن اطواس[1]

الزهد فى نهج البلاغة :

قال المعترض : ان فى النهج جاءت كلمات فى الزهد و ترك الدنيا لخطابه عليه السلام لنوف البكالى و همام و شريح القاضى و موارد أخرى ذكرت فى خطبه و رسائله ، و هذا الزهد المفرط لم يكن له سابقة فى الاسلام فمن هذه الكلمات تعلم انها ليست للامام على بن أبى طالب .

هذه الشبهة من أوهن الشبهات التى وردت فى نهج البلاغة و الرد عليها ، لان من راجع كلمات الامام على عليه السلام و تفكر فى معانيها علم ان المقصود من الزهد و ترك الدنيا فى النهج هو عدم المحبة الدنيا و الركون اليها و نسيان الآخرة و اتباع هوى النفس و الميل الى الشهوات و اتخاذ الاموال من الحرام .

ان أمير المؤمنين سلام الله عليه كان يرشد عماله و امراء جنده بالعدالة و أن لا يظلموا الناس و لا يأخذوا أموالهم و ان لا يبنوا دورا

(١) تاج العروس : طوس .

او قصورا رفيعة و يكون معيشتهم و لباسهم مثل أوساط الناس ، لان الأمراء و العمال اذا كانوا كذلك صلح الناس .

هذا شريح القاضى المعروف بالكوفة اشترى دارا وسيعة فأحضره أمير المؤمنين و وبخه باشترائه الدار و بذل الدينار الكثير لان قاضى المسلمين لابد أن يكون معيشته و مسكنه و ملبسه متوسطه حتى يقبل الناس قضائه و قوله .

كتب أمير المؤمنين سلام الله عليه الى عثمان بن حنيف عامله بالبصرة و قال له سمعت ان رجلا من فتية أهل البصرة دعاك الى وليمة ، فأسرعت تنقل اليك الجفان و تستطاب لك الالوان ، و ما اظن انك دعيت الى طعام قوم عائلهم مجفو و غنيهم مدعو .

يقول الامام عليه السلام انك عاملى و وكيلى فى البصرة و لابد أن تعمل فيهم بسيرة الصالحين و لا تكون عونا و صديقا لاهل الثروة و الدنيا و تطرد الفقراء و المساكين عن حولك ، هذا مما لا يليق بحكام المسلمين و امرائهم .

قال العلاء بن زياد الحارثى لأمير المؤمنين : ان اخى عاصم بن زياد قد ترك الدنيا و لبس الخشن و ترك أهله و عياله و او لاده و لزم المسجد و اشتغل بالعبادة .

قال أمير المؤمنين : علىّ به ، فلما حضر عنده قال عليه السلام : يا عدىّ نفسه لقد استهام بك الخبيث ، اما رحمت اهلك و ولدك اترى الله احل لك الطيبات و هو يكره ان تأخذها قال يا أمير المؤمنين هذا أنت فى

خشونة

خشونة ملبسك و جشوبة مأكلك .

قال : و يحك انى لست كانت ان الله تعالى فرض على أئمة العدل ان يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره فظهر من هذه الكلمات ان الاستفادة من الطيبات فى المأكل و الملبس و المسكن مباح و لكن أئمة المسلمين و حكامهم يعيشون كادنى الرعية .



جامع نهج البلاغة :

الشريف الرضى

محمد بن الحسين الموسوى

٣٥٩ = ٤٠٦

حياته ـ ثقافته ـ مشايخه

تلامذته و آثاره

* * * * *

مؤلف نهج البلاغة

محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام المكنى بابي الحسن و الملقب بذي الحسبين المعروف بالشريف الرضي رضوان الله عليه من رجال الفكر و العلم و الأدب ، و من مفاخر الاسلام و التشيع .

كان ـ رحمه الله ـ جمع شرافة النسب و طهارة المولد بفضيلة العلم و التقوى و الزهد و الورع ، و ملأ الدنيا بآثاره النفيسة في العلم و الأدب ، و الشعر ، و التفسير و الحديث ، و طار صيته حتى بلغ الشرق و الغرب ، و ترجمه كثير من المؤرخين في كتبهم و نحن نذكرهنا نبذة مما قال مترجموه :

(كلمات المؤلفين حول الرضي)

قال النجاشي : محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر أبو الحسن الرضي نقيب العلويين ببغداد أخو المرتضى كان شاعرا مبرزا له كتب منها كتاب حقائق التنزيل ، كتاب مجاز

القرآن . كتاب خصائص الأئمة ، كتاب نهج البلاغة ، إلى آخر ما قال[1] .

قال معاصره أبو منصور الثعالبي النيسابوري : أبو الحسن محمد بن الحسين الشريف الرضى الموسوى ، النقيب بولده ببغداد سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة ، و ابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل و هو اليوم أبدع ابناء الزمان و انجب سادة العراق .

يتحلى مع محتده الشريف ، و مفخره المنيف ، بأدب ظاهر و فضل باهر ، و حظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبيين من مضى منهم و غبر على كثرة شعرائهم المفلقين كالحمانى و ابن طباطبا و ابن الناصر و غيرهم .

لو قلت : أنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، و سيشهد بما أجريه من ذكره شاهد عدل من شعره ، العالى القدح ، الممتنع عن القدح ، الذى يجمع الى السلاسة متانة و الى السهولة رصانة و يشتمل على معان يقرب جناها و يبعد مداها[2] .

قال على بن الحسن الباخرزى : السيد الرضى الموسوى ، رضى الله عنه له صدر الوسادة بين الائمة ، و السادة و انا اذا مدحته كنت كمن قال لذكاء : ما أنورك ! و لخضارة ما أغزرك ! و له شعر اذا افتخر به أدرك من المجد أقاصيه و عقد بالنجم نواصيه .

اذا نسب ، انتسب رقة الهوء الى نسيبه ، و فاز بالقدح المعلى فى نصيبه ، حتى اذا أنشدنى الراوى غزلياته ، بين يدى العزهاة لقال له

(١) رجال النجاشى : ٣١٠ .　　(٢) يتيمة الدهر ٣/١٣٣ .

من

من العزهات ، و اذا وصف فكلامه فى الاوصاف أحسن من الوصائف و الوصاف .

اذا مدح تحيرت فيه الأوهام من مادح و ممدوح له بين المتراهنين فى الحلبتين ، سبق سابح مروح : و ان نثر حمدت منه الأثر ، و رأيت هناك خرزات من العقد تنفض و قطرات من المزن ترفض ، و لعمرى ان بغداد قد أنجبت به فبوأته ظلالها وأرضعته زلالها . و انشقته شمالها .

ورد شعره دجلتها ، فشرب منها حتى شرق ، و انغمس فيها حتى كاد أن يقال : غرق ، فكلما انشدت محاسن كلامه تنزهت بغداد فى نضرة نعيمها ، و انشقت من أنفاس الهجير بمراوح نسيمها فمن عقد سحره و عقود درّه قوله فى مطلع قصيدة له :

و ظبيـــة من ظباء الانس عاطلة

تستوقف العين بين الخمص و الهضم[١]

قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى : محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر أبو الحسن العلوى نقيب الطالبيين ببغداد ، كان يلقب بالرّضى ذا الحسبين ، و هو أخو أبى القاسم المعروف بالمرتضى و كان من أهل الفضل و الادب و العلم .

ذكر لى أحمد بن روح عنه انه تلقن القرآن بعد أن دخل فى السن ، فجمع حفظه فى مدة يسيرة ، قال و صنف كتابا فى معانى القرآن يتعذر و جود مثله ، و كان شاعرا محسنا ، سمعت ابا عبد الله محمد بن عبد الله الكاتب

(١) دمية القصر : ١/٢٩٢ .

يقول سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون :

الرضى أشعر قريش فقال ابن محفوظ : هذا صحيح ، و قد كان فى قريش من يجيد القول الا أن شعره قليل ، فاما مجيد مكثر فليس الا الرضى ، انشدنى القاضى ابو العلاء محمد بن على قال ؛ انشدنا الشريف أبو الحسن الرضى لنفسه :

اشتر العزّ بما شئت فما العز بغالى
بقصار الصفر ان شئت او السمر الطوال
ليس بالمغبون عقلا من شرى عزا بمال
انما يدخر المال لا ثمان المعالى[1]

* * * * *

قال أبو الفرج ابن الجوزى: محمد بن الحسين بن موسى أبو الحسن العلوى ولد سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة و لقبه بهاء الدولة بالرضى ذى الحسبين و لقب اخاه بالمرتضى ذى المجدين و كان الرضى نقيب الطالبين ببغداد ؛ حفظ القرآن فى مدة يسيرة بعد أن جاوز ثلاثين سنة و عرف من الفقه و الفرائض طرفا قويا كان عالما فاضلا و شاعرا مترسلا عفيفا عالى الهمة متدينا اشترى فى بعض الايام جزأ من امرأة بخمسة دراهم فوجد فيه جزء بخط أبى على بن مقلة قال فان أردت الجزء فخذيه و ان اخترت ثمنه فهذه خمسة دراهم فأخذتها ودعت له و انصرفت و كان سخيا جوادا .

اخبر اسماعيل بن احمد ، عن أبى غالب بن بشران قال حدثنى الخالع

(١) تاريخ بغداد : ٢/٦٤٦

قال مدحت الرضى بقصيدة فجائنى غلامه بتسعة و أربعين درهما ، فقلت لا شك انّ الغلام قد خانني ، فلما كان بعد ايام اجتزت بسوق العروس فرأيت رجلا يقول لآخر : اتشترى هذا الصحن فانه يساوى خمسة دنانير و لقد اخرج من دار الرضى ، فبيع بتسعة و أربعين درهما : فعلمت انى مدحته وهو مضيق فباع الصحن و انفذ الثمن الى[1] .

قال ابن خلكان : الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الطاهر ذى المناقب صاحب ديوان الشعر و كان أبوه قديما يتولى نقابة الطالبين و يحكم فيهم أجمعين ، و النظر فى المظالم و الحج بالناس ثم ردت هذه الاعمال كلها الى ولده الرضى المذكور فى سنة ثمان و ثمانين و ثلاثمائة و أبوه حى .

ذكر ابو الفتح بن جنى النحوى فى بعض مجاميعه ان الشريف المذكور احضر الى ابن السيرافى النحوى و هو طفل جدا لم يبلغ عمره عشر سنين ، فلقنه النحو ، و قعد معه يوما فى حلقته فذاكره بشىء من الاعراب على عادة التعليم .

فقال له : اذا قلنا : رأيت عمرو ، فما علامة النصب فى عمرو ؟ فقال له الرضى : بغض علىّ ، فعجب السيرافى و الحاضرون من حدة خاطره . و ذكر أنه تلقن القرآن بعد أن دخل فى السن فحفظه فى مدة يسيرة و صنف كتابا فى معانى القرآن الكريم وكتابا فى مجازات القرآن ، فجاء نادرا فى بابه .

لقد أخبرنى بعض الافاضل انه رأى فى مجموع ان بعض الادباء

(١) المنتظم : ٧/٢٧٩ .

اجتاز بدار الشريف الرضى بسر من رأى و هو لا يعرفها و قد اخنى عليها الزمان ، و ذهبت بهجتها ، و اخلقت ديباجتها ، و بقايا رسومها تشهد لها بالنضارة ، و حسن الشارة فوقف عليها متعجبا من صروف الزمان ، و طوارق الحدثان و تمثل بقول الشريف الرضى من الكامل :

و لقد وقفت على ربوعهم ... [illegible] نصب
فبكيت حتى ضج من لغب ... نضوى و لج بعذ لى الركب
و تلفتت عينى فمذ خفيت ... عنى الطلول تلفت القلب

فمر به شخص و سمعه و ينشد الأبيات ، فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هى ؟ فقال : لا ، فقال : هذه الدار لصاحب هذه الأبيات الشريف الرضى ، فعجبا من حسن الاتفاق[1] .

قال اليافعى فى حوادث سنة ست و أربعمائة : فى السنة المذكورة توفى الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الحسينى الموسوى البغدادى الشيعى نقيب الاشراف . ذو المناقب ، و محاسن الاوصاف صاحب ديوان الشعر و ديوان شعره كبير يدخل فى أربع مجلدات و هو كثير الوجود[2] .

قال ابن حجر : محمد بن الحسين الشريف الرضى أبو الحسن شاعر بغدادى رافضى جلد ، و كان عالما و يقال انه لم يكن للطالبيين اشعر منه و كان مشهورا بالرفض .

---

(١) و فيات الاعيان ٦/٦٦ .
(١) مرآة الجنان : ٣/١٨ .
(٣) لسان الميزان : ٥/١٤١ .

قال

قال الذهبي : محمد بن الحسين بن موسى الشريف الرضى أبو الحسن ، شاعر رافضى جلد[1] .

قلت : ان الذهبي و ابن حجر لما نظرا الى آثار الرضى - رضوان الله عليه - و فيها مناقب اهل البيت و فضائلهم رموه بالرفض ، و هذا عادتهما فى تراجم علماء الشيعة فى سبهم و شتمهم و الحط عنهم نعوذ بالله من العصبية .

قال ابن عماد الحنبلى : الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الحسينى الموسوى البغدادى الشيعى ، الشاعر المفلق الذى يقال انه اشعر قريش ، و ابتدء بنظم الشعر و له عشر سنين وكان مفرط الذكاء له ديوان فى أربع مجلدات[2] .

قال السيد محمد باقر الخونسارى : العالم العفيف و العلم الغطريف و العلم العريف ، و العنصر اللطيف و الأيد المنيف أبو الحسن محمد بن السيد النقيب و النجيب المحترم أبى أحمد حسين بن موسى ، أخو سيدنا المرتضى علم الهدى و الملقب بالسيد الرضى عند الأحبة و العدى .

لم يبصر بمثله الى الآن عين الزمان فى جميع ما يطلبه ، انسان العين من عين الانسان فسبحان الله ورثه غير العصمة و الامامة ، ما أراد من قبل أجداده الامجاد ، و جعله حجة على قاطبة البشر فى يوم المعاد و أمره فى الثقة و الجلالة أشهر من أن يذكر[3] .

(١) ميزان الاعتدال : ٥٢٣/٣ . (٢) شذرات الذهب ١٨٢/٣ .

(٣) روضات الجنات : ٥٤٦ .

قال أبو علي : محمد بن الحسين الرضى الموسوى نقيب العلويين أخو المرتضى كان شاعرا مبرزا فاضلا ، عالما ، ورعا ، عظيم الشان ، رفيع المنزلة له حكاية فى شرف النفس ذكرناها فى كتابنا الكبير كان ميلاده فى سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة [1] .

قال الحاج الميراز حسين النورى الطبرسى : السيد الجليل ، العالم النبيل ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن الحسين بن موسى الشريف ذى الحسبين ، لقبه بذلك الملك بهاء الدولة وكان يخاطبه بالشريف الاجل ولد فى سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة ببغداد و كان ابوه يتولى نقابة الطالبيين و الحكم فيهم أجمعين و النظر فى المظالم و الحج بالناس ثم ردت هذه الاعمال كلها اليه [2] .

قال الشيخ آغا بزرك الطهرانى : محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام الشريف النقيب أبو الحسن الرضى ولد سنة ٣٥٩ ، و تولى النقابة سنة ٣٨٠ ، و توفى سنة ٤٠٦ ، كان نقيب العلويين ببغداد و جلس مكانه اخوه المرتضى [3] .

قال العلامة المرزا حبيب الله الخوئى : هو أبو الحسن محمد بن أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق عليهما السلام ، و فى رجال أبى علي عن تاريخ ، اتحاف الورى باخبار أم القرى ، فى حوادث سنة تسع و ثمانين و ثلاثمائة قال فيها حج الشريفان

(١) منتهى المقال : ٣٧١ .
(٢) المستدرك ٣/٥١٠ .
(٣) طبقات اعلام الشيعة ٥/١٦٤ .

المرتضى والرضى فاعتقلهما فى اثناء الطريق ابن الجراح الطائى فأعطياه تسعة الآف دينار من أموالهما[1] .

قال كمال الدين ابن ميثم البحرانى : فى مقدمة شرحه على نهج البلاغة الى أن عضد الله الاسلام بوجود السيد الامام ، الشريف الرضى محمد بن الحسين الموسوى - قدس الله سره و نور ضريحه - فأحيى من كلام جده الزفات و جمع منه ما كان فى حيز الشتات ، و بالغ فى تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة ، و سمى مجموعه بنهج البلاغة ؛ فجاء الاسم و فق المسمى و اللفظ طبق المعنى . فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء ، و حباه من وظائف الفضل أجزل الحباء[2] .

قال العلامة الحلى : محمد بن الحسين الرضى الموسوى نقيب العلويين ببغداد أخو المرتضى كان شاعرا مبرزا ، فاضلا ، ورعا ، عظيم الشان ، رفيع المنزلة . له حكاية فى شرف النفس ذكرناها فى كتابنا الكبير كان ميلاده سنة ٣٥٩ ، و توفى سنة ٤٠٦[3] .

قال ابن تغرى بردى فى حوادث سنة ٤٠٦ : و فيها توفى محمد بن حسين بن موسى ، الشريف أبو الحسن الرضى الموسوى ، ولد سنة تسع و خمسين و ثلاثمائة . كان عارفا باللغة و الفرائض . و الفقة ، و النحو وكان شاعرا فصيحا . عالى الهمة ، متدينا ، الا ان كان على مذهب القوم ،

---

(١) شرح نهج البلاغة ١/٣٠٢ . (٢) شرح نهج البلاغة ١/٢ .

(٣) الخلاصة ٨٠ .

اماما للشيعة هو و ابوه و أخوه و من شعره من جملة ابيات :

يا صاحبيَّ قفا لى و اقضيا وطرا * و حدثانى عن نجــد بأخبــار

هل روضت قاعة الوعساء او مطرت * خميلة الطلح ذات البان و الغار

تضوع أرواح نجد من ثيابهم * عند القدوم لقرب العهد بالدار[1]

قال محمــد فريد وجدى : الرضى هو محمد بن أبى احمــد الحسين بن موسى ، ولد سنــة ٣٥٩ ، و اشتغل بالعــلم فظهرت له ميزة عــلى أقرانه . ثم ذكر ما نقلناه عن الثعالبي و غيره قال : وكان من سموّ المقــام بحيث يكتب الى الخليفــة القادر بالله العباسى احمد بن المقتدر من قصيدة طويلة :

عطفا أمـــير المؤمنين فاننا * فى دوحة العليــاء لا نتفرق

ما بيننــا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى المعــالى معرق

الا الخلافـــة ميزتك فاننى * انا عاطل منها فانت مطوق[2]

قال المحــدث الشهير الشيخ يوسف البحرانى : السيد الرضى أخو السيد المرتضى . أبو الحسن محمد بن أبى أحمد ، يلقب بالرضى ذى الحسبين لقبــه بذلك بهــاء الدولة ، وكان يخاطبه بالشريف الاجــلّ ، وكان أبوه تولى النقابة للطالبيين و الحكم فيهم أجمعين ، و النظر فى المظالم و الحج بالناس ثم ردّت هذه الأعمال كلها اليه فى سنة ٣٨٠ و ابوه حى[3] .

قال محمد أبو الفضل ابراهيم فى مقدمة امالى السيد المرتضى : وكان

(١) النجوم الزاهرة ٤/٢٤٠ . (٢) دائرة المعارف ٤/٢٥١ .

(٣) لؤلؤة البحرين : ٣٢٢ .

للكثير من ملوك بنى بويه من لطافة الحس و زكانة الطبع ، و رهافة الذوق ، و رجاحة العقل ما هيأ لهم ان يكونو كتابا أو شعراء ، و ما دفع بعضهم للمشاركة فى العلوم و الأخذ بنصيب من أطراف الفنون . فحدبوا على العلماء و أغدقوا على الشعراء و عرفوا للادباء أقدارهم .

فولوهم الوزارة و الامارة و القضاء فى كثير من الأحايين ، وكانوا أيضا من شيعة علىّ ، و على هوى احفاده من ابناء الحسن و الحسين ، فخصوهم بالتكرمة ، و منحوهم أرفع المناصب و ادنوهم من نفوسهم و قربوهم فى مجالسهم و ظاهروهم فى المناظرة و دفعوهم الى الجهر بالرأى و الادلاء بالحجة .

فى هذه الحقبة النادرة فى تاريخ العلوم ، و فى هذا العصر الحالى بأزاهير الفنون و الآداب ، و فى تلك الدولة التى قام فى اكنافها العلماء و الشعراء و الادباء ، عاش الشريف المرتضى على بن الحسين ، و أخوه الشريف محمد بن الحسين ، و اتخذا مكانهما بين ذوى المثالة و أعيان الشرف و الفضل من الاعلام .

فكان المرتضى عالما فقيها ، متكلما ، خبيرا بقرض الشعر ؛ بصيرا بمذاهب الكلام ، وكان الرضى شاعرا مطبوعا ، متصرفا ، كاتبا ، بارعا ، واثق الديباجة ، صافى الاسلوب ، مشاركا فى التأليف و التصنيف و قضيا حياتهما مرعىّ الجانب ، رفيعى المنزلة ، مرموقى المحل . عظيمى الخاطر ، و الجاه عند خلفاء بنى العباس و الملوك من بنى بويه على السواء[1] .

(١) امالى المرتضى ١/٢ .

قال الشيخ عباس القمی : الشريف الرضى هو السيد الأجل أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى أخو الشريف المرتضى أمره فى العلم و الفضل و الأدب و الورع و عفة النفس و علو الهمة ، و الجلالة أشهر من أن يذكر و قد خفى علوّ مقامه فى الدرجات العلمية مع قلة عمره لعدم انتشار كتبه و قلة نسخها .

انما الشايع منها نهجه و خصائصه ، و هما مقصوران على النقليات ، نعم فى هذه الازمنة انتشرت نسخة المجازات النبوية ، الحاكية عن علو مقامه فى الفنون الادبية ، و له تفسير على القرآن الكريم المسمى بحقائق التنزيل ، قال فى حقه أبو الحسن العمرى هو أحسن من كل التفاسير و اكبر من تفسير أبى جعفر الطبرى .

قال الشيخ محمد عبده : أبو الحسن محمد بن ابى احمد الشريف الرضى جامع الكتاب قال بعض و صفه ـ رحمه الله ـ كان شاعرا مفلقا ، فصيح النظم ، ضخم الالفاظ ، قادرا على القريض ، متصرفا فى فنونه ، ان قصد الرقة فى النسيب أتى بالعجب العجاب و ان أراد الفخامة و جزلة الألفاظ فى المدح و غيره أتى بما لا يشق له فيه غبار .

ان قصد المراثى جاء سابقا ، و الشعراء منقطعة الانفاس ، وكان مع هذا مترسلا ، كاتبا ، بليغا ، متين العبارات ، سامى المعانى ، و قد اعتنى بجمع شعره فى ديوان جماعة و أجود ما جمع منه مجموع أبى حكيم الخيرى و هو ديوان كبير يدخل فى أربعة مجلدات[2] .

قال ابن أبى الحديد : كان عفيفا شريف النفس ، عالى الهمة :

---

(١) الكنى و الالقاب ٢/٢٤٧ . (٢) نهج البلاغة تحقيق عبده طبع مصر .

ملتزما

ملتزما بالدين و قوانينه ، و لم يقبل من أحد صلة و لا جائزة حتى أنه ردّ صلات أبيه و ناهيك بذلك شرف نفس و شدة ظلف فاما بنو بويه فانهم اجتهدوا على قبوله صلاتهم فلم يقبل .

كان يرضى بالاكرام ، و صيانة الجانب و اعزاز الاتباع و الاصحاب كان الطائع اكثر ميلا اليه من القادر . وكان هو اشد حبا و اكثر ولاء للطائع منه للقادر وكان الرضى لعلو همته تنازعه نفسه ، الى امور عظيمة يجيش بها خاطره ، و ينظمها فى شعره ، ولا يجد من الدهر عليها مساعدة فيذوب كمدا و يفنى وجدا حتى توفى و لم يبلغ غرضا فمن ذلك قوله :

ما أنا للعلياء ان لم يكن * من ولدى ما كان من والدى
ولامشت بى الخيل ان لم أطأ * سرير هذا لأصيد الماجد[1]

قال الشيخ عبد الحسين الاميني : سيدنا الشريف الرضى هو مفخرة من مفاخر العترة الطاهرة ، و امام من أئمة العلم و الحديث و الأدب ، و بطل من أبطال الدين و العلم و المذهب ، هو أول ما ورثه سلفه الطاهر من علم متدفق ، و نفسيات زاكية ، و أنظار ثاقبة ، و اباء و شيم و أدب بارع ؛ و حسب نقى ؛ و نسب نبوى ؛ و شرف علوى ؛ و مجد فاطمى و سودد كاظمى .

إلى فضائل قد تدفق سيلها الآتى ، و مآثر قد التطمت أواذيها الجارفة . و مهما تشدق الكاتب فان فى البيان قصورا عن بلوغ مداه ، و للتنقيب تقاعسا عن تحديد غايته ، و للوصف انحصارا عن

(١) شرح ابن ابى الحديد : ١/٣١ - ٤١ .

استكناه حقيقته[1] .

ولادته :

ولد سنة ٣٥٩ فی بغداد عاصمة العلم و الدين فی ذلك الزمان ، فی بيت جليل علوی موسوی ، و كان آباؤه الكرام من أفاضل الاشراف و من رجال العلم و الفضيلة ، و التقوی و الديانة . كان والده نقيب الاشراف و امير الحج ، فنشأ الرضی رضوان الله عليه فی حجر أبوين كريمين .

اتفق المؤرخون و المحدثون فی تاريخ ولادته و لم يختلف فيه اثنان . و جاءت ترجمته و حياته و آثاره فی المعاجم الأدبية و التاريخية ، و أثنوا عليه و مدحوه و بجلوه ، و لو حققنا فی تاريخ حياته و آثاره العلمية و الأدبية لطالت هذه المقدمة و لذلك أعرضنا عن التطويل .

تربيته و تعلمه :

قرأ الشريف الرضی القرآن علی الشيخ أبی اسحاق ابراهيم بن احمد ابن محمد الطبری الفقيه المالكی ، و هذا أول من تعلم منه الرضی هو شاب . قال الشيخ ابو الفرج بن الجوزی فی التاريخ فی وفاة الشيخ أبی اسحاق ابراهيم بن أحمد الطبری : كان شيخ الشهود المعدلين ببغداد و متقدمهم وسمع الحديث الكثير ، و كان كريما مفضلا علی اهل العلم .

قال : و عليه قرأ الشريف الرضی ـ رحمه الله ـ القرآن و هو شاب حدث السن ، فقال له يوما : أيها الشريف أين مقامك ؟ قال فی دار أبی

(١) الغدير : ٤/١٨١ .

بباب

بباب حول ، فقال مثلك لا يقيم بدار أبيه . قد نحلتك داري بالكرخ المعروفة بدار البركة .

فامتنع الرضي من قبولها و قال له : لم أقبل من أبي قط شيئا ، فقال ، ان حقي عليك أعظم من حق أبيك عليك ، لاني حفظتك كتاب الله تعالى فقبلها .

قال ابن أبي الحديد : حدثني فخار بن معدّ العلوي الموسوي ـ رحمه الله ـ قال ؛ رأى المفيد أبو عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الامامي في منامه ، كأن فاطمة بنت رسول صلى الله عليه وآله وسلم دخلت عليه و هو في مسجده بالكرخ و معها ولداها الحسن و الحسين عليهما السلام صغيرين ، فسلمتهما اليه و قالت له علمهما الفقه .

فانتبه متعجبا من ذلك ، فلما تعالى النهار في صبيحة تلك الليلة التي رأى فيها الرؤيا دخلت اليه المسجد فاطمة بنت الناصر ، و حولها جواريها و بين يديها ابناها محمد الرضي و علي المرتضى صغيرين فقام اليها و سلم عليها .

فقالت له ، أيها الشيخ هذان ولداي ، قد احضرتهما لتعلمهما الفقه ، فبكى أبو عبد الله و قص عليها المنام ، و تولى تعليمهما الفقه ، و أنعم الله عليهما ، و فتح لهما من أبواب العلوم و الفضائل ما اشتهر عنهما ، في آفاق الدنيا . و هو باق ما بقي الدهر[1] .

(١) شرح نهج البلاغة : ١ - ٤١ .

ديانته و عفته :

كان السيد الرضى ـ رضوان الله عليه ـ عفيفا تقيا، صالحا وصفه بذلك أصحابه و أساتذته و من عاشره، و نحن نذكر هنا ما ذكره أرباب التراجم، و نقلة الآثار و رواة الأخبار، وكان سيرته مثل سيرة آبائه أبناء الأئمة الطاهرين .

حكى أبو اسحاق محمد بن هلال الصابى الكاتب قال: كنت عند الوزير أبي محمد المهدى ذات يوم حتى دخل الحاجب و استأذن للشريف الرضى، وكان الوزير قد ابتدأ بكتابة رقعة فألقاها و قام كالمدهش، حتى استقبله من دهليز الدار و أخذ بيده و أعظمه، و أجلسه فى دسته .

ثم جلس بين يديه متواضعا، و أقبل عليه بمجامعه، فلما خرج الرضى خرج معه و شيعه إلى الباب ثم رجع، فلما خف المجلس قلت : أيأذن الوزير أعزه الله أن اسأله عن شىء، قال نعم، وكأنى بك تسأل عن زيادتى فى اعظام الرضى، فقلت : نعم أيد الله الوزير .

فقال : أما الرضى فبلغنى ذات يوم انه ولد له غلام فأرسلت اليه بطبق فيه ألف دينار، فردّه، و قال: قد علم الوزير انى لا اقبل من أحد شيئا، فرددته اليه و قلت: انى انما ارسلته للقوابل، فردّه الثانية و قال : قد علم الوزير انه لا تقبل نساءنا غريبة فرددته اليه و قلت : يفرقه على ملازميه .

فلما جاءه الطبق و حوله طلاب العلم قال : ها هم حضور، فليأخذ

كل أحد ما يريد ، فقام رجل و أخـذ دينارا فقرض من جانبه قطعـة و أمسكها ، و ردّ الدينار الى الطبـق ، فسأله الشريف عن ذلك ، فقال : احتجت الى دهن السراج ليـلة و لم يكن الخازن حاضرا .

فاقترضت من فلان البقال دهنا ، فأخذت هذه القطعة لأدفعهـا اليه عوض دهنه ، وكان طلبة العلم الملازمون للشريف الرضى فى دار قد اتخذها لهم سماها دار العـلم ، و عين لهم جميع ما يحتاجون اليه .

فلما سمع الرضى ذلك أمر فى الحال بان يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة و يدفع الى كل منهم مفتاح ليأخذ مايحتاج اليـه ولا ينتظر خازنـا يعطيه ، و ردّ الطبق على هذه الصورة ، فكيف لا اعظم من هذا حاله[1] .

شجاعته :

كان ـ رحمه الله ـ شجاعا صريح اللهجة ، لا يهاب أحدا و يقول الحقّ و يظهره ، و لا يخاف من أهل الدنيا و أرباب الدولة و السياسـة و الخلفاء و الملوك ، و هو الذى خاطب الخليفـة العباسى القادر بالله بهذه الأبيات :

ما بيننا يوم الفخار تفاوت ٭ أبدا كلانا فى المفـاخر معرق
الا الخلافـة قدمتك و اننى ٭ أنا عاطل منها و أنت مطوق

ذكر أبو الحسن الصابى و ابنه غرس النعمة محمد فى تاريخهما : أن القادر بالله عقد مجلسا . أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوى ، و ابنه أبا القاسم المرتضى ، و جماعـة من القضاة و الشهود و الفقهاء ، و أبرز إليهم أبيات

(١) عمدة الطالب : ٢٠٩ .

الرضى أبى الحسن التى أولها :

ما مقامى على الهوان و عندى • مقول صارم و أنف حمى
و اباء محلق بى عن الضيم كما زاغ طائر وحشى
أى عذر له الى المجد أن ذل • غلام فى غمدة المشرفى
أحمل الضيم فى بلاد الاعادى • و بمصر الخليفة الفاطمى
من أبوه أبى و مولاه مولا • ى اذا ضامنى البعيد القصى
لف عرقى بعرقه سيد النا • س جميعا محمد و على

قال القادر للنقيب أبى أحمد : قل لولدك محمد : أى هوان قد أقام عليه عندنا ، أى ضيم لقى من جهتنا ، و أى ذل أصابه فى مملكتنا ؟ و ما الذى يعمل معه صاحب مصر لو مضى اليه ، أكان يصنع اليه اكثر من صنيعنا ؟ ألم نوله النقابة ؟ ألم نوله المظالم ؟

ألم نستخلفه على الحرمين و الحجاز ، و جعلناه أمير الحجيج ؟ فهل كان يحصل له من صاحب مصر اكثر من هذا ، مانظنه كان يكون لو حصل عنده الا واحدا من ابناء الطالبيين بمصر ، فقال النقيب أبو أحمد : اما هذا الشعر فمما لم نسمعه منه ، ولا رأيناه بخطه ، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله اياه و عزاه اليه فقال القادر : ان كان كذلك فلتكتب الآن محضرا يتضمن القدح فى انساب ولاة مصر و يكتب محمد خطه فيه ، فكتب محضرا بذلك ، شهد فيه جميع من حضر المجلس ، منهم النقيب أبو أحمد و ابنه المرتضى و حمل المحضر الى الرضى ليكتب خطه فيه حمله أبوه و أخوه .

فامتنع

فامتنع من سطر خطه و قال : لا اكتب و أخاف دعاة صاحب مصر ، و أنكر الشعر ، و كتب خطه و أقسم فيه أنه ليس بشعره ، وأنه لا يعرفه ، فأجبره أبوه على أن يكتب خطه فى المحضر فلم يفعل و قال : أخاف دعاة المصريين و غيلتهم لى فانهم معروفون بذلك .

فقال أبوه : يا عجباه ! أتخاف من بينك و بينه ستمائة فرسخ ، و لا تخاف من بينك و بينه مائة ذراع و حلف لايكلمه و كذلك المرتضى ، فعلا ذلك تقية و خوفا من القادر ، و تسكينا له . و لما انتهى الأمر الى القادر سكت على سوء أضمره ، و بعد ذلك بايام صرفه عن النقابة [1] .

مقامه فى الادب و الشعر:

كان الرضى ـ رضوان الله عليه ـ شاعرا ، أديبا ـ عارفا باللغة و النحو ، بصيرا بها منذ حداثة سنه . و كان بيته مأوى للشعراء و أهل الأدب : يجتمعون عنده و يتناشدون أشعارهم ، حتى قيل أنه أشعر قريش على كثرة شعرائهم .

ذكرنا فى الفصل السابق من هذا المقال كلمات المؤلفين فى حقه أمثال الثعالبى النيسابورى ، و أبو الحسن الباخرزى فى اليتيمة و دمية القصر ، و هذا صاحب بن عباد الوزير المعروف و الشاعر المشهور . كان مولعا بمطالعة أشعاره و آثاره .

قال الشيخ عبد الحسين الامينى : من الواضح أن الواقف على نفسيات سيدنا الشريف و مواقفه العظيمة من العلم و السؤدد و المكانة

---

(١) شرح ابن ابى الحديد ١/٣٧ .

الرفيعة يرى الشعر دون قدر الشريف ، و يجد نفسه أعلا من أنفس الشعراء و أرفع و يرى الشعر لا يمهد للشريف كيانا على كيانه فيقول :

و ما الشعر فخري و لكنما ٭ أطول به همة الفاخر
انزهه عن لقاء الرجال ٭ و أجعله تحفة الزائر
فما يتهدى اليه الملو ٭ ك إلا من المثل السائر
و إني و إن كنت من أهله ٭ لتنكر في حرفة الشاعر

و قال أيضا :

وما قولي الاشعار الا ذريعة ٭ الى أمل قدآن قود جنيبه
و انى اذا ما بلغ الله غاية ٭ ضمنت له هجر القريض وحوبه

و من شعره في صباه و له عشر سنين :

المجد يعلم أن المجد من أربي ٭ ولو تماديت في غي وفي لعب
انى لمن معشران جمعوا لعلى ٭ تفرقوا عن نبي أو وصي نبي
اذاهممت ففتش عن شبا هممي ٭ تجده في مهجات الأنجم الشهب

و قال أيضا بمناسبة يوم الغدير :

غدر السرور بنا و كان ٭ وفاؤه يوم الغدير
يوم أطاف به الوصي ٭ و قد تلقب بالأمير
فتسل فيه ورد عار ٭ ية الغرام الى المعير
و ابتز اعمار الهموم ٭ بطول أعمار السرور[1]

قال السيد جمال الدين بن عنبة : شعره مشهور و هو أشعر قريش ،

(١) الغدير : ٤/٢٠٠ .

و حسبك أن يكون أشعر قبيلة فى أولها مثل الحارث بن هشام ، و هبيرة بن وهب ، و فى آخرها مثل محمد بن صالح الحسينى ، و ابن طباطبا الاصفهانى و على بن محمد صاحب الزنج ، و انما كان أشعر قريش لان المجيد منهم ليس بمكثر ، و المكثر ليس بمجيد و الرضى جمع بين الاكثار و الاجادة[1] .

كان ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابى الكاتب له صديقا ، و بينهما لحمة الادب و وشائجه و مراسلات و مكاتبات بالشعر . فكتب الصابى الى الرضى فى هذا النمط :

أبا حسن لى فى الرجال فراسة ٭ تعودت منها أن تقول فتصدقا
و قد خبرتنى عنك انك ماجد ٭ سترقى الى العلياء أبعد مرتقى
فوفيتك التعظيم قبل أوانه ٭ و قلت أطال الله للسيد البقاء
و أضمرت منه لفظة لم أبح بها ٭ الى أن أرى اظهارها لى مطلقا
فان مت أو إن عشت فاذكر بشارتى ٭ و أوجب بها حقا عليك محققا
وكن لى فى الاولاد و الأهل حافظا ٭ اذا ما اطمأن الجنب فى مضجع البقا

فكتب اليه الرضى جوابا عن ذلك قصيدة ، أولها :

سننت لهذا الرمح غربا مذلقا ٭ و أجريت فى ذا الهندوانى رونقا
وسومت ذا الطرف الجواد وانما ٭ شرعت لها نهجا لخب و أعنقا[2]

و قال :

بنو هاشم عين ، و نحن سوادها ٭ على رغم من يأبى ، و أنتم قذاتها
و أعجب ما يأتى به الدهر انكم ٭ طلبتم على ما فيكم أدواتها

(١) عمدة الطالب : ٢٠٨ . (٢) شرح ابن ابى الحديد ١/٣١-٤١ .

و أملتم أن تدركوها طوالعا ٭ دعوها سيسعى للمعالى سماتها
غرست غروسا كنت أرجو لقاحها ٭ و آمل يوما ان تطيب جناتها
فان أثمرت لى غير ما كنت آملا ٭ فلا ذنب لى ان حنظلت نخلاتها

و قال :

لنا الدوحة العليا التى نزعت لها
الى المجد اغصان الجدود الأطائب
اذا كان فى جو السماء عروقها
فأين عواليها و أين الذوائب[1]

و قال :

تعز ما اسطعت فالدنيا مفارقة
و العمر يعنق و المغرور فى شغل
و العقل أبلغ من عزاك عن جزع
و الصبر أذهب بالبلوى من الوجل

و قال :

ليس الفناء بمأمون على أحد ٭ ولا البقاء بمقصور على رجل

و قال :

لو أنها بفناء البيت سانحة
لصدتها و ابتدعت الصيد فى الحرم

(١) يتيمة الدهر ٣/١٤٧-١٥٥ .

قدرت

قدرت منها بلا رقبى و لا حذر
على الذى نام عن ليلى و لم أنم
بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى و تقى
يلفنا الشوق من فرق الى قدم
و أمست الريح كالغيرى تجاذبنا
على الكثيب فضول الريط و اللمم
يمشى بنا الريح أحيانا و آونة
يضيئنا البرق مجتازا على أضم
و بات بارق ذاك الثغر يوضح لى
مواضع اللثم فى داج من الظلم

و قال :

عطون بأعناق الظباء و أشرقت
وجوه عليها نضرة و نعيم[1]

الالقابه :

فى عصر السيد الرضى رضوان الله عليه كانت الخلافة تخاطب رجال العلم و الدين و السياسة بألقاب و عناوين مخصوصة ، و تصدر الألقاب من الخليفة العباسى أو من جانب صدر الصدور ، و تعطى هذه العناوين لصاحب المناصب العالية و رجال الدولة .

---

(١) دمية القصر : ١/٢٩٤-٢٩٧ .

و من الذين نالوا هذه المرتبة الجليلة و لقبوا بألقاب مخصوصة دو الشريف الرضى ، فى سنة ٣٨٨ لقبه بهاء الدولة بالشريف الأجل و فى سنة ٣٩٠ لقبه بذى المنقبتين ، و فى سنة ٣٩٨ لقبه بالرضى ذى الحسبين و فى سنة ٤٠١ أمر ان تكون مخاطباته و مكاتباته بعنوان الشريف الأجل ، وهو أول من خوطب بذلك من الحضرة الملوكية[١] .

نقابته :

النقابة موضوعة على صيانة ذوى الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم فى النسب ، و لا يساويهم فى الشرف ليكون عليهم أحبى و أمره فيهم أمضى و هى على ضربين عامة و خاصة فعمومها أن يرد الى النقيب فى النقابة عليهم خمسة أشياء .

١ ـ الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه .

٢ ـ الولاية على أيتامهم فيما ملكوه .

٣ ـ اقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه .

٤ ـ تزويج الايامى اللاتى لا يتعين أولياؤهن أو قد تعينو ، فعضلوهن .

٥ ـ ايقاع الحجر على من عته منهم أو سفه ، و فكه اذا افاق و رشد .

فيصير بهذه الخمسة عام النقابة ، فيعتبر حينئذ فى صحة نقابته ، و عقد

(١) الغدير : ٤/٢٠٤ .

ولايته أن يكون عالما من أهل الاجتهاد ليصح حكمه و ينفذ قضاؤه ، و هذه النقابة كانت ولايتها لسيدنا المترجم[1] .

امارة الحج :

عيّن السيد الرضى رحمه الله ـ أميرا للحج و حج مرارا بهذا العنوان نيابة عن أبيه مع أخيه المرتضى ، و مستقلا بها فى سنة ٣٨٠ ، و الولاية على الحج ضربان احدهما أن تكون على تسيير الحجيج و الثانى على اقامة الحج ، فأما تسيير الحجيج فهو ولاية سياسية و زعامة و تدبير و الذى عليه فى حقوق هذه الولاية عشرة أشياء .

١ ـ جمع الناس فى مسيرهم و نزولهم حتى لا يتفرقوا .

٢ ـ ترتيبهم فى المسير و النزول .

٣ ـ يرفق بهم فى السير حتى لا يعجز عنه ضعيفهم و لا يضل عنه منقطعهم .

٤ ـ أن يسلك بهم أوضح الطرق و اخصبها .

٥ ـ أن يرتاد لهم المياه اذا انقطعت و المراعى اذا قلت .

٦ ـ أن يحرسهم اذا نزلوا و يحوطهم اذا رحلوا .

٧ ـ أن يمنع عنهم من يصدهم عن المسير .

٨ ـ أن يصلح بين المتشاجرين و يتوسط بين المتنازعين .

٩ ـ أن يقوم زائغهم و يؤدب خائنهم .

---

(١) الغدير : ٢٠٧/٤ .

١٠ ـ أن يراعى اتساع الوقت حتى يؤمن الفوات .

أما الولاية على اقامة الحج ، فالوالى فيه بمنزلة الامام فى اقامة الصلوات ، و من شروط الولاية عليه مع الشروط المعتبرة فى أئمة الصلوات أن يكون عالما بمناسك الحج و أحكامه ، عارفا بمواقيته و أيامه و تكون مدة ولايته مقدرة بسبعة ايام من صلاة الظهر من اليوم السابع الى اليوم الثالث عشر من ذى الحجة و يختص بولايته خمسة أحكام .

١ ـ اشعار الناس بوقت احرامهم و الخروج الى مشاعرهم .

٢ ـ ترتيبهم للمناسك على ما استقر الشرع عليه .

٣ ـ تقدير المواقف بمقامه فيها و مسيره عنها .

٤ ـ اتباعه فى الأركان المشروعة فيها .

٥ ـ امامتهم فى الصلوات[١] .

ولايته على المظالم :

الولاية على المظالم احدى مناصب الشريف الرضى ، و يشترط أن يكون صاحب هذا المنصب الجليل عالما ، فاضلا ، شجاعا ، ورعا . يعدل فى الناس ، و يحكم بالحق ، و لا يخاف من أحد ، و يكون الحق نصب عينه ، و أن يكون نافذ الأمر ، عفيفا ، قليل الطمع ، و خصما للظالم و عونا للمظلوم .

قال ابن عنبة : و كان الرضى ينسب الى الافراط فى عقاب الجانى من أهله و له فى ذلك حكايات منها ان امرأة علوية شكت اليه زوجها ،

(١) الغدير : ٤/١٨١ .

و انه يقامر بما يتحصل له من حرفة يمانيها ، و أن له أطفالا و هو ذوعيلة و حاجة .

شهد لها من حضر بالصدق ، فيما ذكرت ، فاستحضره الشريف و أمر به فبطح ، و أمر بضربه فضرب ، و المرأة تنتظر أن يكف ، و الآمر يزيد حتى جاوز ضربة مائة خشبة . فصاحت الامرأة و أيتم أولادى كيف تكون صورتنا اذا مات هذا ؟ فكلمها الشريف الرضى بكلام فظ ، فقال : ظننت أنك تشكينه الى المعلم .

وفاته و مدفنه :

توفى الشريف الرضى رضوان الله عليه يوم الأحد السادس من المحرم سنة ٤٠٦ ، و صرح به معاصره أبو العباس النجاشى فى رجاله و تبعه فى ذلك كل من ترجمه كتاريخ بغداد للخطيب و عمدة الطالب و روضات الجنات و غيرها .

قال العلامة الأمينى ـ رحمه الله ـ و عند وفاته حضر داره الوزير أبو غالب فخر الملك ، و سائر الوزراء و الأعيان و الاشراف و القضاة ، حفاة و مشاة ، و صلى عليه فخر الملك ، و دفن فى داره الكائنة فى محلة الكرخ بخط مسجد الانباريين .

لم يشهد جنازته أخوه الشريف المرتضى ، و لم يصل عليه و مضى من جزعه عليه الى الامام موسى بن جعفر عليهما السلام ، لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ، و مضى فخر الملك بنفسه آخر النهار الى أخيه المرتضى بالمشهد الكاظمى فألزمه بالعود الى داره .

ذكر كثير من المؤلفين نقل جثمانه الى كربلاء المشرفة بعد دفنه في داره بالكرخ . فدفن عند أبيه أبي أحمد الحسين بن موسى ، و يظهر من التاريخ أن قبره كان في القرون الوسطى مشهورا معروفا في الحائر المقدس و قال صاحب عمدة الطالب : و قبره في كربلاء ظاهر معروف .

قد رثى الشريف الرضي غير واحد ممن عاصروه ، و في مقدمهم أخوه علم الهدى بقوله :

يا للرجال لفجعة جذمت يدي * و وددت لو ذهبت عليّ براسي
ما زلت أحذر وقعها حتى أتت * فحسوتها في بعض ما أنا حاسي
و مطلتها زمنا فلما صممت * لم يجدني مطلي و طول مكاسي
لا تنكروا من فيض دمعي عبرة * فالدمع غير مساعد و مواسي
لله عمرك من قصير طاهر * و لرب عمر طال بالأدناس

و ممن رثاه تلميذه في الأدب مهيار الديلمي :

من جب غارب هاشم و سنامها * و لوى لويا فاستزل مقامها
و غزا قريشا بالبطاح فلفها * بيد و قوض عزها و خيامها
و أناخ في مضر بكلكل خسفه * يستام و احتملت له ما سامها
من حل مكة فاستباح حريمها * و البيت يشهد و استحل حرامها
و مضى بيثرب مذعجا ما شاء من * تلك القبور الطاهرات عظامها
يبكي النبي و يستنيح لفاطم * بالطف في ابنائها أيامها
الدين ممنوع الحمى من راعه * و الدار عالية البنا من رامها

أتتنا

أتناكرت أيدى الرجال سيوفها * فاستسلمت أم أنكرت اسلامها
أم غال ذا الحسبين حامى ذودها * قدر أراح على الغدوّ سوامها

آثاره العلمية و الادبية :

١ ـ اخبار قضاة بغداد .
٢ ـ تعليق خلاف الفقهاء .
٣ ـ تعليقة على ايضاح أبى على الفارسى .
٤ ـ تلخيص البيان عن مجاز القرآن .
٥ ـ الحسن من شعر الحسين .
٦ ـ حقائق التأويل فى متشابه التنزيل .
٧ ـ خصائص الأئمة .
٨ ـ ديوان شعره .
٩ ـ رسائل الشريف الرضى .
١٠ ـ زيادات فى شعر ابن الحجاج .
١١ ـ زيادات فى شعر أبى تمام .
١٢ ـ سيرة أبيه أبى أحمد الموسوى .
١٣ ـ ما دار بينه و بين أبى اسحاق .
١٤ ـ مجازات الآثار النبوية .
١٥ ـ مختار شعر أبى اسحاق الصابى .
١٦ ـ معانى القرآن .

١٧ - نهج البلاغة[١] .

مشايخه و أساتذته :

يروى الشريف الرضى عن جماعة من العلماء و المحدثين و هم :

١ - ابراهيم بن أحمد بن محمد أبو اسحاق الطبرى المالكى الفقيه .

٢ - الحسن بن أحمد أبو على الفارسى النحوى المتوفى سنة ٣٧٧ .

٣ - حسن بن عبد الله المرزبان أبو سعيد النحوى المتوفى سنة ٣٦٨ .

٤ - عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الشافعى المعتزلى من قضاة بغداد .

٥ - عبد الرحيم بن محمد أبو يحيى المعروف بابن نباته صاحب الخطب المتوفى ٣٩٤ .

٦ - عبد الله بن محمد أبو محمد الاسدى الأكفانى .

٧ - عثمان بن جنى الموصلى أبو الفتح المتوفى سنة ٣٩٢ .

٨ - على بن عيسى الربعى أبو الحسن النحوى البغدادى المتوفى سنة ٤٢ .

٩ - عمر بن ابراهيم بن أحمد أبو حفص الكنانى .

١٠ - عيسى بن على بن عيسى أبو القاسم .

١١ - محمد بن عمران أبو عبد الله المرزبانى الخراسانى المتوفى سنة ٣٨٤ .

١٢ - محمد بن محمد بن النعمان أبو عبد الله الشيخ المفيد .

١٣ - محمد بن موسى أبو بكر الخوارزمى .

١٤ - هارون بن موسى أبو محمد التلعكبرى المتوفى سنة ٣٨٥[٢] .

(١) رجال النجاشى : ٣١١ ، و الغدير : ٢/١٩٨ : و عمدة الطالب : ٢٠٨ .

(٢) الغدير : ٤/١٨٣ .

تلامذته و الراوون عنه:

روى عن الشريف الرضى عـدة من رجال العـلم و الحديث و الأدب و هم:

١ ـ أحمد بن الحسين بن أحمد أبو بكر الخزاعى النيسابورى.
٢ ـ أحمد بن على بن قدامة المتوفى سنة ٤٨٦.
٣ ـ السيدة النقية بنت السيد المرتضى روت عن عمها.
٤ ـ جعفر بن محمد الطرشتى الرازى.
٥ ـ عبد الرحمن بن أحمد بن يحيى النيسابورى.
٦ ـ عبد الكريم بن محمد أبو نصر بن الدياجى المعروف بسبط بشر الحافى.
٧ ـ عبد الله بن على بن كيابكى أبو زيد الحسينى الجرجانى.
٨ ـ على بن بندار أبو الحسن الهاشمى.
٩ ـ محمد بن الحسن شيخ الطائفة الطوسى.
١٠ ـ محمد بن على أبو عبدالله الحلوانى.
١١ ـ محمد بن أحمد أبو منصور العكبرى[1].

والده:

الحسين بن موسى أبو أحمد كان عظيم المنزلة فى الدولتين العباسية و البويهية، لقبه أبو نصر بهاء الدين بالطاهر الاوحد. و ولى نقابة الطالبيين خمس مرات، و مات و هو النقيب، و ذهب بصره. و لولا استعظام عضد الدولة أمره ما حمله على القبض عليه و حمله الى قلعة بفارس.

فلم يزل بها حتى مات عضد الدولة وأطلقه شرف الدولة بن العضد،

(١) الغدير: ٤/١٨٤ و شرح الراوندى الورقة ١.

و استصحبه حين قدم بغداد ، و له فى خدمـــة الملة و المذهب خطوات سديدة ، و مساعى مشكورة ، و قدم ورقدم ، ولد سنة ٣٠٤ ، و توفى ليلة السبت ٢٥ جمادى الأولى سنة ٤٠٠ و قد أناف على التسعين .

أمه :

أم السيد الشريف الرضى ، فاطمة بنت أبى محمد الحسن الناصر الصغير بن أبى الحسين احمد بن محمد الناصر الكبير الاطروش بن على بن الحسن الاصغر بن عمر الاشرف بن زين العابدين على بن الحسين بن على أبى طالب عليهم السلام .



(نسخ نهج البلاغة)

لما فرغ الشريف الرضى - رحمه الله - من تاليف كتابه القيم نهج البلاغة كتب نسخة لنفسه و علق عليها التعليقات و شرح بعض الالفاظ و اللغات النادرةو الكلمات الشاذة وكان يقرئها على تلامذته و ذكرنا فى الفصل السابق من هذه المقدمة اسماء الذين رووا نهج البلاغة عن مؤلفه

كانت نسخة التى كتبها الشريف الرضى بخط يده محفوظة فى مكتبات بغداد و استفاد من هذه النسخة الثمينة عدة من العلماء و المحققين امثال قطب الدين الراوندى و ابن ابى الحديد المعتزلى و صاحب اعلام نهج البلاغة و ابن ميثم البحرانى ، صرحوا بذلك فى شروحهم .

ثم فقدت هذه النسخة و لا نعلم اين انتقلت ، و قد تصفحت فهارس المكتبات فى البلاد الاسلامية وغيرها و سالت عن خبراء الفن فلم أجدها اثرا و لا خبرا و نسخة أيضا كانت عند السيد المرتضى اخو المؤلف وكانت عليها خطه ، و له عناية بالغة بنهج البلاغة و شرح الخطبة الشقشقية .

نقل عن العلامة الشيخ عبد الحسين الامينى - رحمة الله عليه - أنه رأى نسخة من نهج البلاغة عليها خط المرتضى - رضوان الله عليه - اشتريها رجل من سوق الكتب فى العراق و ذهب بها و هذا الرجل كان يشترى الكتب المخطوطة للمكتبات الخاصة فى الشرق و الغرب .

كان للعلماء و اهل الادب و البلاغة و الخطابة و كذا لرجال الدولة و السياسة اهتمام عظيم و عناية خاصة بنهج البلاغة فاستكتبوها

لانفسهم ، وشاعت نسخته فى الاقطار الاسلامية و ملأت المكتبات الخاصة و العامة فى البلدان المختلفة .

من الاماكن التى انتشرت فيها نسخ النهج و عنى علمائها بشرحه و تفسيره و تبيين معضلاته بلاد خراسان كبيهق و خوارزم و غيرها . و هذا على بن زيد البيهقى اول من شرح النهج و بسط القول فيه . و قطب الدين الكيذرى و هو أيضا بيهقى و احمد بن محمد الخوارزمى و محمود الملاحمى الخوارزمى .

ثم ظهرت حوادث مظلمة و فتن و حروب دامية فى بلاد خراسان و الجبال و العراق ، و خرجت عساكر الغزوا خربت مدنية مرووا حرقوا مكتباتها ، و ورد السلطان محمود الغزنوى مدينة الرى و امر باحراق الكتب و كذا فعل بساير البلاد و هو يزعم أن هذه الكتب تكون لاهل الضلال و البدعة .

كانت فى بغداد مكتبات عامرة أسسها امراء آل بويه و غيرهم من العلماء و السادة و الاشراف و فيها آثار كثيرة من العلوم و المعارف و مؤلفات بخطوط مؤلفيها . و احرقت هذه المكتبات فى فتن ظهرت بين أهل السنة و الشيعة عند ورود طغرل بك السلجوقى بمدينة السلام فى سنة ٤٤٨ .

ثم جاءت الداهية الكبرى و المصيبة العظمى و هى ظهور التاتار و طاغيتهم چنكيز خان المغولى و استيلائهم على بلاد المسلمين سيما بلاد خراسان كبخارا و سمرقند و مرو و طوس و بلخ و نيسابور و غيرها و فى تلك الحوادث المفجعة هدمت المساجد و المعاهد و احرقت المكتبات

و المؤسسات

و المؤسسات الاسلامية، وضاعت الاثار العلمية و الادبية و الدينية .

بمناسبة مرور ألف عام على تاليف نهج البلاغة و انعقاد المؤتمر الالفى حول هذا الكتاب عزمت على تحقيق النهج و مقابلته و عرضه على النسخ المخطوطة و طبعه بصورة جديدة عصرية و بذلت و سعى و جهدت كل الجهد فى هذا العمل الخطير و ألقيت ما يشغلنى عنه .

منذ خمس سنوات اشتغل بهذا الكتاب و شروحه و أبحث فى المكتبات و المعاهد العلمية و اراجع الفهارس و أسئل عن رجال العلم و الدين و كل من له عناية بنهج البلاغة عن مخطوطات النهج فى القرن الخامس و السادس و سافرت الى البلاد التى كانت فيها مكتبات .

بعد البحث و التنقيب ظفرت بثلاث نسخ عتيقة ثمينة، نسخة منها فى مكتبة فخر الدين النصيرى الامينى تاريخ كتابتها فى سنة ٤٩٤، و هذه النسخة الثمينة من اقدم النسخ التى رأيتها الى اليوم، و عند فخر الدين نسخ اخرى أيضا قديمة و لكنها غير مؤرخة .

نسخة فى مكتبة دانشكده الهيات فى المشهد المقدس الرضوى و تاريخ كتابتها ٥١٠ و نسخة اخرى أيضا فى مشهد الرضا فى مكتبة مدرسة النواب تاريخ كتابتها ٥٤٤، و ما رأيت غيرها من نسخ النهج فى القرن الخامس و السادس و أما بعد القرن السادس كثير فى المكتبات .

استفدت أيضا من كتاب منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة لقطب الدين الراوندى، و عندى من هذا الكتاب نسختين مصورتين نسخة فى مكتبة المجلس فى طهران تاريخ كتابتها ٦٥٢ و نسخة فى مكتبة ملك

تاريخ كتابتها سنة ٦٨٦

استفدت أيضا عن حدائق الحقائق فى شرح نهج البلاغة للشيخ الجليل قطب الدين الكيذرى البيهقى نسخة مكتبة جامعة طهران و تاريخ كتابتها ٦٤٥ و كذا عن اعلام نهج البلاغة نسخة مكتبة رضابرا مفور الهند و صاحب هذا الكتاب ينقل كثيرا عن نسخة الرضى .

اما نسخ نهج البلاغة فى القرن السابع و بعده كثيرة لا تحصى ، و توجد فى مكتبة الرضويه فى مشهد الرضا عليه السلام و كذا فى مكتبات طهران و قم المشرفة و غيرها من بلاد ايران و العراق ، و مصر و تركيا و الهند و مكتبات اروبا نسخ كثيرة أعرضنا عن ذكرها .

* * * * *

مما قيل فى نهج البلاغة

نهج البلاغة يهدى السالكين إلى * مواطن الحق من قول و من عمل
فاسلكه تهدى إلى دار السلام غدا * و تحظ فيها بما ترجوه من أمل

و قيل أيضا :

كتاب كأن الله رصع لفظه * بجوهر آيات الكتاب المنزل
حوى حكما كالدر تنطق صادقا * و لا فرق إلا أنه غير منزل

للامام أبى يوسف يعقوب بن أحمد النيسابورى كتب على نسخة من هذا الكتاب :

نهج البلاغة نهج مهيع جدد * لمن يريد علوا ماله أمد
يا عادلا عنه تبغى بالهوى رشدا * اعدل اليه ففيه الخير و الرشد
و الله و الله ان التاركين عموا * عن شافيات عظات كلها سدد
كأنها العقد منظوما جواهرها * صلى على ناظميها ربنا الصمد
ما حالهم دونها ان كنت تنصفنى * إلا العنود و إلا البغى و الحسد

و اقتدى به ابنه الامام أبو بكر الحسن بن يعقوب :

نهج البلاغة روض جاده درر * نهج البلاغة درج ضمنه درر
نهج البلاغة وشى حاكه صنع * من دون موشيه الثرقوب و الحبر
أو جونة ملئت عطرا اذا فتحت * خيشومنا فغمت ريح لها ذفر
صدقتكم سادتى و الصدق من عادتى * و هذه شيمة ما عابها بشر
صلى الاله على بحر أواذيه * رمت به نحونا ما لألأ القمر

قال على بن أحمد الفنجكردى النيسابورى :

نهج البلاغة من كلام المرتضى * جمع الرضى الموسوى السيد
بهر العقول بحسنه و بهائه * كالدر فصل نظمه بزبرجد
الفاظه علوية لكنها * علوية حلت محل الفرقد
فيه لارباب البلاغة مقنع * من يعن باستظهاره يستنجد
و ترى العيون اليه صبورا ان قرا * منه كتابا رايعا فى مشهد
اعجب به كلماته قد ناسبت * كلمات خير الناس طرا أحمد
نعم المعين على الكتابة للفتى * و به الى طرق الكتابة يهتدى
و اجل يعقوب بن أحمد ذكره * لعلو همته و طيب المولد
و دعا اليه محرضا أصحابه * فعل الحنيفى البهيم المرشد
ثم ابنه الحسن الموفق بعده * فيه بسنته الرضية مقتد
كم نسخة مقروة حصلت به * مسموعة لاولى النهى و السؤدد
يا رب قرّبه و اكرم نزله * و احشره فى رهط النبى محمد
و اطل بقاء سليله الحسن الفتى * فينا برغم الكاشحين الحسد

نقلناه هذه الأبيات عن نسخة فخر الدين النصيرى نزيل طهران

الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله،

و الصلوة على محمد رسول الله و على آله امناء الله .

الحادى عشر من ربيع الآخر سنة ١٤٠٣

حيدر آباد الدكن (الهند)

عزيز الله العطاردى

(الشارح)

النسخة الموجودة من هذا الشرح ناقصة من أولها و آخرها و ماجاء فيها ذكر من الشارح الا أنه يصرح فى موارد متعددة بانه كان ملازما للوزير المعروف رشيد الدين الهمدانى، و يسئل عنه شرح مشكلات نهج البلاغة قال فى ص ٧٠ سألت تلك الحضرة العليـــة لا زالت مظهرا للانوار الالهية و مفيّضا للفيوض الربانية يوم الأحد الثالث من جمادى الآخر من شهور سنة ٧١٢ بحدود دينور عن تحقيق قوله عليه السلام : سترنى عنكم جلباب الدين و بصرنيكم صدق النية فافاد مرتجلا إلى آخره .

يظهر من هذه العبارات انه يعيش فى أوائل القرن الثامن و يلازم رشيد الدين فى رحلاته و أسفاره، و يمكن إنه كان من علماء المدرســة السيارة التى أسسها رشيد الدين .

رشيد الدين هذا هو فضل الله بن عماد الدولة الوزير الكبير و العالم الشهير الهمدانى وزير السلطان محمد خدا بنده، و كان طبيبا ماهرا و فيلسوفا كاملا تلمذ عند الخواجه نصير الدين الطوسى .

كان محبا للعلماء و صاحب رأى ودهاء، له آثار جليلة و تأليفات منيفة تدل على دقة نظره و تبحره فى العلوم و المعارف، قتل بعد موت السلطان فى سنة ٧١٨ فى قصة مشهورة .

قد طبعنا هذا الشرح عن نسخة واحدة و هى فى مكتبة الأستاذ الدكتور اصغر المهدوى أستاذ جامعة طهران دام توفيقه .

صورة فتوغرافية من نسخة الاستاد الدكتور اصغر المهدوى استاذ جامعة طهران .

٣ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَهِيَ الْمَعْرُوفَة بِالشِّقْشِقِيَّة

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى: يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ؛ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا. وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى، وَفِي الْحَلْقِ شَجًا؛ أَرَى تُرَاثِي نَهْبًا، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَى)

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَبًا!! بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ، إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا! فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا، وَيَخْشُنُ مَسُّهَا، وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا، وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ، فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ — بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ؛ فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ؛ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لَلهِ وَلِلشُّورَى! مَتَى

أعترض الريب فيَّ مع الأول منهم ، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر !!

لكني أسففت إذ أسفّوا ، وطرت إذ طاروا ؛ فصغى رجل منهم لضغنه

ومال الآخر لصهره ، مع هنٍ وهنٍ ، إلى أن قام ثالث القوم نافجاً

حضنيه ، بين نثيله ومعتلفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة

الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به

بطنته . فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليّ ؛ ينثالون عليّ من كل

جانب ؛ حتى لقد وطيء الحسنان ، وشق عطفاي ، مجتمعين حولي كربيضة

الغنم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ، ومرقت أخرى ، وقسط

آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول : (تلك الدار الآخرة

نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) بلى !

والله لقد سمعوها ووعوها ، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم ، وراقهم

زبرجها . أما والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر

وقيام الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة

ظالم ، ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس

أولها ، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز

قالوا : وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع

من خطبته فناوله كتابا ، فأقبل ينظر فيه ، قال له ابن عباس رضى الله عنهما : ياأمير المؤمنين ، لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت

فَقَالَ :هَيْهَاتَ يَابْنَ عَبَّاسٍ ، تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ

قال ابن عباس : فوالله ماأسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أميرالمؤ منين عليه السلام بلغ منه حيث أراد

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللغــــة)

تقمصها : لازم قمص تقميصا أى لبس القميص ، و قيل : التقميص حركة تسرع بصاحبه و تخفه ، يقال : قمص الغزال اذا قفز قفزة سريعة ، و إنما سمى القميص لأنه أخف الأثواب و أسرعها لبسا . قمص البعير وغيره بضم العين فى الماضى و ضمها و كسرها فى الغابر قمصاً و قماصاً أى استن و هو أن يرفع يديه و يطرحهما معا و يعجن رجليه .

قمص البحر بالسفينة اذا حركها بالموج ، وما من حركة يعبر عنها بالقمص إلا اذا كانت فيها سرعة ، خفة . و لهذا قيل كانت بيعة أبى بكر فلتة [1] و هو معنى لطيف جدا و قطب الرحى المسمار الذى يدور به الرحى و قد عرفت الكلام مستوفى . الانحدار : الانهباط . تقول انحدرت من البصرة و الموضع منحدر .

يقال : رقيت فى السلم بكسر العين فى الماضى و فتحها فى الغابر رقياً و رقيًّا اذا صعدت و ارتقيت مثله و المرقاة بالفتح الدرجة ، و من شبهها بالآلة التى يعمل بها و من فتح قال هذا موضع يفعل فيه ، الطير قال الجوهرى هو جمع طائر كصحب و صاحب و جمعه طيور و أطيار .

قال قطرب [2] الطير يقع ايضاً على الواحد ، و أبوعبيدة مثله ، و هو جيد اذ هو اسم جنس يقع على القليل و الكثير ،

---

(١) هنا كلمة لا تقرء.

(٢) محمد ابن المستنير ابو على النحوى البصرى الأديب البارع المعروف بقطرب أخذ الأدب عن سيبويه و روى عن الامام الصادق عليه السلام له مصنفات فى علوم القرآن و النحو و هو أول من وضع المثلث فى اللغة توفى سنة ٢٠٦ .

يقال سدل ثوبه : بفتح العين فى الماضى و ضمّها فى الغابر سدلا أى أرخاه و شعر منسدل أى مرخى ، طويت الشيء طيًّا فانطوى ، و فلان طوى كشحه اذا أعرض بودّه ، و الكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف .

و يقال : أيضا طوى فلان عنى كشحه ، إذا أقطعك ، و الكاشح : الذى يضمر لك العداوة فيكون طى الكشح عبارة عن الاعراض عن قلى .

طفق يفعل كذا يطفق طفقاً اى جعل يفعل ، و منه قوله تعالى « و طفقا يخصفان عليهما [1] » .

قال الأخفش [2] و بعضهم يقول طفق بالفتح فى الماضى و الكسر فى الغابر طفوقاً ،

أرتأى : فى الأمر اذا فكر فيه طلبا للرأى الأصلح يعنى اتروّى و أرى لنفسى ما هو أصلح لها وهو افتعل من رأى و الافتعال يستعمل فيمن يفعل شيئاً لنفسه كالاكتساب و الاكتحال وما شاكلهما .

صال عليه يصول صولا و صولة : أى حمل نفسه على الأمر بقوة و وثب عليه ، يقال رب قول أشد من صول و المصاولة المواثبة . و فى حذّاء روايتان الجيم المعجمة و الحاء المهملة و كلتاهما بمعنى واحد .

(١) الاعراف : ٧ .

(٢) ابو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى بالولاء البلخى صاحب المصنفات تلميذ الخليل اخذ النحو عن سيبويه و كان اكبر منه و كان يقول ما وضع سيبويه فى كتابه شيئا إلا عرضه على توفى سنة ٢١٥ .

قال الفراء [1] : يقال رحم جذاً وحذاً بالجيم و الحاء ممدودان اذا لم يوصل يقال : جذذت الشيء اى قطعته ، فى طخية روايتان الضم فى الطاء .

قال اللحيانى : ما فى السماء طخية بالضم اى شيء من سحاب و الفتح فيها و المراد هنا الظلمة . يقال : ليله طخياء أى مظلمة . و فى الخبر ان فى القلب طخاء يذهب الفرح اى ظلمة و وصفها بعمياء دليل على ان المراد انغلاق الأمور بحيث لا يهتدى ألى التفصى منها و منه تكلم بكلمة طخيا أى بكلمة لا تفهم .

يهرم : الهرم : شدة كبر السنّ الكبير فعيل من كبر الرجل يكبر كبراً أى أسنّ لا من كبر بالضم كبر أى عظم .

يقال : شاب رأسه يشيب شيباً و شيبة أى ابيضّ شعره المسود بعد دخوله فى الشيخوخة ، الصغير ضد الكبر فى السن و قد صغر فهو صغير و صغار بالضم .

الكدح : مشترك بين معان : العمل و السعى يقال هو يكدح فى كذا اى يكد و منه قوله تعالى « انك كادح الى ربك كدحا [2] » أى ساع بكد و تعب و الكسب يقال هو يكدح لعياله و يكتدح اى يكسب لهم ، و الخدش يقال اصابه شيء فكدح وجهه به و به كدح فكدوح اي خدوش

---

(١) ابو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله الاسلمى الديلمى الكوفى تلميذ الكسائى و صاحبه حكى عن ثعلب أنه قال : لولا الفراء لما كانت عربية لانه خلصها و ضبطها و صنف كتاب الحدود فى سنتين و عظم قدر الفراء فى الدولة العباسية حتى تسابق تلميذاه ابنا للمأمون الى تقديم نعله اليه لما نهض للخروج توفى سنة ٢٠٧

(٢) الانشقاق ٨٦

و التكديح التخديش و هنا [1] المراد الكد و قرينة الحال معينة له ،

الصبر : حبس النفس عن الجزع و قد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبرا و صبّرته أنا أى حبسته و منه قوله تعالى « و اصبر نفسك مع الّذين يدعون ربهم [1] » و ستعرف حقيقة الصبر فى لسان حملة الشرع و فضيلته فى مظنته ان شاء الله تعالى .

هاتا لغة فى هاتى وهى لغة فى هذى و هذه ، و يروى هاتين أى اليد الجذّاء و الطخية العمياء ،

أحجى يحتمل هنا معان :

ا ـ أعقل من الحجى بكسر الحاء العقل كما يقال هذا أحوط أى اقرب إلى الاحتياط .

ب ـ أولى من قولهم انت حج بذلك أى جدير و انت احجى به من فلان اى أجدر و أولى .

ج ـ أقوم و أثبت من قولهم : تحجىّ فلان بالمكان أى أقام و ثبت .

د ـ أقرب من الضنن بالدين من الحجوء و هو الضنن بالشيء يقال : حجيت بالشيء اى ضننت به .

القذى فى العين : هو ما يسقط فيها من غبار و نحوه مما يتأذى به .

قذيت عينه تقذى قذى : اذا سقطت فى عينه قذاة ،

الحلق : بالفتح الحلقوم و الجمع حلوق و بالكسر خاتم الملك و المال الكثير يقال جاء فلان بالحلق .

---

(١) الكهف : ١٨

الشجى: ما ينشب فى الحلق من عظم وغيره ، و الشجو الهمّ و الحزن يقال شجاه يشجوه شجواً اذا حزنه و اشجاه يشجيه أشجاءً اذا أغصّه.

التراث : أصل التاء فيه واو و الميراث أصله موارث انقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها و هما اسمان مترادفان لما يورث ، و قيل لا يسمى الملك تراثاً حتى يكون قد ورثه عن غيره و أراد به هنا حقّه عليه السّلام من الامامة و الخلافة من الرسول عليه السلام .

نهباً : أى أخذا بغير استحقاق ولا إذن ، ممن يستحقّه .

أدلى بها : قال أكثرهم : معناه انه أرسله إلى فلان من أدلى دلوه و ليس كذلك فانّ الادلاء هنا من أدلى بماله الى الحاكم أى دفعه اليه رشوة و منه قوله تعالى « و تدلو بها الى الحكام [1] » و معناه على هذه إن استخلافه ايّاه كان مصانعة على البيعة له اياه من قبله و هذا معنى نفيس جدا يلتفت له من تدرب بعلم التواريخ و اللغة .

شتّان : ما بينهما أى بعد و شتان ما بين عمرو و زيد أى بعد ما بينهما .

كور الناقة : بضم الكاف الرّحل بأداته و الجمع اكوار و كيران

الاقالة فك عقد البيع و نحوه .

و الاستقالة : طلب ذلك ، شدّ الأمر أى صعب و عظم .

تشطّر : أى خصّص كل منهما صاحبه بشطر و هو النصف و فى المثل أجلب جلبا لك شطره أى نصفه ، قالت العرب : فى من استمر على

(١) البقرة : ٢

حوادث الدّهر، حلب الدهر أشطره أي استفاد من الدهر طوري الخير و الشّر.

قال القتيبي (١) مستشهدا على أنّ الشطر هو النصف: أن الناقة لها أربعة أخلاف خلفان مقدمان و خلفان مؤخران و اذا يبس لها خلفان قيل لها ناقة شطور و الشاة اذا يبس احد خلفيها قيل شاة شطور.

الضرّع: لا يكون إلا لذات خف كالناقة أو ظلف كالبقرة و الشاة.

صيّرته: أنا كذا أي جعلته.

الحوزة: الناحية و انما سمّيت بها لأنها تحوز أوساطها و يحيط بها من حاز الشيء حوزا و حيازة أي جمع و حوزة الملك بيضته.

الكلم: بفتح الكاف و سكون اللام الجرح.

م: مصدر مسست الشيء بكسر العين في الماضي و فتحها في الغابر و هذه هي اللغة الفصيحة، و قد حكى أبو عبيدة: مسست بالفتح في الماضي و الضم في الغابر.

العثرة: الزلة و قد عثر في ثوبه بفتح العين في الماضي و ضمّها في الغابر عثاراً اذا أصابت رجله في المشي ثوبه و غيره فسقط.

الاعتذار: من الذنب و قد اعتذر رجل الى ابراهيم النخعي فقال له قد عذرتك غير معتذر ان المعاذير يشوبها الكذب.

الصعبة: الناقة الشّديدة التي لم تذلل بالمحمل ولا بالركوب.

أشنق الناقة: و شنقها اذا جذبها الى نفسه راكباً عليها ليمسكها

(١) ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الباهلي الدينوري المروزي الكاتب اللغوي النحوي صاحب التآليف و الآثار و كان قاضيا بالدينور فنسب اليها و قتيبة جده كان امير خراسان و افتتح خوارزم و سمرقند و بخارا و توفي ابن قتيبة سنة ٢٧٦.

عن

عن الحركة العنيفة . و المشى على غير استقامة وما نقل السيد الرضى كاف و لكن ما قلناه أوضح ، و فى بعض النسخ قد أورد ما يدل على ان اشنق جاء بمعنى شنق و هو فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه و آله ، خطب الناس و هو على ناقة قد شنق لها و هى تقصع بجرتها و من الشاهد على أنّ أشنق بمعنى شنق قول عدى بن زيد العبادى [1] .

ساءها مالها تبينّ فى الأيد ى و أشناقها إلى الاعناق

أى تعليقها . أقول : معنى البيت ساء هذه الناقة ما بسببنا ظهر فى أيديها و رفع رؤوسها الى الأعناق و هو مما يصعب عليها .

و الخرم : الشقّ و القطع .

أسلس لها : أى أرخى و سهل عليها فى جدار رأسها من قولهم شىء سلس أى سهل و رجل سلس أى لينّ منقاد من السلس و السلامة .

تقحم فى الأمر : اذا ألقى نفسه فيه بعنف .

منى : أى ابتلى يقال منيت بكذا اى ابتليت به و منى بالتشديد أى قدر و انما سمى الموت منية لأنه مقدر على الخلق .

قال الله تعالى « نحن قدرنا بينكم الموت [2] » و الأمنية ارادة يقدرها الانسان فى نفسه .

---

(١) عدى بن زيد بن مالك ابو داود الرقاع ككتاب بن عصر الشاعر من قضاعة العاملى كان معاصرا للراعى و كان بينهما مهاجاة .

(٢) الواقعة : ٥٦

العمر و العمر : مصدران لعمر بكسر العين فى الماضى و فتحها فى الغابر و عبارتان عن تفانى زمان يعرف له بذاته و بهائه و من ثم قيل عمر اذا عاش زماناً طويلاً ، و هما و ان كانا فى المعنى واحداً غير انه لا يستعمل فى القسم الا أحدهما و هو المفتوح ، و اذا ادخلت عليه اللام رفعته بالابتداء و قلت لعمر الله و اللام لتوكيد الابتداء و الخبر محذوف و التقدير لعمر الله قسمى و لعمر الله ما اقسم به فان لم يأت باللام نصبته نصب المصادر و قلت عمر الله ما فعلت كذا و عمرك الله .

و معنى لعمر الله و عمر الله الحلف ببقاء الله و دوامه و قيل العمر هنا بمعنى التعمير كما فى قولهم عمرك الله اى بتعميرك الله أى باقرارك له بالبقاء فيكون قسماً بصنع الله فى استبقاء الخلق لابقائه هذا أبعد عن سوء الأدب ، و أوفى بالمحاماة على قانون الاعتدال فى التوحيد .

الخبط : تشوش الأحوال المنتظمة يقال خبط البعير الارض بيده اذا ضربها ، و منه قيل خبط عشواء و هى الناقة التى فى بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا يتوقى شيئاً و خبط الرجل اذا طرح نفسه حيث كان لينام و ذلك لغفلته عن العقل الضابط لأحواله و أقواله .

الشماس : بكسر الشين عسر الاخلاق يقال رجل شموس و شماس اذا كان صعب الخلق و شمس لى فلان اذا أبدى لك عداوته و شمس الفرس شموساً و شماساً اذا منع ظهره ، من أن يركب عليه . التلون : الاختلاف فى الافعال و الاضطراب فى الاقوال للتفاوت فى الاحوال .

اعترض الفرس فی رسنه : اذا لم یستقم لقائده و اعترض الشیء دون الشیء أی حال دونه قیل : الاعتراض ضرب من التلون و أصله المشی فی عرض الطریق یقال مشی فلان العرضة اذا مشی فی عرض الطریق خابطا عن مرح و نشاط و الأول أنسب و الثانی أدق و الثالث محتمل .

الشوری : مصدر كالمشاورة یقال شاورت فلاناً مشاورة و مشورة و شوری و هو یقال لأمر مبهم یقع بین جماعة كل واحد منهم یرید استخراج الصواب فی الأمر من رأی غیره و ربما یكون الشوری لأمر یعرض علی الآراء المتفرقة و هو مأخوذ من شرت الدابة اذا عرضتها او المكان الذی یعرض فیه الدواب مشوار .

الریب : الشك و الریب ما رابك من الشیء و الاسم الریبه بالكسر و هی التهمة و رابنی فلان إذا رأیت منه ما یریبك و تكرهه .

النظائر : جمع نظیر و نظیر الشیء مثله ، و حكی أبوعبیدة النظر و النظیر بمعنی مثل الند و الندید .

الأسفاف : النزول من المكان العالی الی السافل یقال : أسفت السحابة اذا دنت من الأرض قال عبید بن الأبرص [1] یذكر سحابا قد تدلی حتی قرب من الأرض : .

فان مسفّ فویق الأرض هیدبه
یكاد یدفعه من قام بالرّاح

(۱) عبید بن الابرص بن جشم الأسدی شاعر مشهور .

و أسفّ الطائر اذا دنا فی طيرانه من الأرض و الاسفاف أيضا شدة النظر و حدته و ليس مرادا هنا

صغا يصغو و يصغى صغواً و صغوا أى مال و كذلك صغى بالكسر يصغى صغاً و صغياً و صغت النجوم اذا مالت للغروب يقال : صغو فلان معك أى ميله . و فی الخبر كان رسول صلى الله عليه و آله و سلم يصغى الاناء للهرة .

الضغن : و الضغن الحقد قال الخليل :[1] الأصهار أهل بيت المرأة : و من العرب من يجعل الصهر من الأحماء و الأختان جميعا ، و قال ابن الاعرابی يقـال : صاهرت اليهم اذا زوجت فيهم و أصهرت بهم إذا اتصلت بهم و تحرمت بجوار أو نسب أو تزوج و قال بعض الشارحين الصهر الامتزاج فی خلاصة النسب و زبدته و كل ما يخلص شیء فهو صهارتـه و الصهر تخليص الدهن عن الشحم بالاذابة و كل اشتباك فی نسب أو جوار أو تزوج فهو أصهار .

الهن : على وزن الأخ لفظ يستعمله العرب للشیء القبيح و ربما يعبر به عن العورة ، و فی الخبر : من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه يعنی من افتخر بالنسب أفتخار الجاهلية فاحملوه على أن يعضّ بما كان قبحاً منه ليذهل به عن الافتخار .

(١) الخليل بن احمد العروضی الفرهودی او الفراهيدی كما هو المشهور و الاكثر فی الاستعمال قال الاصمعی : سألت الخليل بن احمد عن هو فقال من ازد عمان من فراهيد ، قلت وما فراهيد قال جرو الاسد بلغة عمان ، كان الخليل تقيا عالما عاملا ذاحلم و وقار و توفی سنة ١٧٠ .

يقال

يقال ثالث اثنين أى صيرهم ثلاثة و معنى ثالث القوم أنه صيرهم ثلاثة .

يروى نافجا : بالجيم و الحاء المهملة نفج أى رفع يقال نفج ثدى المرأة قيصها ينفجها نفجا اى رفعه و نفجت الفراريج من بيضها اذا رفعت رؤسها منه و خرجت و نفح الشيء بالحاء بسطه يقال نفحت الرائحة اذا انتشرت و نفح الطيب ينفح أى فاح و انبسط و نفحت الناقة أى ضربت برجلها و انما كان يبسطها .

الحضن : ناحية الشيء و جانبه و يقال لما دون الابط الى الكشح الحضن .

النثيل : البراز الخارج من الحيوان و أيضا التراب المستخرج و يحتمل ان يكون المراد هنا موضع الروث اطلاقا لاسم الشيء و ارادة المكان و هو أولى ليكون فى مقابلة المعتلف الذى هو اسم لموضع الاعتلاف و ان كان يحتمل أن يكون اسما لما يؤكل .

الخضم : التوسع فى مضغ الشيء و الاكثار منه بأقصى الاضراس يقول منه خضم بكسر العين فى الماضى و فتحها فى الغابر و قيل الاكل بجميع الفم .

النبتة : بكسر النون النبات و هى للحالة و الكيفية .

الربيع : عند العرب ربيعان الشهور و ربيع الأزمنة فربيع الشهور شهران بعد صفر ولا يقال فيه إلا شهر ربيع الاول و شهر ربيع الآخر و أما ربيع الأزمنة فربيعان الربيع الأول و هو الفصل الذى يأتى فيه النور و هو ربيع الكلاء و هو المراد هنا .

و الربيع الثانى هو الفصل الذى يدرك فيه الثمار و جمع الربيع أربعاء و أربعة مثل نصيب و أنصباء و أنصبة و الربيع أيضا المطر فى الربيع يقول منه ربعت الأرض فهى مربوعة و أيضا الجدول و اضافه النبتة اليه قرينة معينة ان المراد ربيع الكلاء .

نكث العهد و الحبل فانتكث : اى نقضه فانتقض .

قال الأصمعى :[1] أجهزت على الجريح : اذا أسرعت قتله و قد تممت عليه ولا يقل احرب على الجريح و فرس جهيز اذا كان سريع الشدّ و الاجهاز لا يستعمل الا فى إتمام ما بدىء به من الجراح و غيرها .

كبا الفرس لوجهه يكبو كبوا : أى سقط فهو كاب ، و منه قيل لكل جواد كبوة .

و البطنة : كثرة الأكل و شدة الامتلاء من الطعام .

راعنى الشىء : أى أعجبنى و الأروع من الرجال الذى تعجبك حسنه ، و قيل أفزعنى من الروع بالفتح الفزع و الأول أنسب بالمقام .

ينثالون : أى يسقط بعضهم على بعض فى ازد حامهم من انثال الشىء اذا وقع يتلو بعضهم على بعض و الثيل نبات ملتف فسقط بعضه على بعض فتحلل الأرض .

الضبع : معروفة ولا تقل ضبعة لان الذكر ضبعان و الجمع ضباعين مثل سرحان و سراحين ، و الانثى ضبعانة و الجمع ضبعانات و ضباع و هذا الجمع للذكر و الانثى مثل سبع و سباع يكنى عن القهر الشديد بالوطأ .

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : اللهم اشدد و طائك على

مضر، و إنما يعبر عن البطش الشديد و العذاب الأليم بالوطأة لأن الوطأة تدوس الشيء بجامع البدن و استعمال جميع القوى فيه .

فى عطفاى: روايتان احديهما عطافى، العطاف الرداء يقال قد تعطفت بالعطاف أى ارتديت بالرداء، و منه سمى السيف عطافا و كذلك المعطف بكسر الميم .

الثانية عطفاى و عطفا الرجل جانباه من لدن رأسه الى وركيه و كذلك عطفا كل شيء جانباه يقال ثنى فلان عطفه اذا أعرض عنك و العطف: الميل يقال عطفت اى ملت و عطفت الوسادة اى املتها و هى أشهر .

يقال: قعدوا حوله و حواله و حوليه و حواليه: أى قعدوا من جوانبه و لا تقل حواليه بكسر اللام .

الربيض: الغنم برعاتها المجتمعة فى مربضها . و المرابيض للغنم كالمعاطن للابل، واحدها مربض مثل مجلس، و الربض ايضا مأواها و ربوض الغنم مثل بروك لابل يقول منه ربضت الغنم بفتح العين فى الماضى و كسرها فى الغابر ربوضا . قيل الربضة جماعة الغنم و قيل مأواها .

نهض الرجل: بالفتح فى الماضى و الغابر جميعا نهضا و نهوضا أى قام .

مرق السهم من الرمية مروقا: أى خرج من الجانب الآخر و به سميت الخوارج مارقة لقوله عليه السلام: يمرقون من الدين كما تمرق

السهم من الرمية من الصحاح .

الفسق : الخروج من طاعة الله و رسوله ، يقال : فسق الرجل بالفتح فى الماضى و الضم و الكسر فى الغابر فسقا و فسوقا أى فجر ، و أصله من فسقته الرطبة أى خرجت من قشرها .

يقال : وعى الحديث أعيه و عيا : اذا حفظه ، و منه قوله تعالى « و تعيها اذن واعية [1] » أى ضابطة .

يقال : حلى فلان بعينى و فى عينى و بصدرى و فى صدرى بالكسر فى الماضى و الفتح فى الغابر حلاوة اذا اعجبك ، و انما يقال : لما طاب فى العين حلى فى عينه لأنه من الحلى ، و هو الزينة التى يستطيبها العيون ، و فى بعض النسخ حليت بتشديد اللام من التحلية التزين .

يقال : راقنى الشيء يروقنى : أى أعجبنى و منه قولهم غلمان روقة و جوار روقة أى حسان و هو جمع رائق مثل صاحب و صحبة و يقال لكل شيء له موقع حسن فى العيون : رائق .

الزبرج : بكسر الزاء الزينة من وشى أو جوهر و نحو ذلك يقال : زبرج مزبرج أى مزين ، و يقال أيضا الزبرج الذهب و ايضا الرقيق من السحاب

فلقت الشيء فلقا أى شققته و قيل الفالق الخالق و هو مثل الفاطر و كلاهما بمعنى الشاق لأن كل شيء يخلق من شيء فقد انشق عنه الشيء الذى خلق منه : فالق الاصباح الفلق : الصبح لأن الظلام ينفلق عنه .

(١) الحاقة : ٦٤ .

الحبة: واحدة حب الحنطة و نحوها، و حبة القلب سويداء و يقال ثمرته و الحبة من الشيء القطعة منه و عند الاطلاق كان المراد للأول و بالتقييد يتعين الباقي.

براء الله الخلق: أي خلق و هو البارى و البرأة: الخلق.

النسمة: النفس و ان العرب سمت المهجة نفسا لأنهم كانوا يرونها من النفس و صعوده و هبوطه و سمتها روحا لأنهم كانوا يرونها يتروح و نسمة لاستنشاق النسيم.

الحاضر: خلاف البادى الغائب و الحاضر الحى العظيم يقال: حاضر حى و المعنيان محتملان و قيل يحتمل أن يكون إشارة الى ما يصيب الانسان من الشر نظرا الى قوله تعالى: و أعوذبك رب أن يحضرون[1] أى أن يصيبنى الشيطان بسوء و هو جيد.

الغارب ما بين السنام و العنق و منه قولهم: حبلك على غاربك اذهبي حيث شئت و أصله الناقة اذا رعت و عليها الخطام ألقى على غاربها لأنها اذا رأت الخطام لم يمنعها شيء ألفيت الشيء أى وجدته، و منه قوله تعالى: بل نتبع ما ألفينا عليه آبانا الآية[2].

المقارة: اقرار كل واحد منهما صاحبه على الأمر و تراضيهما به.

الكظة: بكسر الكاف شيء يعترى الانسان عن الامتلاء من الطعام يقال: كظه كظا و كظني هذا الأمر أى جهدنى من الكرب، و المكاظة: الممارسة الشديدة فى الحرب.

(١) المؤمنون: ٢٣. (٢) البقرة: ١٧٠.

سغب : بكسر العين فى الماضى و فتحها فى الغابر سغبا أى جاع فهو سغبان و ساغب و امرأة سغبى و يتيم ذو مسغبة أى ذو مجاعة .

أزهد : أى أحقر الشيء . الزهيد أى الحقير لزهادة الناس فيه و رجل مزهد أى قليل المال أصل الدنيا دنو فحذفت الواو لاجتماع الساكنين بعد القاء الحركة على الواو لثقلها و سميت الدنيا لدنوها و الجمع دنى مثل الكبرى و الكبر .

المعطفة : عطسة الضانية بأنفسها وكذا نثرة أنفها ، قال الجوهرى: عفطت العثر تعفط عفطا حبقت : و العفط و العفيط نثير الضأن نثر ماتوفها كما ينثر الحمار وهى العفطة ، يقولون : ماله عافطة العافط النعجة و النافطة العنز لأنها تعفط بأنفها عن أبى الدقيش سواد البصرة و الكوفة قراهما سميت بذلك لأنها ترى من بعيد على لون السواد .

قيل لأن السواد هوالمال الكثير سميت بذلك لكثرة ربوعها و غلاتها و ثمارها و يحتمل أن يكون التسمية لأجل أن اكثر الناس الساكنين فى القرى عوام من سواد الناس أى عوامهم و هو وجه جيد ناول يناول مناولة أى أعطاه .

أفضيت إلى فلان سرى :أى أنهيت هيهات أى بعد الشقشقة بالكسر شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه اذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فانما يشبهه الفحل هدر الحمام هديرا أى صوت و هدر البعير هديرا ردد صوته فى حنجرته .

ثم اعلم أن هذ التركيب قد صار مثلا يقال عند كلمة تسقط من غير اختيار ثم يمسك المرء عنها انما سميت الخطبة شقشقية .

 لاشتمالها

لاشتمالها على قوله : شقشقة هدرت ثم قرت و مقمصية لاشتمالها على قوله : تقمصها فوقع لها اسمان أحدهما بالنظر الى فاتحتها و الآخرى الى خاتمتها .

الأسف : أشد الحزن و قد أسف على ما فاته و تأسف أى تلهف و هو المراد هنا و الله اعلم .

(الاعراب)

أما : لافتتاح الكلام و الضمير المنصوب فى تقمصها للخلافة و ان لم تكن مذكورة لظهورها مثل الضمير فى قوله « حتى توارت بالحجاب [1] » و يحتمل أن تكون مذكورة قبل هذا الكلام . و اللام فى لقد جواب القسم . و الواو فى و أنه ليعلم للحال ، و ذو الحال فلان ، و العامل فيه تقمصها ، أى تلبس بها حال كونه عالما بأن محلى منها محل القطب من الرحى .

قوله يهرم فيها الكبير الى ربه : جمل ثلاث وقعت نعوتا لطخية و الجملة جاز أن يكون صفة لنكرة عند اشتمالها على ضميرها و هنا كذلك ، الواو فى و فى العين قذى و فى الحلق شجى حالان وذو الحال الضمير البارز فى فصرت و العامل فيهما صبرت يعنى صبرت حال كون عينى فيها قذى و حلقى فيه شجى . تراثى اول مفعولى أرى و نهبا ثانيهما اذ أرى هنا بمعنى أعلم شتان يعمل عمل الفعل وان كان اسما . و يومى مرفوع على أنه فاعله ، و يوم حيان عطف عليه وما زائدة و لذا يقال شتان زيد و عمر .

فيا للندى و المنادى محذوف للايجاز و عجباً نصب على المصدر لفعل محذوف تقديره ياقوم أو يا أيها الحاضرون و السامعون اعجبوا عجبا عجبا و إذ للظرف بمعنى حين و بينا أصله بين اشبعت فتحته فصارت

(١) ص : ٣٢

ألفاً . اللام فى لشدّ للتأكيد وما مع الفعل بعدها فى تقدير المصدر و هو فاعل شدّ و الجملة من تمام التعجب أى لصعب و عظم تشطر ضرع الخلافة بينهما و الضمير فى كلمها و اخواتـه للحوزة و الجمل من يغلظ كلمها لى الاعتذار نعوت للحوزة و حتى فى قوله حتى اذا مضى لانتهاء الغاية هى جعله اياها فى جماعة زعم أنه أحدهم .

و اللام فى لله انما فتحت لأنها للاستغاثة و فى للشورى إنما كسرت لأنها للتعجب و متى للاستفهام على سبيل الانكار و نافجا حضنيه حال من ثالث القوم و حضنيه مفعوله و ذلك مثل قولك جاء زيد ضاربا عدوه او راكبا فرسه و بين أثيلة و معتلفه متعلق بقام و هو العامل فيه و يخضمون حال من بنو أبيه و العامل فيه قام الثانى ، الىّ فى قوله و الناس الىّ متعلق بمحذوف تقديره مقبلون الىّ .

ثم فاعل راعنى الجملة على مذهب البصريين القائلين بجواز وقوع الجملة فاعلا وما دلّ عليه الجملة من المصدر على مذهب الكوفيين المانعين من كون الجملة فاعلا . تقديره فما راعنى إلا اقبال الناس إلىّ نظم هذا التركيب من القرآن قوله تعالى « ثم بدا لهم من بعد ماراوا الايات ليسجننها حتى حين » و ينثالون إما خبر ثان لمبتداء و حال عن راعنى او العامل فى الىّ تقديره و الناس ينثالون الىّ و هو اولى من تقدير المحذوف و مجتمعين منصوب على الحال و العامل فيه ينثالون .

(المعانى)

و الله لقد تقمصها : جملة لاتقال إلافيما إذا كان المخاطب طالباً

بالنسبة متحيرا فيها ، و هكذا الحال فانه عليه السلام قال لمن تحير فى أمر الخلافة أهى بالحق أم لا أو نزل العالم بها منزلة المتحير « و أنه ليعلم فيه ثلاث فوائد ، الاولى تنزيل فلان العالم بالحال منزلة الجاهل المنكر المصرّ و تنزيل المخاطبين العالمين منزلة المنكرين و لذا صدّر الجملة بأنّ و اللام المؤكدين للتحقيق .

الثانية : انه قد أورد المعنى المراد فى الجملة الفعلية الدالة على التجدد و على أن هذا العلم قد حصل له بالنص من رسول الله صلى الله عليه و آله و بمشاهدة أفعاله و أقواله المحركتين على منوال الاستقامة و العدل .

الثالثة : أنه قد أتى بالفعل للاستقبال بعد ذكر فاعله ليدلّ على الاستمرار و الثبوت و يجدد العلم لحظة فلحظة دلالة قوله تعالى : « الله يستهزئ بهم » على الاستمرار و هذه الخواص كلها مؤكدة للتقمص مقررة لما ان المتقمص قد عاند علمه و عقله و كابر ربه و رسوله قوله ينحدر جملة استينافية دالة على الجواب عن سأل عن كمية كون محله منها محل القطب من الرحى فكأنه قال لم كان محله كذا قال مجيبا اياه لأنه عالم مفيض على من تحته من الناس لا يقدم على الذنوب يعنى عالم معصوم و ستعرف معناه .

الفاء فى فسدلت : فصيحة مفصحة عن محذوف هو سبب السدل تقديره تقمصها و عزم على المخالفة و هدم قواعد الدين فخفت على انشقاق عصا المسلمين و اثارة الفتن و اطلاع الكفار على ضمائر من دخل تحت الايمان باللسان فسدلت و الفاء فى فرأيت فصيحة مفصحة عن سبب محذوف هو سبب الصبر تقديره طفقت اجيل الرأى من أحدين اما الصبر

أو المجادلة فعلمت أن المجادلة مستجلبة للفساد فرأيت و « فى » فصبرت للسببية الدالة على أن الرؤية سبب الصبر و الباقى الى قوله هذه النظائر معلوم من القواعد السالفة و الاشارة هنا إلى التحقير كما فى قوله تعالى « أهذا الذى بعث الله رسولا » .

و الألف و اللام فى النظائر للعهد و المعهود الجماعة التى أشار عليه السلام اليهم بقوله : جعلها فى جماعة زعم ، و اللام أيضاً فى القوم للعهد و المعهود و الثلاثة المعروفون فى الاذهان و الفاء فى فما راعنى فصيحة مفصحة عن محذوف تقديره لما مات و انقضى عهد خلافته و عزم الناس على البيعة معى و توجهوا الى و اجتمعوا فما أفزعنى او ما أعجبنى .

و القصر فيه للقلب كأنه قد نزل المخاطبين منزلة الحاكمين بان اعجابه عليه السلام لأمر آخر و قلب ما حكموا عليه و قال ليس اعجابى إلا بواسطة اقبال الناس ، ففيه القصر للقلب و تنزيل غير الحاكم منزلة الحاكم للتاكيد و اضافة الدنيا الى المخاطبين فى قوله دنياكم لتحقيرهم و تحقيرها و براءة ساحته عن أن يكون ممن يضاف اليه الدنيا الخسيسة و الباقى ظاهر .

(البيان)

فى تقمصها : استعارة تخييلية مكنى بها عن أخذه الخلافة بتكلف لا باستحقاق مستلزمة لتشبيه الخلافة و هى معقولة بالقميص و وجه الشبه اشتراكهما فى التسلط عليهما و كونهما مما يزين المتخذ و هو عقلى و تخييلى أنها فرد من افراد القميص و إلا لم تصح جعلها مفعولا للتقمص و هو قرينة ولها و فى محلى منها محلّ القطب من الرحى قد راعى ثلاثة

أنواع من التشبيه .

أ ـ تشبيه محله بمحل القلب و هو كونه بمابه نظام أحوال الرحى و هما معقولان و وجه الشبه انه عليه السلام أعدل الناس و أثبتهم على الجادة المستقيمة بحيث يجب الرجوع اليهم و أحقهم قياما فى رعاية السياسة وما يتعلق بالخلافة كما أن القطب أعـدل المحال و أقومها من الرحى و نسبته الى دوران الرحى احسن النسب وكل الخطوط الى أجزاء طرفه متساوية و هوأيضا عقـلى .

ب ـ تشبيه نفسه بالقطب و هما محسوسان و وجه الشبه أنه عليه السلام ممن يراعى نظام امور الخلق و يجمع أحوالهم المتفرقة كما ان القطب يراعى نظام دوران الرحى و هو عقلى .

ج ـ تشبيه الخلافة و هى عقلية بالرحى و هى محسوسة و وجه الشبه أنها مما يحفظ الناس ان يتطرق اليهم الخلل فى المعاد كما أن الرحى مما يراعيهم ان يتطرق اليهم الخلل فى المعاش و هو عقلى .

فى قوله ينحدر عنى السيل : استعارتـان احديهما استعارة تخييلية مرشحة مكنى بها عن علوّ منزلته و الثانية استعارة أيضا تخييلية مرشحة تصريحية المراد بها عظم شأنه فى العلوم السياسية أما الاولى فهى مستدعية لتشبيه نفسه عليه السلام بالجبل و هما محسوسـان و وجه المشابهة العلوّ و الرفعة و هو عقـلى و التخيل انه عليه السلام فرد من أفراد الجبل و الا لم يصح عنى بعد ينحدر .

اما الثانية فهى مستدعية لتشبيه العلم بالسيل و هو محسوس و وجه المشابهة شدة النفوذ و اللطافة و افتقار الناس اليه و هو عقلى و هـذا تشبيه

ماخوذ من قوله تعالى « انزل من السماء ماء فسالت أوديه بقدرها [1] » و ذلك لأنه قد اطلق الماء و أراد العلم على سبيل الاستعارة باتفاق اكثر المفسرين و بقوله ينحدر رشح الاستعارتين لان الا نحدار لا يكون الا من الموضع العالى ولا يقع نعتا الا للماء و شبهه من الاجسام السيالة .

فى قوله لا يرقى الىّ الطير : استعارة واحدة تخييلية مكنى بها عن غاية ارتفاعه و علوه ان اجرينا الطير على حقيقته و ان قلنا انه عبارة عن الذهب ففيه استعارة تخييلية تصريحيـة المراد بها ان الذنب لا يتوجـه اليه .

أما الاولى فما ذكرنا و هى مستلزمـة لتشبيه نفسه عليه السلام بالجبل الشامخ و هما محسوسان و وجه المشابهة ما ذكر عليه السلام و هو أن لا يرقى عليه الطير لغاية علوّه و به رشح الاستعارة .

أما الثانية فهى مستدعية لتشبيه الذنب و هو معقول بالطاير و هو محسوس و وجه الشبه اشتراكهما فى الصعود الى جهة الفوق و هو عقلى و هذا التشبيه مأخوذ مما قال الله تعالى : « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه [2] » حيث ذكر الطائر مريدا به الذنب الذى يؤاخذ به .

فى فسدلت دونها ثوبا : استعارتان مكنى بها مستدعية لتشبيه الخلافة بالأمر المحسوس الذى يصلح لأن يحجب و يجب احتجابه لئلا يطلع عليه أحد و وجه الشبه انها . . . . [3] مما يجب أن يسترها بالسكوت عليها لكونها قد وقعت فى يد من لا يليق بها كما أن المرأة الحسنة مثلا يجب أن يسترها بالحجاب الحسى حذرا من اطلاع الاجانب عليها .

---

(١) الرعد : ١٧ (٢) الاسراء : ١٣ (٣) بياض فى الاصل .

الثانية استعارة تصريحية المراد بها السكوت و هما معقولان بالستر الذى يعدّ دون الشيء و وجه الشبه اشتراكهما فى المنع من الاطلاع و قد رشحها بقوله فسدلت حيث اطلق على الشبه ما هو من لوازم المشبه به و فى طويت عنها كشحا: استعارة أيضا مكنى بها عن الاعراض مستدعية لتشبيه الخلافة بالماكول و وجه الشبه اشتراكهما فى رغبات الناس اليهما و هو عقلى و لتشبيه هيئة الاعراض عنها و السكوت عليها مع افتقاره اليها وكونها ملائمة لحاله رعاية لمصلحة الناس بهيئة اعراض الجائع عن الماكول اللذيذ الذى يسدّ المجاعة نظر الى المفسدة المشتملة عليها و وجه الشبه ظاهر مما ذكرنا و هو عقلى .

فى يد جذاء: استعارة تخيلية تصريحية المراد بها عدم الناصر مستدعية لتشبيه عدم الناصر باليدا المقطوعة و وجه المشابهة أن عدم النصر مستلزم لعدم القدرة التامة و التصرف الكامل فيما توجهت الارادة اليه كما أن قطع اليد مستلزم لعدم القدرة على البطش ما أراد و شيأ [1] .

فى طخية عمياء: استعارة ايضاً تصريحية المراد بها التباس الامور و تشقق عصا الاسلام مستدعية لتشبيه اختلاط الاحوال و تشتت الاقوال و الافعال بالظلمة و هما معقولان و وجه الشبه ان الامور اذا اختلطت و الاحوال اذا اضطربت لا يهتدى فيها الى الحقّ وكيفية السلوك الى الله تعالى كما أنّ الظلمة لا يهتدى فيها الى النور و هو عقلى ثم بوصفه عليه السلام الطخية بالعمياء راعى أيضا استعارة مكنى بها عن شدة الظلمة مستدعية لتشبيهها بالأعمى .

(١) كذا .

و وجه الشبه أن المتمسك بظلمة الفتنة لا يهتدى لنور الحق ولا يتبين له الطريق المسلوك الى المقصد كما أن المتمسك بالاعمى لا يهتدى الى الطريق النافذ الى المطلوب . وهو عقلى قوله : فى العين قذى و فى الحلق شجى : كنايتان عما نال : من شدة الصبر و تحمل الأذى منهم و وصول الغبن اليه بسبب ما يرى انه اولى به من غيره و هما فى العرف من لوازم الغبن و الحزن الشديد . و مضى لسبيله كناية عن الموت فانه سبيل لازم لكل انسان و المضى فيه من لوازم الموت .

اختلف الشارحون فى بيان تمثله عليه السلام بقول الأعشى على أقوال ثلاثة و لكن انما يتبين البيت بتحقيق اولا و ان لم يكن موضعه لكن الضرورة تجوز ما لا يجوز .

اعلم أن قائل هذا البيت الاعشى و اسمه ميمون بن جندل من بنى قيس انشاء قصيدة يمدح بها عامرا و يهجو علقمة منها هذا البيت وكان حيان و جابر أخوين ابنى السمير بن عمرو من بنى حنيفة وكان حيان رجلا عظيم الشان صاحب حصن باليمامة سيدا مطاعاً ينادمه الاعشى مصونا من مشاق السفر وكابة المنقلب لأنه لعامة تنعمه لا يسافر أبدا وكان جابر أخوه رجلا دنيا خسيسا ممن يعرف باخوة حيان لا لمن كان يعرف باخوته .

فمعنى البيت ان يوم حيان كان يوم نعمة مصفاة عن كدورة التعب و النصب و يومه على كورها كان يوم اضطراب لا قرار فيه و تعب لا راحة فيه ، و قيل معناه ان يوم حيان كان يوم نعمة مكدرة بوجود جابر و لكن كان مع البوس راحة و نومه على كورها كان يوم اتعاب مشاق السفر و مكائده وركوب الناقة و زحمة السير و حيان وزير النعمان بن منذر كان محسنا الى الاعشى

الأعشى، و تروى أن حيان عتب على الاعشى حيث عرفه بأخيه جابر و قال: أتعرفنى باخوة فأعذر اليه الأعشى بان القافية قد ساقه الى ذلك فلم يقبل عذره و اذا عرفت معناه فنقول .

قال السيد المرتضى[1] : أراد بذلك أن القوم لما فازوا بمآربهم و ظفروا بمطالبهم و حصل ما كان منتهى أمانيهم و هو عليه السلام فى ذلك كله محق فى حقه مكد فى نصيبه كان بين حالهم و حاله بون بعيد واختلاف شديد و استعار لفظ اليومين و كنى بهما عن حالهم و حاله و شبه حالهم بيوم حيان و وجه الشبه اشتراكهما فى الاشتمال على حصول المطالب و الفوز بالمآرب و خفض العيش و الدعة و هو عقلى و شبه حاله عليه السلام بيومه على كور الناقة و وجه الشبه اشتراكهما فى الاشتمال على المتاعب و المضائق و الغصة و التعب .

قيل : انه عليه السلام كنى بهما عن اليوم الذى كان مع رسول الله صلى الله عليه و آله اليوم الذى فارق رسول الله عنهم و هو معهم و وجه المشابهة ما اشتمل عليه يوم الرسول عليه السلام و يوم حيان على المسار، و الراحة و الاستلذاذ بالملاذ الشهية الجسيمة وما اشتمل عليه يوم المفارقة و يومه على كورها على المشقة و التعب و هو جيد .

(١) على بن الحسين بن موسى ابو القاسم ذو المجدين المشهور بالسيد المرتضى و المعروف بعلم الهدى جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد و حاز من الفضائل ما تفرد به و توحد و أجمع على فضله المخالف و المؤالف مجمع على فضله مقدم فى العلوم مثل علم الكلام و الفقه و الادب و النحو . فضائله كثيرة و مناقبه و آثاره مشهورة و كتبه معروفة توفى سنة ٤٣٦ .

قيل : شبه تباعد ما بين اليومين يوم الاستقالة و يوم الاستنابة بتباعد ما بين اليومين و وجه المشابهة ما ذكرنا و ان كان فيه بعد ، قلت و يحتمل أن يكون عليه السلام شبه يوم عهده مع رسول الله و مصاحبتهم يوم حيان مع وجود جابر و وجه المشابهة أن صحبة رسول الله صلى الله عليه و آله قد جبرت ما أصابه من مصاحبتهم كما جبر منادمة حيان ما أصابه من صحبة جابر وشبه يوم ما فرقه رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بيومه على كورها و وجه المشابهة أن مصاحبتهم عند المفارقة مستلزمة للبؤس بلا راحة و للمتاعب بلا مطالب يعنى لمحض المشقة كما أن يومه على كورها مشتمل على محض التعب و النصب و هو جيد .

تشطرا ضرعيها : استعارة تصريحية تخييلية مستلزمة لتشبيه الخلافة و هى معقولة بالناقة و هى محسوسة و وجه الشبه اشتراكهما فى الانتفاع الحاصل منهما و هو عقلى و يخيل أنها فرد من أفراد النوق ليصح اضافة الضرع اليها و هنا أيضا استعارة أخرى مستدعية لتشبيه هيئة تشطر الخلافة وجعلها اياها هنا صفة مع كونهما ليسا بمستحقين لها بهيئة تشطر الحالبين اللذين لا استحقاق لهما أخلاف الناقة ، و وجه الشبه عدم استحقاق المشطرين و الشدة على من يعتقد أنه احق و اليه اشارة بقوله اشدّا و هى لطيفة .

فى حوزة خشناء : استعارة مكنى بها عن خشونة طباع الباني المستلزمة للأذى مستدعية لتشبيه الطباع و هو معقول بالجانب الخشن و هو محسوس و وجه الشبه أن الطبع يتنفر من مصاحبته و تأذى بكلامه كما يتأذى الرجل بجوار الخشن و هو عقلى و فى تغلظ كلمها استعارة تخييلية مكنى بها عن غلظ المواجهة بالكلام وايذاء الناس مستدعية لتشبيه الكلام

الوحش المؤذى بالجرح و وجه الشبه اشتراكهما فى الأذى الحاصل منهما و من ثم قيل :

جراحات السنان لها التيام ٭ ولا يلتام ما جرح اللسان

فى يخشن مسها : استعارة أيضا مكنى بها عن سوء خلقه و خشونة طبعه مستدعية لتشبية هيئة المصاحبة معه و المخالطة بهيئة مس الجسم الخشن و وجه الشبه اشتراكهما فى الأذى اللازم منهما و هذا تشبيه المركب و قوله يكثر العثار و الاعتذار : كناية عن كثير خطائه فى الأحكام فان الاعتذار من لوازم العود إلى الصواب بعد الخطاء قوله : فصاحبها كراكب الصعبة إلى تقحم فيه ثلاث احتمالات .

الأول و هو أوفق لكلامه عليه السلام و اليق به و تقريره أن يقال أن الضمير فى صاحبها عائد إلى الحوزة المنعوتة و معناه أن المصاحب لتلك الطبيعة الخشنة فى حسن مداراتها ورعايتها عن أن لاينحرف عن الجادة المسلوكة مثل الراكب على الناقة الصعبة و وجه الشبه أن المصاحب لها مع صعوبة مدارتها متردد بين أمرين .

اما أن يكثر الانكار عليها بحسب كل فعل قبيح يصدر عنها و يدعوها إلى الطريق الحسن فتقضى ذلك إلى كلفة المشقة و فساد الحال بينهما أو يسكت على كل ما شاهد منها من الأفعال القبيحة و الأقوال السمجة فيؤدى ذلك السكوت إلى الاخلال بالواجب المستلزم للاقتحام فى الهلاك الأبدى كما ان راكب الناقة الشديدة مع افتقاره إلى المشقة العظيمة فى مداراة أحوالها متردد بين احد خطرين اما أن تتابع بين جذبات الزمام فى أنفها .

فيقضى إلى قطع أنفهـا أو يرخى زمامها و طيمتها فتقحم صاحبها الراكب إلى موارد الهلاك و هو عقلى مركب و بالحقيقة هذا تشبيه المركب بالمركب قـد ذكر اركان التشبيه من المشبه و هو فصاحبها و المشبه به و هو راكب الصعبة و حرف التشبيه و هو الكاف و وجه الشبه و هو المشار اليه بقوله : أن اشتق لهـا خرم و ان أسلس لها تقحم .

الثانى : أو هو الاظهر و تقريره أن يقـال أن الضمير عائد إلى الخلافة أراد صاحبها المتولى لأمر الخلافة الراعى لقواعد العدل فيها يعنى أن من توليهـا و أراد أن يؤسس قانون العدل و يجريه بين الخلق كان كراكب الصعبة و وجه الشبه إن المتولى إن أفرط فى حمل الخلق على رعاته مراتب الحق و ملازمتهم حاق الوسط و سلوكهم الصراط المستقيم و بالغ فى الاستقصاء عليهم فى طلبه نفر اكثر الخلق منه و تفرقوا عنه و فسد الأمر عليهم لميل أكثرهم إلى حب الباطل و غفلتهم عن فضيلة الحق .

فيكون كمن بالغ فى جذب زمام الناقة التى هو راكبها حتى خرم أنفها و أن فرط فى حفظ شرائطها و أهمل امرها ألقاه التفريط فى موارد الهلكة كراكب الصعبة اذا أرخى قيادها و خلاها و طيمتها ألقته الى مهاوى الهلاك و هو أيضا تشبيه فى غاية اللطافة .

الثالث : هو الحق و تقريره أن يقال الضمير أيضا عائد اليها و أراد بصاحبها نفسه عليه السلام يعنى حالى بالنسبة إلى الخلافة كحال من ركب الصعبة و وجه الشبه انه إن سكت عنها و قعد عن طلب هـذا الأمر و القيام بها لافضى إلى ايراد نفسه بالعنف موارد الذل و الصغار كايراد

الراكب نفسه فى موارد الهلاك إن أسلس لها قيادها و أن قام يطلبها و شدد عليهم فيه انشقت عصا المسلمين و تشعبت آراؤهم فيكون لمن شدد فى جذب الزمام حتى خرم انفها .

فى خبط : أيضا استعارة مكنى بها عن عدم جريان أفعاله و حركاته على الطريق الواجب أن يكون هى عليه مستلزمة لتشبيه أفعاله و حركاته بحركات البعير و افعاله اذا سلك غير الجادة و وجه الشبه اشتراكهما فى عدم الانتظام و فى شماس : أيضا استعارة مكنى بها عن سوء خلقه و عدم موافقته لأمره مستدعية لتشبيهه بالفرس الشموس و وجه الشبه عدم استقامتهما على الجادة المسلوكة انقيادهما لقائدهما .

فى اعتراض أيضا استعارة مكنى بها عن عدم ثباته على اوامر الرسول عليه السلام الذى هو قائد الخلق إلى سلوك الصراط المستقيم مستدعية لتشبيهه بالفرس الذى لا يستقيم لقائده و وجه الشبه اشتراكهما فى عدم الأنقياد للقائد و فى أسففت اذ أسفوا و طرت اذا طاروا : استعارة تخييلية مكنى بها عن موافقته اياهم فيما اقتضت آراؤهم مستدعية لتشبيه حاله و حالهم بحال الطائر الطابع لطائفة من الطير فى النزول إلى المكان الدنى و الصعود بالطيران .

وجه الشبه انه قد ترك اختياره و نزل على وفق نزولهم و صعد على وفق صعودهم كما أن الطائر التابع تبعها فى الاسفاف و الطيران و هو عقلى و التخيل انه بمنزلة طائر ضعيف تابع لطيور قوية و فرد من افراده .

قام ثالث القوم : كناية عن حركته فى الخلافة وتابسه بها .

و فى نافجا حضنيه · راعى استعارة تخييلية مكنيا عن التهيؤ فى تفرق مال المسلمين و التنعم فيه مستدعية لتشبيهه بالبعير الذى أكل كثيرا ، و وجه الشبه اشتراكهما فى انتفاخ جنبيه بكثرة لأكل و الشرب و هو عقلى ، و انما قلنا لذلك لأن نفج الحضنين حقيقة فى البعير اذا توسع فى الأكل و قيل هو كناية عن التكبر و قد عرفته فى اللغة .

فى قوله بين نثيله و معتلفه : راعى استعارة تخييلية مكنا بها أن قيامه بها للتوسع فى المطعم و المشرب و التنعم دون ملاحظة أمور المسلمين مستدعية لتشبيهه بالبهائم وهما محسوسان ، و وجه الشبه أن اكبر همه فى القيام الترفه و الأكل و الشرب كما أن البهائم لا هم لها اكبر من أن يتعيش بين أكل و روث و هو عقلى : و تخييل أنه فرد من افراد البهائم بحيث لاحظ له بالكلية من الانسانية فضلا عن فضائلها ليصح نسبه النثيل و المعتلف اللذين من اوصاف البهائم خاصة اليه .

فى يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع : راعى تشبيه هيئة أكلهم اموال المسلمين و التوسع فيها بهيئة أكل الابل نبتة الربيع و وجه الشبه أنهم يستلذون أكلها و يستكثرون منها بعد بؤسهم و فقرهم و احتياجهم إلى ما يسد رمقهم و يطيب فى انفسهم نضارتها و طراوتها بحيث يشغلهم عن أمور الآخرة و رعاية ما هو الواجب فى الدين لئلا يقع فى الهلاك الأبدى كما أن الابل يستلذ نبت الربيع و يستكثر أكله بشهوة صادقة عقيب يبس الأرض طول مدة الشتاء و شدة افتقارها إلى ما يسد رمقها

و كثرة

وكثرة جوعها و تملاء منها أحناكها ، و أعجبتها نضارته بحيث أشغلتها عن رعاية ما يصلح مزاجها و يحفظ نفسها حتى اكثرت الأكل منه و هلكت بها و هو عقلي .

هذا تشبيه المركب بالمركب قد ذكر المشبه والمشبه به و أعرض عن حرف التشبيه للمبالغة فيه و وجه الشبه لئلا يفضى إلى الاطناب .

و فى قوله إلى أن انتكث عليه فتله : استعارة تخييلية مرشحة مكنى بها عن رجوع ما استند به من التدابير اليه بالفساد و الهلاك مستلزمة لتشبيه هيئة ما يجمع عليه من الرأى و التدبير و ما استند به دون الرجوع إلى الصحابة بهيئة برم الحبل و وجه الشبه اشتراكهما فى الاجتماع و تخييل أنها فرد من أفراد هيئة الفتل الذى هو حقيقة فى برم الحبل و إلا لم يصح قيام الفتيل مقامها و يذكر الانتكاث الذى هو من اوصاف المشبه به عليه رشح الاستعارة .

قوله أجهز عليه عمله : مشتمل على استعارة مرشحة فى الافراد و مجاز فى التركب اما الأولى فهى مستدعية قتله بالقتل المسبوق بجرح واثخان ونحوه الذى هو مفهوم الاجهاز و وجه الشبه أنه قبل قتله قد اسرع اليه أسنة الألسنة و طعن بحداد سيوفها كمن قتل بعد أن طعن بالرماح و جرح بالسيوف و هو عقلي و باطلاق الاجهاز عليه رشحها أما المجاز فى التركيب فلأن إسناد الاجهاز إلى عمله ليس حقيقة لأنه قد صدر عن القاتلين و لكن لما كان عمله هو السبب الحامل صح الاسناد اليه إقامة للسبب الحامل مقام السبب الفاعلى و قد عرفت أنه من أحسن وجوه المجاز .

قوله وكبت به بطنته : مشتمل على استعارة تخييلية مكنى بها عن أن ارتكابه للامور المذمومة من النعم و الترفه فى المطعم و المشرب و التوسع ببيت مال المسلمين صار سببا لقتله مستدعية لتشبيه بطنه التى هى كناية عن كثرة لأكل من مال المسلمين بالفرس المركوب و وجه الشبه أنه مدة خلافته متمكن عليها مستمرة و هى تنقله من تدبير إلى تدبير و أمر إلى أمر يعنى كان مطيعا لها منقاد .

كا أن الراكب متمكن على المركوب و هو تنقله من مكان إلى مكان بحيث سلم حركته بالكلية اليه و فوض سيره اليه و هوعقلى و تخييل أنها فرد من افراد المركوب و إلا لما صح اسناد الكبو الذى هو حقيقة فى الحيوان اليها و ذلك مثل نطقت الحال بكذا و هو تركيب فى غاية البلاغة و نهاية الفصاحة لايلتقط لفحواه الاالمتدرب بعلم البيان .

اللهم زدنا اطلاعا على حقائق كلامه عليه السلام، قد شبه عليه السلام هيئة اقبالهم عليه من كل جانب فى ازدحامهم بهيئة ازدحام عرف الضبع .

قوله و الناس إلىّ كعرف : الضبع : و وجه الشبه انهم حال اقبالهم عليه عليه السلام متتابعون يتلو بعضه بعضا من قيام مزدحمون كما أن الضبع عرفه ذو شعر كثير قائم مزدحم و هذا تشبيه المركب و وجه الشبه ايضا مركب من عدة أمور .

فى قوله مجتمعين حولى كربيضة الغنم قد شبه اجتماعهم حوله عليه السلام باجتماع الغنم فى مربضها ، و وجه الشبه انهم غير متفطنين بما هو الأصلح لهم

غافلون عما هو اللائق بهم غير مراعين قواعد الأدب و الاحترام فى هيئة اجتماعهم عليه كما أن الغنم لا يتفطن بما هو صالح لها و لا يراعى الأدب و العرب تصف الغنم بالغباوة و قلة الفطانة و هذا أيضا مثل الاول بعينه .

فى قوله كأنهم لم يسمعوا الله إلى المتقين شبههم لمن لم يسمع هذه الآية و وجه الشبه عدم عملهم بمقتضاه و الأعراض عنه فى قوله لألقيت حبلها على غاربها استعارة تخييلية مكنى بها عن الأعراض مرشحة مستدعية و هى معقولة لتشبيه الخلافة بالناقة و هى محسوسة و وجه الشبه اشتراكهما فى الانتفاع الحاصل منهما و تخييل أنها فرد من أفراد النوق و إلا لما صح اضافة الغارب إليها و بالقاء الحبل على الغارب رشح الاستعارة .

قوله كظة ظالم: كناية عن قوة ظلمه و شغب المظلوم كناية عن قوة الظلامة فى قوله و لسقيت آخرها بكأس أولها: استعارة تخييلية مرشحة مكنى بها عن الأعراض عنها آخرا كالاعراض عنها أولا مستدعية لتشبيه إعراضه بالسقى بالكاس و وجه الشبه أن إعراضه عليه السلام عنها مستلزم لوقوع الناس فى الحيرة و الضلالة بحيث لا سبيل لهم إلى الخلاص كما أن السقى بالكاس مستلزم للشكر الذى يوجب الحيرة والضلالة فى الطريق .

(البديع)

فى ينحدر عنى السيل و لا يرقى إلى الطير: المقابلة حيث قابل الانحدار بالرقى و المتوازن حيث قابل السيل بالطير كما بين ثوبا و كشحا و بين الكثير و الصغير المتوازى و الترصيع و المقابلة و بين شجى و قذى المتوازى و فى تمثل ارسال المثل و بين المدة و المحنة المتوازى و بين الضغن و الصهر

المتوازن و الباقى معلوم من القواعد السالفة .

(الفحوى)

اعلم أن الخوض فى لب هذه الخطبة و كشف الغطاء عن نفائسها مسبوق بتقديم مقدمة و هى أن المسلمين قاطبة اختلفوا فيما صدر عنه عليه السلام فى معنى التظلم من أمر الامامة و شكايته عليه السلام عمن تولاها دونه مثل هذه الخطبة و غيرها من كلامه عليه السلام المصبوب فى هذا القالب على مذهبين احدهما ادعاء التواتر فيه و هو مذهب الشيعة المدعين أن جميع ما اشتمل من كلامه على التظلم منقول عنه عليه السلام بالتواتر .

الثانى : انكار صدوره عنه عليه السلام و هو مذهب أهل السنة المدعين أن عليا عليه السلام ما شكى منهم اصلا بل وافقهم موافقة عن صميم الاعتقاد واكثرهم ينكرون هذه الخطبة اصلا و يقولون أنه من كلام السيد الرضى رضى الله عنه و الانصاف أن تقول المنكرون إن أرادوا بالانكار تسكين عقائد العوام و تخميد نار الفتنة بينهم و انفاء التعصبات المذهبة لبهاء الايمان المسودة لصفائح القلوب المكدرة إياها ليستقيم أمر الدين ولا ينشق عصا المسلمين ،لايفسدوا عقائدهم بالاولين الذين بذلوا بجهودهم أولا فى أمر الدين و أفنوا طاقتهم فى تقويم عمود اليقين فيقفوا أثرهم فى متابعة الرسول على بذل الأموال و الأولاد فهو مقصد لطيف .

و عندى لا يجوز أصلا الطعن فى آحاد الصحابة الذين حصل لهم كرامة بمجرد الصحبة فضلا عن أساطينهم و أشرافهم فانه يفضى إلى

هدم

هدم قواعد الدين و ذلك لأن المعتقد بحالهم اذا سمع الطعن فی حقهم اجترأ فی الطعن فی آل محمد علیهم السلام و الا نکار علیهم فیقع الهرج و المرج فی الدین و نشر الفتن فی الناس و یعرض اکثرهم عن القیام بأوامر الله و القبلة الحقیقیة التی أمروا بالتوجه الیها و من ثم أوجب الأئمة المعصومون علیهم السلام التقیة و السکوت عما انطوی علیه العقیدة .

و إن أرادوا به النفی بالکلیة و عدم الخلاف بینهم أصلا فهذا مذهب ظاهر البطلان لا یعتقده إلا الجاهل بالتواریخ و الکتب المؤلفة فی الأخبار و الآثار عن الصحابة فان أمر السقیفة و ما جری من الصحابة و تخلف علی علیه السلام عن البیعة بین لا یرفع و مکشوف لا یتقنع منهم من ذهب إلی أنه لم یبایع أصلا و منهم من ذهب إلی أنه بایع بعد ستة اشهر کرها مدة حیوة فاطمة علیها السلام علی ما أورده الجعفی البخاری فی صحیحه .

منهم من قال أنه بایع بعد أن قعد فی بیته مدة و بالجملة المناقشة بینه و بین من تولی أمر الخلافة ثابتة بالتواتر المعنوی فحینئذ لا یبقی لانکار هذه الخطبة و نسبتها إلی الرضی معنی علی انها قد اشتهرت بین العلماء قبل الرضی بزمان کثیر .

روی عن مصدق بن شبیب النحوی [1] قال لما قرأت هذه الخطبة

---

(١) مصدق بن شبیب بن الحسین الواسطی ذکره فی انباه الرواة (٣ : ٢٧٤) و قال انه قدم بغداد و قرأ بها علی ابن الخشاب و حبشی بن محمد الضریر و عبد الرحمان بن الانباری و غیرهم توفی ببغداد سنة ٦٠٥ .

على شيخي أبي محمد الخشاب و وصلت إلى قول ابن عباس ما : أسفت على شيء قط كأسفي على هذا الكلام قال لوكنت حاضرا لقلت لابن عباس و هل ترك ابن عمك في نفسه شيئا لم يقله في هذه الخطبة فانه ما ترك لا للأولين ولا للآخرين .

قال مصدق : وكانت فيه دعابة فقلت له يا سيدي فلعلها منحولة إليه قال لا و الله اني أعرف انها من كلامه كما أعرف أنك مصدق ، قال : فقلت له : ان الناس ينسبونها الى الشريف الرضي فقال لا و الله و من أين للرضي هذا الكلام و هذه الاسلوب فقد رأينا كلامه في نظمه و نثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه على أني قد رأيت هذه الخطبة بخطوط العلماء الموثوق بنقلهم من قبل أن يخلق ابوالرضي فضلا منه .

قال ابن الميثم البحراني رحمة الله عليه و قد وجدتها في موضعين هما قبل وجود الرضي ، احدهما كتاب الانصاف لأبي جعفر بن قبة تلميذ أبي القاسم الكعبي احد شيخ المعتزلة و كانت وفاته قبل مولد الرضي . و الثاني أني وجدتها بنسخة عليها خط الوزير ابي الحسن علي بن محمد الفرات وكان وزير المقتدر بالله و ذلك قبل مولد الرضي بنيف و ستين سنة . و الغالب أن هذه النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة .

اذا عرفت ذلك فلنرجع الى فحوى الالفاظ المشكلة فيها . قوله لقد تقمصها فلان و انه - الى الرحى - يعني قد تلبس ابو بكر على ما هو مصرح في بعض النسخ . و قال الشارحون أراد به الخلافة و أخذها سريعا حال كونه عالما ان نظام الخلافة تدبيري و رأيي ، و انتظامها انما يتحقق بي

الرحى بالقطب .

قوله ينحدر عنى السيل ولا يرقى الى الطير : اشارة الى بيان الموجب لكونه مدارها و تقريره أن المتصدى لمنصب الخلافة مفتقر الى أمرين لابد منهما احديهما وجودى و هو العلم بكفية السياسات و التدابير و رعاية النواميس الالهية المستفادة من التاييد الالهى و الالطاف السماوية و الآثار العلوية .

فأشار بقوله ينحدر عنى السيل : الى ان العلوم الجة التى بها صلاح العالم و البلاد و نظام احوال العباد فى المعاش و المعاد من سماء الجود الالهى الذى لايخلّ فيه ينزل علىّ دائما ثم ينحدر عنى الى المتعطشين اليها المحتاجين اليها فى التمسك بما يهديهم الى الصراط المستقيم بحسب استعداداتهم المختلفة على ما ينبئ عنه قوله تعالى : فسالت أودية بقدرها ، و بقوله ينحدر اشارة الى ان الافاضة منه لازمة لا يخل فيها كما هى من الفياض على الاطلاق ، و ذلك لأن الانحدار لا يكون إلا من الموضع الصاعد المنحدر منه بالطبع طالب للسفل .

قوله السيل : اشار الى الكثرة و الى أن من أعد نفسه لقبول علومه و تشبث به أفاض عليه من حيث لا يحتسب علوماً جمة و الآخر عدمى و هو أن لا يصدر منه ذنب اصلا بان لا يلتفت الى شىء سواه ولا يقصد الى ذنب اصلا صغيرا كان اوكبيرا لئلا يحتاج الى زاجر آخر يزجره عن المعصية و يفضى الى التسلسل و هو المعبر عنه بالعصمة و اليه أشار بقوله : و الا يرقى الىّ الطير : أى لا يتوجه الىّ ذنب من الدنيا ولا يصعد

شيء الي من ظلمة التعلق بالامور الفانية .

هو معنى فى غاية اللطافة و نهاية النفاسة و من فسره بالكناية عن العلو و الارتفاع و غايته فقد بقى فى مطمورة القشر وما تنقط[1] للقطع الذى أقدم عليه السلام عليه و الدال على الاستيناف فافهم هذا فانه نفيس شريف جدا لا غبار عليه ولا مزيد ، قوله فسدلت دونها إلى كشحا يعنى أرخيت بينى و بينها حجاب الاعراض لئلا يطلع على سرها من تشبث بظاهر الدين ولا يفسد الاعتقاد باعاظم الصحابة فيخل قواعد الدين وعدلت عن جهتها و قطعت النظر عنها فان من عدل عن جهته ، فقد طوى كشحه عنها .

قوله طفقت الى طخية عمياء : يعنى اخذت أرى لنفسى ما هو أصلح لها و أوفق و أردد و الفكر بين احد أمرين اما أن أصول على من تلبس بها دونى او أعرض عنها و فى كل واحد منهما فساد و خطر أما الاول فلان القيام بالطلب من غير وجود ناصر مشوش لأحوال المسلمين من غير جدوى و مجلب للتعب الى نفسه ربما يفضى الى إلقائها الى التهلكة و هو منهى عنه بقوله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة[2] » .

أما الثانى فلان الصبر عليها و الاعراض عنها مستلزمان لمشاهدة التباس امور المسلمين و اختلاطها و امتزاج الحق بالباطل بحيث يفضى الى رفع التميز بينهما عند الاكثرين و تلك صعبة على الآخذ بالحق الملازم على طريقة ثم ذكر لتلك المشاهدة و الفتنة أوصافاً ثلاثة .

الأول يهرم فيها الكبير .

---

(١) كذا (٢) البقرة : ١٩٥ .

الثانى يشيب فيها الصغير : و هما كنايتان عن طول مدة الفتنة و استمرارها بين الناس ، الثالث ان المؤمن الثابت على الحق الذاب عنه يقاسى و يتعب فى خلاص نفسه عنها حتى يلقى ربه أى يأتيه الموت الذى هو الموصل للمؤمن إلى القاء الحق ، و من ثم قال عليه السلام : الموت تحفة المؤمن ، قيل يسعى و يدأب فى الوصول الى حقه فلا يصل اليه حتى يموت و هو ليس ببعيد عن الصواب و الأول أظهر .

قوله فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى : اشارة الى ترجيح القسم الثانى و هو الصبر فى فكره يعنى فرأيت أن الصبر على مشاهدة الطخية العمياء و اسود الامور أوفق للعقل أو اولى و أقوم و أليق بنظام الاسلام او أقرب الى الضنن بالدين بحسب اختلاف معنى أحجى على ما عرف فى اللغة و السبب المرجح هو أن مقصوده عليه السلام من القيام بها ليس هو طلب الملك و الترؤس كما هو دأب الجبابرة و السلاطين بل هو تشييد مبانى الدين و تمهيد قواعد اليقين و اجراء قوانين العدل بين الخلق الحافظة لسلسلة بقاء النوع الرادعة للهرج و المرج كما هو المقصود من بعثة الانبياء و الرسل وكان طالبه فى مبدء الأمر بلا ناصر يعضد بجلب الفساد و يهدم قواعد الأتفاق بين المسلمين الكاسر لرقاب المنافقين و ينثر الفتن المخربة لاساس الايمان .

أما الصبر : و إن كان فيه ترك ما هو الأولى و لكن الفساد اللازم منه أهون من الفساد اللازم من الأول و بعض الشرّ أهون من بعض و اختيار الشرّ القليل لدفع الشر الكثير خير كثير . قوله ، فصبرت الى شجى : قد عرفت أنه كناية عن الغبن فلا نعيده .

قوله أرى تراثي نهبا : و أراد بالتراث حقه من الأمامة و خلافة الرسول صلى الله عليه و آله الذي ورثه عنه بنصه عليه السلام و يصدق عليه التراث كما صدق في قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام : « يرثني و يرث من آل يعقوب [1] » فانه أراد يرث علمي و منصبي في النبوة و قيل ما خلفه رسول الله صلى الله عليه و آله لابنته كفدك [2] و العوالي [3] و انما أضاف الى نفسه لأن مال الزوجة في حكم مال الرجل .

أراد بقوله نهباً : منع الخلفاء الثلاثة لها تمسكا بالخبر الذي رواه ابو بكر و هو نحن معاشر الأنبياء لا نورث فما تركناه صدقة و الأول

(١) مريم : ٦

(٢) فدك بالتحريك قرية بالحجاز بينها و بين المدينة يومان و قيل ثلاثة افاءها الله على رسوله صلى الله عليه و آله في سنة سبع صلحا فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكانت خالصة لرسول الله و فيها عين فوارة و نخيل كثير . وهبها رسول الله في حياته لفاطمة .

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه و آله أخذها أبو بكر من عمال فاطمة سلام الله عليها و جاءت فاطمة الى أبي بكر و قالت ان رسول الله جعل لي فدك فاعطني اياها و شهد لها أيضا أم أيمن .

قال ابو بكر يا بنت رسول الله أنه لا يجوز إلا شهادة رجل و امرأتين ، روى عن ام هاني : ان فاطمة أتت أبا بكر فقالت له : من يرثك قال ولدي و أهلي فقالت : فما بالك ورثت رسول الله دوننا و الخبر طويل راجع كتب التاريخ و السير .

(٣) العوالي بالفتح و هو جمع العالي ضد السافل و هو ضيعة بينها و بين المدينة اميال و قيل ثلاثة و و ذلك ادناها و ابعدها ثمانية .

نسب بسياق الكلام و أراد بالأول فى قوله مضى الأول لسبيله أبا بكر و بفلان بعده عمر و بالادلاء نصه على أنه هو الخليفة بعده مع دقيقة و هى أن استخلافه اياه كانت مصانعة على البيعة له إياه من قبله و قد عرفت وجهها فى اللغة و التمثل وجهه قد عرفت فلا نعيده .

قوله فيا عجبا إلى وفاته : الاشارة إلى أبى بكر و استقالته بقوله اقيلونى لست بخيركم و على فيكم و وجه التعجب أن من طلب الاقالة من أمر ظاهر الحال يشهد على أنه زاهد عنه متبرم به ليس له رغبة اصلا اليه و توجهت ارادته الى الخلاص منه لكونه يرى من نفسه أنه لا يتأتى منه القيام بهذا الأمر كما هو شرطه .

فاذا عقد لغيره بعد وفاته و وصى به الى سواه كان ظاهر الحال يشهد على انه فى غاية التمسك به و التحمل لأوقاره و التلبس بأوراده حيا و ميتا ، فيكون راغبا عنه راغبا فيه و ذلك يدل على أن باطنه لا يوافق ظاهره و نيته يخالف علانيته و هذا الوصف ليس من شمائر الصادقين المتقين .

قوله يكثر العثار و الاعتذار كناية : عن كثرة خطأه فى الأحكام لغلبة القوة الغضبية و غلظ الطبيعة و سوء الخلق و الذى يدل على غلظ طبيعته ما أورده الغزالى [1] فى الأحياء و هوما روى أن عمر رضى الله عنه

(۱) ابو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى من الاعيان المشار اليهم و كتبه و آثاره معروفة ، درس فى بغداد و نيسابور و طاف فى البلدان فضائله مشهورة و علومه كثيرة توفى الغزالى سنة ٥٠٥ بالطابران احدى قصبتى طوس قال بعض المعاصرين ان هذه القبة بطابران قبر الغزالى هذا قول باطل غير مستند بدليل و الظاهر أنها خانقاه شيخ عثمان الهاروني احد مشايخ طوس .

استاذن على رسول الله صلى الله عليه و آله و عنده نساء من قريش يكلمنه و يستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر تبارزن الحجاب و دخل عمر و رسول الله صلى الله عليه و آله يضحك .

فقال عمر مم تضحك بأبي انت و امي يا رسول الله فقال عليه السلام عجبت لهؤلاء اللواتي كن عندي لما سمعن صوتك يبارزن الحجاب قال عمر فكنت احق ان نهيتك يا رسول الله ثم أقبل عمر عليهن و قال يا عدوات أنفسهن أتهيبنني و لا تهبين رسول الله فقلن نعم أنت أفظ من رسول الله صلى الله عليه و آله و أغلظ و قد مضى ما يتعلق بمعنى قوله فصاحبها الى اعتراض .

قوله فصبرت الى المحنة : اشارة الى الصبر فى الزمن الثانى على أمرين كل منهما مستلزم للأذى احدهما طول المدة التى تولاها فيها ، الثانى شدة المحنة بسبب مشاهدة حقه فى يد غيره و عدم انتظام امور الخلق و انخراط أحوالهم فى سلك للشريعة التى جاءت به رسول الله عليه السلام .

قوله حتى إذا مضى الى أحدهم : اشارة إلى انتهاء غاية أمره و اراد بالجماعة أهل الشورى و خلاصة حديث الشورى أن عمر لما طعن دخل عليه وجوه الصحابة و قالوا له ينبغى أن تعهد عهدا أيها الرجل و تستخلف رجلا ترضاه فقال لا احب أن أتحملها حيا و ميتا فقالوا افلا تشير علينا فقال أما إن اشير فان أجبتم قلت ، فقالوا نعم .

فقال : الصالحون لهذا الأمر سبعة نفر سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول أنهم من أهل الجنة احدهم سعد بن زيد و أنا مخرجه منهم

لانه

لانه من أهل بيتى و سعد بن أبى وقاص و عبد الرحمن بن عوف و طلحة و الزبير ، و عثمان ، و على عليه السلام فاما سعد فلا يمنعنى منه إلا فظاظته و أما من عبد الرحمن فلأنه قارون هذه الأمة واما من طلحة فتكبره و نخوته و أما الزبير فشحه و لقد رأيته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير ولا يصلح لهذا الأمر إلا رجل واسع الصدر وأما من عثمان لحبه لقومه و عصبيته لهم وأما من علىّ لحرصه على هذا الأمر و دعابة فيه .

ثم قال يصلى صهيب بالناس ثلاثة أيام يخلو الستة فى بيت ثلاثة أيام ليتفقوا على رجل منهم فان استقام أمر خمسة و أبى رجل فاقتلوه و إن استقر أمر ثلاثة و أبى ثلاثة فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف و يروى فاقتلوا الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف و يروى فتحاكموا إلى عبد الله بن عمر فأى الفريقين قضى له فاقتلوا الفريق الآخر فلما خرجوا عنه و اجتمعوا لهذا الأمر قال عبد الرحمن إن لى ولابن عمى سعد من هذا الأمر الثلاث فنحن نخرج أنفسنا منه على أن نختار رجلا و هو خيركم للامة .

فقال القوم رضينا غير علىّ فانه اتهمه فى ذلك و قال أرى و أنظر فلما أيس من رضا علىّ رجع إلى سعد فقال هلم نعين رجلا و نبايعه فالناس يبايعون من بايعته فقال سعد إن بايعك عثمان فانا لكم ثالث و إن أردت أن تولى عثمان فعلىّ احب الى فلما ليس من مطاوعة سعد كف عنهم و جاءهم طلحة فى خمسين رجلا من الأنصار يحثهم على التعين .

فاقبل عبد الرحمن على على عليه السلام و اخذ بيده و قال ابايعك

على أن تعمل بكتاب الله و سنة رسوله و سيرة الخليفتين أبي بكر و عمر فقال عليّ تبايعني على أن اعمل بكتاب الله و سنة رسوله و اجتهد رأيي فترك يده و اقبل على عثمان و أخذ بيده و قال له مثل مقالة لعلي فقال نعم فكرر القول على كل منهما ثلاثا فأجاب كل بما أجابه أولا . فبعدها قال عبد الرحمن هي لك يا عثمان و بايعه ثم بايعه الناس .

قد روى أن عليا عليه السلام شكا الى عمه العباس ما سمع من قول عمر: كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف و قال لقد ذهب الأمر منا : فقال العباس و كيف قلت ذلك يا ابن اخي؟ قال إن سعدا لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن و عبد الرحمن نظير عثمان و صهره فأحدهما مختار صاحبه لا محالة و إن كان الزبير و طلحة معي فلن انتفع بذلك اذا كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين .

قد روى أن عليا عليه السلام قال لعمه العباس رضي الله عنه اني أدخل معهم في الشورى لان عمر استأهلني الان للامامة و كان من قبل يقول إن رسول الله قال إن النبوة و الامامة لا تجتمعان في بيت و إني لادخل في ذلك اذا ترك هو بنفسه ما روى اولا ، و في بعض النسخ زعم اني سادسهم .

قوله: فيالله الى النظائر : اشارة الى الاستعانة بالله الشورى و الاستفهام عن زمان عروض الشك في اذهان في الخلق أنه عليه السلام هل يساوى الأول منهم أم لا حيث يدخله في الأولين على سبيل الانكار و التعجب حتى جعله واحدا من هؤلاء النظائر المذكورين و مشاركا لهم في

المنزلة و الاستحقاق و ليس هذا إلا مما يقضى منه العجب و مكنت منه الانكار قوله لكنى الى طاروا يعنى نزلت على وفق نزولهم و صعدت على وفق صعودهم و تركت ما هو مقتضى العقل و النقل رعاية لنظام الخلق يعنى ما كنت مثلا لهم فى الاستحقاق حتى رضيت بمشاركتهم عن طواعية و نية صادقة و لكنى راعيت المصلحة بين الخلق للدين و وافقتهم و رضيت بها عن كراهية .

قوله : فصغى رجل منهم لضغنه : أى قال رجل من هذه النظائر و هو سعد بن أبى وقاص لحقد كان له معه عليه السلام و لذا تخلف عن بيعته عليه السلام بعد قتل عثمان رضى الله عنه قوله : و مال الآخر لصهره هو اشارة الى عبد الرحمن بن عوف فانه مال الى عثمان لمصاهرة كانت بينهما

قال ابن الكلبى :[1] عبد الرحمن زوج ام كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط و أمها أروى بنت كريز و أروى أم عثمان فيكون ام كلثوم اختا عثمان من أمه قوله : مع هن و هن اشارة الى ان ميل عبد الرحمن ليس بمجرد المصاهرة بل لامور آخر يجب أن لا يذكر لئلا يفسد اعتقاد العوام فى حق

(۱) ابو المنذر هشام بن ابى النضر الكلبى الكوفى كان من أعلم الناس بعلم الانساب و قد أخذ بعض الأنساب عن أبيه ابى النضر الذى كان من اصحاب الباقر و الصادق عليهما السلام و نشأ ابو المنذر هشام الكلبى بالكوفة و كان عالما بأخبار العرب و ايامها و مثالها و وقائعها قال ابن الكلبى اعتللت علة عظيمة نسيت علمى فجئت الى جعفر بن محمد فسقانى العلم فى كأس فعاد الى علمى و كان أبو عبد الله عليه السلام يقربه و يدنيه و ينشطه توفى سنة ٢٠٦ .

أعاظم الصحابة و يحتمل أن يكون النفاسة عليه و الحسد بوصول هذا الأمر و غيرهما من الامور التى لها مدخل فى ميله اليه .

أراد ثالث القوم عثمان و بنى أبيه بنى امية بن عبد شمس و يحتمل أن يكون المراد اقرباءه مطلقاً و انما خص بنو أبيه تغليبا للذكورة و قوله الى أن قام الى بطنته معلوم مما تلونا عليك فى البيان فلا يحتاج الى الاعادة ، قوله : حتى لقد وطئ الحسنان و شق عطفاى : اشارة الى المبايعة فى ازدحامهم يعنى اقبلوا علىّ مزدحمين يتلو بعضهم بعضا حتى لقد قهر الحسن و الحسين عليهما السلام أشد القهر و شق قميصه بالجلوس على جانبيه و حصل الاذى للصدر و المنكبين .

فيكون شق عطفاى كناية عن حصول الاذى للمنكبين بواسطة جذب اليد للبيعة و يحتمل أن يكون العطفان أراد بهما جانبى القميص على سبيل المجاز اطلاقا لاسم المحل و ارادة الحال بواسطة المجاورة فيكون معناه شق جانبا قميصى بكثرة شدة الجذب ، و اما على الرواية الاخرى فمعناه شق رداؤه بالجذب عند خطابه و الجلوس على جانبيه و هذا يدل على شدة اهتمامهم بالبيعة و كونهم قبلا قد بايعوا مع غير مرضى لهم مقبول عندهم و على خلافة طباعهم و سوء أدبهم فى رعاية التوقير و التعظيم لرئيسهم كما هو عادة العرب .

قد حكى السيد المرتضى رضى الله عنه أن ابا عمرو و محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب روى فى قوله عليه السلام و طئ الحسنان انهما

الا بها مات وروى أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما كان يومئذ جالسا محتبيا ، و هى جلسة رسول الله صلى الله عليه و آله المسماة بالقرفصاء و هى جمع الركبتين الذيل فلما اجتمعوا ليبايعوه زاحموه حتى وطئوا ابهاميه و شقوا .

فى أنهم على اختلاف طبقاتهم و تباين مراتبهم فى فنون العلوم الاصولية و الفروعية منسوبون اليه عليه السلام و ذلك مما قد بين فى المواضع المتفرقة فاذا كان هو عليه السلام مصدر الكمالات و معدن السياسات كان متعينا لأن يكون خليفة من الله تعالى فلو تلبس بها غيره ممن لم يكن له خلاق مما فاز به كان كمن لبس ثوبا مستعارا .

قوله لا يرقى الى الطير : اشارة الى انه عليه السلام قد وصل من مراتب الكمال و منازل العظمة و الجلال الى مقام يكون ارفع من كل جبل مرتفع تفرضه من بين الجبال الشامخة اعلاها اذ كل جبل تتصوره عاليا يكون للطير مجال الرقى بالطيران إليه و أما قد وصلت فى علو الرتبة و سمو المنزلة الى حيث لو فرضناه مرتفعا جسمانية لا يمكن للطيور الرقى اليه بالطيران فيكون هذا قوله كناية عن وصوله الى اعلى المراتب و أجل المناصب هذا القدر هو الذى فهمته من فوائد كلامه[1] لازال جنابه المعلى ملجاء للاقبال و محطا للرجال و قد اتى الى أدام الله ظلال جلاله مجيبا اياى ليلة الأحد الحادى و العشرين من جمادى الاخر من شهور سنه اثنى عشرة و سبعمائه فى حدود ميدان .

---

(١) كذا فى الاصل و الضمير راجع الى رشيد الدين فضل الله الهمدانى الوزير المعروف فى القرن الثامن .

(اللطائف الرشيدية)

قد سألت تلك الحضرة العلية لا زالت مظهرا للأنوار الربانية مفيضاً للفيوض الالهية فى يوم الأحد الثالث عشر من جمادى الأخرة من شهور سنة اثنى عشرة و سبعمائة بحدود دينور عن تحقيق قوله عليه السلام :

صاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم و ان اسلس لها تقحم .

فاجاب عنها أدام الله ظله الوارف [1] ارتجالا من غير اتعاب فكر ولا

(۱) الظاهر هو رشيد الدين أو رشيد الدولة فضل الله بن ابى الخير الهمدانى وزير السلطان محمد خدا بنده سلطان ايران المغولى ، و قد جاء فى هذا الكتاب ذكره فى موارد كثيرة يسئل عنه الشارح مشكلات نهج البلاغة ، و يظهر أن الشارح كان مصاحبا له فى الحضر و السفر و كان من خواصه و ندمائه قال ابن حجر فى الدرر الكامنة ج ۳ ص ۲۳۲ : فضل الله بن ابى الخير بن غالى الهمدانى الوزير رشيد الدولة ابو الفضل كان ابوه عطارا يهوديا فأسلم هو و اتصل بغازان نخدمه و تقدم عنده بالطب الى ان استوزره و كان يناصح المسلمين و يذب عنهم و يسعى فى حقن دمائهم . له فى تبريز آثار عظيمة من البر و كان شديدا على من يعاديه او ينتقصه يثابر على هلاكه و كان متواضعا سخيا كثير البذل للعلماء و الصلحاء وله تفسير على القرآن فسره على طريقة الفلاسفة فنسب الى الالحاد و قد احترقت بعد قتله ، قال الذهبى كان له رأى و دهاء و مروءة قتل سنة ۷۱۸ بأمر جوبان .

اكدار نظر راكبا ان مراده عليه السلام ان صاحب الخلافة أى المتصدى لذلك المنصب العلىّ المشتغل هذا المهم الدينى المستولى عليها استيلاء الراكب على المركوب مثل راكب الناقة الصعبة التى لم تكن سلسلة منقادة له وكان فى يده زمامها لئلا يطرحه فى المهاوى و يستقيم حالها فى سلوك الجادة المسلوكة الى المقصد المطلوب ولا يحيد عنها قطع أنفها من حيث انها لكونها غير منقادة لا يوافى صاحبها فى الانجذاب و الانقياد و ان شنقها ملقى حبل الزمام على غاربها مخلى زمامها تقحم اى ادخل صاحبها بلا اختياره فى المهالك الواقعة على اطراف المسالك فكذا حال المتلبس بالخلافة ان شدد الأمر على الرعايا و ضيق الأحوال على البرايا خرجوا متفقين عن طاعته و اطبقوا على خلعها عنه بناء على وجدانهم مرارة الحق و حلاوة الباطل فيقع امره فى الهرج و المرج و يبقى معطلا عن الخلافة التى استولى عليهاتعطيل الراكب عن الناقة الصعبة اذا خرم انفها و ان اهمل قواعد الدين و نبذ وراء الظهر معا قد اليقين مقتفيا آثار مآربهم متبعا مراسم مطالبهم يقع تلك الخلافة و بالا عليه بل يصير سببا لاستحقاقه العذاب الاليم و النكال العظيم فى العقبى حيث حاد عن امتثال أمره تعالى .

حيث قال لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ، فعلى كلى التقديرين لا محيص له عن الوقوع فى المحذور أما عاجلا اوآجلا و افاد انه عليه السلام انما شبه الخلافة بالناقة الصعبة لان الناقة و ان كانت موصلة الى المقصد البعيد و لكنها اذا كانت

صعبة سقط الوثوق عنها و التعويل عليها لعـــدم ثباتها و استقرارها و انسها بصاحبها و الفها يقطع المراحل و طى المنازل فكذا الخلافة و السلطنة بل أمور الدنيا كلها لكونها فى معرض التغيير و الزوال و صدد التبديل و الانتقال لا ثبات ولا قرار ولا استيناس ولا ائتلاف فهذا معنى لطيف شريف نفيس جدا .

* * * * *

٤ — ومن خطبة له عليه السلام

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاءَ، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ. وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ، وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ. رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ؛ مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ، الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ. غَرَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ، لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ: أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ وَدُوَلِ الضَّلَالِ. الْيَوْمَ تَوَافَقْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

(اللغــــة)

تسنمتم : أي علوتم يقال تسنم أي علا و هو من السنام الذى هو أعلى البعير و يقال أيضا أسنمت النار اذا علا لهيبها .

انفجرتم : أي انكشفتم يقال انفجر أى انكشف و انفتح من الفجر الذى هو انكشاف النور من الظلمة .

السرار : من الشهر آخر ليلة منه وكذلك السرار بالفتح و السرو و هو مشتق من قولهم استسر القمر أى خفى ليلة السرار فربما كان ليلة و ربما كان ليلتـــين .

الوقر بالفتح : الثقل فى الأذن و قد وقرت اذنه بالكسر توقر و قرا أى صمت و قياس مصدره التحريك إلا أنه جآء بالتسكين و وقر الله اذنه يقرها و قرا يقال اللهم قرا ذنه و وقرت اذنـه على مالم يسم فاعله فهو موقور فبكسر العين فى الماضى و الفتح فى الغابر لازم ، و بالعكس متعد و ما كان من الكتاب من المتعدى لأنه على بنآء المجهول .

لم يفقه : أى لم يفهم يقال فقهت الأمر أى فهمته و منه قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب : مانفقه كثيرا مما تقول [1] . أى ما نفهم ، و قوله تعالى و لكن لا تفقهون تسبيحهم [2] .

الواعية : الضابطة و قيل الصارخة و الصـارخ لفظ مشترك بين المغيث و المستغيث و أراد به هنا المغيث .

يقال راعاه : اذا مال اليه سمعه أى أصغى اليه .

(١) هود : ٩١ (٢) الاسراء : ٤٤

النبأة : الخبر المرتفع و قيل : هى الصوت الخفى .

الصيحة و الصياح : الصوت يقال صاح يصيح صيحا و صيحة و صياحا و صيحانا بالتحريك و أراد بها هنا الصوت العالى .

ربطت الشىء بفتح العين فى الماضى و كسرها فى الغابر و كذا ضمها عن الأخفش أى شددته ربط جنانه أى اشتد يقال فلان رابط الجاش و ربيط الجاش أى شديد القلب كانه تربط نفسه عن الفرار .

الخفقان : الاضطراب و الارتعاش .

العواقب : جمع عاقبة و عاقبة كل شىء آخره و خاتمته و منه قول النبي عليه السلام أنا العاقب أى آخر الأنبياء الغدر : ترك الوفاء .

قد غدر به : فهو غادر و غدر وأكثر ما يستعمل هذا فى النداء بالشتم يقال باغدر .

توسم : أى تفرس قال الله تعالى : أن فى ذلك لآيات للمتوسمين[1] أى المتفرسين وانما يقال للتفرس المتوسم لأنه يستدل بالوسم الظاهر على الأسرار الكامنة و الوسيم الاثر يقال وسمت الشىء وسما اذا اثرت فيه بسمة و هى العلامة و يقال للرجل الجميل : الوسيم لحسن وسمه و الميسم الجمال .

الحلية : النعت يقال حلية الرجل صفة المغترين أى المخدوعين .

يقال اغتر بالشى : خدع به .

(١) الحجر : ٧٥

سترت الشيء : بالفتح فى الماضى و الضم فى الغابر سترا اذا غطيته ، فاستتر هو و تستر أى تغطى و الستر بالكسر واحد الستور و الأستار و السترة ما يستتر به كائنا ما كان و كذلك الستارة الجلباب الملحفة .

يقال بصر الشيء تبصيرا أى عرفه و أوضحه و التبصر التأمل و التعرف السَّتر الطريقة و الوجهة .

الجوادّ جمع جادة : وهى معظم الطريق .

المضلة : بكسر الضاد و فتحها ما يضل فيه يقال ارض مضلة بالفتح أى يضل فيها الطريق و كذلك أرض مضلة بفتح الميم وكسر الضاد و ضل الشيء يضل ضلالا أى ضاع و هلك و الاسم الضل بالضم و منه قولهم هو ضل بن ضل اذا كان لا يعرف ولا يعرف أبوه .

الدليل : ما يستدل به و الدليل الدال و قد دلّه على الطريق يدله دلالة و دلولة و الفتح أعلى و الدليلى الدليل ،

حفرت الأرض احتفرتها : بمعنى أى شققتها .

أماه يميه : اذا بلغ الماء .

المنطق : الكلام نطق نطقاً لازم اذا تكلم و أنطقه غيره ينطق إنطاقا أى كلمه .

العجماء : التى لا يفصح فى بيانها و إنما يوصف البهيمة بها لأنها لا يتكلم و فى الخبر جرح العجماء جبار و أيضاً صلاة النهار عجماء لأنها خافية القراءة غير مفصحة وكل من لم يقدر على الايضاح فى كلامه فهو أعجم و مستعجم .

عزب عنى فلان : بالفتح فى الماضى و الضم و الكسر فى الغابر أى بعد و غاب .

منه ما قال رسول الله صلى الله عليه و آله : من قرأ القرآن فى أربعين ليلة فقد عزب أى بعد بما ابتدأه منه و العزاب الذين بعدوا عن الأزواج بأن لازواج لهم من الرجال و النساء و العازب الكلاء البعيد تخلف عنى أى تأخر يقال خلفت فلانا و رأنى نخلف عنى أى تأخر .

يقال أريته الشيء : فرآه أى أبصرته فبصر و أصله رأيته يقال .

أوجس فى نفسه خيفة : أى أضمر يعنى عرف من نفسه خيفة أجس بها وكذلك التوجس ولا يتخصص باحساس الخوف الا ذو عقل حصيف و رأى متين فان الخائف يذهله الفزع عن الاحساس بما فى نفسه .

الخيفة : المصدر يقال خاف الرجل يخاف خوفا و خيفة و مخافة فهو خائف و قوم خوف على الأصل و خيف على اللفظ و الأمر منه خف من الصحاح

الاشفاق : رقة يعترى القلب فطوراً يعبر به عن الرحمة و الحنو و الأسم منه الشفقة وكذلك الشفق يقال أشفقت عليه فانا مشفق و شفيق و طوراً يعبر به عن الحذر فقال أشفقت منه أى حذرته فاذا كان المراد المعنى الأول استعمل بعلى و اذا كان المراد المعنى الثانى استعمل بمن و المراد هنا الثانى و لذا قال .

من غلبة الجهال : الجهل : جمع جاهل .

قال

قال الجوهری : الدولة : بفتح الدال فی الحرب أن تداول احدی الطائفتین علی الأخری أی غلبت یقال کانت لنا علیهم الدولة و الجمع الدول بالکسر و الدولــة بالضم فی المـال یقال صارت دولة بینهم یتداولونه تکون مرة لهذا و مرة لهذا و الجمع دولات و دول بضم الدال و قال ابو عبید : الدولة بالضم اسم الشیء الذی یتداول به بعینه و الدولة بالفتح الفعل و قیل الدولة . و الدولة لغتان بمعنی قال محمد بن سلام الجمحی [1] سألت یونس عن قول الله تعالی « لکیلا تکون دولة بین الأغنیاء منکم » [2] فقال قال ابو عمرو بن العلاء [3] الدولة بالضم فی المال و الدولة بالفتح فی الحرب .

قال عیسی بن عمر [4] کلاهما یکون فی المال و الحرب سواء قال

(١) ابو عبد الله محمد بن سلام بن عبید الله الجمحی البصری مولی قدامة بن مظعون الجمحی و هو اخو عبد الرحمان بن سلام کان من أهل الأدب و صنف کتابا فی طبقات الشعراء و حدث عن حماد بن سلمة و مبارك بن فضالة و سکن بغداد و توفی بها روی عنه عبد الله بن احمد بن حنبل و غیره مات سنة ٢٣٢ .

(٢) الحشر : ٧

(٣) ابو عمرو بن العلاء المازنی المقری الامام النحوی البصری اسمه زبان او العریان أو یحیی أمیر القراء السبعة و احد الأئمة عن أنس و ابی رجاء و ابن سیرین و جماعة و مجاهد و طبقته و عنه حماد بن زید و شبعة و طائفه و ثقه ابن معین و غیره .

(٤) عیسی بن عمر النحوی ابو عمر البصری الثقفی روی عنه الحکم بن الأعرج و عبد الله بن ابی اسحاق الحضرمی و الحسن البصری و عون بن عبد الله و جماعة و روی عنه علی بن نصر الجهضمی الکبیر و هارون بن موسی النحوی و الاصمعی و غیرهم مات سنــة ١٤٩ .

يونس أما أنا فو الله ما أدرى ما بينهما ولا ريب أن المراد به هنا الغلبة في الحرب و لذا كانت الرواية الصحيحة دول الضلال بالضم يقال وثقت بفلان بكسر العين في الماضي و الغابر مما ثقه اذا ائتمنته . الظماء : العطش يقال يظماء ظماء أي عطش .قال الله تعالى لا يصيبها ظماء و قوم ظماء أي عطاش و اظمأته أي أعطشته و ظمئت الى لقائك أي اشتقت .

(الاعراب)

الضمير المجرور في بناء راجع الى آل الرسول عليهم السلام و المرفوع في اهتديتم و اخويه راجع الى الحاضرين من قريش من مخالفيه و موافق طلحة و الزبير و ان كان عاما و في و قر روايتان المعلوم و حينئذ لازم و المجهول و هي أشهر تقديره و قر الله اذنه و في ربط أيضا روايتان المعلوم و هو من ربط جنانه أي أشتد و هو لازم المجهول و هي اشهر تقديره ربط الله جنانه و لم يفارقه .

الخفقان : جملة في محل الرفع على انها نعت لجنان و بحلية المفترين كلمة في موضع الحال و ذوالحال يحتمل ان يكون الضمير المرفوع في أتوسمكم تقديره انا حال كوني متلبسا بحليتهم و أن يكون الضمير المنصوب البارز للخطاب و التقدير ظاهر ، و في انطق لكم روايتان احديهما بضم الهمزة و هي الأشهر و الاخرى بفتحها .

قيل : العجماء نعت منعوت محذوف تقديره الكلمات العجماء و أراد بها الرموز المذكورة في هذه الخطبة منذ مبنى على الضم و مذ مبنى على السكون

وكل واحد منهما يقع فى كلام العرب على وجهين احدهما أن يكونا بمنزلة حرف جر فجرّا ما بعدهما كما يجرّ فى ولا تدخلان حينئذ إلا على زمان أنت فيه فتقول ما رأيته مذ الليلة و الآخر أن يكونا اسمين فما بعدهما يكون مرفوعا على التاريخ أو على التوقيت تقول فى التاريخ : ما رأيته مذ يوم الجمعة أى أول انقطاع الرؤية يوم الجمعة .

تقول فى التوقيت ما رأيته مذ سنة أى أمد ذلك سنة و فى قوله مذ أريته للتاريخ يعنى ما وقع لى شك فى الحق من اول يوم حصل لى الآراء اشفق فعل ماض وقع استدراكا للنفى السابق عليه و قيل أفعل التفضيل منصوب على الصفة لخيفة و التقدير لم يوجس اشفاقا على نفسه أشد من غلبة الجهال و الباقى ظاهر .

(المعانى)

انما قدم الضمير المجرور على الفعل الذى تعدّى به ليفيد القصر على القلب يعنى ليس الأمر ما تصورتم و اعتقدتم من أن الاهتداء و الشرف و الدخول فى الاسلام حصل لكم بغير نابل ما حصل الابنا و فى و قر سمع خواص ثلاث للبلاغة احديهما القطع عما قبله منبئا عن سؤال مقدر هو رابط للتراكيب بعضها ببعض .

ثانيها ايراد الفعل الماضى المجهول ليكون موجزا و هو ركن من البلاغة و موردا على سبيل التمثيل و التوبيخ لهم و ثالثها الالتفات من الخطاب الى الغيبة و فائدته التفنن فى الكلام و عدم خطاب الحاضرين بالدعاء السوء لئلا يتجبهوا و ربما يعارضوه بما لا يليق بمنصبه العظيم و فى وربط جنان عن الرواية الثانية أيضا الخواص الثلث مع خاصية اخرى

هى جعل الجملة نعتا لتؤذن أن المستحق للدعاء بالثبات و الاطمئنان ليس كل حنان بل حنان خاص .

فى ما زلت انتظر بكم : خاصيتان دقيقتان احديهما تقديم بكم على عواقب الغدر لافادة القصر للافراد و الأولى أن يكون للقلب يعنى ليس الحال كما اعتقدتم من أن الانتظار بغيركم بل ليس الا بكم و الثانية تقديم ما زلت على انتظر لافادة الاستمرار و تجدد الانتظار لحظة فلحظة كما فى قوله تعالى : الله يستهزئ ، قيل سترنى عنكم جلباب مشتمل على القلب الذى لا يقدم عليه الا الشجعان فى البلاغة و الابطال فى الفصاحة تقديره ستركم عنى جلباب الدين .

فى تقديم عنكم : القصر للقلب يعنى جلباب الدين ما سترنى الا عنكم دون غيركم من الذين و جدوا سطوات صولتى أو الذين دقوا باب الملكوت و ولجوا فيها و رزقهم الله جلاء النفس عن أرجاس الطبيعة على ما تعرف فى الفحوى تمام معناه و فى عزب رأى امرئ أيضا الالتفات من الخطاب الى الغيبة لما ذكرنا وما شككت جملة استينافية دالة على الجواب عن سأل عن بيان الدعاء على من تخلف عنه هـذه الخطبة الملفقة من خطبة طويلة اكبرها مصبوب فى قالب القطع الذى هو مجز البلاغة .

(البيـان)

فى الظلماء : استعارة تخييلية مكنى بها عن الجهل و الكفر مما لا خلاص بها ولا مناص مستدعية لتشبيههما و هما معقولان بالظلمة و وجه الشبه اشتراكهما فى عدم الاهتداء فيهما الى الطريق المسلوك الى المقصد و يخيل أنهما من أفرادها و فى تسنمتم العلياء استعارة تخييلية مرشحة مستلزمة

مستلزمة لتشبيه العليا المكنى بها عن الاسلام و هى معقولة بالناقة و هى محسوسة .

وجه الشبه اشتراكهما فى الانتفاع الحاصل من كل منهما اللائق به و هو عقلى و تخييل أنها من أفراد الناقة و يذكر التسنم الذى هو ركوب السنام رشحها و فى انفجرتم عن السرار استعارة تخييلية مرشحة مستلزمة لتشبيه الهيئة الحاصلة من ظلمة الكفر المطبقة فى آخر الاديان لاندراسها أو لخفائها بالهيئة الحاصلة من الظلمة المطبقة فى آخر الشهر لخفاء القمر ودنو أن يتبدل بأدنى نور من الهلال .

و وجه الشبه اشتراكهما فى الظلمة التى قرب انقضائها و تبدلها بالنور و هو عقلى و هذا تشبيه المركب بالمركب و يذكر انفجرتم رشحها و هذه استعارة فى غاية الدقة و اللطافة لا يتفطن لها الا المتدرب بعلم البيان المالك للذوق السليم و الطبع المستقيم .

كنى بالواعية : عن نفسه اذ من لوازمه حفظ كتاب الله تعالى و القيام بأوامره و الاجتناب عن نواهيه أو الصياح فيهم بالموعظة الحسنة و المغيث لهم اذا استغاثوا منه فى تقرير قوانين الدين و مراسم اليقين .

فى كيف يراعى : الى الصيحة استعارتان مكنيان عن انهم اذا لم يجيبوا داعى الحق و نداه فبالآحرى ان لا يجيبوا دعوته مرشحتان تخييليتان احديهما مستدعية لتشبيه دعائه عليه السلام اياهم الى سبيل الحق بالصوت الخفى و هما محسوسان بحس السمع ، و وجه الشبه اشتراكهما فى الضعف الحاصل لهما بالقياس الى دعاء الحق و الصوت العالى و هو عقلى و تخييل

انه من أفراد الصوت و الثانية مستلزمة لتشبيه دعوة الله و رسوله ايام بالصوت العالى. و وجه الشبه اشتراكهما فى العلو و هو عقلى و قد رشح الاولى بذكر يراعى و الثانية بذكر الاصمام.

لم يفارقه الخفقان: كناية عن الخوف اذ من لوازمه اضطراب القلب و فى قوله ستزنى عنكم جلباب الدين استعارة تخييلية تصريحية مرشحة لتشبيه الدين و هو عقلى بالملحفة و هى حسية و وجه الشبه اشتراكهما فى التغطئة المناسبة لكل منهما و هو عقلى و يحتمل أن يقال أنه حسى و يخيل انه من أفرادها و الا لم يصح الاضافة و باسناد الستر اليه رشحها. و فى جواد المضلة استعارتان احديهما مكنى بها عن كون الاهواء و البدع طرائق مسلوكة الى الضلال مستدعية لتشبيهها و هى معقولة بالجواد و هى محسوسة.

و وجه الشبه اشتراكهما فى الافضاء الى ما هو المنتهى من كل منهما اللائق بها. و الثانية مكنى بها عن ان الكفر و الجهل مما يحصل به الضلال ولا يهتدى به الى المقصود مستدعية لتشبيه الكفر و هو عقلى بالارض التى يضل فيها الطريق و هى حسية و وجه الشبه اشتراكهما فى عدم اهتداء المتمسك بهما الى المقصد و هو عقلى و بالاضافة رشحها.

فى تحتفرون: استعارة مكنى بها عن الكد فى طلب العلم و الظفر عليه مستدعية لتشبيه الباحث عن مظان العلم المتفحص عنها المذهب عنها العوائق و الحجب الحايلة بالمحتفر الارض. للماء و هما محسوسان.

و وجه الشبه اشتراكهما فى الطلب و السعى و هو عقلى و هنا أيضا استعارة اخرى لازمة لهذه مستدعية لتشبيه القلوب بالآبار و وجه الشبه

اشتراكها فى المدنية للقصود و المحلية و هو عقلى .

فى لا تميهون: أيضا استعارة أخرى مكنى بها عن عدم البلوغ إلى العلم الذى هو المقصد مستدعية لتشبيه العلم بالماء و قد عرفت وجهه غير مرة و به حصل الترشيح للاستعارة و الأولى و التميم الذى هو فن من الفصاحة فى العجماء استعارة تخييلية تصريحية مستلزمة لتشبيه الاحوال المشاهدة من كال فضله عليه السلام و المثلات التى حلت على الفاسقين عن أمره بالحيوان الذى لا يفصح عما أراد .

وجه الشبه اشتراكهما فى عدم النطق المقالى ، و بقوله ذات البيان نبه على أن التشبيه اللازم هو التشبيه بالتفضيل لقول الوطواط[1] .

« حسبت جماله بدرا مضيئا ، و أين البدر من ذاك الجمال .

و لو قلنا ان العجماء نعت للكلمات المحذوفة فالتشبيه أيضا قائم و لكن المشبه الكلمات هنا لا الأحوال و المثلات و فى من وثق بما لم يظمأ استعارة تخييلية مرشحة مكنى بها عن أن الواثق به عليه السلام المتشبث بذيل علمه يحتج إلى شىء يرويه و لا إلى ما يتعبه و يهلكه مستدعية لتشبيهين أحدهما تشبيه نفسه عليه السلام بالمآء و هما محسوسان و وجه اشتراكهما فى دفع الاذى بهما .

(١) محمد بن إبراهيم جمال الدين الأنصارى الحضرمى الوراق كان أديبا ماهرا عارفا بالكتب جمع مجاميع أدبية له غرر الخصائص الواضحة و مناهج الفكر و غير ذلك توفى سنة ٧١٨ و الوطواط أيضا لقب رشيد الدين محمد بن عبد الجليل البلخى الأديب الشاعر ذو اللسانين كان من نوادر الزمان و كاتب السلطان خوارزمشاه توفى سنة ٥٧٣ .

و الآخر تشبيه المسلمين المحتاجين إلى التمسك بالدين بالعطشان و وجه الشبه اشتراكهما فى الافتقار إلى ما يسدّ الحاجة لهم و لتخييل أنه من افراد الماء و إلا لم يصح تعدية وثق به و بقوله لم يظماء رشحها و لو قلنا أن الماء استعارة مكنى بها عن علمه عليه السلام لكان حسنا جدا و التحقيق ما عرفت غير مرة .

(البديع)

بين الظلماء و العليا : المتوازى و الترصيع كذا بين الجهال و الضلال و فى اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل نوع من اللف و النشر إذا التقدير نحن متوافقون على سبيل الحق و أنتم متوفقون على سبيل الباطل .

(الفحوى)

أعلم أن هذه الفاظ ملفقة ملتقطة من خطبة طويلة له عليه السلام خطب بها بعد قتل طلحة و الزبير على ما روى أبو على بن مسكويه [1] و مع احتوائها على المواعظ الزاجرة المحركة للنفس إلى الرجوع إلى جناب العزة تعالى و تقدس و الاقرار بولاية أهل البيت عليهم السلام

---

(١) الحكيم أبو على أحمد بن محمد بن مسكويه الغاز الرازى الأصبهانى المسكن كان من أعيان العلماء و اركان الحكماء معاصر لابن سينا صحب الوزير المهلبى فى أيام شبابه إلى أن اتصل بخدمة عضد الدولة فصار من كبار ندمائه و رسله إلى نظرائه .

له مؤلفات فى الحكمة منها كتاب الفوز الأكبر و كتاب الفوز الأصغر و جاويدان خرد بالفارسية و تجارب الامم و الطهارة فى علم الأخلاق و مدحه المحقق نصير الدين الطوسى و توفى سنة ٤٢١ .

فى

فی غایة البلاغة و نهایة الفصاحة و من عجائبها إن کلّ کلمة منها صالحة للافادة علی سبیل الاستقلال مع قطع النظر عما قبلها و ما بعدها و لأن یکون من تتمة السابق و توطئة للاحق علی ما ستحققه إن شاء الله تعالی .

قوله بنا اهتدیتم فی الظلماء : أی بالتشبث بنا و دعوتنا إیاکم إلی الحق بما انزل الله علینا من الکتاب و الحکمة حصل لکم الاهتداء من ظلمات الجهل لا بغیرنا و إن اعتقدتموه فلا یلیق بکم و لا باسلامکم أن تنکروا حقنا و ولایتنا و تؤثروا غیرنا علینا قوله و تسنمتم العلیاء أی و بتلك الهدایة الحاصلة لکم منا و شرف الاسلام علا قدرکم و شرف ذکرکم .

قوله و بنا انفجرتم عن السرار : أی بسببنا دخلتم فی فجر الدین و خلصتم من ظلمة الجاهلیة المطبقة التی قرب الله کشفها بطلوع نور النبوة من افق الدعوة و تنور باطنکم بنور الاسلام و اشتهرتم بین الناس کشف اللیلة المظلمة ببدو نور الهلال و تنور صفات العالم بنوره و اشتهاره بحیث تعم کل موضع یحاذیه فلا یجوز لکم أن لا تطیعونا و یکفروا بنعمتنا العظمی التی هی الهدایة و لا تصغوا إلی دعوتنا .

ثم لما نفروا عنهم و استکبروا علیهم و لم یستضیئوا بنور هدایتهم التفت من الخطابة إلی الغیبة و دعا بالوقر و الصمم علی کل سمع لا یفقه صاحبه بواسطته علما و لا یحصل بسبب السماع مقاصد الکتب الالهیة و کلام الأنبیاء علیهم السلام و الاوصیاء مریدا به إیاهم حیث لم یقبلوا قوله بعد أن سمعوه و لم یعوا ما القی إلیهم من الاوامر المأخوذة

من مشكاة النبوة و لم يقفوا أثره و لم يجيبوا نداه و لم يجبوه مغيثا يستغيثوا منا عند وقوعهم فى الوقائع المشكلة .

و قيل : معنى من لم يسمع بحالى و لم تعرفنى فهو أصم و عند أكثر المفسرين قوله تعالى « و تعيها أذن واعية[1] » أراد به عليا عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه و آله سألت الله أن يجعلها أذن على ، ثم اعتذر لنفسه و أزال ما يكدر خاطره من عدم قبولهم قوله .

قال كيف يراعى النبأة من أصمته الصيحة : أى كيف يلتفت إلى قولى و يسمع إلى كلامى و يجيب دعوتى من لا يلتفت إلى قول الله تعالى و لا يسمع كلامه و كلام رسوله على كثرة تكراره على أسماعهم و قوة عقائدهم على اتباع قوله تعالى و لما كان من شان الصوت العالى أن يمنع سماع أصوات الخفى أطلق الصيحة على كلام الله و أسند إليها الاصمام المراد به الاشغال بها و الغفلة عن المقصود و أورد كيف على سبيل الانكار و التهكم لهم ثم رغبهم للاتباع و ثبات القلب على طريقة الحق بالدعاء للقلوب الخائفة الوجلة من خشية الله التى لم ترع عن أمره خوفا من عقابه الأليم و ابتغاء لثوابه الجسيم .

قال ربط جنان لم يفارقه الخفقان : أى ثبت الله قلبا لم يزل مضطربا من الخوف فكأنه قال كيف يلتفت إلى كلامى من لا يلتفت إلى كلام الله عز و جل و كلام رسول الله ، لله در الخائفين المراعين لأوامره الوجلين من وعيده ما ضركم لو تشبهتم بهم فرجعتم إلى الحق و قمتم به قيام

(١) الحاقة : ١٢ .

رجل واحد و قيل معناه أن من لم يزل قلبه مضطربا من الغيبة الى الخطاب .

قال مخاطبا لطلحة و الزبير و الناكثين معهما : ما زلت اترصد لكم و خامة عاقبة الغدر و ذلك الانتظار و الترصد اما باطلاع الرسول صلى الله عليه و آله أو بواسطة حركاتهم و سكناتهم الموذنة بأنّ نياتهم غير مطابقة لظواهرهم و أتفرسكم حال كونكم متلبسين بحلية المغترين الذين يقبلون الأباطيل بأدنى شبهة تعرض لأذهانكم أو حال كونى متلبسا بحلية من يريد أن يأتى شخصا على غفلة منه و يطلع على سرائره باستكشافها منه .

قوله سترنى عنكم جلباب الدين : يحتمل معانى ثلاثة أحال بينى و بينكم الدين الآمر يسحب ذيل العفو على الجرائم و الاغضاء عن خطايا المسلمين و سترنى عن أعين بصائركم أن يعرفونى بما اقدر عليه من تقديم أودكم و إصلاح أحوالكم بالعنف و القهر وما يؤل به أفعالكم الى سنن السداد من القتل و النهب . و أشار عليه السلام الى هذا المعنى فى موضع آخر حيث قال و انى لعالم بما يصلحكم و يستقيم أودكم و لكن أرى اصلاحكم بافساد نفسى سترنى عنكم ما كنت متلبسا به من الدين الذى لا يلوح حقيقة إلا لمن كحل الله بصيرته بمكحل الهداية ولو عرفتم أنى قائم على الدين و أنّ الدين هو الذى كنت متلبسا به لا ما اعتقدتم ثم لا تيمتمونى و لكن لا تعرفون لتراكم حجب الأهواء و البدع على مرأى صفائح خواطركم فكان الدين الحقيقى صار حائلا بينهم و بين معرفته .

لو لا الدين الآمر بأن لا يفشى سر الربوبية المخبوء تحت معرفة

النفس القدسية لأريتكم ما عليه من المعارف الالهية و العوارف الربانية التى يخزلها أذقان الأولياء المكاشفين و يقربها الأنبياء الوصلون و بصرتكم بما عليكم من النفاق و الضغاين وحب الرياسة حتى جزعتم و أقررتم بما أنا عليه فيكون الدين ساترا إياى عنكم و أنتم تنظرون الى ظاهرى و ليس لكم بصيرة تبصرون بها ما خصنى الله تعالى فلذا غلت التحاسد عليكم و انحرفتم عنى لجهلكم بحالى و هو معنى لطيف شريف جداً، و هو المراد بقوله عليه السلام عن الله تعالى أوليائى تحت قبائى لا يعرفهم غيرى .

أما معناه على القلب فقريب مما تلونا عليك فى الثالث ، قوله و بصرنيكم صدق النية : أراد بصدقها صفاء الطوية بحسب كمال اخلاصه لله وصفا له مرآة نفسه القدسية التى بها النظر الى بواطن الاشياء و خفاياها يعنى عرفنى اياكم صفاء باطنى بينظر بنور الله على ما ينبئ عنه قوله عليه السلام المؤمن ينظر بنور الله ، و يحتمل ان يكون معناه عرفكم اياى صفاء النية و الصدق يعنى الصدق منعنى من خفاء ما فى نفسى و يحتمل ان يكون معناه أراكم عينى صفاء باطنى يعنى لولا صفاء الباطن المنافى لاخفاء ما يقتضى العقل العملى باظهاره بحسب الوقت اللائق به لما تمكنتم من معرفتكم بحالى .

قوله أقمت لكم الى ولا تميهون : اشارة الى بينهم عن رقدة الغفلة و ايذانهم ان اقتفاء أثره واجب عليهم و الاستضاءة باشعة أنواره المستفادة من شمس عالم النبوة حتم لازم اذ هو الذى أقام نفسه على طريقة الحق و فى الجواد التى هى مزالّ اقدام السالكين فى سبيل الله و قد نهى الله تعالى عن السلوك فيها بقوله « ولا تتبعوا السبيل فتفرق بكم عن سبيله » [1] ليهديهم

(١) الانعام : ١٥٣

إلى الصراط المستقيم الذى أمر الله تعالى بمتابعته .

قال « و ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه » بعد جذبهم عن مهالك المهاوى التى قادت أنفسهم اليها و جذبتهم الشياطين المغوية الى سلوكها و ذلك حيث تلاقت نفوسهم فى ظلمات الطبيعة ولا دليل يستدل به الى أن يخلصوا الى النور سواء و يطلبون ماء الحيوة الذى هو العلم النافع لها فى انتظام أحوال المعاش و اغتنام ارتياش المعاد بالبحث و الفحص عن أودية القلوب و تخليتها عن الادناس المسودة لها فلا يقدرون على استخراجه الا بامداد .

و يحتمل ان يكون اشارة الى يوم القيامة حيث يتحيرون ولا دليل لهم يتشبث به سواء و يطلبون المآء من الكوثر الذى هو شفاء القلوب و حيوتها الأبدية من غيره ولا يصلون اليه فوجه الرجوع اليه و ان يكون عليه السلام نبههم على انه هو الدليل الى طريق الآخرة و معه الماء الذى يدفع به العطش فى تلك الطريق دون غيره فلو تطلبون من غيرى فلا تصلون اليه اذ أنا المقيم على هذا الطريق و الدليل لكم و المروى إياكم .

قوله اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان .

يعنى اليوم وقت ان اذكركم بالأحوال التى سلفت على الامم الغابرة الذين فسقوا عن أمر ربهم و مما هو لايح من كمال علمه عليه السلام و فضله بالقياس اليهم وما يجب لهم متابعته ليخبرلهم بلسان الحال ان من لم يتبع أوامر الله فقد استحق ما استحق الاولين و بين لهم ما يوجب عليهم الاذعان لولايته و قد عرفت تمام الكلام فيه .

قوله عزب رأى امرئ تخلف عنى : يحتمل معنيين احدهما الدعاء ببعد الرأى المستلزم لبعد العقل المستلزم للجنون على من تأخر عنه و لم يتابع أوامره يعنى حق لمن فكر فى أن المتابعة أنفع له أم التخلف ثم رأى بعد الترديد أن التخلف له أوفق و أصلح أن لا يكون له رأى أصلا لئلا يختارّ مثل هذا الرأى القبيح السيء ، و المراد منه الذم لمن تخلف عنه و التوبيخ له .

الثانى : الاخبار بان الرأى كان بعيدا من ذهب رأيه الى التخلف عنه و هو فى معرض التعيير للقوم و التوبيخ لهم على طريقة قولهم إياك أعنى و اسمعى يا جارة ، ثم قرر هذه القضية و نبه على انــه الحق الذى وجب على كافة الخلق انقياده و مطاوعته و إن لم يطاوعه و لم يعرفه فقد مات ميتة الجاهلية لأنه الامام المتعين المعصوم من أن يتهم الى المعاصى بقوله ما شككت فى الحق مذ اريته الدال بالمطابقة على نفى طريان الشك فيما أراه الله تعالى من الحق الذى لا ريب فيه و أفاضه على نفسه القدسية من الكمالات التى استحق بها الرياسة الدينية و الدنيوية اللازمة من معرفة الحق .

فان من عرف الحق عرف نفسه و عيوبها و من عرفها احترز عنها لئلا تبعده عن مطالعة الحق ، و من اجتنب عنها بالكلية كان مستجمعا للفضائل و مجتنبا عن الرذايل و بالالتزام على ثباته على الحق و شدة جلاله بحيث لا يعرض لنفسه القدسية ريب اصلا فيه ، و الامامية يستدلون بهذا القول على وجوب عصمته و هو استدلال جيد يعرفه من كان له

ذوق سليم و طبع مستقيم غير مجادل و لا مكاوح .

قوله لم يوجس الى الضلال : إشارة إلى أن عدم قيامه عليه السلام لطلب الخلافة ليس للخوف على نفسه بل كان للخوف من غلبة الجهال على الدين و وقوع أكثر الخلق فى فتنتهم و من قيام دول الضلال و غلبتهم فينسدّ مسالك الدين بالكلية و يجف منا هل اليقين بحيث لا يبقى لها اسم و لا رسم كما أن موسى عليه السلام ما خاف على نفسه حيث القوا حبالهم و عصيهم و قالوا إنا لنحن الغالبون بل خاف من غلبة أهل الجهل على طريقة الحق و دول الضلال كدولة فرعون و اتباعه الصادّين عن سبيل الله .

قوله اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل : إشارة الى تنفير مقاتليهم فى القتال عما هم عليه من الباطل الى ما هو و أصحابه عليه من الحقّ و التقدير ما ذكرنا و فى بعض النسخ تواقفنا بتقديم القاف و هو الأكثر و الأصح و المعنى قريب مما قلنا .

قوله من وثق بماء لم يظمأ : إشارة منه عليه السلام الى أن الواثق بقولى و علمى لم يقع فى الضلال المحوج الى ما يدفعه بل كان على حاق اليقين كما أن الواثق بوجود الماء لم يغلب عليه العطش لأنه يشرب قبل الظماء او لان واجد الماء ليس كفاقده فان الفاقد بواسطة توهمه فقده انه يضاعف عليه الظماء و قيل تمثل و معناه من كنت أنا بمرأى منه فليدن منى و استفيد[1] فانه كالواثق بوجود الماء و من وثق بوجود الماء لم يترك نفسه فى حر العطش و يحتمل أن يكون معناه من اعترف بولايتى و امامتى و اطمأن قلبه بى لم يضطرب حاله و لم يحتج الى غيرى

(١) كذا .

كما أن من اطمأن قلبه بوجود الماء لم يضطرب أمره و لم يعارضه توهم الفقدان و هو جيد .

(اللطائف الرشيدية)

سألت تلك الحضرة العلية لا زالت مظهرا للانوار الالهية و مفيضا للفيوض الربانية يوم الأحد الثالث عشر من جمادى الآخرة من شهور سنة اثنتى عشرة و سبعمائة بحدود دنيور عن تحقيق قوله عليه السلام .

ستر عنكم جلباب الدين و بصرنيكم صدق النية .

فأفاد مرتجلا ان مراده عليه السلام من الكلمة الاولى بيان أن نفسه المقدسة عن أرجاس العلائق المنزهة عن أدناس العوائق قد اشرفت من قبل رب العزة على اسرار الهية فى الملكوت و دقايق ربانية من الجبروت لم يكن لأحد سوى الأنبياء الكاملين و لم يكن الدين حرم افشائها و ابدائها على ما تنبىء عنه قول النبى عليه السلام افشاء سر الربوبية كفر .

لظهرلهم أنها قد وصلت من مراتب العرفان أعلاها و من منازل الايقان اسناها و لكن الدين من حيث منعى عن افشاء ما اشتملت عليه ستر مطالعة جمال كمالى عنكم ستر الجلباب مطالعة جمال المحبوب عن المحب و الى اطلاع المعصومين عليهم السلام على اسرار الهية لم يكن لغيرهم اطلاع عليها أشار زين العابدين على بن الحسين عليهم السلام حيث قال فى أبيات أربعة .

إنى لأكتم من علمى جواهره * كى لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

و قد تقدم فى هذا أبو حسن * الى الحسين و وصى قبله الحسنا

يا رب جوهر علم لو أبوح به ٭ لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى ٭ يرون اقبح ما يأتونه حسنا

و من الكلمة الثانية أن صدق نيتى و نيتكم و صفاء باطنى و باطنكم اطلعنى على احوالكم و مكننى من أن أتلو صحائف ضمائركم نقوش اسراركم و كشف الاستار عن صفحات سرائركم و الى هذا المعنى اشار النبي صلى الله عليه و آله قال: المؤمن مرآة المؤمن .

* * * * *

٧١

٥ — وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو سفيان ابن حرب فى أن يبايعا له بالخلافة

أَيُّهَا النَّاسُ ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ . هٰذَا مَاءٌ آجِنٌ ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا . وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ . فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا : حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا : جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي ، وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ .

(اللغـــة)

النجاة : مقصورا مصدر نجوت من كذا نجاء ممدودا و الصدق منجاة و النجاة أيضا الناقة السريعة تنجو بمن ركبها .

عرجوا : أي ميلوا من عرج البناء فتعريجا أي ميله فتعرج أي مال و التعريج على الشيء الاقامة عليه و انعرج الشيء أي انعطف منعرج الوادي أي منعطفه .

المنافرة : المحاكمة فى الحسب يقال نافره فنفره ينفره بالضم لا غير أي غلبه قال الأعشى[1] يمدح عامر بن الطفيل[2] و يحمل على علقمة بن علاثة[3] .

(١) الأعشى لقب لعدة شعراء مشهورين و هم اعشى باهلة اسمه عامر ، و اعشى بنى ضبيعة اسمه ميمون و اعشى التغلبي اسمه النعمان ، و اعشى بنى قيس اسمه ابو بصير و اعشى بنى جلان اسمه سلمة ، و اعشى بنى ضورة اسمه عبد الله و اعشى بنى عوف اسمه ضابى و اعشى بنى مالك واعشى بنى عقل اسمه معاذ و اعشى بن معروف اسمه خيثمة و اعشى بنى عكل اسمه كهمس و اعشى بنى مازن ، و اعشى بن أسد و اعشى طرود و اعشى بنى ربيعة ، و اعشى همدان و اعشى النهشلي و أعشى بن قيس صناجة العرب .

(٢) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب و هو أبو علي و كان يقال للطفيل فارس قرزل و هو اخو عامر ابن أبي براء و لها اخ ثالث و هو معاوية مود الحكماء و رابع و هو ربيعة بن ربيع المقترين و امهم أم البنين ابنة ربيعة بن عامر و جدهم عامر بن صعصعة أبو بطن و أمه عمرة بنت عامر بن الظرب .

(٣) علقمة بن علاثة شاعر من بنى جعفر .

قد قلت شعرى فمضى فيكما • و اعترف المنفـــور للنـافر

و المنفور المغلوب و النافر الغالب .

ضعوا : أمر من وضعت الشيء من يدى وضعا و موضعا و موضوعا.

التاج : الاكليل و جمعه تيجان، يقال العمائم تيجان العرب .

الفلاح : الفوز و البقاء و النجاة و السحور ، و أفلح من الفلاح بمعنى الأول يقول الرجل لامرأته استفلحى بأمرك أى فوزى بأمرك، و قول الشاعر :

و لكن ليس للدنيا فلاح .

أى بقاء و قول المؤذن : حى على الفلاح بمعنى النجاة ، وقول الرسول عليه السلام حتى خفنا أن يفوتنا الفلاح أى السحور، و إسناده إلى من نهض قرينة حالية مشعرة بأنّ المراد الأول جناح الطائر : يده و الآلة التى بها التصرف و الحركة كاليد و الرجل للحيوان و الجمع أجنحة .

استسلم : أى انقـاد أراحه الله فاستراح و أراح الرجل رجعت إليه نفسه بعد الاحياء .

و أراح : تنفس و أراح اللحم أى أنتن و أراح الرجل أى مات . قال العجاج : أراح بعد الغم و التغمغم . والمراد هنا المعنى الثانى والقرينة المعينة إياه جعله لازما للاستسلام .

الآجون : التغير يقال ماء آجن أى متغير .

غص اللقمـــة : فغص بفتح العين غصصا اذا وقفت فى الحلق و لم تسغها فأنت غاص بالطعام و غصان و أغصصته أنا و المنزل غاص بالقوم أى ممتلىء بهم .

ينع الثمر يينع ينعا و ينعـا و ينوعا أى نضج و أدرك و أينع مثله فاينناع الثمرة نضجها و إنما لم يسقط الياء فى المستقبل لتقويها باختها هى كثرة النون و الينيع و اليانع مثل النضيج و الناضج .

الحرص : الجشع و هـو شدة الميل الى اقتناء زخارف الدنيا و جمعها و قد حرص على الشيء بفتح العين فى الماضى و كسرها فى الغابر فهو حريص .

الجزع : نقيض الصبر و قـد جزع من الشيء بالكسر فى الماضى و الفتح فى الغابر و أجزعه غيره التى : اسم مبهـم للمؤنث و هى معرفـة و لا يجوز الألف و اللام منه للتنكر .

و اللتيا : بالفتح والتشديد تصغير التى و يقال وقع فلان فى اللتيا و التى أى فى الداهيـة الصغيرة و الكبيرة و أصل المثل أن رجلا تزوج امرأة قصيرة صغيرة الخلق سيئة الخلق فقاسى منها شدائد ، فطلقها و تزوج طويلة ، فقاسى منها أضعاف ما قاسى من الأول فطلقها و قال بعد اللتيا و اللتى لا أتزوج ابداً فسار مثلا للداهية الكبرى و الصغرى .

الأنس : خلاف الوحشة و هو مصدر قولك آنست بـه بكسر العين فى الماضى و فتحها فى الغابر آنسا و أنسة و فيه لغة أخرى أنست به أنسا مثال كفرت به كفراً و آنس أفعل التفضيل منه و أصله أأنس فقلبت الهمزة الثانية الفا لسكونها و انفتاح ما قبلها فصار آنس على وزن آدم و فى بعض النسخ أسر و هو أفعل التفضيل من قولهم سرنى فلان مسرة و سرور خلاف الحزن .

دمج الشيء : دموجا أى أدخل فى الشيء و استحكم فيه و كذلك اندمج و أدمج بتشديد الدال .

قال أبو عبيدة : كل هذا إذا دخل فى الشيء و استتر فيه و إنما يقال ليلة دامجة لأنها يستر الأشياء بظلمتها و يمكن أن يكون قد عداه بعلى إلى معنى استولى و هو أوفق ، المكنون : المستور .

يقال باح بسره يبوح : بوحا أى أظهره و أعلنه .

الأرشية : جمع رشاء بكسر الراء و المد و هو الحبل .

الطوى : البئر المطوية و هى مؤنث و لذا انث صفته و هى البعيدة .

(الاعراب)

اعلم أن المعرف باللام لما امتنع ادخال حرف النداء عليه لاستلزامه اجتماع حرفى التعريف على كلمة واحدة أتوا فى الصورة بمنادى مجرد عن حرف التعريف و هو أى أو هذا ثم اتبعوه المعرف باللام فقالوا يا أيها الناس و يا أيها الرجل صفة له و انما أتوا بحرف التنبيه و هو ها .

إما : للتنبيه على أن المنادى على ما بعدها ، و أما لأن أيا ملازم لاضافة فاتوا أيها ليكون كالعوض من المضاف اليه ، و اما البدل على خروج أى عن بابها و وجب رفع الناس لأنه المقصود بالنداء و يستوى فى أى المفرد و المثنى و المجموع و قد يحذف النداء ما هو كثير الدوران على الالسنة .

إذا عرفت ذلك فاعلم أن أيها الناس منادى حذف النداء تخفيفا .

الباء فى بسفن للاستعانة .

ماء آجن : خبر مبتداء قد حذف تعويلا على القرينة الحالية تقديره هى ماء آجن أى الخلافة و يحتمل أن يكون المقـدر مؤخرا فى النية و تقديره ماء آجن هى و هو أقرب الى البلاغة و ذلك لدلالته على الحصر القلب أو للافراد و هو أنسب بالمبالغة التى كان عليـه السلام بصددها و بل مخفف حرف يعطف بها الحرف الثانى على الأول فيلزمه مثل اعرابه و هو الأضراب عن الأول للثانى كقولك ما جاءنى زيد بل عمرو و جاءنى أخوك بل أبوك .

قال الأخفش : عن بعضهم إن بل فى قوله تعالى : ص و القرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة و شقاق ـ بمعنى أن و لذلك صار القسم عليها قال و ربما استعملت العرب فى قطع كلام و استيناف آخر فانشد الرجل منهم الشعر فيقول : بل ؟ ما هاج أحزانا و شجوا قد شجا ؟ ، و يقول بل ؟ ، و بلدة ما الأنس من ا آ ها لها ؟ [1] .

قوله بل ليست من البيت و لا يعد فى وزنه و جعلت علامة لانقطاع ما قبله و هنا يحتمل الأمرين و ستعرفهما فى الفحوى ؟ .

و لو بحث به : جملة شرطيـة وقعت نعتا لعلم و اضطراب نصب نصب المصدر الذى هو منعوت لنعت هـو مضاف اليه تقديره اضطرابا مثل اضطراب .

(١) كذا فى الأصل .

(المعانى)

إنما قطع أفلح عما قبله ليقع تعليلا للأوامر الدالة بالمطابقة على ترك المنافرة و المفاخرة و بالالتزام على الأعراض عنه عليه السلام و السكوت عن الطلب فكأن قائلا قال: لم يجب علينا القعود عن الطلب، قال لأن الطالب انما يجوز له الطلب عند وجود الناصر و هنا لا ناصر.

أيضا التفت من الخطاب إلى الغيبة و أورد الكلام فى معرض مثل يعمه و غيره مريدا به نفسه خاصة ليكون أسرع إلى القبول و أقرب إلى الاذعان له فان الشخص إذا أراد يثبت لنفسه أمراً و أورده فى كلام مختص به ربما لا يقبل منه بناء على ان التخصيص لا بد له من فائدة مجددة مخصصة.

أما اذا أعم فيندرج فيه بالضرورة و يقبله كل أحد سمعه و ثم قيل المصيبة اذا عمت طابت. و ليس المراد هنا بأو الشك فى الحكم الذى هو خاصية ايراد فى الكلام بل المراد التنويع يعنى النوعان محققان فى الخارج و لا ينبغى للطالب ان يدعى لأحدهما و لا يتردد.

و الفاء فى فأراح: للتسبيب يعنى الاستيلام سبب للاراحة من التعب عند فقد الناصر و انما أورد بلفظ الماضى ليدل الوقوع و استمراره و إنما حذف المسند اليه من ماء آجن إما لأن الخبر لا يصلح الا له فى هنا الحقيقة أو ادعاء أو للايذان بان التعويل على شهادة العقل بواسطة القرائن الحالية أقوى من شهادة اللفظ.

و انما نوّن ليؤذن بالتفخم أو التنويع يعنى هى مآء عظيم آجن

أو نوع مخصوص من الماء الآجن . و كذا الكلام فى لقمة و لكن هنا خاصية و هى جعل يغص نعتا للقمة ليدل على الاستمرار و الثبات دلالة ماء آجن على الثبوت لكونه جملة اسمية .

و الله لابن أبى طالب إلى أمه جملة وردت فى معرض الانكار و يسمى جملة طلبية أو انكارية و بل إنما يستعمل إذا كان للاضراب عن الأول للثانى اذا كان المراد صرف الحكم عن محكوم له إلى آخر على ما عرفت فى علم المعانى و هنا قد صرف الحكم عن محكوم له محذوف ، دل عليه سياق الكلام إلى محكوم له محقق نفس الأمر تقديره سكت عن الطلب لأنه يخاف على نفسه .

بل اندمجت يعنى ليس السكوت للخوف بل للاستيلاء على العلم الموصوف أما إذا كان بمعنى أن فهى جملة انكارية و الباقى واضح مما قررنا و لو اشتغل بذكر جميع الخواص الذى اشتمل عليه كلامه عليه السلام لخرج كتابنا هذا عن حد الاقتصار إلى حد التطويل بحيث ربما يقضى إلى عشرين مجلدا اذ ما من تركيب الا له خواص و لكن يمكن استخراجها من القواعد التى تلوناها عليك فى علم المعانى لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد .

البيان فى أنواع الفتن : استعارة تخييلية مرشحة مكنى بها عن ثوران الفتنة و قيامها و اضطرابها مستلزمة لتشبيه الفتن و هى معقولة للبحر المتلاطم و هو محسوس و وجه الشبه اشتراكهما عند هيجانهما فى كونها سببا لهلاك من وقع فيهما و تخييل أنها من أفراد البحر و إلا

لم

لم يصح اضافة الأمواج التى من خاصية المشبه بـه اليها و بتلك الاضافة حصل الترشيح .

و فى بسفن النجاة : استعار تخييلية مكنى بها عن التشبث مما يكون ذريعة إلى الخلاص من هيجان تلك الفتن مستدعية لتشبيه كل ما يكون وسيلة إلى الخلاص منها من امام هاد أو حيلة أو صبر و هـو معقول بالسفن و هى محسوسة .

وجه الشبه اشتراكهما فى كونهما وسيلة إلى السلامة و هو عقلى و الأولى أن يكون المشبه هو أهل البيت عليهم السلام ليكون مطابقا للخبر الوارد عن النبى صلى الله عليه و آله و هو قوله : مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف غرق .

قوله تيجان المفاخرة : استعارة تخييلية مرشحة مكنى عن حصول أسباب الأفتخار من الأموال و الأولاد الأصول الكريمة و الوجوه الحسان مستدعية لتشبيه تلك الأسباب باالتيجان و وجه الشبه اشتراكهما فى كونهما موجبا للافتخار بهما و المفاخرة و هو عقلى و تخييل أنها من أفراد التيجان و إلا لم يصح إضافتها إلى المفاخرة ، و بقوله ضيعوا رشحها. فى أفلح من نهض بجناح استعارة تخييلية مستدعية لتشبيه الأعوان و الأنصار بالجناح و هما محسوسان .

وجه الشبه أن القدرة على النهوض للحرب و الطيران فى ميدان المحاربة انما كانت مما يهم كما أن الطائر لا يتهيأ له الطيران و التصرف إلا بالجناح و هو عقلى و تخييل أنهم من أفراد الجناح ، و فى قوله ماء

آجن استعارة تخييلية مكنى بها عن أن الخلافة قد اكتست بالباطل و طلبها فى هذا الوقت مما يشوش العالم و ينفر الخلائق مستدعية لتشبيهها و هى عقلية مفردة بالمآء المتغير و هو حسى مركب وجه الشبه اشتراكهما فى كون مدار الحيوة الدنيوية عليهما و هو عقلى و تخييل انها من افراده و الا لم يصح جعله خبرا له .

فى لقمة يغص بها آكلها : أيضا استعارة مثل التى قد مرت من قبل عن غير فرق الا فى المشبه فى مجتنى الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير أرضه استعارة مرشحة تخييلية مكنى بها عن أن الطالب للخلافة فى غير وقت الطلب لا يحصل له الانتفاع بها و لا يفوز بمطلوبه و تشبيه صريح مذكور فيه طرفاه و حرف التشبيه دون وجهه .

أما الاستعارة فهى مستلزمة لتشبيه الخلافة و هى معقولة بالثمرة و هى محسوسة و وجه الشبه اشتراكهما فى كونهما محلا الالتذاذ به و غيره و هو عقلى و تخييل أنها من أفراد الثمرة و الا لم يصح اضافة المجتنى اليها مريداً به طالب الخلافة و بها بذكر ايناعها رشحها .

اما التشبيه فهو تشبيه مجتنى الثمرة بالزارع بغير أرضه و وجه الشبه اشتراكهما فى عدم الانتفاع اذ كما أن الزارع بغير أرضه بصدد ان لا ينتفع بزرعه لمنع صاحب الأرض اياه من الانتفاع كذلك مجتنى الثمرة لغير وقتها لا ينتفع بها ، و فى لاضطربتم إلى آخره تشبيه لهيئة صورهم عند وقوفهم على ما أوقفهم عليه السلام من العلم بهيئة الحبال المرسلة الى البئر البعيدة و هما محسوصان و وجه الشبه اشتراكهما فى الاضطراب

و القنق و هو أيضا حسى و هو تشبيه طرفاه مركبان و وجه الشبه مفرد .

(البديع)

فى شقوا الى النجاة : التتميم و بين المفاخرة و المنافرة المتوازى و الترصيع و كذا بين جناح و فأراح . و فى قوله : هيهات بعد اللتيا و اللتى ارسال المثل ، قوله : مكنون علم لو بحت به المقابلة حيث قابل ، قوله : مكنون بقوله بحت .

(الفحوى)

اعلم ان سبب تكلمه عليه السلام بهذه الكلمات ما روى أنه لما تم لأبى بكر فى ثقيفة بنى ساعدة أمر البيعة أراد أبو سفيان بن حرب أن يقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضاً فيكون فى ذلك دمار للدين و اندراسه فذهب الى العباس بن عبد المطاب رضى الله عنه فقال له : يا أبا الفضل ان هؤلاء قد ذهبوا بهذا الأمر من بنى هاشم و جعلوه فى رجل من بنى تيم و أنه ليحكم فينا غدا هذا الفظ الغليظ من بنى عدى .

فقم بنا حتى ندخل على علىّ و نبايعه بالخلافة فانت عم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و انا رجل مقبول القول فى قريش فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم قتالا شديدا قتلناهم إلى آخرهم فأتيا أمير المؤمنين عليه السلام ـ فقال له أبو سفيان يا أبا الحسن لا تغافل عن هذا الأمر متى كنا تبعاً لتيم الارذال و كان على عليه السلام يعلم أنه لا يقول ذلك غضبا للدين الله .

كان رسول الله قد شافهه بجميع ما يكون بعده بوحى من الله و أمره بلزوم البيت و السكوت لفقد الأنصار و الاحتراز من ازدياد الفساد فأجابه عليه السلام بهذا الكلام. قوله شقوا الى النجاة أى خلصوا أنفسكم من الهلاك فى اضطراب تلك الفتن الحاربة بالتشبث على ما يكون خلاصا اياكم من الصبر الى وجود الأنصار أو السماع إلى قول أهل البيت عليهم السلام تاركين المقاتلة و المجادلة المادة لقواعد الدين القاصفة لأغصان اليقين و لا تزلزلوا و لا تضطربوا.

قوله و عرجوا من طريق المنافرة: أى ميلوا و انعطفوا عن طريق المنافرة المثيرة للفتن إلى الثبات و السكون على ما يسكن الفتنة. قوله وضعوا تيجان المفاخرة: باليد الأمر الأول و بالغة فى نبذ عادة الجاهلية وراء الظهور و الاستسلام على الدين القويم و الصراط المستقيم أى اتركوا الأسباب المفضية إلى التفاخر المثير للضغائن المغشى للأحقاد المبدى للفتن و لا تلتفتوا اليها فان الالتفات اليها من علامات ضعف الدين و أمارات قوة الركون إلى أدب الجاهلية.

ثم لما نهاهم عن المفاخرة و المنافرة بين لهم انهما حظان و دمان(١) أوردتهم ما كان طريق من أراد أن يتصدى للخلافة. و قال أفلح من من نهض بجناح: أى ليس الأمر كما اعتقدتم من المفاخرة و المقاتلة بل الرأى الصائب فى هذا الأمر أن يكون الطالب ان كان ذا أعوان و أنصار فيقوم بهم فحينئذ يحصل بمطلوبه و إن لم يكن له أعوان أيضاً

(١) كذا فى الأصل.

فينقاد

فينقاد لمن كان فى تصرفه فيستريح من تعب الطالب .

ثم نبه على أن الاستسلام أوفى حينئذ و أوفق لرعاية حوزة الدين لعدم الأعوان و الأنصار بقوله ماء آجن و لقمة يغص بها آكلها : أى أنها فى هذا الوقت طلبها لا يثير الا الغصة و الفتنة فى العالم و كما لا يحصل الاساغة بالماء المتغير و الالتذاذ باللقمة الواقفة فى الحلق كذلك لا يحصل الفوز حينئذ لمن قام بمنازل لا يفوز الا بالمتاعب الشاقة و الاقدام على مثل هذا همّا لا يفعله ذو الرأى المتين .

ثم بين أن طلبها فى هذا الوقت لا يجدى جدوى لأنه ليس وقته بقوله و مجتنى إلى أرضه : يعنى كما لا ينتفع مجتنى الثمرة فى غير وقت نضجها بها أصلا كذلك لا ينتفع طالبها فى هذا الوقت و كذا التمثيل الأول بتشبيه يدركه كل فهم قاصر و تشبيه المجتنى بالزارع .

ثم نبه على أن الالسنة الطويلة و الأوهام الفاسدة فى حقه لا ينقطع أصلا سواء طلب أو سكت عنه بقوله : فان الى من الموت يعنى أن أقم طالبا لها يقولوا انه قد حرص على الأمر و اشتد اهتمامه بأمر الدنيا و ان أسلب و لم أطلب يقولوا انه أعرض عنها لأنه يخاف من أن يهجمه الموت لو قاتل و ليس له الصبر على المقاتلة و هكذا ألسنة الخلق لا يزال مولعة بأمثال هذا بعضهم فى بعض فى المناقشات .

ثم لما كان المرجح عنده القعود و أراد أن يقطع ما توهموا فى حقه من الجزع من الموت قال هيهات بعد اللتيا و التى : أى بعد ما يتوهمون فى حقى و يقولون أبعد ملاقات الخطوب العظيمة و مقاساة الكروب

الجسيمة الصغيرة أجزع من الموت ثم أكد تكذيبهم فى دعوى جزعة من الموت بالقسم البارّ ان استيناسه بالموت اكثر من استيناس الطفل بثدى أمه .

و ذلك أمر بين فى حقه عليه السلام لأن الموت هو أحد الأسباب الموصلة الى النعيم الأبدى و السعادة الكبرى و هو ان كان فى الظاهر فناء و اضمحلالا فهو فى الحقيقه ولادة ثانية يعنى كما كان الولادة الاولى سببا للحيوة الدنيوية الفانية كذلك الموت الذى هو الولادة الثانية سبب للحيوة الأخروية و لذلك منّ الله تعالى به على الانسان و قدمه على الحيوة حيث قال : « الذى خلق الموت و الحيوة ليبلوكم[1] » وعدّه علينا نعمه حيث قال : « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم[2] » ونبه على انه السبب الموصل إلى الحيوة الاخروية حيث قال : و لئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون[3] .

قال أيضا : « و لئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله و رحمة خير مما يجمعون »[4] و قال بعضهم : الانسان ما دام فى دنياه مستصحبا لبدنه جار مجرى الفرخ فى بيضه فكما أن من كمال الفرخ فلق البيض عنه و خروجه عنه وكذا من شرط كمال الانسان مفارقة هيكله و لو لا هذا الموت لم يكمل الانسان و اذا عرفت أن الموت سبب موصل للحيوة الأبدية لمن كان متيقنا بحس ما اعد الله تعالى للصادقين المتقين المعرضين عن زخارف

---

(١) الملك : ٢ (٢) البقرة : ٢٨ (٣) آل عمران : ١٥٨
(٤) آل عمران : ١٥٧

الدنيا و لذاتها و كان عند العارف هو باب يدخل به الى مطالعة جلال الله وكبريائه مجردا عن الغواشي البدنية و العوائق الجسمانية .

وكان على عليه السلام سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه آله المتنزهين عن الالتفات الى الدنيا و الركون الى لذاتها على ما ينبىء عنه قوله : لألفيتم دنياكم أزهد عندى من عفطة عنز : ارتفع الريب عن ذهنك إن أنسه بالموت لا يناسب أنس الطفل بثدى أمه و الفرق بين الانسين بقدر الفرق بين الحيوة الأبدية الموجبة للذة السرمدية و الارتضاع الموجب للذة الفانية فى لحظة واحدة ثم نفى ما توهموا فى حقه عليه السلام من أن الاجمال ما هو سبب القعود بقوله .

بل اندمجت الى آخره : أى بل السبب لقعودى عن الطلب هو استيلائى على علم عظيم الشان رفيع البيان و هو العلم بعواقب الامور و خواتيم الأفعال و بما يؤل اليه أحوالكم ومانطوى عليه نياتكم و ضمائركم المستفاد من صفاء الباطن و جلاء النفس عن أدناس الميول النفسانية التى هى المرآة المحاذية لجميع ما نقش بالقلم الالهى فى اللوح المحفوظ لكل نفس انسانية على ما ينبىء عنه قول النبى عليه السلام : المؤمن مرآه المؤمن .

قوله عليه السلام المؤمن ينظر بنور الله : لو اظهرت ما أعلم من أحوالكم و احوال الأخرة لوقعتم فى اضطراب عظيم و قلق جسيم بحيث يختل قواعد ايمانكم بالكلية و يقع الهرج و المرج بينكم .

مثل شدة اضطراب الحبال المرسلة فى الآبار البعيدة و إنما وصف الطوى بالبعيدة ليؤذن بشدة اضطرابهم لو وقفوا على ذلك العلم لأن

البئر كلما كانت أعمق كان الاضطراب للحبال أشد، و يحتمل أن يكون اشارة الى العلم بالله تعالى و صفاته ما كان به شكر العارفين من العلم بحقائق الآشياء و التطلع على عالم الملكوت و اسرار عالم الجبروت و هو المشغل عن كل شيء سواه تعالى.

و هو احتمال جيد و من أنصف بعين الانصاف و طرح التعصب و الاعتساف و نظر الى قوله لألفيتم دنياكم أزهد: و قوله و الله لابن أبي طالب الى الآخر: و تأمل حق التأمل وكان ممن له ذوق سليم و طبع مستقيم عرف انه لا يتهيأ التلفظ بمثل هذه الكلمات الا لمن بلغ النهاية فى الزهد و الاعراض عن الدنيا و وصل للغاية الى العرفان و العلم بالله و فاز بكل كمالات تابعة لهذين الكمالين و الله اعلم بحقيقة الحال.

(اللطائف الرشيدية)

سألت تلك الحضرة لا زالت مفزعا للأفاضل و الفواضل و ملجاء للأكامل و الكوامل يوم الاحد الثالث عشر من جمادى الآخرى من شهور سنة اثنتى عشرة و سبعمائة بحدود دينور عن تحقيق قوله عليه السلام.

و الله لابن أبي طالب الى الطوى البعيدة. فأفاد مرتجلا راكبا أولا أن مثل هذا الكلام الذى صدر من مثله عليه السلام لا يجوز أن يحمل على المبالغة او الدعوى الصادرة من المدعين بناء على العادات المطردة بين الناس.

لأنه عليه السلام مع كمال مرتبته و جلال منزلته لا يصدر عنه كلام الا موافقا لما أخبر عنه مطابقا اياه بل ينبغى أن يعتقد حقيقته

و كونه

وكونه طبق المفصل و اصاب المحز[1] و ثانيا أن مراده عليه السلام أنه فى الانس بالموت أثبت مقاما و ارسخ قدما من انس الطفل بثدى أمه لان الطفل انما يأنس به طلبا لان يرتضع منه و ذلك المطلوب ربما بلغت وجهه عنه اذا ارتوى منه او شبع من الطعام او ضجر منه .

وأنسه عليه السلام بالموت لرسوخ قدمه فى مقر الايقان به و ثباته على وصوله اليه بغير أمره و اختياره و الناس انما يتنفرون عنه لأمرين احديها انهماكهم فى اللذات الدنيوية الموقعة اياهم فى غمرات الغفلة واشتغالهم باستيفاء الملاذ العاجلة الحادية اياهم الى مهوة المهانة و لما كان جنابه المعلى تقدس عن أن يرتع فى رياض الغفلات أويحط رجله فى منازل الحيوانات كان انسا بالموت الذى هو يخلع الحيوة الفانية و يلبس الحيوة الأبدية ولا يكون له منه نفرة ولا من وصوله إليه ضجرة .

و الثانى : تورطهم فى الذنوب المورطة اياهم فى هاوية صدد استحقاق النيران تثبطهم فى دفع العيوب المسخطة ربهم لانغمارهم فى غمرة العصيان و الطغيان فيفربهم من الموت الذى يرفع الحجاب بينهم و بين النار على ما ينبىء عنه قول أمير المؤمنين عليه السلام : وما بين أحدكم و بين الجنة و النار إلا الموت : ان ينزل به ليست بالحقيقية إلا من النار المعدة للعصاة المتمردين و لما كان امير المؤمنين عليه السلام لم يحم حول حمى الذنوب أبدا و لم يذق نفسه حلاوة العيوب لم يكن خائفا منه بل آنسا به .

ثم رسم أدام الله ظلال جلاله أن قوله .

بل اندمجت على مكنون علم لو بحت بـه لاضطربتم اضطراب

(١) كذا فى الاصل .

الأرشية فى الطوى البعيدة تحقيق لما قلنا و توضيح له قال من اشتمل على اسرار علوم لو باح بها أى لو أظهرها و أفشاها لوقع الاضطراب العظيم بين السامعين بسماعها لقصور أفهامهم عن إدراكها و عجز عقولهم عن الاحاطة بها اضطراب الحبال فى الآبار البعيدة .

كان بمنزل عن أن يخاف من الموت أو يتنفر منه بل كان مستأنسا به غير مستوحش منه ، و انما شبه الاضطراب باضطراب الأرشية فى الطوى البعيدة لأن البئر كلما كانت أبعد كان اضطراب الأرشية فيها أشد فبين بهذا التشبيه شدة اضطرابهم فى الغاية عند سماعها .

* * * * *

٦ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال

وَاللهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ: تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا: وَلٰكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَدًا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَاللهِ مَازِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا

اللغـــة

اللدم بسكون الدال الضرب يقال التدمت النساء : اذا ضربن و جوههن وصدو رهن للنياحة ، قال الأصمعى : اللدم هو صوت الحجر يقع علـى الارض و ليس بالصوت الشديد ختل بالفتح فى الماضى و الكسر فى الغابر ختلا أى صدعه وكذا خاتله و التخاتل التخادع ، الراصد للشىء الراغب له بقوله رصده يرصده رصدا و الترصد الترقب و أرصدت له اعددته له : الادبار نقيض الأقبال و منه أختل المدبر .

يقال أراب الرجل أى صار ذا ريبة و الريبة اسم التهمة بالكسر الأبد : الدهر و الجمع آباد و أبود يقال ابدا لأبد كما يقـال دهر داهر و الأبد أيضا الدايم و التأبيد التخليد .

يقال استأثر فلان بالشىء أى استبد به . و حكى ابن السكيت رجل أثر على فعل بضم العين اذا كان ليستأثر على أصحابه أى يختار لنفسه اخلاقا و أفعالا حسنة .

(الاعراب)

الضبع ، مؤنث سماعى و لذلك أنث تنام و هو صلة لموصول قد حذف تعويلا على القرينة الحالية تقديره الضبع التى تنام هى ، و حتى يقع على ثلاثة أوجه الأول أن ينصب ما بعدها و ذلك عند شرط واحد و هو أن يكون ما بعده مستقبلا بالنظر الى ما قبله و ان لم يكن مستقبلا عند الأخبار لجواز قولك اليوم سرت « مقبول القول » امس حتى أدخل البلد بالنصب اذا تعرض هو الأخبـار عن الدخول المترقب عند ذلك السير من غير نظر

الى حصوله ، و عند التحقيق يكون بيانا لأن ما قبله علة لما بعده كما ترى فى قولهم أسلمت حتى ادخل الجنة .

هذا اذا كان بمعنى كى و حتى يصل فى قوله عليه السلام من هذا القبيل و قد يكون بمعنى الى نحو سرت حتى تغيب الشمس أى الى أن يغيب لأن السير ليس سببا لغيبوبة الشمس و حتى فى قوله عليه السلام حتى يأتى على يومى بمعنى الى اذ ليس الضرب سببا لاتيان يومه عليه السلام .

الثانى : ان يكون لانتهاء كما كان الى الا أن حتى ظاهر الدلالة فى دخول ما بعدها فيما قبلها نحو قولك أكلت السمكة حتى رأسها و نمت الليلة حتى الصباح و المعنى أكل الرأس و نام الصباح و حتى يوم الناس من هذا القبيل و الفرق بينهما و بين الى ظاهر لفظا ، و معنى اما لفظا فلان حتى لا يدخل على المظهر بخلاف الى فانها يدخل على المضمر كما يدخل على المظهر و أما معنى فهو ان ما بعد حتى يجب ان يكون آخر جزء مما قبلها كقولنا أكلت السمكة حتى رأسها فان الرأس آخر جزء السمكة أو ما يلاقى آخر جزء منه كقولك نمت البارحة حتى الصباح فان الصباح يلاقى آخر جزء البارحة .

الثالث أن يقع حرف ابتداء و ذلك اذا انتفى كون ما بعدها مستقبلا بالنظر الى ما قبلها لامتناع تقدير أن حينئذ فيكون ما بعدها حالا مثل سرت حتى ادخل مخبرا عن السير حال الدخول ، الباء فى اضرب بالمقبل للاستعانة و مستاثرا خبر بعد خبر لما زال و هذا نعت ليوم الناس ، منذ هنا التاريخ .

(المعـانى)

و الله لا اكون : جملة خبرية أوردت لرد الشاك المنكر او فى انكار الى ما هو المحكوم به فى نفس الأمر و حق للتاريخ يعنى أن وصول طالبها و خداع راقيها بعد الدم بزمان مدرج و لكن لرد الحكم من الخطاء الى الصواب و هنا قد رد من اعتقد فيه عليه السلام ، الرضى البغى و الظلم و الركون الى متابعة مخالفية من ذلك الاعتقاد الخطأ الى المقاتلة و عدم الرضا بها و هما الصواب و فى ايراد أضرب بعد ضمير الراجع اليه عليه السلام فائدة الاستمرار و الثبات على ما عرفت غيره أن تقديم المسند اليه على المسند اذا كان فعلا مستقبلا يفيد الاستمرار .

و فى تقديم بالمقبل فائدة القصر للافراد يعنى ما اضرب الا باستعانة من المقبل الى الحق دون الانفراد و دون الاستعانة و بغيره جميعاً او بغير وحده وكذا فى بالسامع و إنما وحد المقبل وما عطف عليه من الالفاظ المفردة المحلاة باللام للاستغراق ليكون ابلغ فى افادة الاستغراق مع اشتماله على الاختصار فى اللفظ على ما عرفت فى قوله تعالى : رب انى وهن العظيم منى ، فو الله ما زلت أيضا جملة خبرية أوردت لرد المتردد فى الحكم الى ما هو الصواب فى الواقع و الباقى معلوم من القواعد السالفة فى علم المعانى .

(البيـان)

قد شبه عليه السلام بقوله لا أكون الى راصدها .

تأخره عليه السلام عن القتال معهم و المقاومة و الصبر على مكرهم

و خداعهم حين قصدوه بالاستيلاء عليه السلام لو صبر بصبر الضبع تأخرها عن المقاومة و يومها حين يقصدها الضابط بضرب الحجر ، و وجه الشبه ما أشار اليه عليه السلام بقوله تنام على طول وهو التغافل حتى يستولى الخصم القاصد عليه و هذا تشبيه المركب بالمركب .

و وجه الشبه عقلي و مراده عليه السلام انه لو تأخر لكان مثل الضبع فى استيلاء الخصم عليها و لكن لا يجوز للعاقل أن يرضى بغلبة الخصم عليه فلذلك اكد نفى الرضا بالقسم البار و نفى كونه عليه السلام مثل الضبع فى الحالة المذكورة و اتيان اليوم المقدر كناية عن الموت .

(البديع)

راعى فى اضرب بالمقبل الى ابداء المقابلة حيث قابل المقبل بالمدبر و العاصى بالمطيع و المريب بالسامع لأن المرتاب فى الحق مقابل للقائل له .

(الفحوى)

قال ابو عبيدة (١) : اقبل امير المؤمنين عليه السلام يريد الطواف و قد هزم اتباع طلحة و الزبير و قتالهما فأشار عليه ابنه الحسن عليه السلام أن لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال أى لا يعد فأجابه عليه السلام بهذا الكلام و ورى فى سبب نقضهما البيعة انهما دخلا عليه بعد أن بايعاه بايام قالا

(١) معمر بن مثنى كمعى البصرى النحوى اللغوى كان متبحراً فى علم اللغة و ايام العرب و اخبارها اخذ عن يونس بن حبيب النحوى و هو اول من صنف غريب الحديث و كان ابو نواس الشاعر يتعلم منه و يصفه مات فى سنة ٢١١ .

قد علمت جفوة عثمان لنا و ميله إلى بنى أمية مدة خلافته و طلبا منه أن يوليهما المصرين الكوفة و البصرة فقال لهما انظر ثم استشار عبد الله بن العباس فمنعه من ذلك فعاودا فمنعهما فسخطا و فعلا ما فعلا .

قوله : و الله لا أكون إلى راصدها : اشارة إلى انى لا أقدر أن اتبعهما و لا أعد لهما للقتال لأنهما يريدان أن يخدعانى و يغلبا على ظالمين باغين و الاطمينان إلى الانظلام ظلم عظيم لا يركن اليه العاقل فلو تأخر لكنت شبيها بالضبع التى تنام و تسكن على طول حيلة صائدها حتى يستولى عليها ، و يحكى فى كيفية صيدها انهم يضعون فى جحرها حجرا و يضربون بأيديهم بابه . . . . [1] الحجر سببا لصيده فتخرج فتصاد ، و يقال انها من أحمق الحيوان ، و كان من غاية حمقها يدخل عليها فيقال ليست هذه ام عامر فيسكن حتى يوثق رجلها بحبل معدّ لصيدها .

و بالتحقيق هذا الكلام فى تقدير ملازمة شرطية هى لو تأخر لكنت راضيا بالبغى و الظلم علىّ و لكنى لا أرضى بهما فلا أتأخر بل أقاتل بالاستعانة من المقبلين إلى الحق المعرضين عن وساوس الشياطين مع المدبرين عنه فيلزم و أشار إلى هذا المعنى بقوله ، لكنى إلى أبداً ثم فسر الأبد بغاية عمره لأنه الأبد الممكن .

ثم نبه على أن مثل هذه الحالة من نقض البيعة و الغدر و المنع

(١) كذا بياض فى الأصل .

من الحق ليس أول قارورة كسرت فى الاسلام بقوله .

فو الله إلى آخره : يعنى أول زمان كونى مدفوعا عن حق الثابت لى بالنص بعد اسمها لى له[1] مختاراً على غيرى يوم اختيار الله لقاء النبى صلوات الله عليه مع هذا اليوم الذى كنا فيه .

و هى شكاية مؤكدة للشكايات السابقة مقررة لما أنّ هذا الأمر بلاء مستمرّ علىّ من يوم المفارقة و أشار بالحق إلى الخلافة و بالله العصمة.

* * * * *

(١) كذا فى الأصل .

٧ – ومن خطبة له عليه السلام

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ.

فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

(اللغة)

ألاتخاذ : افتعال من أخذت الشيء أخذه اخذاً أى تناولته الا أنه أدغم بين تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل قالوا اتخذ يتخذ . . . . (١)

ملاك الأمر بفتح الميم و كسرها ما يقوم به و منه يقال القلب ملاك الجسد و فى بعض النسخ مالكا و هو اسم فاعل من ملكت الشيء أملكه ملكا .

الاشراك : يجوز أن يكون جمع شريك كأشراف و شريف و أن يكون جمع شرك و هو حبائل الصيد كجبل و أجبال الواحدة شركة الفرخ ولد الطائر .

يقال افرخ الطائر : و فرخ إذا أخرج الفرخ من البيض .

دبّ على وجه الأرض يدب دبيبا : اذا مشى مشيا ضعيفا و كل ماش على الأرض دابة .

درج الرجل و الضب يدرج دروجا : إذا مشى مشيا قويا الدبيب يقال أيضا درج القوم إذا انقرضوا و فى المثل اكذب من دب و درج أى أكذب الأحياء و الأموات ، الحجور جمع حجر الانسان بالفتح و الكسر .

قال الفراء : زللت بالكسر فى الماضى و الفتح فى الغابر زللا إذا زل طين أو منطق ، الخطل المنطق الفاسد المضطرب .

يقال خطل فى كلامه : بالكسر فى الماضى و الفتح فى الغابر خطلا و أخطل أى أفحش .

---

(١) كذا بياض فى الأصل .

شركته فى البيع و الميراث : بالكسر فى الماضى و الفتح فى الغابر شركة .
السلطان : الحجة . و منه قوله تعالى « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان[1] » .

(الاعراب)

انتصاب فعل يحتمل أمرين احديهما ان يكون بفعل مضمر دلّ عليه سياق الكلام تقديره فعلوا ذلك فعل الثانى أن يكون بغير فعله على نحو قعدت جلوسا و هو اتخذه و الضمير فى سلطان عائد الى من و الثانى ظاهر .

(المعانى)

الفاء فى فباض للتشبيه يعنى ان اتخاذه اياهم شراكا سبب لأن باض ، و فى ايراد الفعل الماضى دليل على الوقوع و تمكن الشيطان منهم و كذا الفاآن فى فنظر و فركب و الباقى معلوم .

(البيان)

فى قوله اتخذهم له اشراكا : على الاحتمال ، الثانى استعارة حسنة مكنى بها عن كونهم للشيطان فى اضلال الخلق مسخرين لأوامره مستدعية لتشبيههم بحبائل الصايد و هما محسوسان ، و وجه الشبه ان الشيطان جعلهم اسبابا لدعوة الخلق إلى مخالفة الحق و ذرايع لاصطياد الخلق بألسنتهم و أموالهم و ما القاه فى خواطرهم من الوساوس كما أن الصائد جعل الحبائل وسائل لاصطياد الصيود النافرة و هو عقلى و بالجملة اشتراكهما فى كونها اسبابا للظفر على المطلوب .

(١)) الحجر : ٢٣ .

فى فباض و فرخ فى صدورهم : استعارة حسنة تخييلية مكنى بها عن شدة تمكنه فيهم و ملازمته اياهم مستدعية لتشبيه هيئة استقرار الشيطان فى قلوبهم و صدورهم بهيئة تمكن الطائر فى عشه عند أن باض و فرخ .

و وجه الشبه أن الشيطان يلازم قلوبهم وصدورهم بحيث لا يفارقها البتة لتمكن الضلال و الباطل فى سويدائها و يظهر فائدة الملازمة فى اضلالهم غيرهم كما أن الطائر ملازم عشه بعد أن باض و لا يفارق حتى ينفلق البيض و يخرج الفرخ و يكبر و هى استعارة فى غاية اللطافة و نهاية النفاسة و تمامها يتوقف على تشبيه قلوبهم و صدورهم بالعش .

وجه الشبه انها محل تصرف الشيطان و اظهاره نتايج فعله كما أن العش محل تصرف الطائر و ايذاء نتيجته و هذا كله مبالغة فى استيلاء الشيطان عليهم و دب و درج فى حجورهم استعارة مكنى بها عن تربيتهم للباطل و ان الشيطان قدير بى بتربيتهم و ايتسر دعوتهم بهم مستدعية لهيئه ملازمة الشيطان لهم و عدم مفارقته عنهم بهيئة ملازمة الطفل لوالدته و عدم مفارقته عنهم ، و وجه الشبه انهم يدنون الشيطان و يمكنونه من أنفسهم تربية الوالدة ولدها و تمكنها من نفسها .

(البديع)

بين اشراكا و ملاكا : السجع المطرف وكذا بين سلطانه و لسانه و بين صدورهم و حجورهم المتوازى و الترصيع وكذا بين الزلل و الخطل .

(الفحوى)

اعلم أن هذا الفصل قد ساقه عليه السلام لذم المنابذين لعهده المخالفين لأوامره فأشار أولا بقوله: اتخذوا الى ملاكا إلى انقياد نفوسهم إلى شياطينها الى حد جعلوا ازمة مصالحهم إليها و ألقوا مقاليد أمورهم فى أيديها و جعلوها أولياء لأنفسهم بحيث عزلوا عقولهم بالكلية عن التدبير و فوضوا تدابير معايشهم إليها و هذا يدل بالكناية على سلب الايمان عنهم لأن المؤمن لا يقدم على هذا الفعل، و انما يقدم من لا ايمان له على ما ينبىء عنه قوله تعالى «انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون»[1] .

ثم أشار بقوله: و اتخذهم له اشراكا إلى انهم بعد تفويضهم أمورهم إلى الشيطان صاروا أعوانا و انصارا له، يضل بهم الشيطان الخلائق، و وجه الشبه قد عرفت هذا على الاحتمال الثانى اما على الأول فمعناه ان الشيطان قد اتخذهم لنفسه شركا يضلون الخلق عن طريق الحق كاضلاله اياهم، و قوله فباض إلى حجورهم معلوم من البيان قوله فنظر بأعينهم. و نطق بألسنتهم اشارة إلى نتيجة تمكنه فيهم و ملازمته لهم و هى وجوه تصرفه في أجزاء أبدانهم .

يعنى لما فوضوا تدابير أنفسهم إليه و عزلوا عقولهم عن التصرف بالكلية جعل الشيطان أعينهم آلة أنصاره و ألسنتهم آلات نطقه فلا ينظر أعينهم إلى الحق أصلا و لا يدور ألسنتهم بما هو له شائبة الحق بل

(1) الاعراف: ٢٧ .

لا يقع

لا يقع أعينهم الا إلى الباطل و لا يجرى ألسنتهم إلا بالمقالات الفاسدة المفسدة و إلى هذا المعنى الذى هو ثمرة تصرفه فى أعضائهم و جوانبهم، و أشار بقوله: فركب بهم الزلل و زين لهم الخطل .

يعنى أن الشيطان بمعونتهم ركب الزلل الذى هو الخطاء فى الأفعال هنا مجازا و زين لهم الخطاء فى الأقوال . قوله : فعل من قد شركه إلى آخره تنبيه على ان صدور هذه الأفعال و الأقوال منهم انما هو بمشاركة الشيطان و متابعته و مبالغة فى أن أفعالهم لا يخلو قط من ضلال و مخالفة للحق .

• • • • •

٨ – وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

يعنى به ألزبير فى حال اقتضت ذلك

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ ؛ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ ، وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ ؛ وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ .

اللغـــة

الزعم : حكاية قول يكون مضنة للكذب و لهذا جاء فى القرآن فى كل موضع ذم القائلون به نحو « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا »[1] « بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا »[2] و غيرهما من الآيات .

المبايعة و البيعة : عهد يجرى بين طائفة على الاتفاق و طاعتهم لمن جعلوه رئيساً مطاعاً و أصلها من الباع الذى هو قدر مدّ اليدين ، و لما جرت العادة فى مدّ الباع لهذا العهد المشروط سموه مبايعة كما يقال للعقد الذى يلزم بالتصفيق صفقة .

الولجة : البطانة و الدخلة من ولج يلج ولوجاً و لجة أى دخل .

قيل بين الدخول و الولوج ، فرق و هو أن الولوج دخول على اكراه و لهذا قال عز من قائل « حتى يلج الجمل فى سم الخياط »[3] و قد جاء فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه و آله كان فى خباء فقال له رجل : أ ألج قال بل ادخل و انما قال ذلك لأن الولوج يؤذن بالكراهية .

(الاعراب)

الضمير فى يزعم : و ما كان فى حيزه للزبير و الا أصله أن لا للشرط و لهذا جاء بالفاء فى جوابه فادغم النون فى اللام تقديره ان لم يأت عليها بينة فليدخل و الباقى ظاهر .

(١) التغابن : ٧ . (٢) الكهف : ٢٨ . (٣) الاعراف : ٣٠ .

(المعـانى)

الفآء فى فقد أقر : للتشبيه و فى فليات فصيحة .فصحة عن محذوف هو سبب لهذا الأمر و سيعرف تقديره فى الفحوى .

(البيـان)

ليس فيه شيء منه .

(البديع)

بين يده و بقلبه المطرف .

(الفحوى)

اعلم أن هذا كلام صدر منه عليـه السلام لبيان صورة مناظرة جرت بينه عليه السلام و بين الزبير حين نقض البيعـة و نكث العهد، مشتملة على تقدير حجة احتج بها عليه السلام عليه وصورة نقض صدرت من الزبير و جواب صدر عنه عليه السلام عن هذه النقض فكأنه عليه‌السلام قال له عند نقضه البيعة الوفاء بالعهود و الشروط من أركان الايمان على ما دلّ عليه قوله تعالى « أوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا »[1] ، و قول النبي عليه السلام : المؤمنون عند شروطهم .

فأجابه عليه السلام الزبير بأن الايفاء بالعهود و الايمان انما يجب إذا كان الجنان موافقا لما جرى على اللسان و ليس كذلك بـل ان قلبي ما وافق لسانى و يدى و قد ورّيت فى نفسى الخلاف و انما اجاب هذا بناء على توهمه أن مثل هذا الدعوى لا يقبل فى الشريعة و هو الذى أشار إليه عليه السلام بقوله يزعم انه بايع بيده و لم يبايع بقلبه .

(١) الاسراء : ٣٥ .

ثم أجابه عليـه السلام بقياس حذف كبراه و أشاره إلى صغراه بقوله فقد أقر بالبيعة و ادعى الوليجة أى أقر بما هو مواخذته فى الشريعة و ادعى انه قد اضمر فى نفسه ما هو بخلافه و الكبرى المحذوفة هى كل من ادعى الأضمار مخالفة القلب بعد الاقرار باللسان يحتاج إلى بينة تثبت دعواه فينتج انه محتاج إلى بينـة و قد أشار إلى هذه النتيجه بقوله فليأت عليها بأمر يعرف أى بذلك الأمر صحة دعواه الوليجة .

ثم لما كان اقدم البينة على الوليجة التى أمر باطنى لا اطلاع للشهود عليه أصلا امرا متعذرا محالا نبه بقوله و إلا فدخل فيما خرج منه على إن الدخول ثابتا فى البيعة التى أقربها و قد خرج منها بالنقض و النكث واجب مقرر فى الشريعة .

* * * * *

٩ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هٰذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ؛ وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ، وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ.

اللغـــة

رعد الرجل و ارعـد و برق و أبرق : اذا هدد و أوعـد و ذلك مشبه بالغيم اذا أرعد و أبرق فقد انذر و أخاف قال ابن أحمر :

يا جل ما بعدت عليـــه بلادنا ٭ و طلابنا فابرق بأرضك و ارعد

و قال الـكميت[1] أيضا :

أبرق و أرعد يا يزيد ٭ فما وعيدك بى بضائر

أى هدد و أوعد . الفشل الضعف و الفشل بكسر الفاء و سكون الشين المعجمة الرجل الضعيف وقع الشىء يقع وقوعا أى سقط و أوقعه غيره أى أسقطه . سال المآء و غيره يسيل سيلا و سيلانا و أساله غيره و سيله . السيل واحد السيول و هو فى الأصل مصدر ثم جعل اسما للماء الذى يأتيك و لم يصبك مطره و منـــه قوله تعالى : فاحتمـــل السيل زبدا رابيا .

(الاعراب)

الأمرين بكنايتان الارعاد و الابراق و إن لم يذكرا تعويلا على ذكر فعلهما على طريقة قولهم من كذب كان شرا له و حتى هاهنا بمعنى

---

(١) أبو المستهل الـكميت بن زيد الأسدى شاعر مقدم عالم بلغات العرب خبير بايامها و كان معروفا بالتشيع مشهورا بذلك كان فى الـكميت عشر خصال خطيب أسد ، فقيه الشيعة حافظ القرآن ثبت الجنان حسن الخط نسابة جدلا أول من ناظر فى التشيع ، راميا ، فارسا شجاعا سخيا دينـا و له مع أبى جعفر الباقر عليه السلام اخبار و كذا مع الصادق عليه السلام ولد سنة ستين و توفى سنة ١٢٦ .

إلى و يحتمل أن يكون بمعنى كى و انما نصب ما بعدها لوقوعها بعد النفى وكذا ما بعد نمطر .

(المعــانى)

ليس فيه خاصية دقيقة يحتاج إلى استخراجها بل ما فيه من الخواص معلوم من القواعد السالفة فى علم المعانى .

(البيــان)

فى ارعد و اوابرقوا : استعارة تخييلية مكنى بها عن شدة تهديدهم و وعيدهم مستدعية لتشبيه الوعيد و هو أمر عقلى بالرعد و البرق و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى الايخاف المزعج و هو عقلى و إنما قلنا هذا لأن ارعد و ابرق فى أصل الوضع لاصابــة الرعد و البرق لا غير و ما أوردناه من البيتين أيضا مستعمل على سبيل الاستعارة .

فى فلسنا نرعد حتى نوقع : استعارة تخييليــة مكنى بها عن اثبات الشجاعة لنفسه و أصحابه مستدعية لتشبيه هيئة تأخر أقواله عن أفعاله بهيئة تأخر الارعاد عن ايقاع المطر و وجه الشبه اشتراكهما فى المكان يعنى كما ان ايقاع المطر أن يكون الارعاد متأخرا عنه كذلك كان الأفعال أن يكون الأقوال بها متأخرا عنه و فى نسيل حتى نمطر مثل هذه الاستعارة .

(البديع)

بين نوقع و نمطر المطرف .

(الفحوى)

اعلم انه عليه السلام ساق هذا الكلام لاثبات الدعوى المجرد للشجاعة من غير معنى للناكثين فى معرض الذم و اثبات معنى الشجاعة الخالى عن الدعوى لنفسه عليه السلام فاشار أولا بقوله : و قد أرعدوا و ابرقوا إلى انهم هددنا و أوعدنا بالحرب و بقوله مع هذين الأمرين بالفشل إلى اثبات رذيلة الجبن لهم مع ايعادهم ايانا و هكذا الأمر فى الواقع فان التهديد قبل ايقاع الحرب باللسان من امارات الجبن كما أن الثبات و السكون من علامات الشجاعة .

و من ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام معلما كيفية الحرب : و أميطوا أصواتكم فانه أطرد للفشل ، و بقوله : فلسنا نرعد حتى نوقع نبه على اثبات الشجاعة لنفسه و لأصحابه و نفى رذيلة الجبن عنهم و بقوله : و لا نسيل حتى نمطر على اثبات نتائجها لهم من اسالة الدماء بعد ضرب السيوف و الحاصل أن للسحاب حالين أحديهما حالة نقصان و هى اقترانه بالرعد و البرق من وقوع مطر و سيل ، و الأخرى حالة كمال و هى اقترانه بايقاع المطر و الاسالة ثم بالارعاد و الابراق و قد شبه حالهم بالحالة الأولى و حاله عليه السلام و حال أصحابه بالحالة الثانية هذا من الكلام الذى يشم منه رايحة بلوغه أعلى الرتب السنية فى الشجاعة .

* * * * *

١٠ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي: مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ. وَايْمُ اللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ! لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

(اللغـــة)

حزب الرجل : أصحابه و الحزب أيضا الطائفة و الحزب أيضـا الورد و منه قولهم حزبت القرآن و تحزبوا وتجمعوا وانما سمى أصحاب الرجـل حزبا لتجمعهم عليه و باضافته الى الضمير للشيطان عين أن المراد به أصحابه .

جلب الشيء : بالفتح فى الماضى و الضم و الـكسر فى الغابر جلبـا و جلبا أى جذبه و جمعه الى نفسه و الاستجلاب هنا بمعنى الجمع . الخيل اسم مشترك بين الأفراس و الفرسان . قال الله تعالى و من رباط الخيل [1] أى الفرس ، وقال عليه السلام عفوت لكم عن صدقـة الخيل بمعنى الأفراس و قال تعـالى : اجلب عليهم بخيلك ورجلك [2] أى بفرسانك و رجالتك .

قال عليه السلام : ياخيل الله اركبى يعنى الفرسان . و اقتران الرجل هنا به عين أن مراده عليه السلام الفرسان الراجل خلاف الفارس و هو الماشى بالرجل و جمعه رجل كصاحب و صحب و رجالة و رجال نحو ركاب .

قيل انما سمى الفرسان بالخيل لاختيالهم و خيل الشيطان ما دار فى الخيالات من همم السوء و رجله ما سمت به لا رجل من الخطايا و الذنوب . البصيرة : الحجة و الاستبصار فى الشيء قال الله تعالى بل الانسان على نفسه بصـــيرة [3] .

قيل : العقل و قيل البصر قوة يدرك بها الامور المرتبة و البصيرة قوة القلب يدرك بها الامور المعقولة يقال لبست عليه الأمر بـالفتح

(١) الانفال : ٦٠ (٢) الاسراء : ٦٤ (٣) القيامة : ١٤

فى

فى الماضى و الكسر فى الغابر لبسا أى خلطت و منه قوله تعالى « و للبسنا عليهم ما يلبسون [1] » و اللبس أيضا اختلاط الظلام و فى الأمر لبسة بالضم أى شبهة ليس بواضح .

التلبيس : التخليط شدّد للمبالغة و رجل لباس ولا يقل ملبس الايم التوجد و منه ايتمت المرأة اذا انفردت عن زوجهم يقال أيم يأيم ايما أى انفرد و قيل للحرب مائمة لانفراد الرجل عن أزواجهم و انفرادهن عنهم فعلى هذا يكون معنى أيم الله وحدانية الله ستعرف تمام الكلام فيه فى الاعراب .

فرطت القوم : بالفتح فى الماضى و الضم فى الغابر فرطا أى سبقتهم الى الماء . . . [2] فارط و الجمع فراط و فرط فى الأمر يفرط فرطا أى قصرفيه و ضيعه حتى فات وكذلك التفريط و فرط عليه أى عجل و عدا و أفرطه أى أعجله و فرط اليه منى قول أى سبق و أفرطت المرأة اولادا أى قدمتهم و افرطت المرادة أى ملأتها يقال غدد مفرط أى ملان ، فعلم الا الاول متعد نفسه و الثانى متعد بفى و الثالث بعلى و الرابع بالى ولا فرطن فيه روايتان .

احديهما فضم الراء و هو عليها من فرطت القوم و هى الاشهر و الثانية بكسر الراء و هو عليها من فرطت القوم نفرط بكسر العين فى الغابر و هى لغة بارزة جدا و قد جائت الرواية أيضا لأفرطن بضم الهمز و

(١) الانعام : ٩ (٢) كذا بياض فى الاصل

من فرطته أي تركته كسر الراء و تشديدها و قدمته و منه قول الشاعر « معه سقاء لا يفرط حمله » أي لا يترك حمله ولا يفارقـــه .

الحوض: واحد الاحواض و الحياض و هو مجتمع الماء و أصله من استحوض الماء أي اجتمع .

الماتع بالتاء: المنقطة بنقطتين من فوق المستقي وكذلك المتوح يقول متح الماء بالفتح فى الماضي و الغابر متحا اذا نزعه و بنقطتين من تحت الذي ينزل البئر فيملاء الدلو و ذلك اذا قل ماءها و الروايـة هي الاول يقال صدرت عن الماء عن البلاد صدرا أي رجعت قيل صدره أي أصاب صدره أو قصد قصده نحو ظهره وكيفيته و منه قيل رجـل مصدور يشكو صدره و اذا عـدى صدر يعن اقتصى الانصراف يقول صدرت الابل عن الماء صدرا .

(الأعراب)

الا : وضع لتنبيه المخاطب قبل الركوع فى الجملة ليتنبه لما يقـال له لأنه قد يفوته على تقدير الغفلة بعض ما ذكر فاذا جيئ بالا و قدر فوته لم يضر ولا يدخل الا على المركبات الجملة و الوا و بعده عطف على كلام قـد سبق ، و أيم الله قيل أصله أيمن الله حذفت تخفيفا كما حذفت من لم يكن و هو جمع يمين و قيل ليس بجمع بل اسم وضع للقسم و ألفه ألف وصل عند اكثر النحويين و لم يجئ فى الاسماء الف الوصل مفتوحة غيرها و هو مبتدأ محذوف الخبر .

تقديره أيمن الله قسمي و قيل ألفه للقطع و قد يطرح فى الوصل

لكثرة الاستعمال وما أوردناه من أن أيم معناه الوحدانية و الواو للقسم معنى جيد يجوز التعويل عليه و اللام فى لأفرطن هى اللام المفتوحة الذى يدخل على الجملة المثبتة اسمية كانت أو فعلية ليدل على ان بعدها هو المقسم عليه وكذا فى لمعى و النون قد اجتلبت لزيادة التاكيد .

و أنا ماتحة : جملة اسمية وقعت نعتا لحوضا ولا يصدرون عنه أيضا نعت بعد نعت .

(المعانى)

تصدير الجملة الاولى بألا يدل على شدة الاهتمام باستماعها و بأن على رد المخاطبين عن الخطاء الى الصواب و تصدير أن معى لبصيرتى بأن وار دافه باللام يؤذنان بأن هذا الجملة انما اوردت لرد المنكر عن الحكم المخالف لهـذا فى حقه الى الصواب ، و انما قطع ما لبست عما قبله ليكون تعليلا للجملة السابقة و تصدير لأفرطن بالقسم البار .

و اللام مع نون التاكيد يوذن بانه عليه السلام انما أورد هذه الجملة لرد المنكر المصر لشجاعته و قدرته على اعداد الحرب و عن اعداد الحرب عن تصور الجبن و العجز فى حقه عليه السلام الى ما هو الصواب و تنكير الحوض يدل على تعظيمه و تقديم لهم عليه يوذن بالقصر للافراد و وصفه الحوض بجملتين احديهما راجعة الى نفسه عليه و الاخرى راجعة اليهم يؤذن بتفخيم ذلك الحوض و غاية تصرفه فيه و نهاية عجزهم عن دفعه و الباقى معلوم مما ذكرنا .

(البيان)

فى لأفرطن لهم حوضا : استعارة تخييلية مرشحة مكنى بها

عن اعداد حرب عظيم لهم مستدعية لتشبيه هيئة حيازته عليه السلام الجند و تهيئة اسباب الحرب لهم بهيئة اجتماع الماء الكثير فى بركة عظيمة و هما مركبان : و وجه الشبه اشتراكهما فى الكثرة و كونهما سببا لهلاك من انغمس فيهما و تخييل انها من أفراد هيئة اجتماع الماء فى موضع و بذكر الافراط و المتح و الصدر رشحها ، و لا يصدرون عنه كناية عن هلاك من خاض فى ذلك الحرب كمن خاض فى الماء العظيم و غرق فيه .

(البديع)

بين حزبه و رجله : المتوازى فى لا يصدرون و لا يعودون إليه راعى المقابلة .

(الفحوى)

اعلم أن مدار هذا الفصل على ثلاثة أمور ، أولها الذم لاصحاب الجمل و تنفيرهم عما كانوا عليه و أشار بقوله : و ان الشيطان إلى رحله يعنى أن الباعث لهم و الجامع على مخالفة الحق و متابعة الهوى ، انما هو الشيطان الذى يلقى فى قلوبهم الوساوس و يضلهم عن متابعة الحق بتسويله اياهم زخارف الدنيا فكل من وافقهم فى مخالفتى و تابعهم فهو من حزب الشيطان و فرسانه و رجالته .

و ثانيها التنبيه على كمال عقله و تمام استعداده لاستيضاح الحق و تكميل النفوس الناقصين و على أن الأمر ليس ما تصوروا فى حقه من النقصان و أشار إليه بقوله و ان بصيرتى لمعى يعنى انما يدرك به الأمور المعقول و يتميز به النافع فى طريق الحق عن الضار و يحصل به الهداية

و الاهتداء معى ما فارق عنى بمتابعة الهوى و غلبة الأهواء و البدع علىّ و هو أيضا تعريض بحالهم .

يعنى أن بصيرتكم قد فارقتكم بركونكم إلى اقتناء اللذات و اقبالكم إلى الدنيا و زخارفها و أدباركم عن الآخرة لا عنى فانى ثابت على الصراط المستقيم ما انحرفت ثم أكد ذلك بقوله ما لبست على نفسى يعنى ما خلطت على نفسى المطمئنــــة باتباعى نفسى الأمارة و لا انخدعت السنة الباطلة و التمويهات الكاذبة التى رتبها النفس بالآمارة لانخراط النفس القدسية فى سلك حزب الشيطان ، قوله : و لا لبس على أى ما ظفر علىّ ضال قدّر على تخليط الحق علىّ و اضلاله اياى .

و الحاصل ان التابس ما حصل لنفسى القدسية لا بواسطة نفسى الأمارة و لا بواسطة غيرها من المضلين الذين انخرطوا فى سلك حزب الشيطان و هذا أيضا تعريض للخاطبين بأنهم قد التبس الأمور الباطلة عليهم باستيلاء النفس الأمارة عليهم و غلبة الشيطان المضل و هذا الكلام مثل قول القائل لمن أراد أن ينسبه إلى خبث الولادة اما أنا فلست بابن زان ، و ثالثها تهديدهم باعداد حرب عظيم لهم ان لم يرجعوا إلى الحق .

قوله : و أيم الله لأفرطن لهم حوضا أى و وحدانية الله تعالى لأهيئن لهم حربا عظيما الضارب بالسيف فيه أنا و المعطى ايام الطعن أنا حربا لا يخلص عنه من خاض فيه و من خاض عنه مرة لا يعود إليه البتة مرة ثانية لشدته .

*****

١١ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لابنه محمد بن الحنفية لمـا أعطاه الراية يوم الجمل

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلاَ تَزُلْ ! عَضَّ عَلَى نَاجِـذِكَ ، أَعِرِ اللهَ جُمْجُمَتَـكَ ، تِدْ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ ، ارْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ ، وَغُضَّ بَصَرَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ

اللغـــة

أزال الشيء يزول زوالا : فارق طريقته جانحا عنه و الزوال انما يقال فى شيء كان ثابتا فان قيل فقـــد قالوا زوال الشمس و معلوم أن لا ثبات للشمس بوجه ، قلنا ان ذلك قالوه لاعتقادهم فى الظهيرة أن لها ثباتا فى كبد السماء و لهذا قالوا قام قائم الظهيرة .

يقال عض به و عض عليه و عضه يعض عضا : إذا أخذه بالسن ، و الأمر منه عض .

الناجذ : السن الذى بين الأضراس و الناب قال الجوهرى : الناجذ هو آخر الأضراس و للانسان أربعة نواجذ فى أقصى الأسنان بعد الأرحاء و يسمى ضرس الحلم لأنه ينبت بعد البلوغ و كمال العقل ، يقال : ضحك حتى بدت نواجذه إذا استغرب فيه .

أعر الله : فيه روايتان أحديهما بالراء المهملة و هو أمر من أعاره اعارة و هى الأشهر ، الثانية بالزاء المعجمة و هو أمر من أعزه يعزه اعزازا و العزة مانعة للانسان من أن يغلب من قولهم أرض عزازة أى صلبة فعلى الأول أمر و على الثانية دعاء .

الجمجمة : بضم الجيمين و سكون الميم الأولى و فتح الثانية الرأس.

الوتد : بالكسر واحد الأوتاد و بالفتح لغة و كذلك الود فى لغة من يدغم تقول وتدت الوتـد أتـده و تدا اذا أمرت قلت تدو تدك بالميتدة و هى المدق من الصحاح .

الرمى مصدر رمى يرمى و هو يقال فى الأعيان كالسهم و الحجارة و ما شاكلهما قال الله تعالى : « و ما رميت و لكن الله رمى »[1] ، و يقال فى المقال كناية عن الشتم قال الله تعالى : « و الذين يرمون المحصنات »[2]، و نظيره فى القرآن كثير يقال فلان بالمكان الاقصى و الناحية القصوى و القصيا بالضم فيهما أى البعيد و البعيدة من القصا و هو البعد .

غض طرفه يغض غضا : أى خفضه و كل شىء كففته فقد غضضته و الأمر منه فى لغة أهل الحجاز اغضض و فى التنزيل : « و اغضض من صوتك »[3]، و أهل نجد يقولون غض طرفك بالادغام ، قال جرير[4] :

فغض الطرف انك من نمير ❊ فلا كعبا بلغت و لا كلابا

فغض الطرف احتمال المكروه .

﴿ الاعراب ظاهر ﴾

(المعانى)

إنما عدل عن الشرطية التى هو قوله تزول الجبال و لا تزل بحرقتها لشدة المبالغة فى النهى عن الزوال المستلزم للثبات المميت لقلوب الأعداء و قد قطع الأوامر المذكورة ايذانا بأن كل أمر منها مقصود امتثاله اذ كل من مقتضياتها مرهب للعدو ملق للرعب فى قلوبهم ليس الجمع بينهما شرطاً فى الارهاب و انما أتى بالواو بين ارم و غض

(١) الانفال : ١٧ . (٢) النور : ٤ . (٣) لقمان : ١٩ .

(٤) جرير بن عطية الخطفى الشاعر المشهور من شعراء بنى أمية و مادحيهم ، كان معاصرا للفرزدق و الاخطل و كان بينه و بين الفرزدق منافرة شديدة و مهاجاة و كان راعى الابل الشاعر يقضى للفرزدق على جرير و يفضله توفى جرير سنة ١١٠ .

ليؤذن بأن الجمع بينهما واجب و ستعرف تمام التحقيق فيه فى النحوى و الباقى ظاهر .

(البيان)

فى عض الناجد : كناية عن الثبات و الاستقرار يقال فلان فى الأمر الفلانى عض على ناجده أى ثبت فيه و استقر و يحتمل أن يكون المراد به حقيقته و فى أعر الله جمجمتك استعارة تخييلية لطيفة مكنى بها عن تفويض نفسه إلى الله تعالى و التوكل عليه و توطين القلب على أن من فوض أمره إليه جانحا عما سواه حفظه عن ظفر للأعادى عليه مستدعية لتشبيه الجمجمة و هى محسوسة بالآلة التى يستعار للانتفاع ثم يرد و هى أيضا محسوسة .

وجه الشبه اشتراكهما فى صلاحية الانتفاع بهما و هو عقلى و تخييل أنها من افراد الآلات و الا لم يصح جعلها مستعارة و فى تد فى الأرض قدمك استعارة تخييلية مكنى بها عن الاستقرار و الثبات مستدعية لتشبيه القدم و هو محسوس بالوتد و هو أيضاً محسوس و وجه الشبه اشتراكهما فى صلاحية الاثبات و هو عقلى .

(البديع)

بين ارم ببصرك و عض : المقابلة حيث قابل الرمى بالبصر الذى هو عبارة عن الفتح بالعض الذى هو الخفاضة .

(الفحوى)

اعلم أن مدار هذا الفصل على تعليمه عليه السلام ابنه أنواع آداب الحرب و ما يحفظ به روحه و يفوز بمطلوبه فنهاه أولا بقوله : تزول الجبال و لا تزول عن الزوال عن الموقف أى ان زالت الجبال عن مواقفها فلا تزل عن موقفك و هذا نهى عن الزوال مطلقاً فان النهى عنه على تقدير زوالها يستلزم على تقدير زوال أمر آخر بطريق الأولى.

ثم أمره بخمسة أوامر : الأول أشار إليه بقوله : عض على ناجدك و ذلك لاستلزامه الثبات و قوة القلب فان الانسان إذا خاف و عض على ناجده سكن خوفه و اضطرابه لاستلزامه أيضاً رفع تأثير الضرب فى الرأس على ما أشار إليه عليه السلام بقوله : عضو على النواجد فانه انبأ للسيوف عن الهام . الثانى أشار إليه أعر الله جمجمتك يعنى : توكل على الله تعالى و سلم نفسه إليه فان المرء إذا فوض نفسه إليه تعالى حق التفويض كان الله تعالى فى حفظه حتى يرده إلى مأمنه قال بعض الشارحين : فى أعر الله تنبيه لابنه محمد على انه لا يقتل فى تلك المحاربة فانه تعالى يرد العارية سالمة و هو قريب مما قلنا .

الثالث أشار إليه بقوله : تد فى الأرض قدمك : أى ثبت قدمك فى الأرض ثبات الوتد فيها فان الثبات يثمر قوة القلب و استصحاب العزم على الثبات و يجلب هموم العدو و انتهازه فانه يستدل بالثبات على الصبر و المكاره و عنده ينقهر . الرابع أشار إليه بقوله : ارم ببصرك

أقصى القوم أى افتح بصرك و انظر أقصى القوم ليطلع على مخاتل المخاتل و مقاتل المقاتل .

الخامس أشار إليه بقوله : و غض بصرك أى بعد مده و ذلك لأن الغض يزيل الجبن كما ان الرمى يشجع الفؤاد فان قيل بين الأمر بالرمى و الأمر بالغض تناقض قلنا لا تناقض لأن المراد بالأمر الأول التبصر و التأمل مجاز ، يقال رميت ببصرى أمراً عظيما و ان لم يكن ثم نظر هكذا قيل ، و الأولى أن يقول الأمر الأول إشارة إلى النظر الظاهر و الثانى إلى الباطن .

يعنى من شرط الخائض فى غمرات الحرب ان يبلغ نظره الظاهر جميع أطراف العسكر و يردد لحظه بين من قرب منه و من بعد و يغض نظره الباطن عن سوى الله تعالى و هذا يؤكد الأمر الثانى و يؤكد هذا المعنى قوله عليه السلام بعده : و اعلم أن النصر من عند الله سبحانه و هذا مثل قوله : « ان النصر من عند الله العزيز الحكيم » و ذلك ليطمئن قلبه بالثبات فى مقابلة العدو عند خطور قوله تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم[1] » بباله .

* * * * *

(١) محمد : ٧ .

١٢ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وقد قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ: أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هٰذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ

(اللغـــة)

الظفر : الفوز يقال ظفر بعدوّه و ظفره أيضا مثل لحق بـه و لحقه فهو ظفر ، الود أمر مشترك بين المحبة و التمنى تقول من الأول .

و ددت الرجل : بالكسر فى الماضى و الفتح فى الغابر ودا اذا أحببته و منه قوله تعالى : جعل لهم الرحمن ودا [1] و قوله تعالى : قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى [2] و له غير نظير فى القرآن و تقول من الثانى وددت لو تفعل ذاك و و ددت تفعل ذاك أودّودًّا أى تمنيت و منه قوله تعالى : ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم [3] و قوله : ودوا ما عنتم وله أيضا غير نظير قال الشاعر .

وددت وداده لو أن حظى * من الخلان ألا يصرمونى

أى لا يقطعون عنى و منه أيضا ما فى الكتاب و القرينة أن بعده .

يقـال شهده شهودا : أى حضره فهو شاهـد و قوم شهود أى حضور يقال أيضا شهد له بكذا شهادة أى أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد و المراد هنا الأول و قرينة الحال معينة اياه للمراد .

يقال هوى بالكسر يهوى هوى : أى أحب و هو يهوى هويا أى سقط من علو و الهوى معناه هنا المحبة لا هوى النفس .

الأخ : أصله اخو و هو المشـارك لآخر فى الولادة من الطرفين أو من احديهما أو من الرضاع : و يستعار لكل مشارك لغيره فى القبيلة أو فى الدين أو فى صنعته أو فى مودة أو ما شاكلها من المناسبات .

فقوله تعالى : قالوا لاخوانهم [4] ، فالمراد بـه مشاركوهم فى الكفر

(١) مريم : ٩٦ (٢) الشورى ٢٣ (٣) آل عمران : ٦٩ (٤) آل عمران : ٥٦

و قوله تعالى: انما المؤمنون اخوة [1]: المراد المشاركة فى الدين و قوله: اخوانا علـى سرر [2]، المراد المشاركة فى المودة و الألفة و قوله تعالى: يا اخت هرون [3]، المشاركة فى الصلاح و الاصل فى الاطلاق الحقيقة، فيكون المراد بأخى المشاركة فى الولادة مع كلمة تدل على المصاحبة.

العسكر: الجيش: القوم جماعة الرجال فى الأصل دون النساء و من ثم قال تعـالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن [4]، و قال الشاعر: أقوم آل حصن أم نساء و قد يراد به النساء جميعاً.

الأصلاب: جمع صلب و هو من الظهر كل شىء فيه فقار.

الارحام: جمع رحم، و هو اسم لما يصير نطفة الرجل و لداً من المرأة و قد استعير منه للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحد.

الرعاف: الدم يخرج من الانف و قـد رعف بالفتح فى الماضى و الضم و الفتح معا فى الغابر، و الضم فى الماضى لغة ضعيفة و رعف الفرس بالفتح فى الماضى و الضم أى سبق و تقدم فى الغابر.

الايمان: يستعمل على وجهين احديهما أن يكون اسماً للشريعة الذى جاء بها محمد صلى الله عليه و آله، و على ذلك: ان الذين آمنوا و الذين هادوا و الصابئون [5]، و يوصف به كل من دخل فى شريعته مقرا بالله و بنبوته، الثانى أن يستعمل على سبيل المدح و يراد بـه حينئذ اذعان النفس للحق على سبيل التصديق و ذلك باجتماع ثلاثة اشياء تصديق بالجنان: و اقرار باللسان و عمل بحسب ذلك بالاركان و على هذا نبه تعالى بقوله: و الذين آمنوا بالله و رسوله اولئك هم الصديقون، و يقال لكل واحد من التصديق

(١) الحجرات: ١٠ (٢) الحجر: ٤٧ (٣) مريم: ٢٨
(٤) الحجرات: ١١ (٥) المائدة: ٦٩

و الا

و الاقرار و العمل ايمان و قد عرفت الكلام فيه مكملا فى الخطبة الأولى .

(المعانى)

فى نعم : مقررة لما سبقها من كلام موجب أو منفى استفها ما كان أو خبرا هذا وضعها لغة و لكن فى العرف بخلاف ذلك و لذلك لو قارن بعد قوله أليس لى عليك ألف نعم ألزمناه تغليبا للعرف لا لأن الوضع كذلك و هنا فيه على موضعها الأصلى ، و لما يستعمل على وجهين احديهما النفى الماضى وتقريب الفعل نحو قوله تعالى : « و لما يعلم الله الذين جاهدوا »[1] و الثانى علما للظرف نحو قوله ، « و لما أن جاء البشير »[2] ، و هنا ظرف.

اعلم أن اللام التى تقع للأداة تقع على تسعة أوجه ، الأول الجارة و هى على نوعين احديهما أن يعدى الفعل مع امتناع حذفه نحو قوله تعالى : « و تله للجبين »[3] ، و الآخر أن يعدى الفعل لكن يجوز حذفها كما فى قوله تعالى : « يريد الله ليبين لكم »[4] و قوله تعالى : « فمن يرد الله يهديه » .

الثانى : للملك و ليس المراد ملك الغير بل الاختصاص بنوع فالمفيدة للملك مطلقا قوله تعالى « و لله جنود السموات و الأرض[5] » ، و قوله :

---

(١) التوبة : ١٤ .

(٢) يوسف : ٩٤ .

(٣) الصافات : ١٠٣ .

(٤) النساء : ٢٤ .

(٥) الفتح : ٤ .

«و لله ملك السموات»، و المفيدة للتصرف بوجه ما كقولك لمن يأخذ خشبا معك خذ طرفك لأحد طرفى.

الثالث: لام الابتداء و هى مفتوحة أبدا و لا يدخل الا على الاسم نحو قوله تعالى: «لمسجد أسس على التقوى[1]» و قوله تعالى: «ليوسف و أخوه أحب إلينا[2]»، و قوله عليه السلام: و لما وعظهم الله به ابلغ من لسانى.

الرابع: اللام الداخلة فى باب ان إما فى اسمه كما فى قوله تعالى: «ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى[3]» أوفى خبره نحو قوله تعالى: «ان ربك لبالمرصاد[4]» و قوله عليه السلام: انكم و الله لكثيرة فى المباحات و قوله و انى لعالم بما يصلحكم، و له غير نظير فى كلامه عليه السلام.

الخامس: الداخلة على إن المخففة ليميز بينها و بين ان النافية نحو قوله تعالى: «و ان كل لما جميع لدينا محضرون[5]» و قوله عليه السلام: أما و الله ان كنت لفى ساقتها.

السادس: لام القسم و ذلك يدخل على الاسم نحو قوله تعالى:

---

(١) التوبة: ١٠٨.

(٢) يوسف: ٨.

(٣) النازعات: ٢٤.

(٤) الفجر: ١٤.

(٥) يس: ٨.

« يدعو لمن ضره أقرب من نفعه[1] » ، و قوله عليه السلام : و الله . . .[2]
احبا لى و يدخل على الفعل الماضى نحو قوله تعالى : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب[3] » ، و قوله عليه السلام : لقد شهدنا فيما نحن فيه ، و قوله عليه السلام : و لقد علمتم انى أحق ، و له نظاير كثيرة فى كلامه عليه السلام و فى المستقبل يلزمه أحدى النونين نحو قوله تعالى : « ليؤمنن به » ، و قوله عليه السلام : « لأفرطن لهم حوضا ، و قوله عليه السلام : و الذى بعثه بالحق ليبلبلن بلبلة إلى الاخر ، و قوله تعالى : « و لتنصرنه ».

السابع : اللام فى خبر لو و لولا نحو قوله تعالى : « و لو انهم آمنوا و اتقوا لمثوبة عند الله[4] » ، و قوله عليه السلام : لو امرت به لكنت قاتلا أو نهيت عنه لكنت ناصرا ، و قوله عليه السلام : لولا حضور الحاضر إلى قوله لألقيت حبلها على غاربها .

الثامن : لام المدعو و يكون مفتوحة و لام المدعو إليه و يكون مكسورة نحو قوله عليه السلام : يا لله و للشورى ففتح الأولى لدخولها على المدعو وكسر الثانية لدخولها على المدعو اليه .

التاسع : لام الأمر و يكون مكسورة اذا ابتدى بها نحو قوله تعالى : « يايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم[5] » ، و ساكنة إذا دخلت

---

(١) الحج : ١٣ .

(٢) كذا بياض فى الأصل .

(٣) القصص : ١١١ .

(٤) البقرة : ١٠٣ .

(٥) النور : ٥٨ .

عليها واو نحو: «و ليتمتعوا فسوف يعلمون» [1]، او فاء نحو قوله تعالى: «فمن شاء فليؤمن» سيرعف بهم الزمان جملة وقعت نعتا لقوم.

المطلوب بالاستفهام بقوله أهوى اخيك: معنى حصول المحبة لا يصورها و ذلك مثل قول القائل احصل الانطلاق لزيد، الفاء فى فقد شهدنا للسببية الدال على أنّ حصول المحبة له صار سببا لحضوره بالقوة معه عليه السلام و ان لم يشهد بالفعل ثم لما كان هذا الحضور امرا يورث الابهام و اللبس و . . . [2] الطالب أزال عليه السلام تلك الحيرة بادخال لام القسم فى الجملة الفعلية و هى لقد شهدنا ليرتفع حيرته و يطمئن قلبه على أن الأصل فى احراز الثواب و فضيلة المصاحبة معه عليه السلام هو المحبة و ميل القلب إليه عليه السلام و الباقى ظاهر.

(البيان)

فى سيرعف بهم الزمان: إن أجرينا سيرعف على المعنى المشهور استعارة تخييلية مكنى بها عن حدوثهم فى أحسن طور من أطوار الزمان مستدعية لتشبيه الزمان بالانسان و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى كونهما من الأسباب المعدة لايصال الصور المفاضة من الفياض على الاطلاق بالقوابل و هو عقلى و تخييل أنه من أفراد الانسان و الا لم يصح اسناد سيرعف إليه و انما قلنا انها كناية عن حدوثهم فى أحسن طور لأن الرعاف رشح أحسن عضو من الوجه الذى هو أحسن الأعضاء.

(١) العنكبوت: ٤٤.　　(٢) كذا بياض فى الأصل.

(البديع)

بين الزمان و الايمان السجع المطرف .

(الفحوى)

اعلم أن مدار هذا الفصل على أن الأصل فى الاعانة و الحضور و هو ميل القلب و الهمة على ما ينبىء عنه قول النبي عليه السلام : نية المؤمن خير من عمله ، و قوله عليه السلام : الدال على الخير كفاعله ، و الحكم بأن اخ القائل لما كان بجوامع همته حاضرا معنا كان كالحاضر بالفعل و البدن فان كثيرا ممن لم يحضر فوائد همته فى رفع الخصام اكثر من كثير من الحاضرين بالأبدان .

قوله وددت إلى أعدائك : أى تمنيت أن اخى فلانا كان حاضرا ليشاهد نصر الله اياك على أعدائك و يفرح قلبه ، قوله عليه السلام : أهوى اخيك معنا : اى محبة اخينا مستقر معنا غير متزلزل و لا مضطرب ، فقال نعم أى مستقر معكم ، فقال عليه السلام : اذا كان محبا لنا فقد حضر معنا و فاز بالسعادة التى حصلت للحاضرين بالفعل .

ثم فسر المؤمنين الذين سيوجدون بعد زمانه عليه السلام بأنهم أيضا حاضرون بقوله و لقد شهدنا إلى الآخر ليتقوى قلب السائل بحضور أخيه و يستلذ المؤمن اذا تحسر على فوات مصاحبته مع أمير المؤمنين عليه السلام و سمع هذا الكلام و الباقى ظاهر .

* * * * *

١٣ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فى ذم أهل البصرة

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ: رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ، أَخْلاقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا

وفى رواية: وَايْمُ اللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ.

وفى رواية: كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

اللغـــة

الجنـد : الأنصار و الأعوان ، يقال فلان جند الجنود أى جمع الأعوان ، و فى الحديث : الأرواح جنود مجندة .

يقال تبعت القوم : تبعا و تباعة بالفتح ، إذا مشيت خلفهم أو مرّوا بك فمضيت معهم و التبع يكون واحدا و جماعة ، قال الله تعالى : « إنا كنا لكم تبعا[1] » و يجمع على اتباع .

البهيمة : هى المبهمة عن العقل و هى كل ذى أربع من ذوات البر .

الرغاء : صوت ذوات الخف و قد رغا البعير يرغو رغاء اذا ضج و فى المثل كفى برغائها مناديا أى أن رغاء بعيره يقوم مقام ندائه فى التعريض للضيافة و القرى ، جواب الكلام هو ما يقطع الجوب ، فيفصل من فم القائل إلى سمع المستمع لكن خص بما يعود من الكلام ، دون المبتـدأ من الخطاب « و الجواب يقال فى مقابلة السؤال و السؤال على ضربين طلب مقال و جوابه المقال و طلب نوال و جوابه النوال فعلى الأول قوله تعالى : « اجيبوا داعى الله[2] » ، و على الثانى « قد اجيبت دعوتكما »[3] اى أعطيتكما ما سألتما و منه فأجبتم .

---

(١) ابراهيم : ٢١ .

(٢) الاحقاف : ٢١ .

(٣) يونس : ٨٩ .

يقال عقرت البعير أو الفرس بالسيف فاعقر : اذا ضربت بـه قوائمه فهو عقير و خيل عقرى و عقرت ظهر البعير أعقراً أدبرته و عقرت النخلة اذا قطعت رأسها كلها مع الجمار و المراد هنا الأول مثل المراد من قوله تعالى : فعقروها .

الهرب : الفرار و هرب غيره تهريبا .

الدقاق : جمع دق و هو من كل شيء حقيره يقال فلان دقّ أي قليل الخير .

العهد : حفظ الشيء و مراعاته حالا بعد حال وسمى الموثق الذى يلزم مراعاته عهداً قال الله تعالى : « و اوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا [1] » .

الشقاق : بكسر الشين الخلاف و العداوة وكذا المشاقة يقال شق فلان العصا أى فارق الجماعة و انشقت العصا أى تفرق الأمر .

النفاق : هو الدخول فى الشرع من باب و الخروج من باب و على هذا نبه بقوله تعالى : « ان المنافقين هم الفاسقون [2] » ، أى الخارجون من الشرع بعد دخولهم فيـه ، و هـو فعل المنافق و أصله ان اليربوع يرقق موضعا من الأرض من داخل حجرة فاذا أتى من قبل بابه و هو القاصعاء ضرب النافقاء الذى هو ذلك الموضع برأسه فانتفق أى خرج و منه اشتق لفظ النفاق لأن المنافق يكتم الـكفر فى قلبه و يظهر الايمان .

(١) الأسراء : ٣٤ .

(٢) التوبة : ٤١ .

الماء الزعاق : أى الملح و طعام مزعزق أى أكثر ملحه .

أقام بالمكان : يقيم اقامة فهو مقيم و ذاك مقام .

الظهر : الطريق فى البر يقال فلان نازل بين ظهريهم و ظهر أبيهم بالفتح وأظهرهم أى نازل فى جوارهم وحواليهم و لا يقل ظهرانيهم بالكسر .

الذنب : بسكون النون الجرم .

يقال : شخص الرجل من بلد إلى بلد شخوصا : أى ذهب فهو شاخص و أشخصه غيره و شخص الرجل بالضم فهــو شخيص أى جسيم و المرأة شخيصة و شخص بالفتح شخوصاً أى ارتفع يقال أيضا شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه و جعل لا يطرف فعلم أن الأول متعد بمن أو عن و البواقى لوازم فقوله عنكم بعد الشاخص قرينة دالة على أنه من الأول لا من الثالث .

يقال تدارك : الرجل ما فات يتدارك تداركا فهو متدارك و ذاك متدارك و استدرك بمعناه ، الرحمة رقة تقتضى الاحسان إلى المرحوم و قد يستعمل تارة فى الرقة المجردة و تارة فى الاحسان المجرد عن الرقة و من ثم روى ان الرحمة من الله إنعام و إفضال و من الأدميين دقة و تعطف الرب فى الأصل التربية و هو انشاء الشىء حالا فحالا إلى حد التمام يقال ربه فرباه و الرب مصدر مستعار للفاعل و لا يقال الرب مطلقاً الا لله تعالى المتكفل بمصالح الكائنات .

قال الجوهری[1] : ربّ کل شیء مالکه . و المسجد و المسجد واحد المساجد قال الفراء : کل ما کان علی فعل یفعل مثل دخل یدخل فالمفعل منه بالفتح اسما کان أو مصدرا و لا یقع فیه الفرق مثل دخل مدخلا و هذا مدخله الا أحرفا من الاسماء الزموها کسر العین من ذلک المسجد والمطلع و المغرب والمشرق و المسقط و المفرق و المجزر و المسکن و المرفق من رفق یرفق و المنسک من نسک ینسک فجعلوا الکسر علامة للاسم .

وربما فتحه بعض العرب فی الاسم روی مسکِن و مسکَن و سمعنا المسجِد و المسجَد المطلِع و المطلَع . قال : و الفتح فی کله جائز و ان لم نسمعه ما کان من باب فعل یفعل مثل جلس یجلس فالموضع بالکسر و المصدر بالفتح للفرق بینهما یقول نزل منزلا بفتح الزای ترید نزل نزولا و هذا منزلة فتکسر لانک تعنی الدار و هذا مذهب تفرد به هذا الباب من بین أخواته و ذلک أن المواضع و المصادر فی غیر هذا الباب یرد کلها الی فتح العین و لا یقع فیها الفروق .

الجؤجؤ : الصدر ، أصل البعث اثارة الشیء و توجیهه و یختلف البعث بحسب ما علق به فبعثت البعیر أثرته و سیرته و بعثت العذاب أی

(١) ابو نصر اسماعیل بن حماد الفارابی کان من اذکیاء العالم و اعاجیب الدنیا ولع باللغة العربیة و اسرارها سافر الی الحجاز و شافه باللغة العرب العاربة و دخل بلاد ربیعة و مضر ثم عاد الی خراسان و اقام بنیسابور یدرس فی اللغة و اشتغل بالتصنیف و کتابة المصاحف و کان خطه فی نهایة الحسن و حکی انه مات متردیا من سطح و المشهور انه توفی سنة ٣٩٣ .

و جهته و بعث الله عليها أى سلط الله عليها العذاب هو الاجماع الشديد و قد عذبته تعذيبا أى اكثرت حبسه فى العذاب ، و اختلف فى اصله فقيل هو من قولهم عذب الرجل الرجل اذا ترك المأكل و النوم فهو عاذب و عذوب و التعذيب هو حمل الانسان أن يعذب، أى يجوع و يسهر .

و قيل أصله من العذب فعذبته أى أزلت عذب حيوته على منوال مرضته وقذيته و العذب الماء الطيب و قيل التعذيب اكثار الضرب بعذبة السوط أى بطرفها ، و قيل من قولهم ماء عذبة اذا كان فيه قذى و كذا فيكون قذيته كقولهم كدرت عيشه .

يقال غرق فى الماء و غيره يغرق غرقا فهو غرق و غارق و أغرقه غيره و غرقه فهو مغرق و الغرق هو الرسوب فى الماء و فى البلاء قال الله تعالى حتى اذا ادركه الغرق [1] .

النعامة : معروفة و انما سميت بها تشبيها بالنعم فى الخلقة و النعم مختص بالابل و تسميته بذلك لكون الابل عندهم أعظم نعمة و لكن الانعام لا يقال الا للابل و البقر و الغنم .

يقال جثم الطائر جثوما : اذا تلبد بالأرض لجة البحر : معظمه و كذلك اللج و منه : بحرلجى .

(الاعراب)

انما ذكر الضمير فى رغا و عقرنظرا الى المراد من البهيمة و هو

(١) يونس : ٩٠ .

الجمل لا الى اللفظ كان وضع لانشاء التشبيه كما أن ليت و لعل لانشاء التمنى و الترجى و قد زعم بعضهم أنها مركبة من كاف التشبيه . و أن الاصل فى قولك كأن زيدا الاسد و أن زيدا كالأسد و هو ينصب الاسم و يرفع الخبر و الياء الراجعة الى نفس المتكلم و هو اسم كأنى بمسجدكم قائم مقام الخبر تقديره كأنى حاضر بمسجدكم ملبس به ، و قد بعث الله جملة وقعت نعتا لسفينة قد : تسمى حرف توقع الى الحال و لذلك لزم فى الماضى اذا وقع حالا و اذا دخلت على المضارع كانت للتقليل نحو أن الكذوب قد يصدق .

(المعانى)

اضافة الجند و الاتباع الى المرأة و البهيمة لتحقير المضاف و فى أخلاقكم دقاق : خاصيتان القطع المؤذن بعلة سرعة اصابتهم و نفارهم الثانية ايراده فى الجملة الاسمية الدالة على الثبوت و الاستقرار يعنى أن الرذائل كانت اخلاقا لكم و انتم مستقرون عليها بحسب الجبلة و الغريزة و كذا فى الجمل . الثالثة الواو بينهما يؤذن بأنهم جامعون للجميع فى حالة و احدة و هذا بالتصريح ذم لهم ، و تعريض يقطع نفسه للتوقيع عن مبايعتهم الحق انما افرد المقيم و الشاخص للمبالغة التى عرفتها و أيم الله لتغرقن لرد المخاطبين عن الخطأ فى أن الغرق لا يصيب بلدتهم الى الصواب ، و انما أورد الفعل الذى اقسم عليه مجهولا للمبالغة مع الايجاز .

(البيان)

فی رغا : استعارة لطيفة تخييلية مكنى بها عن دعوتها اياهم الى القتال مستدعية لتشبيهها بالجمل و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فی عدم العقل و تخييل أنها من أفراد الجمل أن يكون زعاق كناية عن كونه سببا لاجتماعهم ما دام واقفا و ذلك لان الرغاء لا يكون فی الاكثر الا عند ثقل الجمل و هو واقف .

و ماؤكم زعاق : كناية عن سوء اختيارهم و قبيح رأيهم كقولهم : فلان كثير الرماد ، فانه كناية عن كونه مضيافا و يحتمل أن يكون استعارة تخييلية مكنيا بها عن نقصان جاههم و ماء وجوههم مستدعية لتشبيه ماء الوجه المستلزم للجاه و هو معقول بالماء و هو محسوس . و وجه الشبه اشتراكهما فی شدة الاحتياج اليهما و لطافتهما و هو عقلی ، يخيل أنه من أفراد الماء و الا لم يصح جعل ماءكم مسندا اليه الزعاق .

قوله كأنی بمسجدكم : مشتمل على تشبيه نفسه عليه السلام بالذی يشاهد البعث بالحال البصری . و وجه الشبه أنه عليه السلام يشاهد بنور بصيرته أن مسجدهم مغمور بالماء كما أن الحاضر فی ذلك الوقت يشاهده بحاسة البصر . و قوله كجؤجؤ سفينة : مشتملة على تشبيه لهيئة المسجد حين غمر فی الماء بهيئة صدر السفينة فی الماء و وجه الشبه اشتراكهما فی الظهور من بين الماء و ادارة الماء حولها و خفاء الارض و التشبيهات الباقية فی الرواية الاخرى ظاهرة .

(البديع)

بين دقاق وشقاق ونفاق وزعاق السجع المتوازن والترصيع وبين [illegible] .

(النحوى)

ثم ان هذا الفصل مع الفصل الذي بعده من خطبة خطبها عليه السلام بالبصرة بعد فتحها روى أنه لما فرغ من أمر الحرب لأهل الجمل أمر مناديا ينادي في أهل البصرة أن الصلاة جامعة لثلاثة أيام من غد إن شاء الله ولا عذر لمن تخلف إلا من حجة أو علة ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلا . فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج فصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع . فلما قضى صلاته قام وأسند ظهره الى حائط القبلة عن يمين المصلى فخطب الناس . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات .

ثم قال يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة ائتفكت بأهلها ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة الكلام . وفي رواية يا جند المرأة وأتباع البهيمة وفي رواية أعوان البهيمة رغا فأجبتم وعقر فانهزمتم أخلاقكم دقاق بلادكم أنتن بلاد الله تربة . أبعدها من السماء بها تسعة أعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله . كأني انظر الى قريتكم هذه وقد طبقها الماء حتى ما ترى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر .

فقام اليه الأحنف بن قيس[1] فقال : يا أمير المؤمنين متى ذاك ؟ فقال : اذا صار احميتكم قصورا ائتفكت البلدة بأهلها أى انقلبت و المؤتفكات المدن التى قلبها الله على قوم لوط ، الشرف بضم الشين و فتح الراء جمع شرفة القصر ، اعلم أنه عليه السلام ذكر فى معرض ذمهم امورا نبه بها على كون أقدامهم قد زلت عن الحقّ و آرائهم قد وقعت فى غمرة الضلالة .

الأول أشار اليه بقوله يا أهل المؤتفكة و هو كناية عن كون فسادهم و انحرافهم عن سواء السبيل ليس أمرا قد حدث لهم الآن بل أمر قد ركز فى طبائع آبائهم و أجدادهم و ذلك لأن ائتفاك البلدة بأهلها من لوازم الفساد و استحقاقهم عذاب الله و على الله تمام الرابعة دعا عليهم بايقاع العذاب عليهم فى المكرة الرابعة حيث خرجوا عن طاعته و استحقوا به سخط الله .

الثانى أشار اليه حيث فوضوا امورهم الى رأى امرأة و عزلوا عقولهم عن التدبير تعويلا على رأيها و المعقول و المنقول قد تطابقا على قلة رأيهن و نقصان عقولهن و لا خفا فى أن التابع أقل من المتبوع

(١) احنف بن قيس بن معاوية التميمى السعدى ابو بحر البصرى و اسمه الضحاك و قيل صخر و الاحنف لقب ادرك النبي صلى الله عليه و آله قال الحسن ما رأيت شريف قدم افضل من الاحنف و مناقبه كثيرة و حلمه يضرب به المثل ذكره محمد بن سعد فى الطبقة الاولى من اهل البصرة قال و كان ثقة مأمونا و ذكر الحاكم انه الذى افتتح مرو الروذ مات سنة ٦٧ و قيل ٧٢ .

و الا لم يتحقق التابعية و المتبوعية قال الشارحون أراد بها عائشة .

الثالث كونهم اتباع البهيمة أراد بها الجمل الذى كان تحتها و هو كناية عن سلب عقولهم بالكلية و عدم الاعتماد على موافقتهم و مخالفتهم فان من يتلو رغاء الابل و يجيب نداه و لم يتدبر عن خواتيم أمره و ينهزم عند الجرح فهو بالغ فى السفاهة أعلاها و راكب على الحماقة سنامها و قد عرفت الكناية فى رغا فاجبتم و عقر فهربتم .

الرابع دقة أخلاقهم و أراد بها عليه السلام أنهم ثابتون على رذايل الاخلاق منحرفون عن حاق الوسط الذى امروا بملازمته و لما كانوا جاهلين بما يقيم أودهم و يصلح أحوالهم فى المعاش و المعاد جائرين غير عادلين متهورين صح أنهم مستقرون على دقة الأخلاق .

كون عهدهم خلافا و هو اشارة الى الغدر الذى هو رذيلة فى مقابلة الوفاء الذى هو فضيلة و الذى يدل على نقضهم لعهود أنهم نقضوا عهده عليه السلام نكثوا بيعته .

السادس كونهم منافقين فى الدين و ذلك لخروجهم عن طاعة الامام العادل الواجب طاعته بمقتضى قوله تعالى «أطيعو الله و أطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»[1] و يحتمل أن يكون هذا خطأ بالمن كان منافقا و علمه عليه السلام .

السابع لله : يتعلق ببلدهم و هو كون ماءهم مالحا و قد عرفت انه كناية عن سوء الاختيار و قلة الجاه و سبب ملوحته قربه من البحر .

(١) النساء : ٥٩ .

الثامن كونها أنتن بلاد الله تربة و ذلك لكثرة غلبة الماء عليها و تعفنها به .

التاسع كونها أبعد من السماء و سيعرف بيانها .

العاشر كونها بها تسعة أعشار الشر و أراد بها المبالغة فى كونها مظهر الشرور الكثيرة يعنى لو فرضنا أن الشر يقسم على عشرة أجزاء كان تسعة اجزائه فيها : قال ابن الميثم رحمه الله و يحتمل أن يريد بالشر مجموع الرذائل الخطيئة المقابلة لاصول الفضائل النفسانية التى هى العلم و الشجاعة و العفة و السخاء و العدل اذ كل منها مقابل برذيلتين كما علمت و تلك عشر رذائل ، ثم ، قال و هذا الاحتمال و ان كان لطيفا الا أن فيه بعد أو ليس بجيد لأن اصول الفضائل و امهات الأخلاق أربعة : العفة و العدالة و الشجاعة و العلم و ان اعتبرت الاقسام الداخلة لحب كل منها فيخرج عن خمسين فلا وجه له الا ما قلناه .

الحادى عشر كون المقيم بين أظهركم مرتهنا بذنبه و ذلك لأن من صاحبهم و خالطهم لابد و أن ينابز من نتائج أخلاقهم الخسيسة و ينتقش نفوسهم بمثل الملكات التى ترشحت فى نفوسهم فيستحقون العقاب و ذلك لا يكون الا بفعله الذى هو الاقامة بينهم و هو كناية عن ثباتهم على الافساد .

الثانى عشر كون الشاخص عنهم متداركا برحمة من ربه و ذلك لأن الله تعالى قد أعانه فى استخلاص نفسه من مصاحبهم المجلبة للذنوب العظام المستجلبة للعقوبات و تلك رحمة من الله تعال و هو أيضا كناية عن توبيخهم عما

عما كانوا ثابتين عليه من الضلال و الاضلال و تعبيرهم بما يحسبونه حقا و صدقا هولاء هم الذين كانت أعينهم فى غطاء عن معرفة الحق يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

قوله كأنى الى آخره اشارة الى الاخبار باصابة الغرق بلدتهم غير المسجد و قد عرفت التشبيهات فى البيان ، و قد روى أنها غرقت مرة فى أيام القادر بالله و مرة فى أيام القائم بأمر الله غرقت بأجمعها و غرق من فى ضمنها و خربت دورها و لم يبق منها إلا علو المسجد الجامع حسب ما اخبر عنه امير المؤمنين عليه السلام و كان غرقها من قبل بحر فارس و من ناحية الجبل المعروف بجبل الشام و هذه الرواية منبئة عن وقوع ما أخبر عنه عليه السلام .

* * * * *

أرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ
فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأُكْلَةٌ لآكِلٍ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ.

(اللغــــة)

العقول : جمع عقل و العقل يطلق على معنيين احديهما القوة المهيئة لقبول العلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة و اليهما أشار أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : العقل عقلان مطبوع و مسموع فلا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع و الى الأول أشار النبي صلوات الله عليه و آله حيث قال ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل ، و الى الثانى أشار عليه السلام بقوله : ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده الا عن ردى .

فخفة العقول هنا اشارة الى قلة العلوم المستلزمة لكثرة الجهل و أصل العقل الامساك و الاستمساك كعقل البعير بالعقال و عقل الدواء البطن و عقل المرأة شعرها ، السفه خفة فى البدن و منه قيل زمام سفيه أى كثير الاضطراب و ثوب سفيه ردىء النسج ثم استعمل فى خفــة النفس لنقصان العقل ، الحلم ضبط النفس عن أن يغلب عليها هيجان الغضب و جمعه أحلام و منه قوله تعالى : أم يأمرهم أحلامهم بهذا ، و قد يطلق الحلم عـلى العقل اطلاقا لاسم المسبب يقال حلمه العقل فتحلم و الحلوم أيضا جمعه .

الغرض : الهدف الذى يرمى فيه و القصد يقال : فهمت غرضك أى قصدك و الضجر و الملال يقال غرض بالمقام يغرض غرضا أى ضجر منه و قرينة النابل معينة للأول ، النابل الرامى و النبل السهم الأكلة بالضم اللقمة تقول أكلت أكلة واحدة أى لقمة و هى القرصة أيضا و الطعمة أيضا يقال هذا الشيء أكلة لك أى طعمة و الأكلة بالفتح المرة الواحدة حتى تشبع و الآكل اسم فاعل من أكلت الطعام أكلا ومأكلا الفريسة

فى أصل اللغة اسم لما يفرسه الأسد خاصة ثم شاع استعمالها فى كل صيد .

قال الجوهرى : فرس الأسد فريسة يفرسها و افترسها : أى دق عنقها و أصل الفرس هذا ثم كثر و استعمل حتى صير كل قتل فرسا .

الصائل : اسم الفاعل من صال عليه صولا أى وثب و حمل .

﴿ الاعراب ظاهر ﴾

(المعانى)

النقل من الجملة الاسمية الى الفعلية المشتملة على الفعل الماضى يؤذن بأن الخفة طرأت لعقولهم و السفاهة حدثت لحلومهم بعد ثباتها حيث نكثوا عهده و نقضوا بيعته عليه السلام و اتبعوا رأيها و فوضوا امورهم اليها الفاء للسببية المنادية على أن الخفة و السفاهة صارتا سببين لاستقرارهم على كونهم فى مدرج المطالب الدال عليه الجملة الاسمية .

(البيان)

فى فأنتم غرض لنابل : استعارة تخييلية مكنى لها عن كونهم مقصدا لمن يريد اذاهم لكونهم فى غاية العجز و الجبن لتشبيه هيئتهم فى مقابلة قاصديهم بهيئة الغرض فى مقابلة الرامى و وجه الشبه اشتراكهما فى العجز عن الدفع يعنى أنهم عاجزون وجلون غير قادرين على دفع الأعادى الرامين اياهم سهام الاغراض عن انفسهم كما أن الغرض المهيا عاجز عن دفع سهم الرامى عن نفسه و تخييل أنهم من افراد الغرض و إلا لم يصح بعده لنابل و رشحها بذكر النابل .

و فى أكلة لآكل : أيضا استعارة مرشحة تخييلية مكنى عن كونهم عاجزين و فى معرض أن يطمع فى أموالهم و نعمتهم مستلزمة

لتشبيههم باللقمة و الطعمة و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى توجه الرغبات اليهما لسهولة التناول و هو عقلى و أنهم من أفراد الاكلة و الا لم يصح بعدها لآكل و فى فريسة يصائل أيضا استعارة تخييلية مكنى بها عن كونهم بصدد أن يسهل ظفر من يقصد قتلهم و اهلاكها عليهم مستدعية لتشبيههم بالفريسة و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى التسليم عند النظر الى القاصد و تخييل أنهم من أفرادها .

(البديع)

بين الماء و السماء المطرف و فى القرائن الباقية : السجع المتوازى و الترصيع .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام ذكر امورا فى معرض ذم اهل البصرة اثنان منها راجعان الى مكانهم و اثنان أصلان عايدان الى أنفسهم و ثلاثة منها تابعة لهذين الأصلين لازمة اياهما أما الأول من الاولين بالنسبة الى المكان فأشار اليه بقوله أرضكم قريبة من الماء و ذلك حكم ظاهر يدل بالتعريض على قلة عقولهم حيث اختاروا موضعا للسكنى يخافون على أنفسهم و انما من استيلاء الماء عليه ، و الثانى منهم أشار اليه بقوله بعيدة من السماء أى بالنسبة الى الآراضى هى سافلة و كل ما كانت أسفل أبعد من السماء .

و قيل كون ذلك فى معرض الذم يصرفه عن ظاهره و انما الايماء الى أنهم لكونهم متخلفين برذايل الاخلاق كانوا بعيدا من رحمة الله النازلة من سماء الجود الالهى ، قيل أراد بالسماء المطر و ذلك ظاهر ، و وقوع المطر فى البصرة قليل و الاول من الاصلين أشار اليه بقوله خفت عقولكم أى

أى اضطرب عليهم المستفاد من العقل الأول بتراكم الأهوية على مرآة عقلهم حيث تركوا ما يصلح أحوالهم إلى ما يفسدها و هو ايماء إلى حصول الغباوة لهم، و الثانى منهما أشار إليـــه بقوله: سفهت حلومكم أى خفت و اضطربت ضبوطهم للنفس عن غلبة الهوى عليها و هو وصف لهم برذيلة السفه و أما الثلاثة الباقية المعلومة مما قررناه فى بيانها فى البيان و الله أعلم.

* * * * *

١٤ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان

وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَمُلِكَ بِهِ الإِمَاءُ، لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ .

اللغــــة

اعلم أنّ العلماء اختلفوا فى أصل الله أصله أله حذفت همزته وادخلت عليه الألف و اللام نخص بالبارى تعالى و لتخصصه به تعالى قال : هل تعلم له سميا ، و أله فلان يأله إلاهة أى عبد فالاله على هذا المعبود و قيل أصله من أله أى تحير و يقصد هذا القول ما قال أمير المؤمنين عليه السلام : كلّ دون صفاته تحيير الصفات و ضل هناك تصاريف اللغات و ذلك لأن العبد فى صفاته تحير ولهذا قال النبى صلوات الله عليه : تفكروا فى آلاء الله و لا تفكروا فى الله .

و قيل أصله من لاه يلوه لياها أى احتجب و إليه اشار تعالى بقوله : « لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار[1] » ، يقال ضاق الشيء يضيق ضيقاً و ضيقا ، الجور الميل عن القصد والانحراف عن النهج المستقيم يقال جار عن الطريق أى مال عنه و جار عليه فى الحكم .

(الاعراب)

اللام فى لرددته جواب لو و من شرطية فالجور جوابه والباقى ظاهر .

(المعـانى)

الفاء فى فان : فصيحة مفصحة عن أن الجملة التى بعدها لرد المنكرين مضمون الجملة الأولى المصدّرة بالقسم و ان المسابقة دالة على محذوفة هى بعثته عليه السلام على التكلم بهذه الجملة يعنى ينبغى للمقتطعين ان لا يردوا

(١) الانعام : ١٠٢ .

حكمى بردّ القطائع و يرضوا به فان فى العدل سعة ثم أكد مضمون هذه الجملة التى أوردها لردّهم عن الخطاء إلى الصواب بجملة شرطية عامة مريدا بها اياهم ليدخلوا فى مقتضى أحكامه عليه السلام و قد عرفت غير مرة أن ايراد العام و ارادة الخاص أقرب إلى القبول و الباقى ظاهر .

(البيان)

فى فان فى العدل سعة : استعارة تخييلية مكنى بها عن أن الردّ من مقتضى العدل فانه ينافى بقاء القطائع بحالها لكونه جورا مستدعية لتشبيه العدل و هو معقول بالجسم الواسع و هو محسوس و وجه الشبه أن من دخل تحت حكم العدل يكون فى راحة من جور نفسه و جور غيره كما أن من دخل فى المكان الواسع لا يصل إليه كلفة لا من نفسه و لا من غيره بالازدحام و انما قلنا بهذه الاستعارة لأن السعة من أوصاف الجسم خاصة و الكلام فيمن ضاق إلى آخره قريب مما قلنا .

(البديع)

راعى فى قوله فان : إلى آخره المقابلة حيث قابل العدل بالجور و السعة بالضيق .

(الفحوى)

اعلم أن هذا الفصل مع فصول يأتى بعده من الخطبة التى خطبها عليه السلام بالمدينة لما قتل عثمان و بويع له و أول هذا الفصل من الخطبة الأوان كل قطيعة أقطعها عثمان أو مال أخذه من بيت مال المسلمين لمردود

عليهم فى بيت مالهم و لو وجدته قد تزوج به النساء و فرق فى البلدان لرددته فانه ان لم يسعه الحق و الباطل عليـــه أضيق ، و هذه الرواية قد أوردها ابن الميثم رحمه الله .

القطيعة : اسم لطائفة من أرض الخراج أقطعها حاكم الوقت لواحد و خصها به و جمعها القطائع قوله : و الله لو وجدته إلى لرددته اشارة إلى تضمنهم العزم برد القطائع التى أقطعها عثمان لأقاربـه و لغيرهم منهم ثم نبه المقتطعين الذين ربمـا لا يطيب لهم و ردّها منهم على أن الرد إلى المسلمين عدل و ان عدل الله يسعهم فى رد ما اقتطعوه بقوله فان فى العدل سعة يعنى الواجب عليهم أن يطيبوا قلوبهم فى الردّ و لا تضيقوها به فان فى عدل الله سعة لهم ، إذ هو مستلزم لرضا المظلوم بايصال حقـــه إليه و لرضا الظالم بانتزاع ما ليس منه .

ثم نبه بقوله و من ضاق : إلى آخره على أن من لم يرض بعدل الله و لم يدخل فى مقتضاه و ضاق العدل على نفسه حين انتزع منه فالانتزاع منـه على سبيل التغلب فى الدنيا و القهر كانـــ أصعب على نفسه و أشد و أضيق ، لأن من ضاق قلبه بانتزاع ما ليس له من يده مع علمه بأنه ليس ملكه كان قلبه أضيق إذا انتزع منه ما كان له و هو ضرورى .

* * * * *

١٥ — ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ ، وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ، إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلَاتِ حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ . أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً ، وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ ، حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ؛ وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَّرُوا ، وَلَيُقَصِّرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا ، وَاللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً ، وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً ، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهٰذَا الْمَقَامِ وَهٰذَا الْيَوْمِ ؛ أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ ؛ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا ، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ ، حَقٌّ وَبَاطِلٌ ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ ، فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ ، وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ

قَالَ الشَّرِيفُ: أَقُولُ: إِنَّ فِي هٰذَا الْكَلَامِ الْأَدْنَى مِنْ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ الْاِسْتِحْسَانِ ، وَإِنَّ حَظَّ الْعَجَبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ الْعَجَبِ بِهِ ؛ وَفِيهِ — مَعَ الْحَالِ الَّتِي وَصَفْنَا — زَوَائِدُ مِنَ الْفَصَاحَةِ لَا يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ ، وَلَا يَطَّلِعُ فَجَّهَا إِنْسَانٌ ، وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هٰذِهِ الصِّنَاعَةِ بِحَقٍّ ، وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ . (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) .

اللغـــة

الذمة : لفظ مشترك بين العهد و الحرمة و الأمان و أراد هنا العهد .

الرهينة : فعيلة من الرهن و هو اسم لما يوضع وثيقة للدين بمعنى مفعولة أى مرهونة و ذلك مثل قوله تعالى « كل نفس بما كسبت رهينة[1] » أى كل نفس مقامـه فى جزاء ما قـدم من عمله و يحتمل أن يكون بمعنى فاعلة و يكون كناية عن الثبات و الاقامة .

الزعيم : الضامن و الكفيل و اياه عنى تعالى بقوله : « لمن جاء به حمل بعير و انا به زعيم[2] » و فى الخبر الزعيم غارم .

يقال صرح فلان بما فى نفسه : أى أظهره و فى المثل صرح الحق عن محضه أى انكشف لصريح الذى له نسب ظاهر والمراد هنا الانكشاف.

العبر : جمع عبرة و هى اسم للحالة التى يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهـــد ، و من ثم قيل العبرة النفوذ من ظواهر المدركات بالحس إلى ما ورأها من المعانى الباطنـة و أصله من عبر النهر عبورا إذا تجاوز عن الماء و منـه تعبير الرؤيا لأنـه تعبر من ظاهرها إلى باطنها بتعبير الروح فى عالم الغيب .

اما العبارة فهى اسم للكلام الغابر فى الهواء من لسان المتكلم إلى سمع المستمع و قد عرفت الكلام فيها مشبعا فلا يحتاج هنا إلى الاعادة ، بين يديه كناية عن قدامه ، يقال وقف فلان بين يدى ملك أى قدامه .

(١) المدثر : ٣٨ .　　(٢) يوسف : ٧٢ .

المثلة : عقوبة تنزل بالانسان فيجعل مثالا يرتدع به غيره و ذلك كالنكال و جمعه مثلات و قد أمثل السلطان إذا نكل به .

حجزه يحجز حجزا : أى منعه فانحجز ، و المحاجزة الممانعة و انما سمى معقد الازار حجزة لأنه حاجز دون العورة ، و الحجـاز : بلاد سميت بذلك لأنه حجزت بين نجد و الغور .

التقحم : التساقط فى المصاعب من غير خبرة و معرفة يقال قحم فى الأمر و يقحمه إذا رمى بنفسه فيه ، من غير التأمل فى خواتمه .

الشبهات : جمع شبهة و هـو ان لا يميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه عينا كان أو معنى .

عاد اليه يعود عودة و عودا : أى رجع إليه بعد الانصراف عنه اما انصرافا بالذات أو بالقول و العزيمة .

الهيئة : الحالة التى تـكون بالشىء محسوسة كانت أو معقولة لـكن الاستعمال فى المحسوسة اكثر و المراد هنا المعقولة .

البلبلة و البال : الهمّ و وسواس الصدر و يقال بلبله إذا ألقاه فى الهم الشديد و البلبلة أيضا التحريك الشديد .

الغربلة : نخل الدقيق و غيره ، فى الخبر سيأتى على النـاس زمان يغربل الناس فيه غربلة معناه أن الخيار يـذهبون كالمنخول من الغربال و الشرار يبقون كالنخالة .

السوط : خلط الشىء بعضه ببعض و منه سمى المسواط و سوطه أى خلطه و هذا الخلط لما كان من ضرب البعض لبعض استعيرت منه

لفظة السوط و هو الذى يضرب به ، يقال سطته بالسوط أى ضربته .

القدر : اسم لما يطبخ فيه اللحم و الجمع قدور ، قال الله تعالى : « و قدور راسيات[1] » و القدر مؤنث .

الكتمان : ستر الحديث يقال كتمته كتما و كتمانا .

الوشمة : بالشين المعجمة الكلمة الباقية الأثر يقال ما كانت بينى و بين فلان وشمة أى كلام سرا و عداوة و اصله من الوشم و هو النقش الذى يغرز فى اليد و بالسين المهملة الأثر و العلامة .

يقال كذب كذباً و كذبا و كذاباً : و قد زيدت التاء فى المصدر ليدل على الوحدة النباء : الخبر تقول أنبأ و نباء أى اخبر .

الخطايا : جمع خطيئة على وزن فعيله و هى اسم من خطأ يخطأ خطأ و الخطأ الذنب وقيل الخطيئة و السئية يتقاربان لكن الخطيئة اكثر ما يقال فيما لا يكون مقصود إليه فى نفسه ، بل يكون المقصود سببا لتولد ذلك الفعل أن يرمى صيدا فأصاب انسانا أو شرب مسكر الجنى جناية فى سكره .

الخيل : لفظ مشترك بين الفرسان و الفرس ، فمن الأول قوله تعالى واجلب عليم بخيلك و رجلك و من الثانى قوله تعالى : و الخيل و البغال و الحمير .

و الخيلاء : بضم الخاء وكسرها و الخال الكبر يقول منه اختال ، قيل انما سمى الكبر خيلاء لأن ذلك الكبر لا يكون الا عن تخيل فضيلة

(١) سبا : ١٣ .

ترأأت للانسان من نفسه ، و انما سمى الفرس خيلا لما قيل أنه لا يركب احد فرسا الا و قد وجد فى نفسه نخوة و وصفه بقوله شمس حمل أن مراده عليه السلام الفرس .

و يقال شمس الفرس شموسا و شماسا : أى منع ظهره فهو فرس شموس و أفراس شمس فالشمس جمع شموس .

يقال حملت الشيء : على ظهرى أحمله حملا .

يقال خلع ثوبه و نعله و قايده خلعاً فقوله خلعت لجمها من المعنى الثالث .

التقوى فى أصل اللغة : الوقوى بالواو و هو مصدر كالو قاية يقال وقى يقى و قاية و وقوى فابدلت عن الواو تاء كما فى الوكلان و التكلان و نحوهما فقيل تقوى ثم نقل فى الشريعة الى تنزيه القلب عن المعصية و العزم على تركه ليصير ذلك العزم وقاية بينه و بين المعاصى ، فالشخص إذا نزه قلبه عنها و عزم على تركها يقال انه متق و التقوى فى القرآن جاء بمعان ثلاثة .

احدها الخشية و الهيبة و منه قوله تعالى ، « و اياى فاتقون » ، أى اخشونى و قوله تعالى « و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » ، الثانى الطاعة و العبادة و منه قوله تعالى : يايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، أى أطيعوا الله حق طاعته على ما قال ابن عباس به الثالث تنزيه القلب عن الذنوب و هذه هى حقيقة التقوى و العهدة فيها و إلا و لان ذريعتان اليها الأترى ان الله تعالى يقول و من يطع الله و رسوله و يخش الله و يتقه

فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة و الخشية اولا ثم ذكر التقوى و اذا عرف حقيقة التنزيه فلا يبقى لك اشكال فى قوله حجزه التقوى و لو قلنا أن التقوى ثم بمعنى الخشية و هنا بمعنى التنزيه لكان أولى و أنسب بالمقام .

و قيل التقوى هو اجتناب كل ما يخاف منه ضررا فى دينك و هو ليس ببعيد عن الصواب لأنه مطابق لما روى فى الخبر عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال سمى المتقون متقين لتركهم ما لا بأس به حذرا عما به بأس .

المطايا جمع مطية ، و هى الدابة التى تركب عليها

الذل بكسر الذال : اللين ضد الصعوبة يقال دابة ذلول أى بينة الذل من دواب ذلل و منه قولهم بعض الذل أبقى للأهل و المال فيكون ذلك جمعا لذلول .

الازمة : جمع زمام بكسر الزاء و هو اسم لما يجعل فى أنف البعير لينقاد للقياد ، ثم استعير للقود مطلقا ، يقال ورد فلان ورودا أى حضر و أورده غيره و استورده أى أحضره أصل الحق المطابقة الموافقة كمطابقة رجل الباب فى حقه لدورانه على استقامة و الحق يقع على معان اربعة .

الأول يقال لموجد الشىء بحسب ما يقتضيه الحكمة و لهذا قيل فى الله هو الحق .

الثانى يقال للموجد بحسب مقتضى الحكمة و لهذا يقال الله كله حق نحو قولنا الموت حق و البعث حق .

الثالث : فى الاعتقاد فى الشىء المطابق لما عليه ذلك الشىء فى نفسه كقولنا اعتقاد فلان فى البعث و الثواب و العقاب حق قال الله تعالى: يهدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق .

الرابع يقال للفعل و القوال الواقــــع بحسب ما يجب و بقدر ما يجب و فى الوقت الذى يجب كقولنا فعلك حق و قولك حق ، و المراد بالحق هنا يحتمل أن يكون الجمع لأنه يقع على الكثير كما يقع على القليل و لأنه قد أورد الباطل فى مقابله ولا خفا فى أن لكل حق باطلا يقابله و الباطل ضد الحق و هو ما لا ثبات له عند الفحص عنه .

و قــــد يقال ذلك بالاعتبار الى المقــال و الفعال بطــل بطولا و بطلا و بطلانا و يقال للمشتغل بما يجدى له نفعا لا دنيويا ولا اخرويـا بطال و ذو بطـالة بـكسر الباء لفظ كل وضع لضم أجزاء الشىء و ذلك ضربان احديهما الضام لذات الشىء و أحواله المختصة به و يفيد معنى التمام نحو قوله تعالى : « ولا تبسطها كل البسط » أى بسطاتا ما و قال الشاعر : « ليس الفتى كل الفتى الا الفتى . . . . . [1] » أى التام الفتوة .

الثانى : الضام للذوات و يضاف تارة الى الجمع المحلى بالألف و اللام نحو وما يلقى عليه السلام اليهم من المواعظ و الزواجر وما يصلح أحوال معادهم و معاشهم .

قال ذمتى بما أقول رهينـة و أنا به زعيم : أى عهدى أياكم ثابت على ايفاء ما ألقى اليكم من الأوامر الشرعية فلا تضطر بوافيه و لا تنحرفوا عنه فان فى امتثالها صلاح معادكم و معاشكم و قوام اموركم فى الدنيا و العقبى .

واكد عهده بقوله و أنا به زعيم أى و الحال أنى بما أقول كفيل وكل هــذا تاكيد للاصغاء الى قوله و تعريض بعدم وثوقهم بالحدود

(١) كذا بياض .

الشرعيه ثم نبه على و جوب الاخذ بالتقوى و على أنه لا يصدق بالشبهات الا من انغمر عقله تحت حكم الوهم و لم يعتبر بالعقوبات التى حلت بمن نبذ التقوى وراء أظهره و على ان المخاطبين منهمكين فى الشبهات بايراد صورة شرطية متصلة هى فى الحقيقـــة نتيجة قياس مركب من متصلتين و استثناء لنقيض التالى لينتج نقيض المقدم و هو أنهم ليسوا ممن ينكشف لهم العبر و أشار الى المتصلة بقوله ان من صرحت الى الشبهات .

أما القياس المنتج لها فتقديره أن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات اتخذ التقوى شعاره و من اتخذ التقوى شعاره حجزه التقوى عن تقحم الشبهات . . .[1] . المتصلة المذكورة أما لصغرى فلأن من أجذبته العناية الالهية من غمرات الطبيعة و بصرته بآفات الدنيا الدنية و عيوبها و أوقفه على حالاتها المتبدلة المتغيرة المنزلة لمن مال اليها من أوج الرفعة الى حضيض الذلة أو كحل بصيرته بمكحل التفكر فى العواقب و الآ . . .[2] ، بالمصائب و العقوبات النازلة بمن اتخذها دار اقامة و ركن اليها و اغتر بزخار فها عرف مدارك الحق و خاف من التلطخ بالدنيا تفاديا من لحوق العذاب به و نزه قلبه عن الالفات الى مموهاتها و اتخذ خوف الله تعالى شعاره بركة ما أفاض على نفسه القدسية من النور المبصر بمعائبها .

و أما الكبرى فلأن من عرف منازل الحق و اطلع على مناهل اليقين و حصل له الامتياز بين الحق و الباطل بقوة عقله المميز بينهما و غلبته

(١) بياض فى الاصل . (٢) بياض فى الاصل .

على الوهم المعارض اياه فهما اقتضاه و اتصف بصفات المتقين صار التقوى الذى اتخذ شعارا لنفسه مانعا عن أن يغلب عليه الشيطان المغوى و ألوهم المردى و يلقيانه فى غمرات الشبهات بالضرورة و أراد بها ما يزين الشيطان للنفس بالقاء الوسوسة من الركون الى بقاء الامور التى مصيرها الى الزوال و الفناء و اللذات الخالية عن البقاء و الصفاء .

ثم نبه عليه السلام على كونهم مغمورين فى الشبهات منهمكين فى الالتفات الى الاهواء و البدع التى بعث النبى صلى الله عليه و آله لرفعها و لبسط ألوية العدل و الأخلاق بقوله الا و ان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه أى ان الفتن التى كانت واقعة يوم بعثة النبى صلوات الله عليه و كانت اسبابا لنزول البلاء على الخلق و ابتلاء المحق من المبطل و قد رفعت بواسطة مقدمه صلوات الله عليه و وفردعوته رجعت الى الحالة التى كانت عليها .

و لما كان الاجتناب عن الشبهات من لوازم التقوى كان الوقوع فيها مستلزما لعدم التقوى اذ نقيض اللازم مستلزم لنقيض الملزوم قطعا فيكون عليه السلام كأنه أشار بألا ان بليتكم الى استثناء نقيض التالى ليلزم منه أنهم ليسوا منخرطين فى سلك من خصهم الله تعالى بنظار العناية بل انغمسوا فى اللذات الفانية و الشهوات البدنية ، ثم و بخهم على ثمرة ما كانوا مشتغلين به من اتباع الاهواء الباطلة و ذكر امورا ثلاثة .

الاول أشار إليه بقوله لتبلبلن بلبلة أى انكم توقعون فى الفتن الجسام و الكرب العظام من استيلاء ائمة الجور عليكم و تخليط بعضكم

بعض

ببعض بحيث لا يبقى لخياركم تمييز شراركم .

الثانى أشار إليه بقوله : و لتغربلنّ غربلة : أى يذهب خياركم و يبقى شراركم بفسادكم فى الأرض و ايذاكم أكابركم و اشرافكم كما يذهب النقاوة من الغربال تحريك المغربل و يبقى النخالة فيه .

الثالث أشار إليه بقوله : و لتسلطن إلى قوله أسفلكم : أى لتخلطن كما يختلط القــدر حتى يرتفع منازل أراذلكم و أسافلكم و ينحط مراتب أعاليكم و أعاظمكم بحيث لا يبقى تمييز أصلا بين الخيّر و الشرير لغلبة الفتن و الأهواء و البدع و أكد هذه الأمور التى أخبر عنها مما سيقع بهم بالقسم البارّ ليردعهم عما كانوا عليه من الخطاء إلى الصواب .

ثم نبههم على تقلب الزمان بهم و تعيير من السابقين الذين قصروا فى معاونته ابتداء ناصرين اياه عليه السلام معاونين ، له و بالعكس بقوله : و ليسبقن سابقون كانوا قصروا و ليقصرن سباقون كانوا سبقوا قيل و الأقرب أن معناه سيسبق إلى النهوض لطلب الخلافة فى آخر الزمان من كان قاصراً عاجزا عن طلب ما فى أول الزمان بوساطة غلبــة الفتن و سيعجز من كان مسابقا إليها مستعدا لها و يقصر عن البلوغ إليها و هو مناسب معنى و لكن اللفظ يأباه .

قال بعض الشارحين : أراد بالسابقين المقصرين الذين قصروا فى نصرته فى مبداء الا الأمر حين وفاة الرسول عليهم نصره فى ولايته و بالسابقين الذين سبقوا الذين نصروه فى مبداء الأمر ثم انحرفوا عنه و حاربوا معه و ما قلنا أعم و يحتمل أن يكون المراد بالسابقين المقصرين

الذين غلبت عليهم الأهواء فى مبداء الأمر و انهمك فى استيفا اللذات الفانية.

ثم أخذته العناية الالهية و جذبته إلى حظيرة القدس و بصرته بعواقب الأمور فتنبه من رقدة الغفلة و أخذ زمام العقل و رد نفسه الأمارة إلى الجادة المسلوكة و عقد نفسه فى سلك المقربين الذين سبقوا و بالسابقين الذين سبقوا الذين كانوا فى مبدأ الأمر مبالغين فى الاعراض عما سوى الله تعالى مشتغلين بما يحصل الزلفى لديه ثم غلبت عليهم الشقاوة الأبدية و فاز بهم النفس الأمارة إلى مطمورة الطبيعة منغمسين فى لجج التقصير.

و قد أشار بهذا المعنى إلى الذين اغترّو بمصاحبة حضرة الرسالة و قنعوا بمجرد الاسم و ادعوا أنهم الثابتون على الجادة دون غيرهم من التابعين و ان كانوا بالحقيقة مقيمين فى حدود الدين غير منحرفين عنها بحال ما من الأحوال و إلى ردهم عما اعتقد و إلى أن الاعتبار بخواتيم الأمور و هو احتمال جيد جدا فاعرفه.

ثم لما أراد عليه السلام أن يخبرهم بأن ما ألقاه إليهم ليس من قبل نفسه القدسية بل أمر قد أخذ من مشكوة النبوة و معدن الرسالة و أراد أن يصدقوه فى تلك الدعوى من غير اختلاج ريب فى قلوبهم برأ نفسه عن أن يتطرق إليها رذيلة الكذب و نقصان كتمان الخبر بقوله: و الله ما كتمت وشمة أى ما اتهمت قط ....[1] رسول الله صلى الله عليه و آله قرع سمعه و لا كذبت كذبة أى ما قصدت إلى فرد كذبة من

(١) كذا بياض فى الأصل.

الأكاذيب فضلا عن أكثرها و أكد هذا المعنى بالقسم البارّ ليطمئن قلوبهم بما ألقاه إليهم .

ثم بين بقوله و لقد نبئت بهذا المقام : أى و الله لقد أخبرت من رسول الله صلى الله عليه وآله بمقام بيعة الخلق له و بهذا اليوم أى يوم اجتماعهم عليه و كل ذلك استمالة لقلوبهم و تنفير لهم عن الباطل إلى الحق ، ثم لما بين لهم أن الوقوع فى الشبهات يستلزم مجانبة التقوى و أنهم واقعون فيها .

أراد عليه السلام أن يوقظهم من سنة الغفلة و يذكرهم التقوى و غاية الخطايا عدهم اغبياء لا يفهمون إلا الامور المحسوسة و شبههما بأمرين محسوسين ليشرعوا إلى التقوى و يجتنبوا عن ارتكاب الخطايا بقوله ألا وان إلى الجنة و قد عرفت ما فيه فلا يحتاج إلى الاعادة هنا .

ثم لما بين أن ههنا طريقين لا بد للناس من سلوك احديهما و أراد ان يميز احديهما عن الآخر قال حق و باطل أى هما حق و باطل أى التقوى و الخطايا باطل و لكل واحد من طريق الحق و الباطل أهل أعده القدر الالهى لسلوكه بحسب ما جرى القلم فى اللوح المحفوظ على ما أشاره إليه الرسول عليه السلام كل ميسر لما خلق له .

ثم اعتذر لنفسه و لمتابعيه الثابتين على الحق بقوله فلئن أمر الباطل لقديما فعل يعنى لئن كثر الباطل و أهله فليس أمرا بديعا ما كان فى الزمان القديم بل كثرة الباطل و قلة الحق مما تعاقبت عليه الأزمنة السالفة و هذا توطين لقلته و تنفير لأهل الباطل مع كثرتهم عن اتباع الباطل

و هذا مثل قول الشاعر:

تعيرنا أنا قليل عديدنا ٭ فقلت لها ان الكرام قليل

ثم اردف ذلك بلفظ فى غاية الوجازة دالة على قلة الحق مع رجاء أن يعود إلى الكثرة و يمن لها و هو قوله و لئن قلّ الحق فربما و لعل، ثم أشار بقوله و لعلما أدبر شىء فاقبل إلى استبعاد اقبال الحق بعد ان أدبر لضعفه بواسطة تراكم الأهواء و البدع على مرائى قلوب العباد و اسوداد ألواح نفوس اولى السداد بعد أن كانت بيضاء نيرة صافية من شبه الباطل أو يموت الثابتين على الحق القائمين به .

فى هذا تنبيه لمن قام بالحق على اللزوم به و النهوض للذب عن حوزته كيلا ينهدم كل القوم و تارة إلى ضميره ذلك نحو قوله تعالى: « فسجد الملائكة كلهم[1] » أو إلى نكرة مفرد نحو كل انسان و قوله تعالى « و هو بكل شىء عليم » و عند الاضافة إليها يفيد معنى كل واحد واحد، و ربما عرى عن الاضافة لفظ و كان فى التقدير مضافا لمضاف اليه محذوف نحو قوله تعالى: « و كل فى فلك يسبحون[2] » . بقوله لكل هكذا أى لكل واحد واحد من الحق و الباطل .

أهل الرجل من يجمعه و اياهم نسب أو دين أو يجرى مجراهما من صناعة و بيت و بلد و قرية ثم شاع استعماله على سبيل الاستعارة لكل شىء له تعلق بطائفة سواء كان محسوسا أو معقولا يقال أمر هو بكسر الميم أى كثير .

(١) الحجر: ٣٠ . (٢) الانبياء: ٣٣ .

قال

قال أبو الحسن : أمر المال بالكسر أى كثر و أمر القوم أى كثروا قال الشاعر : آمرون لا يربون سهم القعدد ، و الرواية الصحيحة كسر الميم ، القديم فى مقابلة الحديث و أكثر ما يستعمل باعتبار الزمان نحو قوله تعالى « كالعرجون القديم » و قد عرفت معناه بحسب العرف ، الفعل التأثير من جهة مؤثر و هو عام لما كان باجادة أو غير اجادة و لما كان بعلم أو غير علم و قصد أو غير قصد و لما كان من الانسان و الحيوان و الجمادات و الذى حصل من جهة الفاعل يقال له مفعول و منفعل .

و منهم من فرق بينهما و قال : المفعول يقال إذا اعتبر بفعل الفاعل و المنفعل يقال إذا أعتبر قبول الفعل فى نفسه فيكون بينهما مباينة و منهم من قال المفعول أعمّ من المنفعل لأن المنفعل يقال لما لا يقصد الفاعل إلى ايجاده و أن يولد منه حمرة اللون من خجل يعترى من رؤية انسان و الطرب الحاصل عن الغناء المحرك العاشق لرؤية معشوقه ، و المفعول يقال لما يقصد الفاعل إلى ايجاده و ما أعلم وجه هذا الفرق ، القلة و الكثرة يستعملان فى الاعداد كما ان العظم و الصغر يستعملان فى الأجسام .

ثم يستعار كل واحد من العظم و الكثرة و من القلة و الصغر للآخر و قلّ إذا اقترن به ما يعبر به عن النفى يقال قلما فلان يفعل كذا أى لا يفعل و الدليل على أنه للنفى صحة الاستثناء منه على نحوها من النفى يقال قلما يفعل كذا إلا قائما أو قاعدا أو ما يجرى مجراه أدبر يدبر ادبارا إذا انهزم فى القتال و ولى دبره و الاسم منه الدبرة و هى الهزيمة فى القتال الاقبال التوجه نحو القبل كالاستقبال إلى هنا بيان اللغات المشكلة من

كلامه عليه السلام ، من هنا تبين المشكلة من كلام السيد رضى الله عنه .

الاحسان : يقال على وجهين احديهما الانعام على الغير يقال : أحسن إلى فلان ، و الثانى احسان فى فعله و ذلك إذا علم علما حسنا أو عمل عملا حسنا . و منه قول أمير المؤمنين عليه السلام : الناس أبناء ما يحسنونه أى ينسبون إلى ما يعملوه و هو المراد للسيد رضى الله عنه ، الحظ النصيب و الحذ ، و المراد هنا الأول ، العجب و التعجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشىء ، و لهذا قال بعض الحكماء : العجب ما لا يعرف سببه ، يقال قد أعجب فلان بنفسه فهو معجب برأيه و بنفسه ، والاسم منه العجب بالضم و حقيقته استعظام النفس و خصالها التى هى من النعم و الركون إليها مع نسيان اضافتها إلى المنعم و الأمن زوالها .

قال ابن السكيت[1] : طلعت على القوم أى أتيتهم و قد طلعت عنهم إذا غبت عنهم و طلعت الجبل بكسر العين أى علوته و منه ما قال السيد و الفج الطريق الواسع بين الجبلين و الجمع فجاج و هو قرينة المراد ، يقال ضربه يضربه ضربا أى أوقع شيئا على شىء و ضرب فى الأرض ضربا بالفتح إذا سار فى ابتغاء الرزق فضربها بالأرجل و منه ما قال السيد على سبيل الاستعارة .

(١) أبو يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت بكسر السين وتشديد الكاف الأهوازى الامام اللغوى الأديب وكان ثقة جليل القدر من عظماء الشيعة و كان حامل لواء العربية له كتاب اصلاح المنطق قال بعض العلماء ما عبر على جسر بغداد مثل اصلاح المنطق قتله المتوكل سنة ٢٤٤ لقصة ذكروها فى التاريخ .

الصناعة : فى اللغـة اسم حرفة الصانع و فى العرف ما أوردناه فى صدر الكتاب ، العرق بكسر العين واحد عروق الشجر و هى أصولها المثبتة تحت الأرض و فى الخبر من أحيى أرضا ميتـــة فهى له ، و ليس لعرق ظالم حق ، و العرق الظالم أن يجيء الرجل إلى ارض قـد أحياهـا غيره فيغرس فيهـا أو يزرع ليستوجب به الأرض ثم استعير لأصل الانسان من الآباء .

منه ما روى أن رجلا من مرارة أتى النبى صلى الله عليه و آله فقال ان امرأتى ولدت غلاما أسود فقال عليه السلام : هل لك ، إبل فقال : نعم ، فقال : ما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : فهل فيها اسود ؟ قال : نعم ، قال : فلم ذلك ؟ قال : لعل عرقا نزع ، فقال عليه السلام : لعل عرقا نزع .

(الأعراب)

الواو فى و أنى : للحال و العامل فيهـا أقول و الضمير فى به عائد إلى ما أقول و ما موصولة و الضمير العائد إليها فى الصلة محذوف تقديره بما أقوله . حمل عليها أهلها نعت للسابق عليـه ، حق و باطل يحتمل أن يكون خبر مبتداء محذوف تقـديره و هما حق و باطل أى التقوى حق و الخطايا باطل ، و ان يكون مبتداء خبره محذوف تقديره فى الدنيا حق و باطل .

اعلم ان ربّ وضع لتقليل المفرد إذا كان مجردا عن ماولها صدر الكلام لأن معناها معنى الانشاء فى التقليل كما أن كم لانشاء التكثير و لا يدخل الا على نـكرة موصوفـة لأن وضعها لتقليل نوع من جنس

فاذا ذكرت الجنس و خصصته بصفة و قرب عليها ما تقتضيه من نوع من جنس فاذا يجب أن يكون ماضيا لأنها وضعت لتقليل ما ثبت[1] .

اما إذا قرنت بما فيفيد تقليل النسب المفهومة من الجمل فاذا قلت ربما قام زيد انما قللت النسبة المفهومة من قولك قام زيد و إذا عرفت ذلك فاعلم أن الجملة الداخلة هى عليها هنا محذوفة دالة عليها الجملة السابقة تقديره لئن قلّ الحق فلربما كثر ، و لعل للترجي و من ثم قيل لعل طمع و اشفاق و ذلك الترجي و الطمع تارة من المخاطب و تارة من المخاطب و تارة من غيرهما و هنا لانشاء الترجي من المخاطب و اللام فى لربما جواب الشرط و فى لقلما للقسم .

(المعانى)

فى ذمتى بما أقول رهينة : خاصيتان أحدهما كونه جملة اسمية ليدل على الثبوت و الاستقرار الثانيـــة تقديم بما أقول لشدة الاهتمام بتلقيه و الاسراع إلى قبوله و الجملة الثانية انما أوردها اسمية و فى معرض الحال لتأكد مضمون جملة الأولى و يقربه إلى القبول فى قطع ان من إلى الشبهات هوا قبله خاصيتان لطيفتان هما بحر[1] البلاغة احديهما القطع مع التصدير بأن ، ليؤذن بأن ثم منكر أو برده عن الخطأ إلى الصواب .

الثانية افراغ المراد فى صورة شرطية متصلة دالة على العموم ايامم على تمكنهم فى الشبهات معرضة لهم بأنهم ليسوا ثابتين على التقوى و لا ممن انكشف له العبر ليكون إذ عن إلى القبـول ، لمـا عرفت غير مرة

(١) كذا .

أن

أن ايراد الكلام عاما مريدا به الخاص لكونه خاليا عن المنافرة و المواجهة بالكلام الحسن صريحا أقرب إلى القبول .

و من غاية بلاغته أن انتقل من الغيبة إلى الخطاب و صدر الجملة بألا للتنبيه و ان ، و قال الاوان : بليتكم معبرا عن وقوعهم فى الأهواء و البدع و الضلالات يعود الثلاثة إلى الحالة التى كانت عليها و فى الجملة هذه الخطبة على انواع أقسام البلاغة أظهر من البيان أنظر إلى اشتمال قوله حق و باطل إلى الآخر على الايجاز المحمود و غيره مما لا يخفى عليك ان كان ما سقنا اليك من أصول علم المعانى على ذكر منك .

(البيان)

فى ذمتى بما أقول رهينة : استعارة تخييلية مكنى بها عن توطين نفوسهم على ما قال مستدعية لتشبيهها و هى معقولة بالمتاع الذى يرهن و وجه الشبه اشتراكهما فى تحصيل الوثاقة و اطمينان القلب و هو عقلى و تخييل أنها من أفراده و الا لم يصح جعلها مسندا اليها لرهينة .

و فى ألاان بليتكم : مجاز حيث اطلق الثلاثة التى هى مسببة عن تشتت الاراء و البدع و ظهور الأهواء و أراد سببها و انما خصها بالذكر توبيخا لهم على ما هم خيارهم و بقاء أشرارهم مستدعية لتشبيه هيئته أفعالهم من القصد بالاذى و القتل لأخيارهم بهيئة فعل من يغربل الدقيق لتميز شيء منه عن شيء و هما مركبان و وجه الشبه ان افعالكم يستلزم ذهاب أخياركم و بقاء اشراركم كما ان فعل المغربل يستلزم ذهاب النقاوة عن الغربال و بقاء النخالة فيه و تخييل أنها من أفعال المغربلين .

و فى لتسلطن : أيضا استعارة مكنى بها عن ظهور أئمة الجور و الأرذال بينهم و خمول أئمة الهدى و الأخيار بينهم مستدعية لتشبيه هيئة ما يجرى عليهم من الخلط و جعل الأسافل أعالى و بالعكس بسبب نار الفتنة بهيئة ما يجرى على ما فى القدر من الخلط و جعل أسفله أعلاه و بالعكس بسبب النار .

و وجه الشبه اشتراكهما فى رفع التميز و هو عقلى و فى ألا و ان الخطايا خيل شمس حمل عليها استعارة تصريحية تخييلية مستلزم لتشبيه الخطايا و هى معقولة بالخيل التى تمنع الركاب أى يركب ظهرها و مع ذلك فهى مخلوعة اللجم و هى محسوسة مركبة .

و وجه الشبه و أن الخطايا يدخل راكبها على غير طرق الشريعة من غير اختياره فى أعظم موارد الهلاك و هى نارجهنم كما أن الخيل الشمس التى خلعت لجمها يدخل ركابها فى المهالك و يجرى بهم فى غير الطرق المسلوكة الى المقصد و هو مركب عقلى ، و أيضا لتخيل أنها من أفراد الخيل المنعوتة و الا لم يصح جعلها مسند اليها للخيل و ما هذه الاستعارة مليحة لطيفة .

قوله فتقحمت بهم فى النار : دل به على الغاية المذكورة من ركوب الخطايا و انما خصها بالذكر لكونها المقصودة و أخفى من . . . . . . [1] بقوله شمس حمل عليها أهلها و خلعت لجمها على أن المشبه به هو الخيل الموصوفة بالصفات الثالث لا مطلق الخيل و على أن الخطايا غير جارية على جادة الشريعة مخلوعة لجم الأوامر الشرعية و حدود الدين عنها غايتها ما ذكرنا .

(١) بياض فى الاصل .

و فى ألا إن التقوى مطايا الى الجنة : استعـارة تصريحية تخيلية مستلزمة لتشبيه التفوق بلوازمها و هى معقولة بالمطايا المنعوتة و هى محسوسة و وجه اشتراكهما فى ميل القلب اليهما و اشتمالها على سلامة العاقبة يعنى كما أن المطئية الذلول من شأنها أن لا يتجاوز الجادة المسلوكة الى المقصد و لا يخرج عن طاعة راكبها بل يجرى به على طمانية و سكون من غـير ايصال مشقة و تعب إليه حتى توصله الى مقصده كذلك التقوى من شأنها ان يكون السالك إلى الله تعالى الراكب عليها فى رفاهية و أمن من جموح الهوى به فى موارد الهلكة الى ان يوصله الى المقصد المطلوب .

لحفـظ التقوى صاحبه عن أن يغلب عليه الهوى وما يقوده إليه بلا اختياره الى مظان الهلاك أشبه زلة المطية كما أن اقتحام الخطايا براكبها فى موارد الهلكة و منعها اياه عن أن يسلسهـا أشبه شموسها ، و حدود الشريعة التى اشتمل عليها التقوى ، و التزم به صاحبه من العثور و الانحراف عن الجادة المسلوكة الى الحق اشبه أزمـة المطايا التى هلك راكبها و أمن بها من خرجها عن الجادة .

كما أن خروج الخطايا عن حدود الدين و نظام الشريعة أشبه الخيل التى خلعت لجمها وكون التقوى موصلا للآخذ به السعادة الابدية التى هى جنة المأوى أشبه غاية سير المطية الذلول براكبها الى مقصده الذى توجه أليه كما أن كون الخطايا موصلة لصاحبها الى الشقاوة السرمدية التى هى النـار أشبه غاية و سير الخيل الشموش التى خلعت لجامها هذا هو التحقيق لما بين الاستعارتين من غير ترك شىء ولا ينبه لمثل هـذه الا المتدرب بعلم البيان .

(البديع)

بين بلبلة و غربلة السجع المتوازى و الترصيع و فى ألا إن الخطايا الى الجنة راعى المقابلة حيث قابل أولا الخطايا بالتقوى و الشمس بالذلل و خلع اللجام باعطاء الأزمة و النار الجنة . و فى قوله حق و باطل اللف و النشر حيث ذكر بعد ذكر التقوى و الخطايا حق و باطل معا و أراد رجوع كل منهما الى كل من المذكورين ولا على سبيل الترتيب و المقابلة حيث قابل الحق بالباطل و فى الكلمات الباقية السجع المتوازى بين فعل و لعل و المتوازى بين لعل و أقبل و المقابلة حيث قابل الكثرة بالقلة و الاقبال بالادبار .

(الفحوى)

اعلم انه عليه السلام صدر الكلام أولا بما تقرب المخاطبين الى . . ١ و تلق أوامره عليه السلام باطمينان القلب و وثوق الخاطر قواعده لقعودهم عن نصره و تثاقلهم عن دعوته و تعريض لمن تثبت بالشبهة الباطلة و بأنه ليس على الحق و أن الحق قد فرعنه ولا تقبل عليه ما دام متمسكا بالباطل منحرفا عن الحق اللهم ثبتنا على الصراط المستقيم ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا عن سلوك النهج القويم .

و أما قول السيد رضى الله عنه ان فى هذا الى الاستحسان فمعناه أن شيئاً من محاسن كلام العرب مما يقع عليه الاستحسان لا يوارى محاسن كلامه التى أجاد فيها و أحسن ولا يبلغ اليها أولا يبلغ الفكر التى بها نقع الاستحسان إلى أدنى محاسن كلامه عليه السلام و يحتمل أن يكون

معنى كلامه عليه السلام الأدنى الذى أحسن النظر فيه لا يقدر المستحسن أن يستحسنه بالأوصاف التى اشتمل عليها من البلاغة و الفصاحة لقصوره عن إدراكها و هو جيد .

قوله ان حظ العَجَب أكثر من حظ العُجب به : يعنى أن يعجب الفصحاء من خواص كلامه عليه السلام و نواصعه أكثر من عجبهم باستخراج محاسنه ، و ذلك لأنهم لا يطلعون على خاصية إلا و يبدوا لهم بلية أخرى فوقها لا يمكن لهم التعبير عنها لدقتها فيرون أنفسهم دائما فى محلّ التقصير فى اخراج ما اشتمل كلامه عليه السلام عليه من النكت و البدائع فلا يقع لهم عجب بأنفسهم حيث قدروا على استخراجه قوله و فيه مع الحال التى وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان أى لا يقدر لسان من الالسنة أن يبرز تلك الزوائد كما هى ، و لا يطلع فجها انسان أى لا يعلو عالى تلك الزوائد إنسان ما ، يعنى لا يصل ذهن أحد إلى نهاية خواص كلامه عليه السلام .

قوله و لا يعرف إلى بمحق أى لا يصدّقنى فيما قلت الا من تمرّن فى هذه الصناعة و تدرب فيها و وردت هذه الفصاحة عن الخلافة المتقدمين و كانت هى جارية فى عروقه ، ثم قال و ما يعقلها أى ما يعلم تلك الزوائد الا العالمون بعلم اليقين و يحتمل أن يكون الضمير راجعاً إلى الصناعة أى ما يطلع على دقائق هذه الصناعة الا عقول العالمين المؤيدين من عند الله بذوق سليم و طبع مستقيم .

* * * * *

شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ . سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا ، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا ، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى . الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ . وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ ؛ هَلَكَ مَنِ ادَّعَى ، وَخَابَ مَنِ افْتَرَى مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ ، وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ . فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَلَا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَلُمْ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ .

اللغـــة

الأمام : بفتح الهمزة القدام و بالكسر الذى يقتدى به انسانا كان يقتدى بقوله أو فعله أو كتابا أو غير ذلك محقا أو مبطلا .

ساع : اسم فاعل من سعى الرجل يسعى سعيا إذا عمل و كسب و عدا و المراد به هنا عامل و كل من ولى شيئا على قوم فهو ساع عليهم و أكثر ما يقال ذلك فى ولاة الصدقة فقال سعى عليها أى عمل عليهـا و هم السعادة فاذا كان بعلى كان عاملا لغيره و إذا كان مجردا عن الحروف كان عاملا لنفسه .

ثم اعلم أن أكثر ما يستعمل السعى فى الأفعال المحمودة ، السرعة نقيض البطوء تقول منه سرع سرعاً مثل صغر صغرا فهو سريع ، نجا من النجاء الممدود و هو المبالغة فى السرعة .

يقال نجا ينجو نجاة و نجاء : ممدودا أى أسرع و انفصل من الشىء و النجاة الناقة السريعـة ينجو بمن ركبها و استنجى أى أسرع و فى الخبر إذا سافرتم فى الجدوبة فاستنجوا أى فاسرعوا ، و أصل النجا من السعـة و الناجى من وسع عليه أمره و خلص من مضيق دفع إليه و المسرع إذا كان بجاله أوسع كانت سرعته أبلغ ، يقـال بينى و بين فلان نجاوة من الأرض أى سعة .

يقال طلبت الأرض طلبا : فهو طالب و الطلب هو الفحص عن وجود الشىء عينا كان أو معنى .

يقال رجوت فلانا رجوا و رجاء و رجاوة : و الرجاء هو ارتياح

القلب لانظار ما هو محبوب عنده و ينبسط الكلام فيه عند الافضاء إلى الفحوى، و قد عرفت معنى المضلة فلا نعيده.

الطريق: السبيل الذى يطرق بالأرجل أى ضرب قال الله تعالى: «فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبسا[1]» و عنه استعير كل مسلك يسلكه الانسان فى فعل محمودا كان أو مذموما و الطريق يذكر و يؤنث تقول الطريق الأوسط و الطريق الوسطى، و هنا قد أنثها حيث أتى بالوسطى و الجمع أطرقة و طرق.

الكتب فى أصل اللغة ضم أديم إلى أديم بالخياط يقال كتبت السقاء إلى التعارف[2] ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط و فى المقال النظم باللفظ لكن يستعار كل واحد للآخر و لهذا سمى كلام الله و ان لم يكتب كتابا.

و الكتاب: فى الأصل مصدر ثم سمى المكتوب كتابا و المكتوب فيه كتابا و قد عرفت تعريفه بحسب الاصطلاح فى باقى الكتاب روايتان:

احديهما ما فى و ما موصولة و الجملة الظرفية صلته و المجموع فى محل الرفع على الابتداء و خبره عليها قدم.

الثانية و هى الأصح و الأشهر باقى الكتاب من البقية.

الآثار جمع أثر: و هو وجود ما يدل على الشيء و من ثم يقال للطريق المستدل به عليه من تقدّم آثار و منه قوله تعالى: «على آثارهم يهرعون[3]»، و يستعار الأثر للفضل و الايثار للتفضل، النبوة سفارة بين الله تعالى و بين ذوى العقول من عباده لازاحة عللهم فى أمر معادهم

(١) طه: ٧٧. (٢) كذا. (٣) الصافات: ٧٠.

و معاشهم ، و تمام الكلام فيها قد عرفت .

المنفذ : اسم مكان من نفذ الكتاب إلى فلان نفاذاً و نفوذا ، و يحتمل أن يكون من نفذ السهم من الرمية .

المصير : مصدر يقال صرت إلى فلان مصيرا ، قال الله تعالى : « و إلى الله المصير[1] » أى المرجع و هو شاذ و القياس مصار مثل معاش .

العاقبة : عند الاطلاق يختص بالثواب نحو قوله تعالى : « و العاقبة للتقين » و عند الاضافة قد يستعمل فى العقوبة نحو قوله تعالى : « فانظر كيف كان عاقبة الظالمين[2] » و هنا قد أطلقها فأراد بها الثواب المعدّ لمن ختم أمره بالسعادة و الفلاح .

الهلاك : يطلق على معان أربعة افتقاد الشىء عنك و هو عند غيرك موجود لقوله تعالى : « هلك عنى سلطانيه[2] » . الثانى استحالة الشىء و افساده نحو قوله تعالى : « يهلك الحرث و النسل[3] » . الثالث الموت نحو قوله تعالى : « و ان امرؤ هلك و ليس له ولد[4] » . الرابع بطلان الشىء من العالم و عدمه رأسا المسمى بالفناء نحو قوله تعالى : « كل شىء هالك إلا وجهه[5] » و يقال على سبيل المجاز للعذاب و الفقر و الخوف الهلاك و أراد به هنا الاستحالة .

و يحتمل أن يكون المراد الموت و لكن يحتاج إلى ارتكاب مجاز يقال : هلك الشىء يهلك هلاكا و هلوكا و مهلكا بالحركات الثلاث فى اللام

(١) آل عمران : ٢٨ . (٢) الحاقة : ٤٠ . (٣) البقرة : ٢٠٥ .
(٤) النساء : ١٧٤ . (٥) القصص : ٨٨ .

 تهلكة

تهلكة و الاسم منه الهلك بالضم قال اليزيدى[1] التهلكة: من نوادر المصادر ليست مما يجرى على القياس و قيل التهلكة ما يؤدى إلى الهلاك، خاب الرجل خيبة إذا لم ينل ما طلب، افترى أى اخترع كذبا يقال فرى فلان كذبا إذا خلقه و افتراه، أخلقه و أصل الفرى القطع.

يقال فريت الشيء أفريه فرياً: أى قطعته لأصلحه و فريت المرادة أى خلقتها و صنعتها ثم استعمل فى اختراع الكذب الذى قطع به.

أبدى ابداء: أى أظهر يقال أبدى الله الخلق أى أظهرهم بالايجاد.

صفحة كل شيء: جانبه وصفح الشيء ناحيته و صفح الانسان جنبه، وصفح الجبل مضطجعه أراد بهلك مات.

الجهلة: جمع جاهل نحو فسقة و فاسق قدر الشيء مبلغه و هو فى الأصل مصدر السنخ أخص من الأصل، ساق الشجرة من حيث أن الفروع منشعبة منه إلى العروق الداخلة فى الأرض يقال له الأصل.

و السنخ: لا يقال الا لما رسخ فى الأرض و توارى فيها و منه سنخ فى العلوم سنوخا إذا رسخ فيه، و السناخ أصول الثنايا و هى الداخلة فى اللثة فيكون هذه الاضافة من باب اضافة الخاص إلى العام.

---

(١) أبو محمد يحيى بن المبارك العدوى المقرئ النحوى اللغوى صاحب أبى عمرو بن العلاء البصرى كان يؤدب أولاد يزيد بن المنصور الحميرى خال ولد المهدى واليه كان ينتسب ثم اتصل بهارون لجعل ولده المأمون فى حجره و كان يؤدبه و له التصانيف الحسنة و كان يجلس فى ايام الرشيد مع الكسائى ببغداد فى مسجد واحد توفى بخراسان ٢٠٢.

البيوت : جمع بيت و هـــو معروف ، و قيل أصل البيت ماوى الانسان بالليل ، ثم قـد يقال من غير اعتبار الليل فيـه و يقع ذلك على المتخذ من حجر و من مدر و من صوف و وبر و به شبه بيت الشعر و عبر عن مكان الشيء بأنه بيته ، الاصلاح ضد الافساد .

و الاستصلاح : ضد الاستفساد إذا قيل من وراء كذا فمعناه من خلفه نحو قوله تعالى : « من ورآء اسحق يعقوب » قد يقال أيضا لارادة القدام نحو قوله تعالى : « و كان وراءهم ملك » .

قال بعض المحققين : الحمد أخص من المدح و أعمّ من الشكر و أن المدح يقال فيما يكون من الانسان باختياره و فيما يكون منه بالتسخير فقد يمدح بطول قامته و صباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله و شجاعته و علمه و الحمد يكون فى الثانى دون الأول و الشكر لا يقال إلا فى مقابلة نعمة فكل شكر حمد و ليس كل مدح حمدا و قد عرفت الاطناب فيه فلا يحتاج إلى الاعادة هنا ، اللوم عذل الانسان بنسبته إلى ما فيه لوم يقال لمت فهو ملوم ، و ألام : استحق اللوم و التلاوم و ان يلوم بعضهم بعضا .

(الاعراب)

أمامه : نصبت على الظرف و يحتمل أن يكون ساع سريع نكرة موصوفة مرفوعة على الابتداء و خبره نجا و كذا طالب بطيء و أن يكون نجا و رجا أيضا نعتين لما سبق و يكون النكرة الموصوفة خبر مبتداء محذوف دل عليه سياق الكلام تقديره بالناس أصناف ثلاثة أصنف ساع سريع إلى الآخر و هو أنسب بسياق الكلام و ذلك لأن قول مقصر لا يحتمل

 أن

أن يكون مبتدأ و فى النار خبره لكونه نكرة محضة و هى لا يصلح للابتداء فتعين أن يكون خبر مبتدأ محذوف فيسوق الاولين مساقة[1] هاديا على الاختلاف بينها : جهلا منصوب على التميز و لا للنهى الغائب و لهذا جزم يحمد و يلم .

(المعانى)

انما قال شغل : على البناء للفعول إما للدلالة على أن المقصود بالذكر هو الشغل لا غيره أو لأنه لما كان الشاغل هو الله تعالى بايجاد الجنة و النار و الترغيب فى احديهما و الترهيب من الاخرى ترك ذكره تعالى للدلالة على التعظيم و الاجلال و للايجاز الذى هو فن عظيم من البلاغة ، و إنما حذف المسند إليه من قوله ساع سريع الى الآخر اما للتعويل على القرينة العقلية مع الاختصار المطلوب أو لأن الاخبار لا يكون صالحة الا للمحذوفة مع اشتماله على الاختصار .

و انما نكر للدلالة على الأشخاص يعنى كان الناس منحصر أفراده فى ثلاثة أشخاص لا بعنيهم و انما جاء بالفعل الماضى بعد سريع و بطئ لشىء عن أن التمكن فى السعى و السرعة بالاعتقاد و التجدد فى المبالغة فيها شرط فى القسم الأول و التمكن فى المبالغة لا يكفى بل لا بد من أن يجددها لحظة فلحظة و لا يؤخرها الى زمان سيجىء و إنما لم يأت فى القسم الثالث بوصف غير التقصير ليدل على أن مجرد التقصير يوجب للدخول فى النار .

---

(١) كذا فى الأصل .

ثم قطع اليمين و الشمال مضلة : عما قبله ليؤذن بالجواب عن سؤال من يسأل عن تشتت الطرق و عن بيان ما يجب السلوك فيه منها و الألف و اللام فى اليمين للحقيقة و الماهية أى حقيقتها مضلة و كذا فى الطريق و قطع أيضا عليها باقى الكتاب ليؤذن بتعليل كونها هى الجادة و قد عرفت غير مرة أن ايراد الكلام على سبيل العموم أقرب الى القبول و أكثر فائدة و ان كان المراد الخصوص .

و من ثم قال عليه السلام هلك الى قدره مريدا بـه طائفة معينين ، الفاء فى فاستتروا للتشبيه الدالة على أن ما قبلها علة لما بعدها ، و لا يحمد حامد الاربه قصر للفعل من الفاعل فى المفعول قصر إفراد يعنى ينبغى أن لا يكون الحمد متوجها من حامد الا على ربه دون غيره و لا يلم لائم إلا نفسه أيضا لقصر الافراد و لكن يحتمل هنا أن يكون لقصر القلب و ذلك بتنزيل كلّ لائم منزلة من لا يرى أن يلوم نفسه أصلا و انما يرى أن يلوم غيرها للبالغة و التاكيد و قد عرفت مثله .

(البيـان)

: فى اليمين و الشمال إلى الجادة : استعارة تخييلية مستلزمة لتشبيه طرفى الأفراط و التفريط من الصراط المستقيم الذى أمرنا باتباعه على ما ينبىء عنه قوله تعالى : و ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه[1] ، و هما معقولان بطرفى الجادة المسلوكة الى المقصد من اليمنة و اليسرة و هما محسوسان ، و وجه

(١) الانعام : ١٥٣ .

الشبه اشتراكهما فى أن المسالك فيها لا يضل الى المقصد بل يضل و يضل و هو عقلى و لتخييل أن الافراط من أفراد اليمين و التفريط من أفراد الشمال و تشبيه الطريق الوسطى التى كتب الله على السالكين أن يسلكوا فيها أن يصل الى جناب عزته و هى معقوله بالجادة و هى محسوسة .

و وجه الشبه أن الانبياء و الأولياء قد أوضحوها بكثرة المرور عليها كما أن الجادة قد بينت بكثرة مرور الناس و المارين عليها و فى الجملة اشتراكهما فى أن من أخذ فى قطعها يصل الى المقصد . فى لا يهلك على التقوى سنخ أصل استعارة تخييلية مكنى بها عن أن اصول العقائد التى يجب اخفاؤها اذا كانت مبنية على التقوى لا يفسد مستلزمة لتشبيه جميع الأعمال الظاهرة و الباطنة التى عليها مدار الايمان و هى معقوله بالاصول من البناء .

و وجه الشبه ان الدين لا يقوم بدونها و أيضا لتشبيه اصول العقائد الواجب خفاؤها بالسنخ و وجه الشبه اشتراكهما فى الخفاء و المانع من عدم اطلاع الغير و فى لا يظمأ عليه زرع قوم استعارة تخييلية مكنى بها أن المتثبت بالتقوى لا يفسد أعماله الظاهرة مستدعية لتشبيه الأعمال بالزرع و التقوى بالماء . و وجه الشبه فى الأول اشتراكهما فى الأثمار و الافادة غير أن كلا يفيد ما هو مناسب جنسه فالأعمال يفيد الثواب و الزرع يفيد النبات و فى الثانى اشتراكهما فى تحصيل النشو و لكن كل بالقياس الى جنسه . و فى قوله فاستتروا ببيوتكم كناية عن القعود عن المنافرات والمخاصمات فان الاستتار فى البيوت من لوازم القعود .

(البديع)

راعى في قوله ساع: الى رجا المقابلة حيث قابل السرعة بالبطؤ و السجع المتوازى كما بين ارعى و افترى، و بين أصل و قوم المتوازى و بين نفسه و ربه المتوازى و يحتمل أن يكون هو المطرف .

(الفحوى)

اعلم أن هذه الكلمات طائفة من الخطبة التى تلونا منها بعضها خطب بها عليه السلام لما فرغ الناس من بيعته، قوله شغل من الجنة و النار أمامه أى من كان متذكرا لهما دائما و عالما بانه سيصير إلى إحديها لا محالة و كانتا قبالة عينه فقد شغل بهما عن كل ما عداهما و يجب عليه أن لا يشتغل الا بما يوصله الى الفوز بالجنة التى هى مطلوب كل طالب و يبعده عن النار التى تنفر كل نفس منها .

و يحتمل أن يكون معناه أن الناس من مبداء عمره الى منتهاه فى سفر لا بد من الارتحال عن هذه الدنيا الى غاية هى الجنة و النار و من كان مسافراً الى غاية معينة فلا يليق بحاله أن يشتغل بغير مهمات تلك الغاية و الوسيلة اليها ثم لما فرغ عليه السلام من وجوب الاشتغال بالجنة و النار عن غيرهما قسم الناس بحسب ذلك الاشتغال على أقسام ثلاثة و كأنه قال.

الناس اما باذلون جهدهم و وسعهم و مفنون طاقتهم فى الوصول إلى رضوانه و هم المشار اليه بقوله ساع سريع نجا أو طالبون له و لكن فى سلوكهم بطىء و ان بطؤهم المشار إليه بقوله طالب رجا أو فارغون

عن الطلب باذلون له بالكلية و مقصرون و هم المشار إليه بقوله مقصر فى النار و لا مزيد عليها و ان كان يحتمل تحت كل قسم مراتب متفاوتة و منازل متفاضلة و لكن كلامه عليه السلام لبيان الأقسام الكلية .

فالقسم الأول هم الذين أغناهم الله عن التلوث بالدنيا الدنية و فازوا بجنات النعيم و أنجاهم من الدخول فى النار و إليهم أشار تعالى بقوله: « و السابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم[1] » و بقوله تعالى: « ثم ننجى الذين اتقوا[2] » .

الثانى : هم الذين اغتروا بحيوة الدنيا و انهمكوا فى اللذات الفانية و ألقوا نفوسهم بمتابعة الشياطين و تسويلاتهم فى غيابات الشقاء و أعدوها لايقاد النار و اليهم أشار تعالى بقوله : « و أما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير و شهيق[3] » .

اما الثالث : فهم الذين بقوا فى منزل التجاذب من طرفى العلو و السفل ، فالطلب الذى تمكن فى سويداء قلبه و يجذبه إلى طرف العلو و نيل المنزلة الثانية و بطؤه عن السير فى قطع السبيل إلى الحق يجذبه إلى طرف السفل و الحرمان عن الوصول إلى الجنة و لكن رجاءهم رحمة الله الموصولة كل طالب إلى مطلوبه القريبة إلى المحسنين ، قد رجح طرف احدى الطلب فكانت السلامة على حاله أغلب و النجاة إلى أمره فى الخاتمة أقرب و إلى الأقسام الثلاثة أشار تعالى فى أنه أخذ بقوله : « فمنهم ظالم

---

(١) الواقعة : ١٠ . (٢) مريم : ١١٢ . (٣) الملك : ٧٠ .

لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير[1] » .

و بقوله تعالى : « و كنتم أزواجا ثلثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة و أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة و السابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم[2] » و قد عين تعالى لكل قسم ما أعدّ لهم بقوله : « فاما أن كان من المقربين فروح و ريحان و جنة نعيم و اما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين و أما أن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم و تصلية جحيم[3] » .

و لما كان الاطلاع على تمام ما قلناه متوقفا على الاطلاع على حقيقة الرجا وجب علينا أن نبحث عن حقيقته و لأن ما قال الغزالى رحمه الله فى احياء علوم الدين فيها واف بمطالبنا نحن نقتصر عليه إذا لزيادة على الكمال نقصان .

قال : اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين و أحوال الطالبين و إنما يسمى الوصف مقاما إذا ثبت و أقام و إنما يسمى حالا إذا كان عارضا سريع الزوال و كما أن الصفرة ينقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب و إلى سريع الزوال كصفرة الوجل و إلى ما بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذى هو غير ثابت يسمى حالا لأنه يتحول على القرب و هذا جار فى كل وصف من أوصاف القلب و غرضنا

(١) الشورى : ٢٢ . (٢) الواقعة : ١٠ . (٣) الواقعة : ٩٣ .

الآن

الآن حقيقة الرجا فالرجا أيضا يتم بعلم و حال و عمل العلم سبب يثمر الحال و الحال يقتضى العمل .

بيان ذلك ان كلّ ما يتصوره النفس و يلاقيك من مكروه أو محبوب فينقسم إلى موجود فى الحال و إلى موجود فيما مضى و إلى منتظر فى الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى يسمى ذكرا أو تذكرا و إن كان ما خطر بقلبك موجودا فى الحال سمى وجدا و ذوقا لأنه حالة تجدها فى نفسك و إن كان قد خطر ببالك وجود شىء فى الاستقبال و غلب ذلك على قلبك سمى انتظارا و توقعا و ان كان مكروهاً حصل منه ألم فى القلب سمى خوفاً .

و ان كان محبوباً حصل من اخطاره بالبال لذة للنفس و ارتياح يسمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح للقلب لانتظار ما هو محبوب عنده و لكن ذلك المحبوب المتوقع لا بدّ و أن يكون له سبب فان كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق و إن كان ذلك انتظارا مع انخرام أسبابه و اضطرابها فاسم الغرور و الحمق عليه أصدق من اسم الرجاء و ان لم يكن الأسباب معلومة الوجود و لا معلومة الانتفاء فاسم التمنى أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب .

و على كل حال فلا يطلق اسم الرجاء و الخوف الا على ما يتردد فيه اماما يقطع به فلا اذ لا يقال أرجو طلوع الشمس و أخاف غروبها وقت المغرب لأن ذلك مقطوع به ، نعم يقال ارجو نزول المطر و أخاف انقطاعه ، إذا عرفت هذا فاعلم أن أرباب القلوب قد علموا أن الدنيا

مزرعة الآخرة و القلب كالأرض و الايمان وكذا حب المعارف الا بقية[1] كالبذر فيــه و أنواع الطاعات و العبادات جارية مجرى تقليب الأرض و اصلاحها لاعداد الزراعـــة و نظيره جار مجرى حفر الأنهار لسياقة الماء إليه .

و القلب المستهتر بالدنيا المستغرق بحبها و الركون إليها كالأرض السبخة التى لا يقبل الزرع و لا ينمو فيها النبات بغلبة الأجزاء الملحية عليه و يوم القيامـة يوم الحصاد و لا يحصد إلا من زرع و لا ينمو زرع إلا من بذر كما لا ينتفع القاء البذر فى الأرض السبخة كذلك لا ينفع الايمان مع تخبث القلب و قـذارة النفس فينبغى أن يقاس رجاء العبـد المغفرة من الله و الوصول إلى جناب عزته برجاء صاحب الزرع .

فمن طلب أرضا طيبة و ألقى فيها بذراً جيدا غير عفن و لا غـوش ثم أمده بسوق الماء العذب إليه و كل ما يحتاج إليه فى أوقاته المعينة ثم طهره عن الشوك و الحشيش المضر بالنبـات المانع اياه ثم جلس ينتظر من فضل الله دفع الصواعق و الآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع و يبلغ غايته سمى انتظاره رجاء و إن بث البذر فى الأرض الصلبة السبخة المرتفعة التى لا ينصبّ إليها ماء و لم يستغل بتعهد البذر أصلا .

ثم انتظر حصـاد الزرع منه سمى انتظاره حمقاً و غرور الارجاء و ان بث البذر فى أرض طيبة و لكن لا ماء لها و أخذ ينظر مياه الأمطار حيث لا يغلب الأمطار و لا يمتنع أيضاً سمى انتظاره تمنيـا و فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب حصل جميع أسبابـه الداخلة تحت

(١) كذا .

اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس له . فدخل تحت اختياره و هو فضل الله تعالى بصرف القواطع و المفسدات .

كذلك العبد إذا بث بذر الايمان و المعارف الالهية فى أرض قلبه و سقاه بماء الطاعات و العبادات و طهر القلب عن شوك الأخلاق الردية المانعة لنموا العلم و نشو العرفان و انتظر من فضل الله تعالى أن يثبته عليه إلى إبان حصاد عمله و حسن الخاتمة المفضى به إلى المغفرة و الرضوان كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا فى نفسه باعثا على المواطنة و القيام بمقتضى الايمان فى اتمام أسباب المغفرة إلى الموت .

و هذه درجة السابقين المقربين الذين كانوا ساعين سريعين مبالغين فى السر و ان بث بذر الايمان فى أرض نفسه و لكنه قصر فى إتمام جميع أسبابه إما بأن يكون قد أبطأ فى الالقاء أو فى السقى أو غيرهما ثم انتظر بعد ذلك من فضل الله تعالى أن بارك له فيـــه و يلحقه بالمثابين الذين استحقوا الثواب بالاتيان بالأعمال الصالحة فيصدق عليه اندراج لكونه قد حصل أكثر أسبابه و هذه هى درجة القسم الثانى . وهو الطالب البطى الراجى .

و اما ان لم يبث بذر الايمان أصلا فى نفسه أو بثه و لكن قطع النظر عن تعهده بماء الطاعات أو تعهده و لكن انهمك قلبه بحب الدنيا و الركون إلى الشهوات الفانية و انغمر فى رذائل الأخلاق ، ثم طفق ينتظر من فضل الله تعالى المغفرة و الرضوان فذلك غرور و حمق على ما ينبىء عنه قول النبي صلى الله عليه و آله : الأحمق من اتبع نفسه هواها و تمنى على الله المغفرة .

قوله تعالى: « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى و يقولون سيغفر لنا[1] »، و هذه درجة القسم الثالث و هو المقصر فى تحصيل أسباب الزراعة و التردد من زاد الآخرة ثم بعد الفراغ من أقسام الناس خاض عليه السلام فى الطريق الذى أوجب الله علينا السلوك فيها لنصل إلى المقصد الأصلى و رفع عليها منارا بارسال الرسل و إنزال الكتب.

قال: اليمين و الشمال مضلة: قد عرفت فى الحكمة العملية ان الطريق التى شرعت للسالكين إلى الله تعالى هى العلم الذى هو طريق القوة النظرية و العمل الذى هو عبارة عن العفة و الشجاعة و الطريق إلى القوة العملية و ان المأمور باتباعه هو العدالة التى هى الصراط المستقيم و ان كلا منها محتو برذيلتين هما طرفا الافراط و التفريط و أن الاجتناب عنهما واجب على كل سالك لكون الواقع فى مصديهما[2] خارجا عن قانون العدالة داخلا فى الهاوية و الضلال.

فيكون اليمين و الشمال عبارتين عن الطرفين، و الطريق الوسطى عبارة عن العدالة المحمودة الواجبة رعايتها فى أمهات الأخلاق و هى الجادة الواضحة المستنيرة لمن اهتدى و التى عليها باقى الكتاب من المقاصد الالهية ويحتمل أن يكون التقدير الكتاب الثانى حكمه الان و هو القرآن و قدمت الصفة و اضيفت إلى الموصوف لكونها المقصودة بالذكر كقولهم زلال الماء.

(١) الاعراف: ١٤٩.
(٢) كذا فى الأصل.

يعنى نزل الكتاب على الطريقة الوسطى دون غيرها و أن يكون الكتاب اسم جنس يشمل سائر الكتب السماوية و مراده باضافة الباقى إليه تخصيص القرآن بوصف الالتقاء حكما ، قوله و آثار النبوة يعنى على الطريق الوسطى بقيت آثار النبوة التى بها يستدل على وجود النبى و كون ما أتى به من عند الله تعالى ، و قوله و منها منقذ السنة : أى من الطريق الوسطى ابتدأت الطريقة المأخوذة من النبى عليه السلام ، يعنى أنه عليه السلام ما تكلم بكلمة و لا فعل فعلا و لا أقر أحدا على فعل إلا و قد راعى قانون العدالة غير منحرف عنها بحال .

اما قوله و إليها مصير العاقبة : أى إلى الطريق الوسطى التى هى العدالة مرجع العاقبة التى هى الخير فى الدنيا و العقبى فان بالعدل ينتظم أمر العباد فى المعاش و يلتئم أحوال الناس فى المعاد إذ لو لا العدالة لما تهيأت أسباب المعاش و لا المعاد ، قوله هلك من ادعى : يحتمل أن يكون دعا بالهلاك الذى هو الموت على من ادعى شيئا ليس له أهلية ذلك و أن يكون خبرا عن الهلاك الأخروى الذى هو استحقاق العذاب .

و ذلك لأن الدعوى إن لم يكن مطابقة لما فى الواقع كانت مستلزمة للكذب أو الجهل المركب و كلاهما خصلتان رذيلتان يجب الاجتناب منهما إذا المتلبس بهما مورد نفسه فى موارد الهلاك و إن كانت مطابقة و لم يكن عن حاجة كانت مستجمعة فى الأغلب للعجب المذموم على ما ينبىء عنه قوله صلى الله عليه و آله : ثلاث مهلكات شح مطاع و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه ، و إن كانت لمساس حاجة إليها كانت مباحة و لكن

أعلى الوجود فيكون كالعدم بالنسبة إلى القسمين الأولين .

قوله : و خاب من افترى : أى لم ينل مطلوبه من جعل الافتراء ذريعة إليه و يحتمل أن يكون دعا بالخيبة على من اتخذ الافتراء وسيلة إلى تحصيل مقصوده قال بعض الشارحين : معناه هلك من ادعى الامامة لنفسه مع عدم استحقاقه لها و خاب من افترى دعواه لها لأن كلامه عليه السلام فى هذه الخطبة مسوق لأمر الامامة .

قوله : من أبدى إلى جهلة الناس : يعنى من تشمر لتمشية الحق المجرد لاظهاره فى مقابلة كل باطل بدأ من المبطلين و ألزمهم كلمة الحق و حملهم على الوقوف على الجادة فقد أورد نفسه فى معرض الهلاك بأيديهم و ألسنتهم و كأنه اعتذر بهذا الكلام لنفسه و أصحابه المتابعين له عن قعوده عن الطلب للامامة حين استولى عليها من لا استحقاق له فيها ، و نبههم به على أنه لا يأمر إلا بالحق الصرف و لا ينحرف عنه بحال .

ثم نبه على أن الحق لا يأباه إلا الجاهل به الذى لا يعرف مبلغه و قدره و تعدى طوره و طلب ما ليس له و على أدنى مراتب الجهل قوله وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره : و إنما قال ذلك عليه السلام : لأن من جهل قدره و تصور لنفسه مرتبة سامية و منزلة عالية يولد منه الكبر و العجب اللذان هما رذيلتان عظيمتان فيفضيان من تلبس بهما إلى الخزى فى الدنيا و النكال فى العقبى ، و هذا تنفير للسامعين عما هم عليه و تعريض بأنهم لا يعرفون قدرهم إذ لو عرفوا لما نهضوا لطلب الامامة .

ثم دل على لزوم التقوى و ان ذهبت الدنيا بزخارفها بقوله :

لا يهلك على التقوى سنخ أصل أى من هي‌ء اعتقاده الصحيح و ما انطوى عليه حبة قلبه على التقوى و لا يتخذ الدين وسيلة إلى تحصيل الجاه فى الدنيا و لم يترك الدين و العقيدة الصحيحة التى ما يعلمها إلا هو تفاديا عن ادبار الخلق و ذهاب الدنيا لا يفسد دينه و يبقى فى عقيدته كاملا مؤمناً و إليه أشار تعالى بقوله : «أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار[1]» .

قوله و لا يظمأ عليه زرع قوم : يعنى أن من بث بذرا المعارف الالهية فى أرض نفسه و سقاه بماء التقوى الذى هو الطاعات و العبادات لا يلحق ذلك الزرع ظمأ يفسده بل ينمو بأقوى ساق و أزكى ثمرة و قد عرفت تمام القول فيه ثم لما بين أن الأصل فى الدين هو ملازمة التقوى لا إثارة الفتنة ختم مادة الفتنة بقوله : فاستتروا بيوتكم ، أى ألزموا بيوتكم و حاذروا عن المشاجرات المبدية للضغائن و الأحقاد و أصلحوا ذات بينكم و كونوا كنفس واحدة و لا تركنوا إلى الذين كان أكثر همهم إلى هدم قواعد الدين باثارة الفتن المذيبة للأكباد المفرقة للأخيار .

قوله : و التوبة من ورائكم : تطميع للعصاة المتمردين عن الحق بالرجوع إلى الله تعالى فان الطريق إليه تعالى لا يفسد بمجرد اتباع الشياطين و المعصية بل التوبة من خلف العصاة مفتوح فطوبى لمن تنبه عن رقدة الغفلة و الانهماك فى المعاصى و رجع إلى الله متلافيا لما فات نادما على ما سلف عازما على الترك فى الآتى .

---

(١) براءة : ١١٠ .

قوله : و لا يحمد حامد إلا ربه و لا يلم لائم إلا نفسه : اشارة إلى أن السالك فى سبيل الله ينبغى أن لا يوجه الحمد و الثناء إلا على الله تعالى و يقطع النظر عن الذرائع و الوسائط و يقصر اللوم على نفسه ليكون مجدّا فى السلوك و السير و لا يقعده عن الطلب إقرار النفس على انحرافها عن سواء السبيل ، بتسويل الشيطان اياها بناء على أن الكل فائض من الله تعالى و إلى هذا التأديب أشار تعالى بقوله : « ما أصابك من حسنة فمن الله و ما أصابك من سيئة فمن نفسك[1] » و الله أعلم .

ثم اعلم ان فى بعض النسخ قول السيد الرضى بعد هذه الكلمات و فى الأكثر قبلها و لذلك شرحناه قبلها .

* * * * *

(١) النساء : ٤١ .

١٦ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة وليس لذلك بأهل

إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ . فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ . وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ ، عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ . بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ ، وَاكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ ؛ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ ؛ فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْوًا رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ : لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ : فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ ، جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ يُذْرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ لَا مَلِيءٌ وَاللهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إِلَيْهِ لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ ، وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لِغَيْرِهِ . وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرٌ

أُكْتَتِمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ ، وَتَعِجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا ، وَيَمُوتُونَ ضُلَّالًا لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعًا وَلَا أَغْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ .

(اللغـــة)

قد بغض الرجل بغاضة : بالضم أى صار بغيضا أى عدوا لا ينظر إليه و أبغض أفعل التفضيل منه .

التوكل : أن تعتمد غيرك و تجعله نائبا عنك و كله إلى نفسه أى فوّض أمره و ما يصلح به الأحوال معاشه و معاده إلى نفسه و الوكيل فعيل بمعنى مفعول .

الجور : الميل عن الاعتدال إلى طرف الافراط ، يقال جار عن الطريق و جار عليه فى الحكم فهو جائر أى ظالم مائل عن اعتداله فى الأمر يقال طعنه فجوره إذا مال قامته المنتصبة بأن صرعه .

قصد السبيل : أى سواء الطريق و حيث يكون سبيلا إلى المقصد القصد الاعتدال بين الاسراف و التقتير و انما يقال لسواء الطريق القصد لأنه معتدل لا قريب و لا بعيد و القصد أيضاً العدل قال الشاعر :

على الحكم المأتى يوماً إذا قضى   قضيته أن لا يجور و يقصد

المشعوف : بالعين المهملة من شعفه الحب أى أحرق قلبه و بالغين المعجمة من شغفه أى بلغ شغافه و هو غلاف القلب و قد قرىء بهما قوله تعالى : « قد شغفها حبا[1] » ، معناه على الأول بطنها حبا و على الثانى دخل حبه تحت الشغاف هكذا قال ابن عباس رضى الله عنه و الرواية الصحيحة هنا العين المهملة .

---

(١) يوسف : ٣٠ .

البدعة : الحدث فى الدين بعد الاكمال .

الضلال : العدول عن الصراط المستقيم ، و نضارة الهداية و يقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا كان أو سهوا يسيرا كان أو كثيرا فان الطريق المستقيم الذى هو المرتضى صعب جدا ، و لهذا قال : استقيموا و لن تحصوا ، و الضلال على ضربين احديهما فى العلوم النظرية كالضلال فى معرفة وحدانية الله تعالى و معرفة النبوة و نحوهما المشار اليهما بقوله تعالى : « و من يكفر بالله فقد ضل ضلالا بعيدا[1] » .

و الثانى فى العلوم العملية كمعرفة الأحكام الشرعية التى هى العبادات و مراده عليه السلام بالضلالة هنا جنسها الشامل للضربين و الاضلال أيضا ضربان ، أحدهما أن يكون سببه الضلال اما بأن يضل عنك الشىء كقولك أضللت البعير أو تحكم بضلالة فالضلال هنا سبب للاضلال .

و الثانى أن يكون الاضلال سببا للضلال و هو ان يزين الانسان الباطل ليضل كما فى قوله تعالى : « و همت طائفة منهم أن يضلوك و ما يضلون الا أنفسهم[2] » أى يجرون أفعالا يقصدون بها أن تضل فلا يحصل من فعلهم ذلك الا ما فيه ضلال أنفسهم كما فى قوله عليه السلام : مضل لمن اقتدى به .

الهدى الهداية : دلالة بلطف و سيعرف أنواع هداية الله للانسان فى موضعه ان شاء الله .

الحمال : اسم فاعل شدّد للمبالغة كضراب .

(١) النساء : ١١٤ .　　(٢) النساء : ١١٣ .

القمش : جمع الشيء من ههنا و ههنا و كذلك التقميش و الشيء الذى جمع من المواضع المتفرقة قمش الجهل على ضربين .

الأول هو خلو النفس عن العلم و يسمى هذا جهلا بسيطا و قد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضيا للأفعال الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضيا للأفعال الجارية على النظام .

الثانى : اعتقاد الشيء بخلاف ما كان عليه يعنى لا يعلمه كما هو و يعلم أنه يعلمه و يسمى هذا جهلا مركبا لكونه مركبا من خلو النفس عن العلم و اعتقاد أنها عالمة به و هو مبدأ فساد كثير فى العالم و هو المراد هنا .

الموضع : المسرع يقال أوضع الرجل أى أسرع و سار من موضع إلى موضع تعيريان و حسره[1] الرجل الموضع إذا كان متزلزل الخلق سريع الانقلاب .

الغار : بالراء المشددة الخادع الغافل عن أمور الآخرة .

الأغباش : جمع غبش بفتح الباء و هو البقية من الليل و يقال ظلمة آخر الليل و أراد بها الظلمات .

يقال عمى فعمى فهو عم : و جماعة عمون و العمى ، يقال فى افتقاد البصر و افتقاد البصيرة و أراد به هنا .

الثانى : و العماء السحاب و أيضا الجهالة و على الثانى حمل بعضهم ما روى أنه قيل أين كان ربنا قبل أن خلق السماء و الأرض فقال فى عماء تحته عماء و فوقه عماء و يمكن أن يكون العمى الاحتجاب و يحمل الرواية عليه ، و هو احتمال جيد ، العقد الجمع بين أطراف الشيء و يستعمل

(١) كذا .

ذلك لغة فى الأجسام الصلبة كعقد الحبل و عقدا لبناء ثم يستعار للمعانى نحو عقد البيع و العهد و غيرهما .

المدنة : استمالة للقلوب التى تفرق بعضها عن بعض يوجب اجتماعها بالمحبة من تهادن الأمر أى استقام .

الأشباه : جمع شبه و هو المماثل للشىء فى احدى الكيفيات كاللون و الطعم و كالعدالة و الظلم وكذا الشبه و الشبيه قال أبو زيد(١) : كل من بادر إلى الشىء فقد أبكر اليه و بكر أى وقت كان فالتبكير الاسراع إلى الشىء فى أى وقت كان و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله : فى الجمعة من بكر و ابتكر وجبت له الجنة .

يقال بكر : أى أسرع و ابتكر أى سمع أوائل الخطبة .

يقال رويت من الماء : بكسر العين فى الماضى و الفتح فى الغابر ريا و روى مثل رضى رضى .

ارتويت و ترويت كله بمعنى : و الريان ضد العطشان .

اكتنز الشىء : اجتمع و امتلاء الطائل ما فيه أغذ وكفاية(٢) .

الطول : الفضل المبهمات : جمع مبهم و هو الأمر الخفى فى الناس .

هيأ يهيأ و تهيئة : أى أعد .

---

(١) سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجى البصرى اللغوى المشهور كان بين القوم كان من ائمة الأدب و غلبت عليه اللغة و النوادر و الغريب قيل هو يحفظ ثلثى اللغة و قد جاء الأصمعى إلى حلقته فقبل رأسه و جلس بين يديه و قال له أنت رئيسنا و سيدنا منذ خمسين سنة له فى الأدب مصنفات مفيدة توفى بالبصرة سنة ٢١٥ . (٢) كذا .

الحشو أي الرذلة يقال لقيت حشوا القوم أي أرذلهم و يقال أيضا هو من حشو بني فلان أي من رذائلهم و أصله من الحاشية و هي الناحية و المرء إذا كان في الحاشية من القوم و لا مدخل له في أو ساطهم يعد من أرذالهم و يقال أيضا لمن تكلم بكلام ركيك كلامه على الحاشية و كلامه حشو .

الرث : الشيء البالي و جمعه رثاث يقال فلان رث الهيئة و في هيأته رثاثة أي نداذة و الرأي الرث هو الرأي الضعيف الفاسد .

اللبس بفتح اللام : مصدر قولك لبست عليه الأمر ألبس أي خلطت ، و منـــه قوله تعالى : و للبسنا عليهم ما يلبسون [1] ، و اللبس اختلاط الظلام .

نسج الثوب ينسجه نسجا .

العنكبوت فعلكوت و هي الناسجة و الغالب عليها التأنيث و الجمع العناكب و العنكباة و قيل إنه ثلاثي الأصل من العكوب بالفتح و هو الغبار لأن نسجها يشبه الغبار و قيل من العكب على وزن محف و هو القصير الضخم .

الصواب : يقال على وجهين أحدهما باعتبار الشيء في نفسه فيقال هذا صواب إذا كان في نفســه محمودا و مرضيــا بحسب مقتضى العقل و الشرع نحو قولك تحري العدل صواب و الكرم صواب ، الثاني يقال باعتبار القاصد إذا أدرك المقصود بحسب ما يقصده فيقال أصاب كذا أي وجد

(١) الأنعام : ٩ .

ما طلب و إذا لم يدرك ما طلب يقال إنه أخطاء .

الخطأ هو العدول عن الجهة و ذلك يقع على أضرب .

الاول أن يريد عليه السلام ما يحسن بارادته فيفعله و هذا هو الخطأ التام المواخذ به الانسان و يقال فيه خطاء يخطأ خطاء و خطاء .

الثانى أن يقصد ما يحسن فعله و لكن يقع منه خلاف ما يريد فيقال أخطاء خطاء فهو مخطى و هذا قد أخطاء فى الفعل و أصاب فى الارادة و هذا هو المعنى بقوله عليه السلام رفع عن امتى الخطا و النسيان ، و بقوله عليه السلام من اجتهد فاخطأ فله أجر .

الثالث أن يريد ما لا يحسن فعله و يتفق منه خلافه فهذا مخطى فى الارادة مصيب فى الفعل فهو بقصده مذموم و غير محمود على فعله و جملة الأمر أن من أراد شيئا و اتفق منه غيره يقال أخطاء و أن و قع منه كما أراده يقال أصاب و يقال لمن فعل فعلا لا يحسن و اراد ارادة لا تجمل أخطاء .

لهذا يقال أصاب الخطاء و أخطاء الصواب و أصاب الصواب و أخطاء الخطاء ، الحاصل أن الأقسام لا يزيد على أربعة و وجه الحصر أنّ ما قصده لا يخلو من أن يكون حسنا أو قبيحا فان كان حسنا فلا يخلو من أن يقع عنه أم لا فان وقع فهو الصواب التام .

و يقال إنه أصابت الصواب و أن لم يقع منه بل و قع منه خلافه فهو المصيب فى الارادة المخطىء فى الفعل : و يقال انه أخطاء الصواب و أن كان قبيحا فلا يخلو من أن يقع منه أم لا فان وقع فهو الخطأ التام ، و يقال انه

أصاب الخطأ و أن لم يقع فهو المصيب فى الفعل المخطىء فى الارادة و يقال أنه أخطاء الخطا، و إذا عرفت أن هاتين اللفظتين مشتركتين فلا بد من أن يعرف المقصد و يتأمل .

فالظاهر أنه أراد بأصاب، أصاب الصواب و بأخطاء أخطا الصواب، الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما أن الرجا توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة .

الجهلات جمع جهلة : مثل تمرات و تمرة و هى فعلة من الجهل .

العاشى : السائر على غير بصيرة و العشا مقصور مصدر الأعشى و هو الذى لا يبصر بالليل و يبصر بالنهار و المرأة عشواء و العشواء أيضا الناقة التى لا تبصر أمامها فهى يخبط بيديها كل شىء و ركب فلان العشواء إذا خبط أمره على غير بصيرة تقول عشوت الطريق بضوء النار فهو عاش أى سار فى الليل بضوءها و لا يكون ذلك الا على ضعف من البصر .

العشوات جمع عشوة : و هى أن تركب أمرا على غير شان، يقال أوطأتنى عشوة بالحركات الثلاث فى العين أى أمرا ملبسا و ذلك إذا أخبرته بما أو قعته به فى حيرة أو بلية الأذر التفريق و التبديل و الالقاء أيضا .

يقال ذرى الناس : الحنطة و أذرى أى نثر و بذر و أذريت الشىء إذا ألقيته كالقائك الحبّ للزرع فأذراه عن ظهر دابته أى ألقاه و المراد هنا المعنى الأول و القرينة الاضافة الى الريح .

الهشيم : النبات اليابس من الهشم و هو كسرالشىء الرخو كالنبات .

الملىء بالهمزة : الثقة و الغنى، يقال ملى الرجل أى صار ملياء أى

ثقة غنيا و الرواية الياء المد غمة و أصله ما ذكرناه .

يقال أصدرته فصدر : أي رجعته فرجع ، و الموضع مصدر و منه مصادر الأفعال .

فى يحسب : روايتان إحديهما كسر السين و هى من حسبته صالحا أحسبه بالفتح و الكسر معا محسبة و محسبة و حسابا بالكسر أى ظننته و هى الاصح .

الثانية ضم السين و هى من حسبه أحسبه بالضم حسب و حسبانا حسبانة إذا أعددته .

النكرة : ضد المعرفة و قد نكرت الرجل بالكسر نكرا او نكورا و أنكرته و استنكرته كله بمعنى .

لا يرى : أى لا يعلم روى لا يرى بضم الياء أى لا يظن و الأولى اشهر .
الكتمان : ستر الحديث يقال : كتمته كتما و كتمانا . . . . . [1]
بـه مثله معنى .

الصراخ : الصوت للمستغيث يقال صرخ يصرخ صرخة و صراخا إذا استغاث عاليا صوته و المصرخ المغيث .

العج : رفع الصوت و عجعج أى صوت و نهر عجاج أى لمائه صوت ، و فحل عجاج فى هديره أى صياح و قد يجيء ذلك فى كل ذى صوت من قوس و ريح .

الوراثة : انتقال قنية إليك من غير عقد و لا ما يجرى مجرى

(١) كذا بياض فى الأصل .

العقد و الميراث اسم للقنية الموروثة و أصله موراث انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها و من ثم يردّ الجمع إلى أصله و يقال المواريث .

المعشرة : جماعة الناس و الجمع معاشر .

العيش : الحيوة المختصة بالحيوان و هو أخص من الحيوة لأن الحيوة يقال فى الحيوان و فى البارى تعالى و فى الملك .

السلعة : بالكسر لفظ مشترك بين المتاع و زيادة تحدث فى الجسد كالغدة يتحرك إذا حركت و قد تكون من حمصة إلى بطيخة و هنا أراد الأول و جعل أبور و أنفق قرينتين له و بالفتح الشجة .

يقال سلعت رأسه أسلعه سلعا : أى شققته .

أبور أفعل التفضيل : من بار يبور بورا أى هلك و أباره الله أى أهلكه البور الرجل الفاسد الهالك الذى لا خير فيه .

التلاوة : يختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة و تارة بالارتسام لما فيه من أمر و نهى و ترغيب و ترهيب و هى أعم من القراءة و كل قراءة تلاوة و لا ينعكس و هنا أراد الارتسام اذ حق التلاوة أن يمتثل ما اشتمل عليه .

أنفق : أى أروج من نفق البيع نفاقا بالفتح أى راج ،

أغلا : أى اكثر ثمنا من غلا السعر غلاء ، تحريف الكلام عن مواضعه أى تغييره .

يقال انحرف عنه و تحرف و احرورف أى مال و عدل ، أعرف من عرفته معرفة و عرفانا .

و المعرفة ادراك الشيء بتفكر و تدبر أخص من العلم و يضادها الانكار كما يضاد العلم الجهل، و المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل و الشرع حسنه.

و المنكر، ما ينكر بهما و من ثم تعلق الآمر بالمعروف و النهي بالمنكر، قال الله تعالى: و أمر بالمعروف و انه عن المنكر [1].

(الاعراب)

رجل و كله الله يحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف دل عليه سياق الكلام تقديره أحدهما رجل و أن يكون مبتدأ و خبره محذوف تقديره رجل و كله الله أحدهما وكذا التقدير في و رجل قمش جهلا، الواو في و ليس به للحال و الضمير به للعالم، في من جمع ماقل منه روايتان.

احديهما تنوين جمع و يكون الجملة بعده حينئذ نعتا له و الجمع محتمل أن يكون مصدرا استعمل مقام اسم المفعول أي من مجموع.

الثانية اضافة الى ما بعده من غير تنوين و قد اختلفوا في تقديره على قولين.

احدهما أن ما ههنا يحتاج في تمام الكلام الى تقدير مثلها معها حتى يكون ما الاولى هي المضاف اليها.

و الثانية هي المبتداء و التقدير من جمع ما الذي قل منه خيرمما كثر لكنه لما كان اظهار ما الثانية يشبه التكرار و يوجب هجنة في الكلام

(١) لقمان: ١٧.

وكانت ما الواحدة يعطى الغنى عن المقدرة كان حذفها أولى الثانى أن المقدر المحذوف أن على طريقة قولهم تسمع بالمعيدى خير من أن تراه أى من جمع ما أن قل خيرمما كثر أى من جمع ما قليله خير من كثيره، و هذا التقدير أقرب الى الصواب .

قاصيا : حال من الضمير فى جلس و العامل فيه جلس و ضامنا يحتمل ان يكون حالا بما و أن يكون وصفا للأول ، قوله الى الله : متعلق بفعل محذوف مثل اشكوا كما هو مصرح به فى بعض النسخ أو ابراء أو ماضاهاهم ، فى أبور روى الرفع على أنه نعت سامة و خبر ليس فيوم و النصب على أنه الخبر وكذا فى انفق .

(المعانى)

فى أن أبغض الخلائق رجلان ثلاث خواص .

احديها تصدير الجملة بان ليوذن تحقيق مضمونها فى أذهان المخاطبين المترددين فى هذا الحكم .

الثانية ايراد أفعل التفضيل مضافا الى الجمع المحلى باللام المفيد للاستغراق ليفيدا المبالغة و التاكيد .

الثالثة ايراد قوله رجلان على سبيل الاجمال ثم الاتيان بهما على سبيل التفصيل ليكون أوقع فى النفس .

فى رجل وكله الله الى نفسه فائدتان احديهما كونه منعوتا بجملة فعلية دالة على الوقوع و التجدد لحظة فلحظة .

الثانية الاتيان بنكرة ثم الاتيان بصفتها ليدل على لحوق الذم به من نفس الوصف و يقيد الاجمال و التفصيل .

كذا فى رجل قمش جهلا : الفاء فى فهو للسببية المؤذنة بان اعتماده على نفسه سبب لبيانه على العدول عن الصراط المستقيم و على الشعف بدعا ضلالة الدال عليه كون الجملة اسمية و الفاء فى فهو أيضا للسببية الدلة على أن كونه مشعوفا بدعا ضلالة سبب لسانه على افتتان الخلق نفسه و ضلالة فى نفسه إلى الآخر الدال عليه كون الجمل اسمية و ستعرف سلسلة تلك الأسباب و المسببات الواقعة فى تلك الأوصاف فى الفحوى إن شاء الله تعالى .

إنما حذف المسند إليه من موضع فى اجهال الامة لأن هذا الخبر لا يصلح الا لضمير غائب يرجع إلى الرجل المنعوت حقيقة للاختصار المطلوب و ليؤذن بالثبات الدال عليه الاسمية .

إنما قطع بكر فاستكثر : ليكون جمله استينافية مؤذنة بتعليل سبب تسميتهم عالما على انه ليس بعالم .

جاهل خبّاط جهلات : أيضا حذف منه المسند إليه لما ذكرنا و إنما قال يذرى بلفظ الاستقبال ليدلّ على الاستمرار و التجدد لحظة فلحظة ، و إنما استأنف قوله لا يحسب العلم ليؤذن بتعليل عدم مداين[1] على اصدار ما ورد عليه من المسائل العويصة و الثانى معلوم من القواعد السالفة .

(۱) كذا فى الأصل .

(البيان)

فى قمش : استعارة مكنى بها عن اجتماع الأمور المجهول فى ذهنه مستلزمة لتشبيه الجهل و هو معقول بالمتاع و هو محسوس و وجه الشبه اشتراكهما فى صلاحية الجمع و هو ايضا معقول .

فى حتى اذا رتوى من آجن : استعارة تخييلية مرشحة مكنى بها عن الجهل و الآراء الباطلة على عقائدهم مستدعية لتشبيه اشتراكهما فى الفساد و عدم التفاوت خاطر العاقل اليهما و رشح تلك الاستعارة بذكر الأرتواء .

فى فهو من لبس الشبهات الى العنكبوت : تشبيه للهيئة المعقولة الحاصلة من و قوع ذهنه فى حل الشبهات التى رد عليه بالهيئة المحسوس الحاصلة من وقوع الذباب فى نسج العنكبوت و وجه الشبه أن ذهن هذا الرجل الموصوف لا يقدر على حل الشبهات التى ترد عليه و لا يهتدى الى وجه الحق منها لقلة علمة و ضعفه عن المعرفة باستنباط المشكلات كما أن الذباب لضعفه لا يتمكن من خلاص نفسه عن شباك العنكبوت و فيه ايضا تشبيه الشبهات بنسج العنكبوت و وجه المشابهة اشتراكهما فى الوهن الحاصل لهما .

فى خباط جهلات : استعارة مكنى بها من كثرة الاغلاط التى تقع منه فى القضايا و الوقائع الواردة عليه مستدعية لتشبيه الهيئة المعقولة الحاصلة من استخراج الاجوبة الصحيحة عن المقدمات الفاسدة فالتى لا تعلق لها بتلك الأجوبة الصحيحة عن للقدمات الفاسدة التى لا تعلق لها بتلك الاجوبة لهيئة المحسوسة الحاصلة من سير البعير بغير طريق و وجه الشبه

أن من أراد أن يستخرجها من المقدمات الفاسدة فلا يصل إلى المقصد و إنما يقع فى الفتن المهلكة كما أن البعير القاصد إلى مقصد معين إذا سار فى غير الطريق المسلوك إليه وعدل عنه لا يصل إليه أصلاً و ربما يقع فى المهاوى المهلكة .

فى غاش : استعارة مكنى بها عن نقصان ضوء بصيرته و عدم اهتدائه إلى نور الحق فى ظلمات الجهل مستدعية لتشبيه الهيئة المعقولة الحاصلة من ظهور نور الحق احيانا للسالك فى ظلمات الجهل الذى لم يكن له القدرة على العلم التام لضعف ضوء بصيرته بالهيئة المحسوسة الحاصلة من ظهور الطريق أحيانا للماشى فى ظلمة الليل .

و وجه الشبه أن السالك فى طريق الدين إذا لم يستكمل له نور بصيرته بقواعد الدين و لم يحصل له العلم التام بكيفية السلوك إلى الله يظهر له نور الحق تارة فى سبيله فيلذّ بادراكه و يخفى عليه أخرى فيتألم بخفاء السبيل عليه فيخبط كما أن الماشى فى ظلمة الليل تبين له تارة الطريق المسلوك فيسلك فيه و يخفى عليه أخرى فيضلّ عنه فيخبط .

قوله لم يعض على العلم بضرس قاطع : استعارة تمثيلية تخييلية مكنى بها عن عدم تمكنه فى العلم بالقوانين الشرعية مستدعية لتشبيه هيئة عدم الأحكام فى العلم و القدرة على التفصى من حرمانه و هى معقولة بهيئة عدم المضغ الجيد للطعام الذى يحصل بالعض الشديد عليه و هى محسوسة .

وجه الشبه انه يضر فى تحصيل أسباب الاحاطة بالعلوم من الثبات فيه والدوام عليه و التعب الشديد. وكذا لم يتهيأ له الخروج عن عهده

الآخر عن الأحكام الشرعية كما أن الماضغ إذا لم يجد المضغ و لا يتعب الاضراس بتحريكها لا يقدر على بلع اللقمة و لو بلعها لم يبلغ و ربما يقضى إلى الهلاك و لتشبيه العلم و هو معقول بالطعام المحسوس .

وجه الشبه اشتراكهما فى الانتفاع الحاصل منهما و احتياج كل منهما فى صيرورته مددا للحيوة إلى تعب شديد و تخييل أنه فرد من أفراد الطعام و إلا لم يصح أن يجعل معضوضا بالضرس ثم صار هذا مثلا شايعا لكل من لم يحكم قواعد العلم و ما يحتاج إليه فى الدين من الأحكام .

قوله يذرى الروايات إذ راء الريح الهشيم : تشبيه لهئية إلقاء الروايات عن الرسول عليه السلام و الأئمة الهداة و نقلها واحدة بعد أخرى بنسبة هيئة إذ راء الريح المنكسر من النبات اليابس منه و هى معقولة ، و وجه الشبه أن الراوى لتلك الروايات لما لم يكن مطلعا على فوائدها ، المقصودة منها كان يبثها و يخرجها عن حد الانتفاع المقصود منها كما ان الريح باذراء الهشيم يخرجه عن حد الانتفاع بالكسر ، و فيه تشبيه دقيق لطيف و هو تشبيه الراوى بالريح .

وجه الشبه اشتراكهما فى عدم العلم بما يلقيها و هذا تشبيه المركب بالمركب طرفاه مذكوران ، و حرف التشبيه و وجه الشبه محذوفان .

قوله يصرخ إلى المواريث : ان كان مما حذف فيه المضاف و اقيم المضاف اليه مقامه تقديره أهل الدماء و أولياء المواريث فهو كلام مجازى الحذف كقوله تعالى و اسئل القرية و إلا ففيه استعارة تخييلية تصريحية مستلزمة لتشبيه الدماء المهراقة بغير حق و المواريث المستباحة بالأحكام الباطلة بالمظلوم المشتكى .

وجه الشبه اشتراكهما فى الانظلام و تخييل أنها من أفراده و إلا لم يصح اسناد الصراخ و العج إليها و ذلك كقولهم نطقت الحال بكذا و افترست المنية .

فى قوله ليس فيهم سلعة إلى آخره : استعارة أيضا تخييلية مرشحة مكنى بها عن عدم التفاتهم إلى الكتاب و نبذهم اياه وراء ظهورهم إذا فسر على الوجه الذى يدل عليه و شدة ميلهم إليهم و ولعهم به إذا حرف عن مواضعه و فسر على حسب آرائهم مستلزمة لتشبيه الكتاب المتلوّ حق تلاوته بالمتاع الخسيس كثر[1] وجوده .

وجه الشبه اشتراكهما فى عدم رغبات الناس إليهما و لتشبيه الكتاب المغير عن مواضعه بالمتاع الثمين الذى قل وجوده ، و وجه الشبه اشتراكهما فى ميل الخواطر اليهما و كثرة رغبات الناس اليهما و التخييل ، و إلا لم يصح جعل الكتاب مفضلا عليه و بذكر البور و النفاق رشح .

(البديع)

راعى و ضال عن هدى من كان قبله : المقابلة حيث قابل الضلال بالهدى و فى مضل إلى وفاته أيضا حيث قابل الحيوة بالوفاة كما فى يعيشون جهالا و يموتون ، و بين الفتنة والهدنة المتوازى و بين آجن و طائل المتوازن ، و بين جهلات و عشوات المتوازى و الترصيع و بين عاش و عشوات رد العجز إلى الصدر وكذا بين جهلات و جاهل .

فى لما يعلم من جهل نفسه : المقابلة حيث قابل العلم بالجهل ، وكذا فى ليس إلى مواضعه المطابقة حيث طلب البور بالنفاق ، و المقابلة حيث

(١) كذا .

جعل

جعل البور مشتركا من السلامة و الخسيسة و الكتاب المتلو حق تلاوته كما جعل النفاق فى مقابله مشتركا بين السلامة النفيسة و الكتاب المحرف عن مواضعه ، و فى قوله و لا عندهم إلى الآخر المطابقة حيث طابق النكرة بالمعرفة و المعروف بالمنكر و فيه أيضا رد العجز إلى الصدر .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام بدأ أولا بتنفير الخلق عن الرجلين المشار اليهما بقوله و إن أبغض إلىّ رجلان يعنى ان أبعد الخلائق من رحمة الله تعالى و رضاه المستلزم لمحبته رجلان و ذلك لأن محبته تعالى للخلق راجعة إلى كون أفعالهم جارية على وجه يحفظ نظام العالم و يلتئم به أحوال بنى آدم فيكون بغضه تعالى عايدا إلى كون أفعالهم خارجة عن قانون النظام الشرعى غير مستمرة على قواعد العقل .

و لما كان أفعال هذين الرجلين و أعمالهما مائلة بالكلية عن سنن الشريعة و نهج الطريقة كانا أبغض الخلايق إلى الله ثم أخذ بفضل كل منهما عن الآخر بأوصاف مختصة و ذكر للرجل الاول أوصافا ثمانية كل سابق منها سبب اللاحق .

الأول أنه وكله الله إلى نفسه اعلم أن التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أى فوضه إليه و اعتمد عليه فيه ، و يسمى الموكول إليه وكيلا ، و يسمى المفوض عليه متكلا عليه و متوكلا عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد على الوكيل اعتقد جزما أو ظنا إنه لا فاعل الا الله تعالى و جميع الأسباب و المسببات منتهية الى قدرته و اعتقد مع ذلك

أنه تام العلم و القدرة على كفاية العباد و تام العطف و العناية و الرحمة بجملة العباد و بالآحاد .

و أنه ليس وراء منتهى قدرته قـدرة و لا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك علم و عناية فقـد فوض أمره بالـكلية إليه و جعله متوكلا عليه و انخرط فى سلك من أحبه الله تعالى من المتوكلين على ما ينبئ عنه قوله تعالى : ان الله يحب المتوكلين .

و من اعتقد ظنا أو جزما أن نفسه أو واحد غير الله تعـالى ممن يتأتى منه تحصيل أسباب معاشه فى الدنيا و يقدر عـلى ايصاله الى المراد أفاض الله على قلبه اطمينانا بذلك المعتقد فيه و اتكالا عليه فيصير بذلك من المتعدين من رحمة الله تعالى و عنايته الخارجين عن نظام المتوكلين الذين أحبهم الله تعـالى .

هذا هو المعنى بما قال الرسول عليه السلام من انقطع الى الله تعالى كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب و من انقطع الى الدنيا و كله الله تعالى اليها و سيعرف بعيد هذا تمام التحقيق فى التوكل ان شاء الله تعالى .

الثانى أشار إليه بقوله فهو الى السبيل أى أنه يتمكن فى الجور الذى هو رذيلة واقعة فى طرف الافراط من فضيلة العبد التى هى الصراط المستقيم و النهج القويم و هذا مسبب من اعتماده بالـكلية على نفسه الأمارة بالسوء .

الثالث أشار أليـه بقوله مشعوف الى ضلالة : أى مولع حريص فاحداث الامور التى تخالف قواعد الدين يدعو بها الناس الى الضلالة عن سلوك الصراط المستقيم و هذا كناية و صف لازم الجور عن قصد السبيل

و ذلك لأن من انحرف عنه معتقدا أن الحق غيره فبالضرورة كان يحدث البدع و يتخيلها كمالات قد حصلت له و فقدت عن غـيره ، و يحرص الناس على اقتنائها فهو من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

الرابع أشار اليه بقوله فهوّ الى به أى أنه بلاء عظيم لمن اقتدى به و اتبع آثاره محبا طريقته مقتنيا بسيرته و هذا أيضا مسبب عن السابق عليه و هو ظاهر و يحتمل ان يكون مسبب عن الوصف الأول و كـذا أعاد الفاء و الحاصل أن الوصف الاول قد استلزم لازمين أحديهما بالنسبة الى نفسه و هو أيضا له لازم كما عرفت و الآخر بالقياس الى غيره و له لوازم مترتبة بعضها بالقياس الى نفسه و بعضها بالقياس الى غيره .

الخامس أشار إليه بقوله ضال الى قبله أى عادل عن سلوك المسلوك الى الحق الهادى إليـه الذى كان عليه الاسلاف المتقدمون من الانبياء و الائمة الهداة و العلماء الدعاة ، فان قيل هذا مثل الوصف الأول قلنا لا فان الأول أعم و ذلك لان الجور و بما كان بسبب عدم الاهتداء الى هدى يقتفى أثره و هنا جائر مع وجود هدى يتبعه فيكون كل ضال عن هدى من كان قبله جائرا عن قصد السبيل من غير عكس فلا يكون تكرار و هذا و صفو مسبب عن الرابع و ذلك لان من كان فتنة لمن اتبعه ضالا عن هدى من كان قبله و الا لم يكن فتنة .

السادس أشار إليه بقوله مضل الى وفاته : أى هو سبب اضلال غيره فى حيوته عن سلوك الجادة التى نهجها الشارع و لضلال الضالين

بعد وفاته بسبب القاء العقائد الباطلة المكتسبة عنه و هذا أيضا مسبب عن الخامس لان كل من كان ضالا فى نفسه مضلا لمن اقتدى به بالضرورة و هذا الوصف مشتمل على زيادة ليست فى الوصف الرابع و هى كونها سببا لضلال الضالين بعده .

السابع أشارة إليه بقوله حمال خطايا غيره أى أنه حامل لأوزار من يضله كاملة يوم القيمة « و من أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون » و قول النبى صلى الله عليه و آله : من سن سنة سيئة فله وزرها و وزر من عمل بها الى يوم القيامة ، و قوله صلوات الرحمن عليه : أيما داع دعى الى الهدى فاتبع كان له مثل أجر من تبعه ولا ينقص منه شيء .

فان قيل : كيف يمكن أن يوصل الله تعالى العقاب الذى يستحقه الاتباع الضالون الى الائمة الطغاة المضلين و قد قال الله تعالى أن ليس للانسان الا ما سعى[1] و قال تعالى أيضا ولا تزر وازرة وزر اخرى[2] » .

قلنا : المراد أن الروساء المضلين اذا احدثوا فى الدين بدعا يضلون بها الناس عن سلوك الصراط المستقيم لم يحدثوا الا عن نفوس تراكمت عليها حجب الظلمات ناشية من الجهل المركب و الاعتقادات التى حبوها[3] صحيحة صارت ملكات راسخة عليها قد اسودت ألواحها عن قبول الأنوار الالهية و حوائل يحول بين أربابها و الرحمة .

بحيث يكون فى الشدة و القوة اضعاف الحجب الطارية على قلوب المهتدين بضلالتهم المقتفين بآثارهم و كلما كانت الحجب اكثف و اكثر

---

(١) النجم : ٣٩ .   (٢) الانعام : ١٦٤ .   (٣) كذا .

كان

كان البعد من رحمة الله تعالى الذى هو عين الوزر اكثر فلا جرم كانت أوزار المضلين و سيئآتهم اكثر من أوزار الضالين التابعين بهم .

و قد أشار النبى صلى الله عليه و آله فى الحديث المذكور الى هذا المعنى بقوله كان عليه مثل وزر من تبعه ولا ينقص منه شىء و اذا عرفت هذا فى جانب السيئة فاعتبر مثله فى جانب الحسنة و تدبر فى قوله تعالى : «ان الحسنات[1] ..» و قول النبى عليه السلام حسنات الأبرار سيات المقربين ترى ما ترى ولا خفاء فى أن هذا الوصف لازم عما قبله .

الثامن أشار إليه بقوله رهن بخطيئته أى مرهون به التى صارت اغلالا وسلاسل يمنعه عن الصعود الى مطالعة أنوار الملكوت و الانخراط فى سلك المقربين الساكنين فى حظائر القدس فتمحض مما ذكر أن كونه وكله الله الى نفسه هو السبب الأول لهذه الأسباب و المسببات على الترتيب الذى تلوناه عليه و أعلم أنه عليه السلام ذكر للرجل الثانى عشرين و صفا .

الأول أشار بقوله قمش جهلا أى جمع فى نفسه أسباب الجهل من مواضع متفرقة و صار نفسه يجمع أنواع الجهل .

الثانى أشار إليه بقوله موضع الى الأمة أى سائر فى جهال الأمة «من عرمان ولا حره[2]» أى يمشى على غير طريقة الحق و يقتدى بأفعاله جهال الأمة . قيل معناه مطرح ليس من أشرف الناس وما ظفرت فى كتب اللغة بهذا المعنى للسرع .

الثالث أشار إليه بقوله غارّ فى أغباش الفتنة أى غافل فى ظلمات

(١) هود : ١١٤ (٢) كذا .

الخصومات غير عالم بطريق الاهتداء الى وجه الخلاص عن تفصيها و اخراج نور العلم و فى بعض النسخ عاد بالدال المهملة أى ساع فى إثارة الفتن المظلمة .

الرابع أشار إليه بقوله عم بما فى عقد الهدنة أى أنه أعمى البصيرة بما يحفظ نظام العالم من الاتفاق الذى يحصل بالصلح و المسالمة بعد وقوع المهاجرة و المحاربة جاهل لمصالح الناس .

الخامس اشارة إليه بقوله قد سماه أشباه الناس عالما و ليس به أى أنه قد حسبه الجهال المقلدون الذين يشابهون الانسان الحقيقى فى الصورة المحسوسة دون الصورة المعقولة المستلزمة للكمال و للعلم عالما و الحال أنه فى نفس الأمر خال عن العلم .

السادس أشار إليه بقوله بكر الى كثر : أى أنه من أول العمر أسرع فى جمع الشبهات و الآراء الباطلة جمع منها ما كان قليله خير من كثيره بكثير و كاذبه اكثر من صادقه و هذا يصلح تعليلا للوصف السابق الذى هو لتسميتهم اياه عالما و قد عرفته فى المعانى .

السابع أشار إليه بقوله حتى إذا اتى قاضيا : و استكثر منها حتى اذا حصل الاستغناء من غيره فى جمعها لكثرتها عنده جلس بين الناس قاضيا بجعل الغاية من الاستكثار الشرطية المذكورة .

الثامن أشار إليه بقوله ضامنا التخليص ما التبس على غيره أى ملتزم بفصل الحكومات بين الناس و حسم مواد الخصومات التى اشكلت على غيره .

التاسع أشار إليه بقوله فان الى رأيه أى ان عرضت عليه احدى الوقائع المبهمة الخافية على اكثر الناس الملتبس حلها عليهم أعد لحلها كلاما كثيرا لا طائل تحته ساقطا عن نظر العلماء الراسخين من رأيه الضعيف و ليس حلالها ثم حكم بكونه قطعيا لا يمكن ان يكون غير حلالها ، و هذا يدل على اعتقاد العلم فى حقه مع أنه ليس بعالم و كأنه تفصيل لقوله و ليس به .

العاشر أشار إليه بقوله فهو الى العنكبوت أى أنه فى ادراك و جوه الخلاص و التفصى عن عهدة اجوبة الوقائع المشكلة و القضايا المبهمة كالذباب الواقع فى شباك العنكبوت ضعيف عاجز حتى يموت على عجزه و ضعفه .

الحادى عشر أشار إليه بقوله لا يدرى الى أن يكون قد أخطأ أى غير متقن بما يحكم به بل انما يتبع مجرد ظنه الذى اكثره على الخطاء المحض لكونه ليس جاريا على قانون الاجتهاد المعتبر .

الثانى عشر أشار إليه بقوله جاهل : أى أنه جاهل عظيم يقع فى الاغلاط الكثيرة لعدم علمه بالقوانين الشرعية و قد عرفت وجه الاستعارة فيه .

الثالث عشر أشار إليه بقوله عاش ركاب عشوات : أى أنه سائر على غير طريقة الحق ركاب امور ملتبسة لا يشم منها رائحة الحق و قد عرفت التحقيق فيه فى البيان .

الرابع عشر أشار إليه بقوله لم يعض على العلم بضرس قاطع : أى لم يكن متقنا علمه بالقوانين الشرعية ولا محيطا بها و قد عرفته أيضا .

الخامس عشر أشار إليه بقوله يذري الى الهشيم : أي ينقل الروايات واحدة بعد اخرى من غير ان يكون لها إفادة للناس بل يخرجها عن حد الافادة لعدم علمه بمصادرها و مواردها و رعاية طرقها و قد عرفته أيضاً في البيان .

السادس عشر أشار إليه بقوله لاملئ الى عليه : أي ليس له قوة باصدار الاجوبة عن المسائل المشكلة التي ترد عليه لعدم إحاطة علمه بالاصول التي يستخرج منها الفروع .

السابع عشر أشار إليه بقوله لا يحسب الى انكره : أي لا يعد العلم الحقيق الذي ينبغي أن يتعب في تحصيله و يبذل المهجة في طلبه شيئا من جملة ما انكره أي أنه لا يلتفت الى العلم اصلا ولا يعده شيئا يمكن أن ينكر عليه بل يعده اقل من المنكر . عنده بالمن دوجه[1] . أولا يظن العلم الحقيق فضيلة يجب اعتقادها و الاذعان لها بل لا يظنه شيئا من جملة ما انكره لعدم اعتباره عنده بالكلية .

الثامن عشر أشار إليه بقوله ولا يرى الا لغيره : يعنى اذا حصل عنده ظن في مسئلة مشكلة جزم به ولو عرض عليه قول آخر لغيره أظهر يعضده العقل و النقل لم يلتفت إليه و لم يعبأ به و لم ير في الوجود قولا أوفق مما ذهب إليه .

التاسع عشر أشار إليه بقوله ان أظلم الى نفسه : يعنى اذا أشكل عليه واقعة من الوقائع الواردة عليه تغافل عن سماعها و سترها عن العلماء

(١) كذا .

بحلها كيلا يطلع على جهله أرباب العلم و يفضح بينهم و يختل قواعد منصبه و هكذا جرت عادة قضاة زماننا لجهلهم و غوايتهم لا يعلمهم الا هو عليـه السلام .

العشرون أشار اليه : « بقوله . . . .[1] » الى المواريث و قد عرفت معناه فى البيان ثم لما فرغ من بيان أوصاف الرجلين مما يوجب أن يكون أبغض الخلائق الى الله تعالى أردف ذلك بالتنفر عنهما و عن طريقتهما المجلية للبغضاء بالتشكى او الا براء منهما و من غيرهما من الجهال ليكون أبلغ فى القبول و هو قوله الى الله أى اشكو الى الله من طائفة تكون حيوتهم مستمرة على الثبات على الجهل المركب المخزى فى الدنيا و الآخرة و مماتهم على العدول عما هو الجادة .

و هذا الوصف أى الموت على الضلال لازم عن العيش على الجهل فان من عاش جاهلا مات ضالا و إليه أشار « بقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها و بينه امداً بعيدا[2] » و أشار النبي صلى الله عليه و آله انما هى أعمالكم ترد اليكم ثم ذكر لازمين من لوازم عيش الجهال .

احديهما أشار إليه بقوله ليس فيهم الا عن مواضعه : أى اذا حمل الكتاب على المطالب المنزل هو عليها و المقاصدا لمطلوبة من انزاله نبذوه وراء ظهورهم معرضين عنه اعراضهم عن السلعة الخسيسة التى لا احتياج لهم بها و اذا حمل على مقاصدهم محرفا عما نزل عليه اقبلوا إليه و تنافسوا

(١) كذا بياض فى الاصل .　　(٢) آل عمران : ٣٠ .

فيه اقبالهم على السلعة النفيسة التى مست حاجتهم اليها و مالت نفوسهم الى اقتنائها .

الثانى أشار إليه بقوله ولا عندهم الى المنكر اى ليس عندهم أنكر من المعروف لمخالفته اعراضهم و لأن المعروف انما يعرفه من اقتفى آثار العقل و الشرع و يميز بهما الحسن عن القبيح وهم معزولون عنهما ولا عندهم أعرف من المنكر لكونه على منوال مآربهم و لان من أنكر المعروف لكونه قبيحا عنه فقد عرف المنكر و اعترف به لكونه حسنا عند رأيه .

« قال ابن الميثم[1] » رحمه الله ما معناه أن أمير المؤمنين عليه السلام قسم فى موضع آخر الناس الى ثلاثة أقسام عالم و متعلم و همج رعاع أتباع كل ناعق و الرجلان المشار اليهما لكونهما على طرف الجهل المضاد للعلم و متبوعين ليسا من القسم الأول ولا من الثالث فيكونان من الثانى بالضرورة .

المراد من المتعلم من ترفع درجته عن درجه الهمج و اكتسب ذهنه شيئا من الاعتقادات و لكن لم ينته الى درجة العلماء القادرين على الاستنباط و التصرف فى المسائل العويصة فاعتقاد أنه أما أن يكون مطابقة كلها أو بعضها أو ليست مطابقة اصلا و على التقديرات الثلاث فاما أن يتصدى بنفسه للحكم بين الناس من القضاء و الافتاء أم لا فهذه اقسام سته .

(۳) كمال الدين ميثم بن على بن ميثم البحرانى العالم الربانى و الحكيم المتاله جامع المعقول و المنقول صاحب الشروح على نهج البلاغة يروى عن المحقق نصير الدين الطوسى و يروى عنه العلامة الحلى توفى سنه ٦٧٩ .

ا ـ من اعتقد المطابق و لم يتصد لشيء من المناصب .

ب ـ من اعتقد كذلك و تصدى .

ج ـ اعتقد المطابق و لم يتصد لشيء منها .

د ـ من اعتقده و تصدى .

هـ ـ من اعتقده و لم يتصد .

و ـ من اعتقدهما و تصدى، فالأول خارج عن الرجلين المذكورين باوصافهما أما الثانى و الرابع و السادس فهما منهم ، الاول منهما هو من تصدّى لسائر المناصب سوى القضاء و الثانى هو من تصدى للقضاء و اما الثالث و الخامس فهما داخلان فى المعشر الذين قد شكى الى الله منهم و هو تقرير لطيف و لكن يمكن انقسام اخرى يطول الكتاب بذكرها .

*****

١٧ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فى ذم اختلاف العلماء فى الفتيا

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِى حُكْمٍ مِنَ الأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذٰلِكَ عِنْدَ الإِمَامِ الَّذِى اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَإِلٰهُهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ! أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ؟ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى؟ أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: (مَافَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ) وَقَالَ: (فِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَىْءٍ) وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً). وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ

(اللغـــة)

يقال استفتيت الفقيه فى مسئلة فافتانى : أى طلبت جوابها منه فاجابنى عنها و الاسم الفتيا و الفتوى و هما اسمان للجواب عما يشكل من الاحكام ، أحد يستعمل فى النفى لاستغراق جنس الناطقين و يتناول القليل و الكثير على طريق الاجتماع و الافتراق نحو ما فى الدار أحد أى لا و احـــد و لا اثنان فصاعد الا بالاجتماع ولا بالافتراق و يستعمل فى الاثبات على ثلاثة أوجه .

ا ـ أن يكون مضما الى العشرات نحو احد عشر واحد عشرين .

ب ـ أن يكون مضافا لقوله تعالى : أما أحدكما فيسقى ربه ، كقوله عليه السلام ترد عـلى احدهم أو مضافا اليه بمعنى الاول نحو يوم الاحد .

ج ـ أن يكون مطلقا وصفا و ليس ذلك الا فى وصف لله سبحانه نحو قوله تعالى : قل هو الله أحد .

قال الجوهرى : القضاء الحكم و الجمع الاقضية و القضية مثله و الجمع القضايا و قيل القضاء فصل الأمر قولا كان أو فعلا .

القضية يقال لـكل أمر مقطوع به من قولك هو كذا أو ليس و هو قريب مما قالوا فى تعريفها قول يصح أن يقال لقائله صدقت أم كذبت .

الرأى : اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن .

عصى يعصى عصيانـا و معصية : اذا خرج عن الطـاعة فهو عاص و عصى .

التبليغ و البلاغ : الانتهاء الى اقصى المقصد .

فرط اذا تقدم تقدما بالقصد يفرط ، و التفريط أن يقصر فى الفرط ، يقال ما فرطت فى كـذا أى ما قصرت .

القرآن فى الأصل مصدر نحو كـفران و رجحان ، قال الله تعالى: إن علينا جمعه و قرآنه [1] . و قد خص بالـكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه و آله وصار له كالعلم ، كما أن التورية لما أنزل على موسى و الانجيل كما انزل على عيسى .

قال بعض العلماء : تسمية هذا الـكتاب قرآنا من بين كتب الله لـكونـه جامعا لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار اليه تعالى بقوله : و لقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون [2] ، و بقوله فى وصفه : تبيانا لـكل شىء ، الظاهر و الباطن من العلم و القرآن تارة يراد بهما المعارف الجلية و المعـارف الخفية و تارة العلوم الدنيوية و العلوم الاخروية و أراد بهما هنا الأول .

يقال شىء أنيق : أى حسن يعجب و أنقنى الشىء أى أعجبنى و أصله من أنق بكسر العين فى الماضى و الفتح فى الغابر أنقا أى فرح ، و الانيق الفرح و السرور العمق : و العمق قعر البئر و الفج و الوادى و تعميق البئر و أعماقها جعلها عميقة ، يقال عمق فهو عميق .

فنى الشىء يفنى : و أفناه غيره ، انقضى انقضاء أى انتهى و كذا تقضى .

الغرايب جمع غريب : و هو اسم لـكل شىء فيما بين جنسه عديم النظير

(١) القيامة : ١٧ . (٢) الزمر : ٢٧ .

و للتباعد أيضا عن مكانه و أراد هنا المعانى التى لا يوجد نظائرها فى جنس المعنى .

(الاعراب)

إذا قوبل به همزة الاستفهام فمعناه أى نحو أزيد فى الدار أم عمرو أى أيهما و هنا كذلك و قد عرفت تمام الكلام فيه فى المعنى و فى أنّ القرآن روايتان احديهما بالفتح و يكون عطفاً على ان الكتاب و العامل فيهما ذكر الثانية بالكسر و هى للابتداء و الباقى ظاهر .

(المعانى)

الاتيان : **بألف الاستفهام** مع أم للتقرير و الانكار قوله لا يفنى عجائبه جملة استينافية دالة على الجواب عمن سأل عن كمية كون باطنه عميقا و الباقى معلوم مما سلف .

(البيان)

فى باطنه عميق : استعارة تخييلية مكنى بها عن اشتماله على كثرة المعارف الخفية التى لا يدركها إلا الغائض فى بحر التوحيد مستلزمة لتشبيه باطنه و هو معقول بالبئر البعيد قعرها و هو محسوسة و وجه الشبه اشتراكهما فى البعد الحاصل لهما و الكثرة .

(البديع)

بين كل من أنيق و عميق و عجائبه و غرائبه السجع المتوازى و الترصيع و بين الظاهر و الباطن المطابقة .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام ساق هذا الكلام لبيان الرد على من زعم أن كل مجتهد مصيب و أن الحق ليس إلا مع واحد ، و هذه مسئلة مستفاضة فى علم الأصول فلا نطول الكتاب بذكرها و أيضا لرد القائلين بالقياس الظنى الذى ليس سنده النص القاطع ، قوله ترد على أحدهم إلى جميعا : اشارة إلى حالهم التى يسلكونها و هو عليه السلام ينكرها من المخالفة فى مسئلة واحدة و تصويب الامام جميع الأقوال .

قوله والههم إلى نبيهم واحد : اشارة إلى حجة تزيف ما ذهبوا إليه هى قياس الضمير و هذه المقدمة صغرى و الكبرى محذوفة و هى كل قوم كانوا كذلك فلا يسوغ لهم أن يخالفوا فى حكم واحد لينتج أن هؤلاء لا يجوز لهم الاختلاف فى حكم واحد أما الصغرى فضرورية مسلمة لا اختلاف فيها و أما الكبرى فقد أشار إلى بيانها بقوله أفأمرهم إلى و أدائه يعنى ان جادلهم الاختلاف فلا يخلو من أن يكون لأمر الله تعالى لهم فائقا أم لنهيه تعالى اياهم فلما انتهوا و عصوه أم بسكوت منه فى الأمرين .

و على التقدير الثالث : فجواز الاختلاف إما أن يكون لأن الدين كان ناقصا و استعان بهم على تمامه أو كانوا شركاء له فعليه ان رضى بما يقولون و لهم أن يقولوا ما تعلقت به أراد بهم كما هو دأب الشركاء أو لأنه تاما و لكن قصر الرسول صلى الله عليه و آله و سلم عن أدائه إلى

الناس تكميله فهذه أقسام خمسة لا يمكن المزيد عليها بحسب اطراد العرف و العادة بين الناس و كلها باطلة .

أما بطلان الأول فان الدين مأخوذ من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و يصدق بعضه بعضا و أنه لا اختلاف فيه و أكد هذا بقوله فقال : و لو كان من عنـــد غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا يعنى لكن لم يكن فيه اختلاف أصلا فلا يكون من عند غير الله فيكون من عند الله وكل ما كان كذلك فلا يتشعب عنه إلا الأقوال التى لا اختلاف فيه إذا لفرع بحد وحد[1] و لاصل و يقفوا أثره فلا يكون الأقوال المختلفة مستندة إلى كتاب الله تعالى الذى هو مجمع الأوامر الالهية .

أما بطلان الثانى فظاهر لأن عدم جواز المعصية لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز الاختلاف .

أما بطلان الثالث فلقوله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شىء و فيه تبيان كل شىء .

أما بطلان الرابع و الخامس فلوضوحهما اعرض عن الدليل عليه ثم دل بقوله أن القرآن إلى آخره على أن القرآن المنزل من عند الله إذ حققوا معانيها و اطلعوا على جلائلها و أتعبوا أنفسهم فى استخراج دقائقها .

كان كافلا بجميع مطالب الناس أى ألفاظه التى صبت المعارف الالهية فى قوالبها لكونها فى غاية البلاغة و نهاية الفصاحة مما يعجب الناس

(١) كذا فى الأصل .

المتأملين

المتأملين فيها الذين قرعت أسماعهم و باتوا متحيرين فى أساليب تراكيبها أو ان العلوم الظاهرة التى تفهمها العلماء ألفاظه[1] حسنها مما يونقهم و ان العلوم الخفية التى أدرجها الله تحت هـــذه الألفاظ و سترها عن أعين القاصرين بعيدة المدرك لا يصل إلى جواهرها إلا الراضة من العلماء الراسخين الذين أيدهم الله بحكمه و فصل خطاب .

لأن معانى العجيبة التى اشتمل عليها غير متناهية لا تفنى بكرور الاعوام و مرور الأيام و لا ينتهى بكثرة التردد و لأن النكت الغريبة التى لا يوجد نظايرها فى غيره من الكتب أكثر من عديد الحصى و احدى من تفاريق العصا لا ينقضى يتضارم ضوارم الأذهان و توارد خواطف الأبصار و لا يكشف الظلمات المتراكمة على مرآة النفس الحاجبة اياها عن مقابلة الفيض الالهى الناشيـة من الجهل البسيط إلا بأنواره الساطعة و أسراره اللامعة .

* * * * *

(١) كذا .

١٨ — ومن كلام له عليه السلام

قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب ، فمضى فى بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال : ياأمير المؤمنين هذه عليك لالك فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال :

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي ! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ ، حَائِكٌ بْنُ حَائِكٍ مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ وَاللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ ، وَإِنَّ امْرَءًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الْأَقْرَبُ ، وَلَا يَأْمَنَهُ الْأَبْعَدُ .

[قال السيد الشريف : أراد بقوله : دل على قومه السيف : ما جرى له مع خالد بن الوليد باليمامة ، فانه غرّ قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عُرف النار وهو اسم للغادر عندهم .

(اللغــــة)

دريته و دريت به دريا و درية و دراية : أى علمت به و أدريته أى أعلمته .

اللعن : طرد و إبعـاد على سبيل السخط و ذلك من الله تعالى فى الآخرة عقوبة و فى الدنيا انقطاع عن قبول فيضه و توفيقـــه ، و من الانسان دعاء .

حاك الثوب يحوكه حوكا و حياكة : نسجه فهو حائك و قوم حاكة و حوكة أيضا و نسوة حوائك و الموضع محاكة و قد جاء حاك يحيك حيكانا و حياكة فهو حائك إذا حرك بين منكبيه و فجج بين رجليه و سيعرف فى الفحوى تحقيق أنه من أيهما .

الكافر فى اللغـة : الذى كفر ذرعه بثوب أى غطاه و لبسه فوقه و كل شيء غطا شيئا فقد كفره و الكافر أيضاً الذارع لأنه يغطى البذر بالتراب و قد يوصف به الليل أيضاً لستره الأشخاص و فى المتعارف صار اسما لمن يجحد الواحدانية أو النبوة و الشريعة أو يلبسها و انما سمى به لأنه يستر نعم الله عليه و الشريعة .

يقال : كفر لمن أخل بالشريعة و ترك ما لزمه من شكر الله و الـكفر ستر الايمان بجحوده و قد كفر بالله كفرا و الـكفر أيضا جحود النعمة و هو ضد الشكر أى سترها بترك أداء شكرها يقال قد كفره كفرانا و كفورا و الـكفران فى جحود النعمة أكثر استعمالا و الـكفر فى الدين أكثر و الـكفور فيهما جميعا .

قال الله تعالى : « فابى أكثر الناس الا كفورا[1] » هذا فى الدين ، و قال تعالى فى جحود النعمة : « ليبلونى أأشكر أم أكفر و من شكر فانما يشكر لنفسه و من كفر فان ربى غنى كريم[2] » . و أراد عليه السلام بالكفر هنا الكفر فى الدين ، يقال أسرت الرجل أسراً و ساراً فهو أسير و مأسور و أسرته يأسره أسراً شده بالأسار و هو القيد و منه سمى الاسير و كانوا يشدونه بالقيد فسمى كل أخذ أسيراً و ان لم يشد به .

الاسلام : فى أصل اللغة الدخول فى السلم و هو الصلح ، و فى الشرع يطلق على معنيين احدهما أعمّ و الآخر أخص أحدهما هو الاعتراف باللسان سواء كان معه اعتقادا أم لا و هو أعم من الايمان و كذا قال تعالى : « قل لم تؤمنوا و لكن قولوا اسلمنا[4] » فاثبت العام و نفى الخاص و الآخر هو مع الاعتراف اعتقاد بالقلب و وفاء بالفعل و استسلام لله تعالى فى جميع ما قضى و قدر فهو أخص من الايمان ان لم يدخل الوفاء فيه و اياه عنى تعالى حكاية عن ابراهيم بقوله : « أسلمت لرب العالمين » و بقوله : « إن الدين عند الله الاسلام » .

فداه و فاداه : إذا أعطى فداه و الفَداء و الفِداء حفظ الانسان عن النائبة عنه يقال أيضا فديته بمال و فديته نفسى و فاديته بكذا ، الدلالة : ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى و دلالة الاشارة و الرموز و العقود فى الحساب و سواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة انسان فيعلم أنه حى و الدلالة فى الأصل

---

(١) الاسراء : ٨٩ . (٢) النمل : ٤٠ . (٤) الحجرات : ١٤ .

مصدر يقال قد دله على الطريق يدله دلالة و دلالة و دلولة و الفتح أعلى ، و الدال من حصل منه ذلك .

يقال ساق الماشية يسوقها سوقا و سياقا فهو سائق و سواق : شدد للبالغة أى حرضتها على المشى باكراه .

الحتف بالتاء المنقطة بنقطتين من فوق : الموت ، يقال مات فلان حتف أنفه إذا مات من غير قتل و لا ضرب و قد يروى بالياء المنقطه بنقطتين من تحت و هو الجور و الظلم يقال حاف عليه يحيف أى جار .

قال الجوهرى : يقال هو حرى أن يفعل بالفتح أى خليق جدير لا يثنى و لا يجمع و أنشد الكسائى[1] .

و هن حرىً ان لا يثيبنك نقرة و انت حرى بالنار حين يثيب .

و إذا قلت هو حر بكسر الراء و حرى على فعيل ثنيت و جمعت فقلت هما حريان و هم حريون و أحرياء و هى حرية و هن حريات و حرايا و أنتم أحراء جمع حرو منه اشتق التحرى فى الأشياء و نحوها و هو طلب ما هو أحرى بالاستعمال فى غالب الظن ، المقت البغض الشديد لمن راه متعاطيا

(١) أبو الحسن على بن حمزة الكوفى البغدادى النحوى اللغوى أحد القراء السبعة مؤدب محمد الأمين ، كان الكسائى فى مدينة السلام و كان أولا يقرء الناس بقرائة حمزة ثم اختار لنفسه قراءة فاقرء بها الناس فى خلافة هارون مات الكسائى بالرى فى سنة ١٧٩ و كان مع هارون فى رحلته إلى خراسان و مات أيضا معه محمد بن الحسن الشيبانى الفقيه و صلى عليهما هارون و قال اليوم دفنا الفقه و العربية .

لقبيح

لقبيح يقال مقت مقاتة فهو مقيت و مقتة مقتا فهو مقيت و ممقوت ، أمن يأمن أمناً أى اطمان نفسه و زال الخوف عنها .

(الاعراب)

اعلم أن ما يقع فى كلام العرب على عشرة أوجه خمسة فى الاسماء و خمسة فى الحروف و اذا كان اسما يستوى فيها الواحد و الجمع و المذكر و المؤنث .

فالأول من الاسماء موصولة بمعنى الذى نحو قوله تعالى : « و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم[1] » و قوله عليه السلام ما على عمالى .

و الثانى منها نكرة نحو قوله تعالى : ان الله نعما يعظكم به أى نعم شيء هى و قد اجيز أن يكون ما فى قوله : ان الله تعالى لا يستحيي أن يضرب مثلا ما زائدة و نظيره فى كلامه عليه السلام .

الثالث منها الاستفهام و قد عرفت فى المعانى أن الاستفهام يقع به على وجهين و ذلك مثل قوله عليه السلام ما يدريك ،

الرابع منها للجزات نحو قوله تعالى : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مسك لها[2] » .

الخامس منها للتعجب نحو قوله تعالى . « وما أصبرهم على النار[3] »

و أما الحروف فالاول منها أن يكون مع ما بعده بمنزلة المصدر كان الناصبة مع الفعل المستقبل الداخلة عليه نحو قوله تعالى : « و مما رزقناهم ينفقون[4] » و الدليل خلو الكلام عن الضمير العائد لفظا و تقديرا و قوله

(١) البقرة : ١٠٢ . (٢) فاطر : ٢ . (٣) البقرة : ١١٥ . (٤) الانفال : ٣ .

عليه السلام لما يعلم من جهل نفسه .

و الثانى منها أن يكون للنفى نحو قوله عليه السلام : و الله ما أنكرو علىّ منكرا و نظائره اكثر من يحصى .

الثالث الكافة و هى التى يكف أن و أخواتها عن العمل لفظا و يفيد الحصر معنى نحو قوله تعالى : انما يخشى الله من عباده العلماء[1] » و قوله عليه السلام انما ينتظر باولكم آخركم .

و الرابع منها المسلطة و هى التى تسلط اللفظ على العمل بعد ان لم يكن عاملا كما فى اذما و حيثما فان اذ و حيث لا يعملان بمجردهما فى الشرط و يعملان عند دخول ما عليهما نحو اذ ما تفعل أفعل و حيثما تخرج أخرج .

و الخامس منها الزائدة لتوكيد اللفظ فى قوله : اذ ما فعلت كذا و قولهم اما تخرج أخرج و مثله قوله تعالى : « فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن[2] » .

(المعانى)

ما يدريك مما على مما لى : استفهام عن النسبة على سبيل الانكار والتوبيخ .

حائك بن حائك : قد حذف منه المسند إليه اما للاعتماد على القرائن المقالية و الحالية أو لأن الخبر لا يصلح الا له حقيقة فذكره خارج عن البلاغة أو لتطهير اللسان عنه و النسبة على أنه ينبغى أن لا يذكر باللسان و قطع عما قبله ليؤذن بتعليل الأستفهام على سبيل الأنكار المستلزم بجهله و غباوته .

(١) فاطر : ٢٧ .　　(٢) مريم : ٢٤ .

كذا فى منافق بن كافر : قد حذف منه المسند إليه أيضاً لما ذكرنا و قطع ليؤذن بتعليل استحقاقه اللعن الكثير .

و الحاصل أنه ذكر جملتين أولا احديهما استفهامية مؤذنة بالجهل و الأخرى اسمية دالة على استحقاقه اللعنة من الله تعالى و من اللاعنين بأجمعهم ثم راعى على طريقة اللف و النشر و اتى بجملتين مستانفتين الدالتين على . . . . . .[1] التعليل لما ذكر اولا على الترتيب و هذا من البلاغة فى لا يدرك . . . .[1] ، ولا يشق غباره .

ثم أتى بجملة مصدرة بالقسم ولامه ليثبت مضمونها عند من كان ذهنه غير حازم به و كذا الجملة المصدرة بأن و اللام انما أوردها ليردبها المنكرين لما قالوا إليه و ردعهم عما اعتقدوا فى حقه .

الفآء فى فما فداك : فصيحة مفصحة عن أن عدم الفداء مسبب عن سبب محذوف تقديره رضيت بهما وما هزت اعطاف رجوليتك ولا ثارت نارحميتك فما فداك .

(البيـان)

حائك بن حائك : استعـارة تخييلية مكنى عن قلة تدبره بالعواقب و بزارة عقله و نقصان استعداده لوضع الأشياء فى مواضعها مستدعية لتسمية هـذا الرجل بالحائك بن حائك و هما محسوسان و وجه الشبه ألا يهتم بالامور الكلية التى ينتظر بها امور معاشه و معـاده بل لا يتفكر الا فى الامور الجزئيـة المحسوسـة كما أن الحائك لاشتغال فكره باوضاع الخيوط

(١) كذا بياض فى الأصل .

المتفرقة المحسوسة و ترتيبها و نظامها على الوجه الذى يتهيأ منه النسج لا يتدبر فى عواقب الامور الكلية بل هو غافل عنه بالكلية و هو عقلى ، ويحتمل أن يكون قد كنى بها عن كونه كاذبا فان من لوازم الحياكة الكذب .

اعلم أن نسبة الأسر الى الكفر و الاسلام مجازية عقلية اذا العقل يشهد على أن الاسر هو أهل الكفر و أهل الاسلام من باب الحذف كما فى قوله تعالى : « وسئل القرية : و هى كناية عن الضعف مع جبن و قد آثبت[1] ، اذ كونه قد اسر مرتين من لوازمهما وكذا نسبة الفداء الى المال و الحسب نسبة مجازية عقلية اذا الفعل يشهد على الفادى هو أشعث دونهما من باب اسناد الفعل الى السبب الصورى أو المادى و انما خصهما بالذكر للتاكيد و المبالغة و ليكون كناية عن البخل و قلة عرضه وما يعد من المفاخر .

و فى قوله دل على قومه السيف : مجاز عقلى و قد روى أن رسول الله صلى الله عليه و آله رفع غزلا الى حائك من بنى النجار لينسج له صوفا وكان عليه السلام يأتيه متقاضيا و يقف على بابه و يقول ردوا علينا غزلنا استجمل بـه فى الناس و الحائك يكذب و يعده مواعيد عرقوبية و لم يزل تماطله حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وآله و من كان مرتكبا للأخلاق الخسيسة مباشرا هو و ابوه للأعمال الركيكة الدنية لم يكن من شأنه الاعتراض على مثله عليه السلام .

الثانى قال بعض الشارحين : ان الاشعث كان من ملوك كندة و اكابرها و انما عيره بذلك لأنه اذا مشى تحرك منكبيه و يفجج بين رجليه كمشية المخانيث و يعضده هذا القول قوله عليه السلام فما فداك من واحدة

---

(١) كـذا .

منهما مالك و لا حسبك الدال على أن له مالا و حسبا .

الثالث : قال بعض المحققين : حرفة خسيسة و الحائك و الغزال و القطان و المعلم ضعفاء العقول لأن معاملتهم و مخالطتهم مع النساء اللواتى عقولهن ضعيفة والصبيان لا عقول لهم و من كان يختلط مع ضعفاء العقول كان قليل العقل ضعيفة كما أن المخالط لرزين العقل تكتسب دراية العقل و قوته . و مما يؤيد هذا القول ما روى عن الثقات عن الصادق عليه السلام أنه قال : عقل أربعين معلما عقل حائك و عقل حائك عقل امرأة و المرأة لا عقل لها ، عن موسى بن جعفر عليهما السلام أنه قال : لا تستشيروا المعلمين و لا الحوكة فان الله تعالى قد سلبهم عقولهم ، و هذا القول مناسب للاستعارة التى تلوتها عليك .

الرابع : انه مأخوذ من حال الشعر يعنى أنه يكسب بالشعر الذى أحسنه أكذبه مالا و من كان فكره دائما مشغولا بترتيب الأكاذيب الموزونة فلا يكون له منصب الاعتراض على من لم يعزم البتة على أن يقع فى حمى الكذب فضلا عن الكذب و ما ذكرناه من الاستعارة . . . . [1] بالمقام و أليق بنظام الكلام ، ثم دل على سبب استحقاقه اللعن بقوله : منافق بن كافر الدال بالمطابقة على أنه مبطن للكفر معلن للايمان حقنا لنفسه عن السيف و السنان .

ثم نبه على قلة عقله و غاية جبنه و عدم . . . . [1] فى المحاربة و القيام بين يدى الخصم دفعاً مكائده عن نفسه و ماله بقوله و الله لقد اسرك

(١) كذا فى الأصل .

إلى أخرى روى أن كان الأشعث فى الجاهلية فى الأسر ففدى نفسه بثلاثة آلاف بعير و وفد على النبي عليه السلام فى سبعين رجلا من كندة فأسلم على يديه و لما توفى رسول الله صلى الله عليه و آله ارتدّ بحضرموت و منع أهلها من تسليم الصدقات و أبى البيعة لأبى بكر .

فبعث إليه زياد بن لبيد بعد ان كان عاملا عليها و رجع عنها ثم أمده بعكرمة بن أبى جهل فى فئة عظيمة من جند الاسلام فقاتلهم الأشعث بقبائل كندة قتالا شديداً فى وقائع كثيرة و كان رئيسهم الأشعث فالتحق بقومه إلى حصنهم لحاصرهم زياد و بلغ العطش فبعث الأشعث إلى زياد يطلب منه الأمان لأهله و لبعض قومه و كان من عقله انه لم يطلب نفسه بالتعيين فلما نزل أمره و بعث مقيدا إلى أبى بكر بالمدينة فالتمس من أبى بكر أن يستبقيه لحرمه و يزوجه أخته ام فروة فبذل التماسة أبو بكر و فعل ذلك

قد روى ما يدل على عدم اهتمامه بأمور الدين و قواعد الاسلام و هو أنه بعد أن خرج من مجلس عقده بأم فروة أصلت سيفه و دخل و نحر كل بعير رآه و ذبح كل غنم استقبله و دخل دارا من دور الأنصار فصاح به الناس من كل جانب و قالوا قد ارتد الأشعث مرة ثالثة .

فأشرف عليهم من السطح و قال يا أهل المدينة إنى غريب ببلدكم أولمت بما نحرت و ذبحت . . . . كل انسان ما وجده و ليعد إلىّ من كان له حق علىّ حتى ارضيه و فعل ذلك فلم يبق دار من دور المدينة الا و قد أوقد فيها بسبب تلك اللحوم فضرب بالمدينة المثل و قالوا أولم من الأشعث و فيه قال الشاعر :

لقد أو لم الكندى يوم ملاكه وايمة حمال لنقل العظائم
لقد سل سيفا كان مذكان مغمدا لذى الحرب منه فى الطلى والجماجم
فاغمده فى كل بكر و سابح و عير و ثور فى الحشا و القوائم
فقل للفتى الكندى يوم لقائه ذهبت بأسنى ذكر أولاد دارم

هذا الأشعث هو الأشعث بن قيس بن معدى كرب الكندى ثم دل على بخله و شدة اهتمامه بالمال الدنيوى و قلة الحسب بقوله فما فداك أى ما حفظك من الوقوع فى واحدة من المرتين مالك و حسبك أى قبل الأسر، اما بعد الأسر فقد عرفت أنه فدى نفسه بثلاثة آلاف بعير، ثم دل بقوله و ان امرء إلى الأبعد على شدة ظلمه بقومه و غدره إياهم.

فما تدرى أى الأمرين أرشد فوجد الأشعث بذلك شبهة فى تركه عليه السلام وجه المصلحة و اتباع الآراء الباطلة و أراد إلحامه فقال هذه عليك لا لك و جهل و تجاهل أن وجه المصلحة قد يترك محافظة على بيضة الدين فقال عليه السلام هذا جزاؤكم حيث تركتم الجزم فظن الأشعث انه قال هذا جزائى فقال الكلمة.

فنظر عليه السلام إليه نظر مغضب ثم أنكر عليه انكارا على سبيل التوبيخ و نسبه إلى الجهل و قال ما يدريك ما علىّ مما لى أى من أين علمت التميز بين ما يعود نفعه إلىّ و بين ما يرجع ضره إلىّ و ممن علمت و من أعلمك بهذا التمييز و مفهومه أنك جاهل بحالى و لا يليق بالجاهل أن يعترض على من هو أعلى منزلة منه بل لا يجوز له و من اعترض على امام وقته جاهلا بما يعترض به جهل مركب.

فلا يكون إلا بسبب كفر تمكن فى سويداء قلبه و شبهة ترشحت فى باطنه و من كان حاله كذا فهو مستحق للعن و الابعاد من رحمة الله تعالى فى الدنيا و العقوبة فى العقبى على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين » ثم دل على جهله و نقصان عقله حائك بن حائك .

اعلم أن الناس قد اختلفوا فى هذا على أقوال الأول انه كان هو وأبوه ينسجان برود اليمن و انما عيره بذلك لاستلزام تلك الحرفة الأخلاق الخسيسة و دناءة الهمة لاعتبار نفسها لأنه عليه السلام لا يعير أحدا بما هو جايز فى الشرع فمنها الكذب الذى هو رأس كل خطيئة و كناية عن الظلم و الغدر و كذا فى ساق إليهم الحتف و يحتمل أن يكون استعارة تخييلية مكنيا بها عن ظلمه و عن كونه سببا . . . و الموت إليهم مستدعية لتشبيه الحتف و هو معقول بالماشية و هى محسوسة .

وجه الشبه اشتراكهما فى الانقياد و قبول الاكراه من المكر ، و فى عرف النار استعارة تخييليــة مكنى بها عن كونه علما واضحا للغدر المستلزم للعباد إلى النار مستدعية لتشبيهه بالأعلام المنصوبة فى المواضع العالية يستدل بها الحابطون على الطرق .

وجه الشبه اشتراكهما فى الظهور و الاستلزام يعنى كما أن الأعلام من استدل بها تهديه إلى الطريق القويم كذا هذا الرجل من انقاد لأمره و اتبعه قاده إلى النار .

و يحتمل أن يكون استعارة تخييلية مكنيا بها عن تعزير قومه بالأكاذيب

بالاكاذيب المموهة و اخفائه العواقب من نار الحرب أو الآخرة عنهم مستدعية لتشبيهه بعرف الضبع ، و وجه الشبه انه بمكره و كثرة مكائده و حيله قد ستر عنهم ما وراه مما ذكرنا كما ان العرف لكثرته و تزاحمه يستر ما وراه .

(البديع)

ما يدريك إلى كافر : اللف و النشر على ما عرفت و بين السيف و الحتف السجع المتوازى و الترصيع و بين الاقرب و الأبعد المطابقة و المتوازن .

(الفحوى)

اعلم انه عليه السلام خطب بالكوفة و ذكر امر الحكمين وانباء القوم عما اقتضت الأوقات من المصالح المخالفة بحسبها ، فقام إليه رجل من أصحابه و قال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا .

قد روى انه لما طلب الأمان من زياد بن لبيد طلبه ليفر بنفر من أشراف قومه وظن الباقون أنه أخذ الأمان لجميعهم فنزلوا من الحصن ساكنين بناء على ظنهم فلما خرج الأشعث مع من طلب الأمان له دخل زياد الحصن فقتل المقاتلة صبرا فذكروه الأمان فقال إن الأشعث يطلب الأمان الا لعشرة من قومه وافاه كتاب أبي بكر بالكف عنهم و حملهم إليه لحملهم إليه .

هذا هو المراد بقوله دل على قومه السيف و ساق إليهم الحتف :

حيث ساقهم إلى الحرب و قاد الحرب إليهم و سلمهم إلى القتل و من يدل السيف على قومه لحرىّ جدير أن يبغضه أقاربه و لا يأمن من مكائده أجانبه و قد أورد أكثر الشارحون أن ما حكاه السيد رضى الله عنه من حكاية الأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غير موجود فى وقائع خالد باليمامة و لكن جلّ جناب السيد أن يقع فى جمعه الافتراء فضلا عن الافتراء و عدم الوجدان لا يدل على العدم .

فتمحص مما ذكرنا أنه عليه السلام نسبه إلى جمع الرذايل من الجهل و الغباوة الدال عليهما ما يدريك ، و حائك بن حائك و الجور المستفاد من قوله منافق بن كافر و الانظلام و القتل الدال عليهما و الله لقد اسرك ، و البخل و اللوم الدال عليهما فما فداك من واحدة منهما مالك و لا حسبك كدلالته على قلة العقل و الظلم و الغدر الدال عليهما و ان أمر إلى آخره و من كان مستجمعا للرذائل لا يستحق أن يعرض على من استجمع الفضائل النفسانية .

* . * * *

١٩ — ومن خطبة له عليه السلام

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَلٰكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ، وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ، بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ.

(اللغـــة)

الجزع : ضد الصبر و قد جزع من الشيء بالكسر فى الماضى و الفتح فى الغابر و أجزعه غيره .

الوهل : بفتح الهاء الفزع مع الدهشة يقال وهل يوهل وهلا و وهلت إليه أى دهشت برؤيته و لقيته فى أول وهلة أى قبل كل شيء و الوهلة ههنا إشارة إلى الدهشة التى ينبغى أن تعلم .

ان السمع : تارة يعبر به عن الاذن نحو قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم و على سمعهم[1] » و تارة عن فعله أى عن السماع ، نحو قوله : « انهم عن السمع لمعزولون[2] » و تارة عن الفهم يقول اسمع ما أقول لك و لم تسمع ما قلت يعنى و لم تفهم و قوله تعالى ، « سمعنا و عصينا » أى فهمنا و لم نأتمر لك و هنا المراد الفهم .

يقال : أمره فاطاع له : أى انقاد و مثله طاع له يطوع طوعا و الطاعة أيضا مثل الطوع و لكن أكثر ما يقال فى الائتمار لارتسام فيما روسم[3] .

يقال حجبه يحجبه حجبا : أى منعه عن الوصول فالمحجوب الممنوع عنه و الحجاب الستر . يقال خرجت الشيء و بالشيء إذا رميته فالطرح هو إلقاء الشيء و ابعاده وأطرحه أي أبعده و الطرح بالتحريك المكان البعيد .

يقال أبصر يبصر تبصيرا : أى عرف و أوضح و أبصرت الشيء

(١) البقرة : ٧ . (٢) الشعراء : ٢١٢ . (٣) كذا .

أى رأيته و البصر لفظ مشترك بين حاسة الرؤية كما فى قوله تعالى: كلمح بالبصر[1]، و بين العلم كما فى قوله تعالى «ما زاغ البصر و ما طغى[2]» و يقال أيضا لقوة القلب المدركة بصيرة و بصر نحو قوله: «فبصرك اليوم حديد[3]»، و من الثانى يقال بصرت به أى علمته قال تعالى: بصرت بما لم يبصروا به و البصير العالم.

الهداية: دلالة بلطف يقال هدى فاهتدى أى دل على الطريق فاخذ الدلالة و طفق فى سلوكها و الاهتداء أيضاً يقال لما تحراه الانسان على طريق الاختيار أما فى الأمور الدنيوية كما فى قوله تعالى: «و هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها[4]»، و فى الأمور الأخروية كما فى قوله تعالى: «و إنا إن شآء الله لمهتدون[5]»، و يقال أيضا لطلب الهداية و لتحريها.

الجهر: يقال لظهور الشىء بافراط حاسة البصر نحو قوله تعالى: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة[6]»، أو حاسة السمع نحو قوله تعالى: «و ان تجهر بالقول فانه يعلم السر و أخفى[7]»، و المجاهرة فى الحرب المباراة بها العبر جمع عبرة و العبرة و الاعتبار اسمان للحالة التى يتوصل بها من معرفة المشاهد الظاهر إلى معرفة غير المشاهـــد الباطن و قد عرفت تمام التحقيق فى أول الكتاب.

الزجر: المنع و النهى يقال زجره و ازدجره فانزجروا و ازدجروا يقال أيضا زجرت الابل فانزجر أى كلفته السير السريع فاسرع و الزجر

(١) القمر: ٥٠. (٢) النجم: ١٧. (٣) ق: ٢٢. (٤) الانعام: ٩٧.
(٥) البقرة: ٧٠. (٦) البقرة: ٥٥. (٧) طه: ٧.

الفال

الفال لتسارعه إلى الوهم و المعنيان محتملان هنا و لكن الثانى أدق . البشرة ظاهر الجلد و الادمة باطنه كذا قال عامة الادباء و قال أبو زيد بعكس ذلك و عبر عن الانسان بالبشر اعتبار الطهارة جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التى عليها الصوف أو الشعر أو الوبر .

(الاعراب)

ما فى ما قد عاينوا و ما قد عاين : موصولة و ما قد عاينوا فى محل الرفع على أنه مفعول محجوب و ما فى قريب ما ، مصدرية و هى مع ما بعدها فى موضع الرفع بالابتداء و قريب خبره قدم عليه ، تقديره طرح الحجاب عنكم قريب و الباقى واضح .

(المعانى)

انما قال محجوب عنكم و لم يقل حجب ليؤذن باستقرار هذا الحجاب و ثباته و انما أتى بالصلة مع الموصول ليؤذن بتفخيم أمر ما عاينوه و تعظيم شانه و فى قريب ما يطرح الحجاب قدم المسند للاهتمام بشأنه و لأنه المقصود بالذكر و ليؤذن بالقصر للافراد و القلب على تقدير تنزيل المخاطبين منزلة المعتقدين بخلافه أن كان الخطاب مع المؤمنين الذين اعتقدوه و لكن لم يعملوا بمقتضاه أو تصوروا غيره مشاركا له فى القرب و الا فهو جار على اصله و نكره أما لأن المقصود ليس إلا مجرد اسناد المسند اليه إلى المسند أو للدلالة على تعظيم القرب و تهويله .

و جعل المسند اليه فعلا مع ما ، المصدرية ليكون فى تقدير المصدر ليؤذن بتجدد الطرح و انه ليس بامر ثابت بل هو مما يطرح لحظة فلحظة

غير أن ليس للطروح منه شعورية فان كل ساعة انقضت من عمره فقد طرح شيئا من الحجاب و هذه خواص لا يدرك قعرها الا المتدرب بعلم المعانى و الذوق السليم و الطبع المستقيم .

فى لقد بصرتم أن أبصرتم : أن قلنا أن الشرط جزاؤه محذوف تقديره أن ابصرتم فقد انتفعتم به فى الدنيا و العقبى و هو الأظهر قد جعل الفعل الماضى شرطا اما للاظهار فى رغبة الوقوع و إما لابراز غير الحاصل فى معرض الحاصل و قدم الجملة القسمية عليها ليؤذن بأن الكلام سيق لرد للتردد الى الصواب .

و أن قلنا أن جزؤه الجملة القسمية قدم على الشرط للاهتمام بشأنه و أن مضمونها بالحقيقة واقع و لكن لما كان المقصود من التبصر الابصار و الابصار غير حاصل كان التبصير غير حاصل و هو دقيق فاعتبر مثل ما قلنا فى الجملتين الآخرين و فى ما يبلغ الى البشر القصر للقلب ان كان الخطاب مع المنكرين لكون المبلغ هو البشر أو مع المعترفين به و النازلين منزلهم حيث لم يعملوا بما هو طريقة المعترفين و أن كان مع المعترفين العاملين ولكن اعتقدوا المشاركة بالقصر قصر افراد هذا وهو القدر الضرورى بهذا العلم فيه أضعاف ما ذكرنا .

(البيان)

ظاهر و كذا البديع .

(الفحوى)

اعلم أن كشف الغطاء عن تحقيق هذه الكلمات اليسيرة المحتوية على المعانى الكثيرة الجمة مسبوق بتقديم مقدمة اعلم أن النفس الانسانية الهابطة من مشاهدة أنوار كبريائه تعالى : ما دامت متعلقة بهذ البدن المحسوس مشغولة بالتصرف فيه و تدبير ما ينتظم به أحوال معاشه فانها محجوبة عن مطالعة أنوار عالم الغيب و الملكوت بظلمة الهيأت البدنية و المعارضات الوهمية و الخيالية و التصرفات المحسوسة الجزئية العائد نفعها الى البدن و توابعه و لكن ذلك الحجاب يتفاوت تفاوتا عظيما فى الضعف و القوة و الزيادة و النقصان .

الناس فيه على منازل متباينة و مراتب متفاضلة فأشدهم حجبا و أكثفهم حجبا الكفار كما أشار التنزيل الالهى الى كثافة حجابهم و قال « و جعلنا من بين ايديهم سدا و من خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون [1] » و أشار بالسد الاول الى الصفات السبعية الباعثة على الغضب و العداوة و الحقد و الحسد و المفاخرة و سائر الرذائل التابعة للقوة العصبية و بالسد الثانى الى اقتناء الشهوات البدنية و الانهماك فى اللذات الوهمية الفانية المنبعثة من القوة الشهوية فى التاخير و هى متأخرة عنها .

و كذا اذا هاج الغضب خمدت نار الشهوة و أشار باغشيناهم الى الاعتقادات الفاسدة و الخيالات الباطلة الناشية من غلبة قوتى العصبية

(١) يس : ٩

و الشهوية على القوة الملكية الداعية الى الخير و الصلاح و لما كان من شان السد منبع من ورائه عن الاطلاع على ما فى الطرف الآخر بحيث لا يمكن الارتقاع الابتعب شديد و زمان كثير كأن الكفار منعت أبصار بصائرهم عن مشاهدة أنوار الحق كما أن الحجب المحسوسة يمنع الابصار الظاهرة عن نور الشمس .

و الى هذا اشار تعالى : بقوله وهم لا يبصرون ، و بقوله : و على أبصارهم غشاوة ، و بقوله : صم بكم عمى فهم لا يرجعون [۱] و هذا المقام لا يسع اكثر من هذا و أرقهم حجبا و أخفهم حجابا الأنبياء و الأولياء الذين أفنوا طاقتهم فى تصفية بواطنهم بتسخير ما سواه تعالى أولا عن ألواح نفوسهم ثم بالتشبث بالأوامر الالهية و الاجتناب عن نواهيها و صقلوا مرأى قلوبهم بالقاء حجب الغفلة و الركون الى اقتناء الشهوات البدنية و قهر القوتين الباعثتين عليها و استشرقوا من شموس المعارف الالهية فأشرقت من آفاق قلوبهم فاطلعوا على سرادقات العزة .

و الى هذا المقام أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً و لكن مع غاية جهدهم أنهم ما داموا فى هذا الأبدان فهم فى اغطية من هياتها و ان ضعفت و اغشية من أستارها و ان دقت و بين هاتين المرتبتين مراتب اخرى لا يزال يتفاوت شدة و ضعفا و زيادة و نقصاناً الى ان ينصل باحد الطرفين و بحسب تفاوتهم فى الحجب وقع التفاوت بين منازلهم فى ادراك الحق و بالوقوف على أسرار الدين

(۲) البقرة : ۱۸ .

و حصل

و حصل التباين بين ورودهم فى النار الذى لابد لكل منهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى .

و إن منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا [1] ، و لن يصل الانسان الى مشاهدة اليقين الا بعد مفارقة النفس من هذا البدن المحسوس و حينئذ يوم تبلى السرائر ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها و بينه امداً [2] ، و أما قبل المفارقة فلا يحصل الادرك و مشاهدة الامور كما هى لان البدن يمنعها و ان حصلت على اعتقاد جازم برهانى أو نوع من المكاشفة كما فى حق الأولياء الذين رباهم الله فى حجر الولاية و أرضعهم رضاع المحبة و هتك الحجب النورانية عليهم .

غير أن تلك المشاهدة مشوبة بشايبة من معارضة الوهم و الخيال و لذلك لم يزل رسول الله صلى الله عليه و آله يكثر فى دعائه اللهم أرنا الاشياء كما هى ، و أشار الى عدم مفارقة الوهم بحال ما ان الشيطان يجرى من ابن آدم بجرى الدم و بقوله أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ، و قال فى دعايه : اللهم ألهمنى رشدى و أعذنى من شرنفسى ,لا تكلنى الى نفسى طرفة عين فاهلك .

و اذا عرفت هذه فاعلم أنه عليه السلام أيقظ الغافلين من رقدة الغفلة وما كانوا متهالكين عليه و ينبئهم على أن ورائهم أحوال الآخرة و عذابها لو عرفتموها لما حصل منكم الغفلة أصلا فضلا عن الركون الى

(١) مريم : ٧١

الدنيا بشرطية متصلة مصدرة بأنّ للتحقيق و التوكيد مشار إليه بقوله :

فانكم لو عاينتم الى أطعتم : يعنى انكم لو شاهدتم بعين اليقين ما شاهد من سبق منهم الى الآخرة و رفع حجاب البدل عن أمام بصائرهم من الاهوال و النكال لجزعتم عـلى ما فرطتم فى جنب الله و فزعتم و دهشتم مما شاهدتموه تمسكتم بالاوامر الواردة عـلى السنة الانبياء و أطعتم لداعى الله تعالى .

و قدم الجزع لأنه السبب للفزع لأن من لم يفرط اصلا لم يخش من النكال ثم الفزع لأنه السبب الداعى الى فهم الأوامر الالهية و سماعها ثم السماع لأنه هو السبب فى الطاعة و القرينة الحـائة مشعرة بأن الواو هنـا للترتيب و مما يشهد على صحة هذه الملازمة قوله تعالى : « ربنا أبصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون[1] » فيجيبهم لسـان العزة « أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر و جاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير[2] » .

ثم نبه على نقيض اللازم بوجود ما يستلزمه و هو الحجب الحايلة بين بصائرهم بين تلك الأهوال اذ لولاها لشاهدوها و لو شاهدوها لجزعوا و فزعوا و سمعوا و أطاعوا و كأنه اعتذار عن لسـان حالهم ثم أشار الى تزييف هذا الاعتذار مهددا لهم و موبخا اياهم تثبيطهم فى العمل معولين على هذا الاعتذار بقوله .

و قريب ما يطرح الحجاب : أى أن الموت الذى هو رافع لحجب الأبـدان و كاشف عن أهوال القيامة و أحوال الطامـة ليس ببعيد عنكم

(١) السجدة : ١٢ . (٢) الحج : ٧١ .

بل مما يتوقع لحظة فلحظة وقوعه وما هو متيقن الوقوع كالواقع فلا ينبغى لكم أن يعبروا بهذه الدنيا وما هو لذات ابدانكم و يجعلوا عمـدة تقصيركم فى طاعة الله سبحانه الخبال المجرد و الى هذا أشار القرآن الـكريم و قال « فـكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد[1] » .

ثم أردف هذا الكلام بما يمكن أن يكون تزييفا ثانيا لهذا العذر و قال و لقد بصرتم يعنى و ان كانت الأبدان صاحبة[2] من مشاهدة ما يوجب الفزع و الجزع و السماع و الاطاعة و لـكن لقد عرفتم به بارسال الانبياء المتواترة المخبرين عنها و لـكن انما لم ينفعكم لانكم ما فتحتم بصائركم اليها و اسمعتم اياه فى الـكتب الالهية و الأخبار النبوية .

و لـكن انما لم يجدكم لانكم ما أصغيتم إليه ولا عملتم بمقتضاه و هديتم عليه بالدلائل الواضحة و البراهين اللائحـة بحيث ارتفع اللبس بالكلية صار كالمشاهد عيانا و لـكن لم يفدكم فايده لانـكم ما اهتديتم به ، و هـذا توبيخ لهم عما كانوا عليه وما بدان بال[2] ، السمع و البصر و العقل انمـا تنفع صاحبها اذا سمع كلام الله و عمل بمقتضاه و نظر الى المعبر و الأمثال و اعتبر بالامور الآخرة و اقتنى العقل آثار حكمه تعالى و تنبيه لهم على الفرار الى الله بطريق الاعتبار .

و انما خص السمع و البصر بالذكر لان الاعتبار لا يمكن الابهما أو باحدهما ثم لما كان ما بصروا به و أسمعوا بـه امرين ربمـا ينكرو نهما أردف بكلام يشعر بثباتهما و هو قوله : بحق أقول لكم لقد جاهرتكم العبر

(١) ق : ٢٢ .   (٢) كذا .

أى أقول لكم بحق لا بباطل و الله لقد برزلكم و استقبلكم من الباطن الى الظاهر ما يحوجكم الى النفوذ من الظاهر الى الباطن و كشف لكم ما يعرفكم بأمور الآخرة من المصائب النازلة بهم و بمن سلف و نهيهم بالنواهى المنهية إليهم الوعيدات الهائلة و العقوبات الحاضرة .

و يحتمل أن يكون معناه سلك بكم بأمر يكون الوصول الى معناه الباطل فى أسرع مدة و أشار القرآن الكريم الى هذا و قال « و لقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر[1] » ثم دل على أن الانصاح و الارشاد الى النهج القويم و الصراط المستقيم لا يمكن فرق ما جاءت به الكتب السماوية و نطقت به ألسنة الرسل بقوله وما يبلغ الى البشر أى لا يمكن أن يبلغ اليكم رسالات ربكم بعد رسل السماء التى هى الملائكة المودون أوامر الحق الى الأنبياء الا الرسل الذين قد شاركوكم فى الصورة البشرية .

ولا يمكن الايضاح أزيد من هذا و قد تواتر اليكم الأنبياء و ليعرفوكم[2] » بما هو بعد للعصاة فلا تركنوا الى الذين ظلموا و اطيعوهم و انقادوا لأوامرهم و التفتوا الى الله تعالى فان ما بلغ اليكم كافيا فى الالتفات الى الله تعالى و الله الهادى الى التوفيق .

(١) القمرة : ٥ .

• • • • •

٢٠ — ومن خطبة له عليه السلام

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ؛ تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا تُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

قال الشريف: أقول: إن هذا الكلام لو وزن، بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، بكل كلام لمال به راجحاً، وبرَّز عليه سابقا. فأما قوله عليه السلام «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعا ولا أكثر محصولا وما أبعد غورها من كلمة، وأنقع نطفتها من حكمة، وقد نبهنا فى كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها

(اللغـــة)

الغاية من كل شيء نهايته .

الأمام بفتح الألف المقصد من أم يؤم اذا قصد يقال وراء أبد كذا أي خلفه هو مأخوذ من واريت كذا أي سترته و خلف الشيء جهة لازمة له متوارية عنه .

قال المفسرون معنى قوله تعالى : « و كان ورائهم ملك يأخــذ كل سفينة غصبا » أي كان قدامهم و تلك الجهة متوارية عنهم و قيل ورائهم الساعة جزء من أجزاء الزمان و هو الحال و قد يعبر به عن القيامة قال تعالى « اقتربت الساعة[1] » قال : و عنده علم الساعة ، سميت بها لسرعة حسابه و قيل الساعات التي هي القيامة ثلاثة الساعة الكبرى و هي بعث الناس للمحاسبة و هي التي أشار اليها النبي صلى الله عليه و آله بقوله : لا يقوم الساعة حتى يظهر الفحش و التفحش و حتى يعبد الدرهم و الدينار .

و الساعة : و هي موت أهل القرن الواحد و ذلك نحو ما روى أنه رأى عبد الله بن انيس فقال إن يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى يقوم الساعة فقيل أنه آخر من مات من الصحابة و الساعة الصغرى و هي موت الانسان فساعة كل انسان موته و هي المشار اليها بقوله حتى اذا جائتهم الساعة بغتة . الحدوّ : سوق الابل و الغناء لها يقال حدوت الابل حدوا او حداء و يقال للشمال حدواء لأنها يحدوا السحاب أي تساقه .

لحقه ولحق به لحاقا : بالفتح أي أدركه و ألحقه به غيره و ألحقه

---

[1] القمر : ١ .

بمعنى و لحق لحوقا أى ضمر : الأول هو الذى يترتب عليه غيره و يستعمل على أربعة أوجه .

الأول المقدم بالزمان كقولك على عليه السلام أول ثم جعفر عليه السلام .

الثانى التقدم بالرتبة كقولك الملك أول ثم الوزير .

الثالث التقديم بالمكان كقولك للخارج من فارس الى تبريز اصفاهان أول ثم قاشان للخارج من تبريز الى فارس قاشان أول ثم اصفاهان .

الرابع التقدم بالصناعة كقولك الاساس اول ثم البناء و هنا قسم آخر يقال له التقدم بالذات كقولك حركة الأصبع أول ثم حركة الخاتم و يقال للأول فى الاقسام آخر ، و هنا أراد التقدم و التأخر الزمانين يقال : برز الرجل أى فاق على أصحابه و برزت الشىء تبريزا أى أظهرته و بينته غور كل شىء قعره يقال فلان بعيد الغور و الغور المطمئن من الأرض .

انقع بالقاف من نقع الماء العطش نقعاً و نقوعاً أى سكنه فى المثل الرشف أنقع أى ان الشراب الذى يترشف قليلا قليلا أقطع للعطش و انجع و ان كان فيه بطوء النطفة لفظ مشترك بين معنيين احديهما الماء الصافى قلّ أو كثر و الجمع النطاف ، و الثانى ماء الرحل و الجمع نطف و قوله أنقع قرينة معينة لأن المراد الاول .

(الاعراب)

يحدوكم : يحتمل أن يكون صلة لموصول قد حذف تعويلا على القرائن الحالية المعينة تقديره الساعة التى يحدوكم و أن يكون خبر مبتداء

بمعنى

قد حذف لان الظاهر يشعر به و هو أنسب بالمقام و يلحقوا بجزوم على أنه جواب الأمر .

(المعانى)

انما صدر الجملتين بأن لتحقق مضمونها فى أذهان المخاطبين الباقين فى التردد المقصرين المهمل بما هو مقتضاهما ثم قطع تحدوكم ليؤذن بالتحليل و حذف المسند إليه إما لأن الخبر لا يصلح الا له حقيقة او ادعاء أو للتعليل على شهادة العقل و انما ينتظر القصر للقلب على تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين المعتقدين خلافه و اشتمال الكلمات الأربع على الايجاز الذى هو فن عظيم القدر من البلاغة اظهر من البيان .

(البيان)

فى أن ورائكم الساعة : استعارة تخييلية مكنى بها عن أنهم يفرون من الموت و يسبقون عليه و الموت يتأخر عنهم يطلبهم تأخر المهروب منه من الهارب مستدعية لتشبيه تأخر الموت عن وجود الانسان و لحوقه إليه لحوقا طبيعيا عقليا بتأخر المهروب منه اللاحق بالهارب لحوقا حسياً و وجه الشبه اشتراكهما فى التأخر و تخييل أن التأخر العقلى من أفراد التأخر الحسى و انما ذهبنا الى هـذا التشبيه لأن لفظه الوراء موضوعة للجهة المحسوسة .

و فى يحدوكم : استعارة تخييلية مكنى بها عن أن الموت يقودهم الى الآخرة التى هى المقصد الاصلى لكل قسمة على غفلة منهم مستدعية لتشبيهين

أحدهما تشبيه الموت و هو معقول بالحادى للابل و هو محسوس ، و وجه الشبه أن الموت ذكره خامل للنفوس الانسانية على قطع عقبات طريق الآخرة و مزعج لها كما أن الحادى . . . .[1] يحمل الابل على قطع الطريق البعيدة الوعرة و هو عقلى الثانى تشبيه الناس المخاطبين بالابل وهما محسوسان :

و وجه الشبه اشتراكهما فى حصول الغفلة عما يتعلق بصلاح حالهما من رعاية البدن عن التعب الكثير و حدهما فى السير لاشتغالهما باهوال الموت و الحداء السائقين ، و يحتمل أن نقول أن الساعة عبارة عن الزمان و حينئذ يكون استعارة تخييلية مكنيابها عن سرعة لحوقهم الى الموت الذى هو غايـــة كل سالك فى طريق الآخرة مع غفلة منهم مستدعية لتشبيه الزمان بالحادى .

و وجه الشبه أن الزمان يسيربهم و يمنيهم التسويف و يذهلهم عن أحوال نفسهم كما أن الحادى يسيربها و يشغلها عن مراعاة نفسها بعنايـة و هو عقلى و هو جيد .

فى تخففوا : استعارة تخييلية مكنى بهـا عن الأمر بالزهد الحقيق الذى هو تنحية كل ما سوى الحق عن درجة الأعتبار مستدعية لتشبيه هيئة الأعراض الحاملين للأوزار المانعة من الصعود الى درجات الأبرار الملتفتين الى طيبات الدنيا التى هى كالأحمال الثقيلة على القلب المتوجه الى المقصد الاصلى عن لذاتها بالكلية . و حذف كل شاغل عن درجة الأعتبار و هى معقولة بهيئة تخفيف الحامل للاشياء الثقيلة المانعـــة اياه السير فى الطريق النافذة الى مقصده الأصلى و هى محسوسة .

---

(١) كذا بياض فى الأصل .

و جه

وجه الشبه أنّ الهيئة الأولى معينة على قطع عقبات الاخرة على أسرع زمان و أقرب دوران كما أنّ التحفيف معيّن له على قطع الطريق و عقلى و ستعرف تمام الكلام فيه فى الفحوى، فى فانما ينتظر بأولكم آخركم أستعارة تخييلية مكنى بها عن أن الذين درجوا أو لا ينتظرون وصول الباقين بموتهم إليهم ليجمعهم البعث الأكبر فى مجمع واحد مستدعية لتشبيه طلب الحكمة الآلهية وصول جميع الخلق إلى غايتهم و هو معقول بانتظار قوم أرادوا وصول أو اخرهم إلى أوائلهم و وجه الشبه اشتراكهما فى الأرادة و الطلب .

(البديع)

راعى فى أمامكم و ورائكم : المطابقة و كذا فى أولكم و آخركم .

الفحوى

اعلم أنّه عليه السلام أدرج معانى جمّة و مواعظ حسنة و حكما بالغة فى كلمات أربع يسيرة وجيزة و هى فى الحقيقة ألطف العبارات و أبلغ الأشارات الأولى قوله : فأن الغاية أمامكم ، اعلم أن الغاية من خلق الانسان هى أن يعبد الله تعالى و يعرفه و يرتقى من مدارج الحيوانية إلى معارج الانسانية و يحصّل الحيوة الابدية و السلامة الباقية و يعدّ نفسه لأن ينخرط فى سلك السابقين المقرّبين الذين لا يكون انسهم إلا بذكر الله تعالى و لـمّا كانت الغاية من كلّ ذى غاية متأخر عنه و كان ذو الغاية متوجها إليها كانت الغاية قدام الشىء فيكون الغاية من خلق

الانسان امامه .

فمن أقبل إلى الطريق المسلوك إليها و شمّر الذيل مجدا فى سلوكها فقد قاربها و حصل له درجات الأبرار و من أعرف عن السير فيها أو توانى فيه أو سلك سبيلا غير مسلوك إليها فقد خسر خسرانا مبينا و اتصل بدار البوار و الى تلك الغاية أشار بقوله تعالى: و ما خلقت الجن و الانس ليعبدون[1] ، و دل بهذه أن كل من لم يتوجه إليها لم يكن له خلاق من الانسانية و لا شرف .

و ذلك لأن كل ما أوجد لفعل و غاية فمتى لم يوجد منه ذلك الفعل كان فى حكم المعدوم ، و لذلك يسلب كثيرا ما عن الشيء اسمه اذا وجد فعله ناقصا لقولهم للفرس الردى ليس بفرس و للانسان الرذل ليس بانسان ، و يقال أيضا فلان لا عين له و لا سمع اذا بطل فعل عينه و اذنه و أن كان شحمهما باقيا ، و لهذا نفى السمع و البصر و النطق عن الكفار حيث لم يعملوها فى مواضعها .

و قال : صم بكم عمى فهم لا يرجعون[2] . فالانسان يحصل له الانسانية بقدر ما يحصل له القرب من الغاية فمن قام بالعبادة حق العبادة فقد استكمل الانسانية و من رفضها فقد انسلخ منها فصار حيوانا دون الحيوان كما قال فى حق الكفار إن هم إلا كالانعام بل هم اضل سبيلا[3] ، و قال إن شرا الدواب ـ الآية و أخرج كلامهم من جملة البيان فقال : ما كان صلوتهم عند البيت الامكاء و تصدية[4] . و الكلام فى هذا المقام طويل فليقتصر على ما

(١) الذاريات : ٥٢ . (٢) البقرة : ١٨ (٣) الفرقان : ٤٤ (٤) الانفال : ٤٥ .

أوردناه فانه كاف لمن تيسر له و لا ينتفع بالاكثر منه من يعسر عليه .

الثانية قوله : و أن وراءكم الساعة أى و إن الموت الذى كتب عليكم و انتم تفرون منه فرار الشاة من الذئب يكون متاخرا عنكم تأخرا عقليا متواريا عنكم يوم و روده فلا ينبغى لكم أن تشتغلوا إلا بالتهية لاسباب القرب منه ولا تضيعوا أعماركم فى طلب اللذات الفانية التى لا يبقى لكم بعد وصول الموت و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله لعبد الله بن عمر : اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء و اذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالمساء و إذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح و خذ من حيوتك لموتك و من صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غداً .

قال سلمان الفارسى رضى الله عنه و نعم ما قال : ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى مؤمل الدنيا و الموت يطلبه و غافل و ليس بمغفول عنه و ضاحك لا يدرى أساخط عليه رب العالمين أم راض عنه وتحد و كم[1] قد عرفته .

الثالثة قوله : تخففوا تلحقوا أى اقطعوا العلائق الدنيوية و خففوا ظهور قلوبكم عن أثقال الاوزار المانعة من السير فى سبيل الله واحدموا الشواغل[1] عن قبالة أعينكم و وجهوا وجوه قلوبكم نقية من أدناس التعلقات الخارجية إلى القبلة الحقيقية التى امروا بالتوجه إليها لتلحقوا بالدرجات الابرار السابقين الواصلين إلى ساحل عزته النابذين كل ماله فى الوجود العارضى وراء ظهورهم غير ناظرين الا إلى وجوده الباقى السرمدى الذى

---

(١) كذا فى الأصل .

هو ينبوع كل وجود .

فان سبب وصولهم ليس الا التخفيف و ذلك لأن الفيض الالهى لا يحل فيه و انما المانع من بد وأثره عدم استعداد النفس الأنسانية فاذا استعدت بقطع العلائق و التوجه اليه بالـكلية أشرقت عليها شموس المعارف الآلهية و أجرى فى أودية القلوب ينابيع الحكمة على ما ينبىء عنه قول النبي صلى الله عليه و آله من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحـكمة من قلبه على لسانه و الى هذا الأمر أشار صلوات الله عليه بقوله نجا المخفون و هلك المثقلون .

قال بعض الشارحين : من و قعت سفينته فى لجة البحر و هبت الرياح العواصف و اضطربت الأمواج فلا بدّ له من التخفيف و القاء الامتعة فى الماء حتى ينجو لأن النجاة فى تلك الحال أبعد من الهلاك و قلب المؤمن أشد اضطرابا من السفينة و أمواج التخيلات و التوهمات أعظم التطاما من أمواج البحر و التخفيف الحقيق هوخلو القلب من حب الدنيا و الأهل و المال و جميع الشهوات و هو عين ما قلناه غير أن فيه تشبيها لطيفا .

الرابعة قوله فانما ينتظر بأولكم آخركم : هذا تحريص على الجدّ فى التخفيف المأمور بـه و ذلك لأن من علم أنه منتظر للسابقين الذين مأتوا أولا و لا يدرى من أى وقت يصل إليهم استعدّ دائما لورود الموت الذى يقطـــع انتظارهم و لا يشتغل بغير أسبـابـه ، و قد عرفت تمام الكلام فيه .

اعلم أن هذه ألفاظ يسيرة فى الوجازة هى أعلام عل النّـار

و مواعظ

و مواعظ حسنة تسوق المستمعين الى الأذعان و حكم بالغة يجرى فى القلوب مجرى الماء فى عروق الأغصان لو تليت على الحجارة لانفجرت منها عيون الماء أو على الكواكب لا نتثرت من آفاق السماء ميسرت [1] نواصعها الا فى أذهان البلغاء ولا يتغلغل ركابها الا فى أفكار الفصحاء وكفى بما أورد السيد رضى الله عنه فى مدحه .

اعلم أنه راعى فى قوله: ما أنقع نطقتها من حكمة استعارة تخييلية مرشحة مستدعية لتشبيه الحكمة المشتملة هى عليها بالمآء الصافى و وجه الشبه اشتراكهما فى الصفاء و افتقار الخلق إليهما و أن الحكمة مادة للحيوة الأبدية الباقية كما أن المآء الصافى مادة للحيوة الدنيوية و رشحها بذكر أنقع و الباقى ظاهر .

(١) كذا .

* * * * *

٢١ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ. لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ. وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا. وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ؛ فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ! يَرْتَضِعُونَ أُمًّا قَدْ فَطَمَتْ وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ!! يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي! مَنْ دَعَا؟ وَإِلَامَ أُجِيبَ؟ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ؛ فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ، وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ، وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ! وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ، هَبِلَتْهُمُ الْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

(اللغـــة)

ذمرته ذمره ذمرا : أى حثثته و تذامر القوم أى حث بعضهم بعضـا هذا على رواية التخفيف و هى الأشهر ، أما على الرواية الأخرى و هى التثقيل فيحتمل أن يكون من التذمير التشجيع و هـو من الذمر و هو الرجل الشجاع و أن يكون من تذمر إذا غضب و يكون معناه اغضب و الأول أليق ، الجلب : الجماعـة الرفيعـة أصواتهـم من الزحام و أصله من جلب على فرسه يجلب بالضم جلبا إذا صاح به من خلفه و استحثه ليسبق .

العود : الرجوع إلى الشيء بعـد الانصراف عنـه إما بالذات أو بالعزيمة و القول و الرجوع و العود إلى ما كان منه البدوّ و تقدير البدء مكانا كان أو فعـلا أو قولا و بذاته كان رجوعه أو بجزء من أجزائه فيكون الرجوع أعم من العود فقال عاد إليـه يعود عودة و عودا و فى المثل العود أحمد و المعاد المصير و المرجع و الآخرة معاد الخلق .

رجع نفسه يرجع رجوعا : و رجعه غيره و هنا قد استعمله لازما النصاب و المنصب الأصل ، يقال جعلت كذا أجعله جعلا و مجعلا و هو لفظ عام فى الأفعال كلهـا و هو أعم من فعل و صنع و سائر أخواتهما و يستعمل على خمسة أوجه :

ا ـ استعمل مقام طفق فلا يتعدى نحو جعل زيد يقول كذا .

ب ـ استعمل استعمال أوجد فيتعدى إلى مفعول و أحد نحو قوله تعالى : « و جعل الظلمات و النور[1] » .

---

(١) الانعام : ١ .

قوله تعالى : « و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة » .

ج ـ فى اتخاذ شىء من شىء و تكوينه منه نحو قوله : و جعل لكم من نفسكم أزواجاً .

د ـ فى تصيير الشىء على حالة دون حالة فيتعدى إلى مفعولين نحو جعله نبيا أى صيره و نظيره قوله تعالى : « الذى جعل لكم الأرض فراشا[1] » .

هـ ـ الحكم بالشىء على الشىء حقا كان أو باطلا .

أما الحق فنحو قوله تعالى : و جعلوا لله مما ذراء من الحرث و الأنعام نصيبا[2] ، و أما الباطل فنحو قوله تعالى : « و يجعلون لله البنات[3] » .

و هنا هذا القسم بين : موضوع للخلل بين الشيئين و وسطهما و لا يستعمل بين إلا فيما كان له مسافة نحو بين البلدان أو عدد ما اثنان فصاعدا نحو بين الرجلين و بين القوم و لا يضاف إلى ما يقتضى الوحدة إلا إذا كرر نحو : و من بيننا و بينك حجاب . و نحو قوله عليه السلام : بينى و بينهم نصفا ، و يقال هذا الشىء بين يديك أى متقدما لك و يقال هو بين يديك أى قريب منك ، النصف مشترك بين أحد شق الشىء و النصفة و هو الاسم من الانصاف قال الفرزدق[4] :

(١) البقرة : ٢٢ . (٢) الانعام : ١٣٤ . (٣) النحل : ٥٧ .

(٤) أبو فراس همام بن غالب الشاعر المشهور كان أبوه من أجلة قومه سيد بادية تميم و له مناقب مشهورة و محامد مأثورة ، و الفرزدق صاحب القصيدة المعروفة فى مدح الامام على بن الحسين عليهما السلام وهذه القصيدة ذكرها أبو الفرج فى الاغانى و ابن خلكان فى وفيات الأعيان .

و لكن نصفا لو سببت و سبني　　　بنو عبد شمس من مناف و هاشم

و الانصاف فى المعاملة العدالة و ذلك أن لا يأخذ من صاحبه من المنافع إلا مثل ما يعطيه و لا ينيله من المضار إلا مثل ما يناله و الانتصاف و الاستنصاف طلب النصفة . سفكت الدم والدمع أسفكه سفكا أى هرقته . يقال ولى الرجل البيع ولاية أى تقلده و أصل ولوه وليوه استثقلت الضمة على الياء ، فحذفت كسرة اللام و ابدلت منها الضمة ليناسب الواو ، التبعة ما يلحق الانسان من درك الحجة البرهان يقال حاجه يحجه أى غلبه بالحجة . الامّ بازاء الأب و هى الوالدة القريبة التى ولدته و البعيدة التى ولدت من ولدته و يقال لكل ما كان أصلا لوجود شىء أو تربيته أو أصلا أو مبدئه أمّ .

قال الخليل : كل شىء ضم إليه سائر ما يليه يسمى أما قال تعالى : « و انه فى أم الكتاب » أى اللوح و ذلك لكون العلوم كلها منسوبة إليه و متولدة منه و قيل : الفاتحة أم الكتاب لكونه مبدأ الكتاب ، و قيل لمكة أم القرى : و ذلك لما روى ان الدنيا دحيت من تحتها ، الاباء شدة الامتناع فكل إباء امتناع و ليس كل امتناع إباء قال الله تعالى : يأبى الله الا أن يتمّ نوره ، أعطاه يعطيه مالا ، أعطاه أى أناله و يتعدى إلى مفعولين و الاسم العطاء .

قد حد السيف يحد حدة : أى صار حدا و حادا و سيوف حداد و ألسنة حداد و الحدة ما يعترى الانسان من الغضب تقول حددت على الرجل أحدّ حدة و حدّا عن الكسائى : برز الرجل يبرز بروزا خرج

و أبرزه

و أبرزه غيره البراز و المبارزة فى الحرب ، الطعان المضاربة بالرمح الطعن الضرب بالرمح و بالقرن و ما يجرى مجراهما . الجلاد المضاربة بالسيف يقال يجالد القوم بالسيوف وأصله من جلده الحد جلدا أى ضربه و أصاب جلده.

هبل : أى نكل و النكل و الثكل فقدان المرأة ولدها و الهبول المرأة التى لا يبقى لها ولد و النكول التى ثكلت ولدها يقال هددت فلانا و تهددته إذا زعزعته بالوعيد ، الرهبة والرُهب والرَهب : مخافة مع تحرز و اضطراب قال مقاتل : خرجت التمس تفسير الرهب فلقيت اعرابية و أنا آكل فقالت تصدق على فملأت كفى لأدفع إليها فقالت ههنا فى رهبى أى كمى و الترهيب التخويف و الترهب التعبد و هو استعمال الرهبة و الرهبانية غلو فى تحمل التعبد من فرط الرهبة .

(الاعراب)

مفعول فطمت محذوف دل عليه سياق الكلام أى فطمتهم ، خيبة مصدر اقيم مقام اسم الفاعل و هى فى التقدير نعت للداعى أى الداعى الخائب ثم أتى بالمصدر و جعله مضافا الى الموصوف لأنه المقصود بالذكر و ليعلم من أول النظر ان دعاءه لا ينال ما طلب و مفعول ما لم يسم فاعل اجيب ضمير عائد إلى الداعى و إلى من تتمة أجيب و ما استفهامية تقديره إلى أى شىء أجيب هذا الداعى .

اعلم أنّ أن على أربعة أوجه الداخلة على الفعلين الماضى و المستقبل و يكون ما بعده فى تقدير المصدر و ينصب المستقبل نحو أعجبنى ان تخرج و ان خرجت أن خروجك

(١) كذا .

ب ـ المخففة من الثقيلة نحو أعجبنى أن زيداً منطلق .

ج ـ المؤكدة نحو قوله تعالى : « لما أن جاء البشير » .

المفسرة لما يكون بمعنى القول نحو : ان امشوا و اصبروا ، و هنا هى المفسرة اذ يعينهم بمعنى القول و ابرز أمر و كذا أصبر و روى ان ابرز و ان اصبر بفتح الزاء و الراء على أن ناصبة جاعلة للفعل فى تقدير المصدر و الأولى أشهر الواو فى قوله وما اهدد بالحرب للحال و كان تامة بمعنى و الله لقد ثبت من أول عمرى الى الآن حال كونى غير مضطرب بالوعيد بالحرب ولا خائف من الضرب .

(المعانى)

انما صدر عليه السلام اكثر الجمل بأنّ و حرف القسم و اللام الكلام انما ساق على المنكرين لمضمونها قوله : هم سفكوه أفاد القصر للافراد اذا الكلام مع من نسبه الدم إليه وحده و نفى عن غيره و الا عندهم أيضا للقصر للافراد انما قطع يرتضعون عما قبله ليؤذن بتعليل مضمون الجملة السابقة عليه من دعا : استفهام على سبيل الانكار و التحقير و كذا ما اجيب وحد السيف : الحد مصدر كان فى التقدير وصفا للسيف بمعنى حاد ثم قدم على الموصوف جعله مضافا الى السيف للاهتمام بشأنه و لأنه المقصود بالذكر و اشتمال اكثر هذا الكلمات على الايجاز الذى هو من أعلى افانين البلاغة أبين من البيان .

(البيان)

فى يرتضعون أما قد فطمت : استعارة مكنى بها عن إثارة الفتن التى

انخمدت بمكان رسول الله صلى الله عليه و آله و عن التماسهم منه عليه السلام أن يخصصهم بالصلات من ثلث المال و يفضل بعضهم على بعض مستدعية على الأول لتشبيهات أربعة .

الأول تشبيه رسول الله صلى الله عليه و آله بالامّ و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى احتياج الفروع الى تربيتهما .

الثانى تشبيه الذين أسلموا بالأولاد و هما أيضا محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى احتياج الحاصل لهم الى الرسول و الامّ ليطلعوا على ما به صلاح معادهم و معاشهم .

الثالث تشبيه هيئة دعوة الرسول اياهم الى ما ألف بـه نفوسها و انقطعوا بسبب اشتغالهم بما دعاهم إليه عما كانوا عليه قبلها من العقائد الفاسدة و الخيالات الباطلة بهيئـة قطع الامّ أولادها المرتضعين عن الارتضاع باشتغالهم بالمالوفات المحددة من المآكل الطيبة و وجه الشبه اشتراكهما فى قطع الاطماع عما كانوا عليه و هو عقلى .

الرابع تشبيه هيئة إثارتهم الفتن التى قد تولوا عنها بهيئة طلب الأولاد المفطومين من اللبن : و وجه الشبه اشتراكهما فى طلب ما قطعت أطماعهم عنه ، و على التقدير الثانى أيضا يستدعى تشبيهات أربعة تشبيه نفسه عليه السلام أو الخلافة بالام و وجه الشبه ما عرفت ، و الباقية معلوم مما ذكرنا .

(البديع)

بين حزبه و جلبه المتوازى و بين أوطانه و نصابه المطرف ولو قلنا انه المتوازن لكان أولى و بين تركو و سفكوه المتوازن و الترصيع ،

و قد راعى فى كفى به شافيا المطابقة حيث طابق الباطل بالحق و بين الطعان و الجلاد المطرف و بين الحرب و الضرب المتوازى و الترصيع .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام نفر أصحاب الجمل عما كانوا عليه من التشبث بالشبهة الباطلة التى أخذوبها قوله ألا و ان الشيطان الى نصابه قد عرفت تفسيره فيما سبق فلا يحتاج هنا الى الاعادة و فى ليعود : أشارة الى أن المذاهب الباطلة و العدول عن الطريق قد زالت مفارها بمقدم الرسول عليه السلام و يحث الشيطان حزبه على إثارة الفتن و المحاربة تعود الى مقارها و ترجع الى الحالة التى كانت عليها قبل مبعث الرسول عليه السلام .

و فى هذا تنفير السامعين عن مخالفته و جذب لهم الى موافقته ثم دل على ما ادعوه من تخلفه عن عثمان أنه منكم و أنكروا عليه بسببه ليس بمنكر بل المنكر انكارهم عليه بقوله ما أنكروا على منكرا الدال بالمطابقة على انكارهم المنكر و ان زعموا أنه منكر و بالالتزام على أنهم قد أقدموا على منكر و هو انكارهم ما ليس بمنكر .

ثم نبههم على أنهم لوعملوا بالعدل و عرفوه لعلموا أن دعواهم باطلة كاذبة بقوله ولا جعلوا بينى و بينهم نصفا ، قوله و إنهم ليطلبون حقا الى سفكوه أى أنهم ليطلبون حقآ منى هو دم عثمان ما تركه الأمم ، فلا ينبغى أن يطلبون منى مافات بسببهم ، روى ابو جعفر الطبرى أن عليا عليه السلام فى عثمان فقدم المدينة و الناس يجتمعون على طلحة فى داره فبعث عثمان إليه يشكو من طلحة فقال عليه السلام أنا اكفيكه فانطلق

دار طلحة و هى مملوة بالناس .

فقال له : ياطلحة ما هذا الأمر الذى صنعت بعثمان فقال طلحة يا أباالحسن بعد أن مس الحزام الطبيين فانصرف على عليه السلام الى بيت المال فأمر بفتحه فلم يجدوا المفتاح فكسر الباب و فرق ما فيه على الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقى وحده فسرّ عثمان وجاء طلحة الى عثمان فقال له يا أمير المؤمنين انى أردت أمرا فحال الله بينى و بينه جئتك ثانيا قال عثمان و الله ما جئت ثانيا و لكن جئت مغلوبا الله حسبك يا طلحة .

روى أبو جعفر أيضا أنه كان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفا فقال له طلحة يوما قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هولك معونة على مروّتك فلما حضر عثمان قال على عليه السلام لطلحة انشدك الله الا ..(1) عن عثمان فقال: لا و الله حتى يعطى بنو أمية الحق من أنفسها و كان على عليه السلام يقول بعد ذلك لحا الله ابن الصعبة أعطاه عثمان ما أعطى و فعل ، و بالجملة فدخولهم فى قتل عثمان ظاهر معلوم لمن مارس كتب التواريخ و طالعها .

و هذا توطئة لتقرير الحجة عليهم و هو أنهم قد دخلوا فيه وكل من دخل فى أمر فلا يخلو من أن يكون بالانفراد أو بالشركة لا غير و على التقديرين ليس أن يطلبوا دمه و أشار الى القسم الثانى بقوله فلئن كنت الى منه أى لئن كنت شريكهم فى هذا الدم فان لهم لنصيبهم من الدم المطلوب بالضرورة فعليهم أن يبدؤا ، بتسليم أنفسهم الى أوليائه .

(1) كذا بياض فى الأصل .

أشار الى القسم الاول بقوله : و لئن الى عندهم أى لئن تقلدوا هذا الأمر من غير مشاركة فالطلب لا يتأتى إلا منهم فلا ينبغى لهم أن يطلبوا من غيرهم ثم اكد مضمون هذه الحجة بقوله : و ان أعظم حجتهم لعلى أنفسهم لكون دخولهم فيه أمرا بينا لا يدفع و مكشوفا لا يتقنع ثم دل على أنّ مطلوبهم من هذا الأمر ليس دم عثمان بل أثارة الفتن التى نامت بمقدم رسول الله صلى الله عليه و آله واحياء البدع و الأهواء الباطلة التى اندرست بظهور دعوته عليه السلام بقوله يرتضعون الى امّيتت و قد عرفت الاحتمال الآخر .

ثم عجب من عظيم خيبة الدعاة الى قتاله بقوله يا خيبة الداعى و استحقر المدعوين لقتاله و استفهم منهم على سبيل الاستهزاء السخرية بقوله من دعا أى ليس المدعون الا أعوام الناس الذين جعلوه ذريعة الى قتاله عليه السلام بقوله و الى ما اجيب . ثم دل على رضائه بمقتضى حجة الله عليهم و علمه بما يصنعون بقوله و أنى لراض الى فيهم و حجة الله تعالى عليهم هى الأوامر الصادرة عن الله الآمرة بقتال البغاة مثل قوله تعالى « فان بغت احديهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله[1] » و حاصل المعنى يرجع الى أنه راض بترك مقاتلتهم و رجوعهم عما كانوا يطلبون منه و عفوه عنهم بسبب ما نسبوه إليه و تفويضه الى امر الله تعالى و علمه بحالهم .

قوله فان إلى للحق : أى أن امتنعوا من الرجوع و ثبتوا على الباطل

(١) الحجرات : ٩ .

أعطيتهم حد السيف أى اقاتلهم قتالا شديداً بحيث يستقيم أودهم وكنى بالسيف شافيا من داء الباطل و ناصرا للحق ، ثم تعجب من حالهم حيث هددوه الحرب و طلبوا منه المطاعنة مع علمهم بحاله عليه السلام فى الشجاعة و تحمله فى المكاره بقوله و من العجب الى للجلاد : قوله هبلتهم الهبول دعاء يدعوا به العرب على من تصور أمرا عجيباً من نفسه أى ثكلتهم الثواكل .

أشار الى عدم مبالاته بالحرب و شدة قيامه بالضرب و جذب السامعين الى موافقته بقوله و انى على يقين من ربى أى أنى ثابت مستقر على اليقين الذى لا يحوم حول حماه ريب و حصل من ربى بلا واسطة و ليس لى شبهة على دينى و هذا تعريض بحالهم بأنهم ليسوا مستقرين بالحق ولا ضالين عن الشبهة فى الدين ـ و الله اعلم .

• • • • •

٢٣ — ومن خطبة له عليه السلام

أمَّا بعـــدُ فإنَّ الأمرَ ينزلُ من السَّماء إلى الأرض كقطرات المطر: إلى كُلِّ نفسٍ بمـا قُسِمَ لها من زيادةٍ ونقصانٍ، فإذا رأى أحدُكُم لأخيـه غفيرةً في أهلٍ أو مالٍ أو نفسٍ، فلا تكونَنَّ له فتنةً ؛ فإنَّ المرءَ المسلمَ ما لم يغشَ دناءةً تظهرُ فيخشعُ لها إذا ذُكِرَتْ، وتُغرى بها لئامُ النَّاس ؛ كان كالفالج الياسر الَّذي ينتظرُ أوَّلَ فوزةٍ من قداحه توجبُ له المغنمَ، ويرفعُ بهـا عنه المغرمُ، وكذلك المرءُ المسلمُ البريءُ من الخيانة ينتظرُ من الله إحدى الحسنيين إمَّا داعيَ الله فمـا عند الله خيرٌ له، وإمَّا رزقَ الله فإذا هو ذو أهلٍ ومالٍ، ومعه دينُه وحسبُه، إنَّ المالَ والبنين حرثُ الدُّنيا، والعملَ الصَّالحَ حرثُ الآخرة، وقد يجمعُهما الله لأقوامٍ، فاحذروا من الله ما حذَّركم من نفسه، واخشوه خشيةً ليست بتعذيرٍ، واعملوا في غير رياءٍ ولا سُمعةٍ ؛ فإنَّه من يعمل لغيـر الله يكلْه الله لمن عمل له. نسألُ الله منازلَ الشُّهداء، ومعايشةَ السُّعداء، ومرافقةَ الأنبيـاء.

أيُّها النَّاسُ إنَّه لا يستغني الرَّجلُ، وإن كان ذا مالٍ، عن عشيرته، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظمُ النَّاس حيطةً من ورائه، وألمُّهم لشعثه،

وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ . وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُوَرِّثُهُ غَيْرَهُ

(اللغــــة)

الأمر : الشأن و جمعه أمور و مصدر أمرته اذا كلفته أن يفعل شيئاً و هو لفظ عام شامل للأفعال و الأقوال كلها و عليه ورد قوله تعالى : « إليه يرجع الأمر كله[1] » و يقال للابداع أمر و عليه ورد قوله تعالى : « ألا له الخلق و الأمر[2] » و هو يختص بالله تعالى دون غيره و عليه حمل قوله تعالى : « انما أمرنا لشيء » . الآية فيعتبر عن . . .[3] بأقصر لفظ أبلغ ما يقدم به بيننا يفعل الشيء و يقال لحكم القدرة الالهية على الممكنات فى الأزل بما يمكن ان يكون لكل منها بحسب استعداده و عليه ورد « و اوحى فى كل سماء أمرها[4] » و هنا أراد المعنى الثالث .

القطر : المطر و القطار أيضا جمع قطرة و أيضا مصدر لقولك قد قطر الماء و غيره يقطر و قطرته إما يتعدى ولا يتعدى و هنا الاضافة الى المطر عينت المعنى الثانى ، القسم اقر اذا النصيب[5] .

يقال قسمت كذا قسما .

الغفير : الزيادة و الفضل يقال ما فيهم غفيرة أى فضل يحملهم على المغفرة الذنوب ، و الغفر فى الأصل التغطية و لأن الزايد على الشيء ساتر له يقال الغفر .

و روى عفوة و العفوة : الخيار من الشيء يقال اكلت عفوة الطعام

---

(١) هود : ١٢٣ .　(٢) الاعراف : ٥٤ .　(٣) كذا بياض .

(٤) فصلت : ١٢ .　(٥) كذا

أى

أى خيارها و العفوة مثل الصفوة .

أهل الرجل : من يجمعه و اياهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما من صناعة و بيت و بلد : فأهل الرجل فى الأصل من يجمعه و اياهم مسكن واحد ، ثم تجوز به فقيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه و اياهم نسب و يعرف فى اسرة النبى عليه السلام اذا قيل أهل البيت و عبر بأهل الرجل عن أمراته

يقال غشه يغشاه غشيانا : أى جاءه و أغشاه اياه غيره .

الدناءة : الخساسة و الحقارة و الدنى بالهمز الدون الخسيس .

الخشوع : و الخضوع بغض الطرف و التطامن فى أصل الوضع يقال خشع خشوعا أى خضع ثم كثر استعماله فى الضراعــة فى القلب لله تعالى ، و قد روى اذا خشع القلب خشعت الجوارح .

يقال غرى بالأمر يغرى : أى أولع به و لهج و الاسم الغراء بالفتح و المد و أصل ذلك من الغراء بالكسر و هو ما يلصق به و أغريت فلانا بكذا أى ألهجت به .

قال تعالى « و أغرينا بينهم العداوة و البغضاء[1] » .

اللئام : جمع لئيم و هو الذى اكتسب نفسه أمرا خسيسا استحق به الملامــة ، .

السهم الفالج : الفائز من الفلج يقال قد أفلج الرجل على خصمه يفلج فلجا و أفلجه الله عليه : و الاسم الفلج بالضم .

(١) المائدة : ١٤ .

القداح : جمع قدح بكسر القاف و هو سهم الميسر و أيضا السهم قبل أن يراش و يركب عليه نصله و يجمع أيضا على أقدح و أقاديح .

الغنم فى الأصل : اصابة الغنم و الفوز به ثم يستعمل فى كل مظفور به من جهة العدى أو غيرهم و المغنم اسم يغنم و جمعه مغانم .

المغرم : ما يصيب الانسان فى ما له من ضرر الغير جناية منه يقال غرم كذا غرما و مغرماً و الغريم يقال لمن له الدين و لمن عليه الدين و الغرام ما يصيب الانسان من شـدة و بلاء ، البرئ اسم فاعل من البراءة النزاهـة الخيانة و النفاق : واحد الا أن الخيانة يقال اعتباراً بالعهد و الأمانة و النفاق يقال اعتبارا بالدين ثم تداخلان .

فالخيانة : مخالفة الحق بنقض العهد فى السر و نقيضها الامانة يقال خنت فلانـا و خنت امانة فلان و عليه ورد قوله تعالى « لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا اماناتكم [1] » و الاختيان مراودة الخيانـــة و انما قال تعالى تختانون أنفسكم [2] ، و لم يقل يخونون لأنه لم يكن منهم الخيانة بل كان الاختيان فان الاختيان تحرك شهوة الانسان لتحرى الخيانة على ما أشار إليه بقوله : ان النفس لأمارة بالسوء .

الحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه و استحسانه اما من جهة العقل أو الهوى أو الحس أو الحسنة عبارة عن كل ما يسر من نعمة ينال الانسان فى نفسه و بدنه و أحواله و الحسنى ما يثبت الحسن و لـكن الفرق

(١) الانفال : ٢٧ . (٢) البقرة : ٨٧ .

بين الثلاثة أن الحسن يقال فى الأعيان و الاحداث ، يقال رجل حسن و علم حسن و كذلك الحسنة اذا كانت وصفا و اذا كانت اسما فمتعارف فى الأحداث و اما الحسى فلا يقال الا فى الأحداث دون الأعيان و الحسن اكثر ما يقال فى تعارف العامة فى المستحسن بالبصر و اكثر ماجاء فى القرآن للمستحسن بالبصيرة .

الخير : ما يترتب فيه الكل كالعقل و العدل و العلم و الشيء النافع و الشر ضده قيل الخير ضربان خير مطلق و هو أن يكون مرغوبا فيه بكل حال و عند كل أحد كما وصف عليه السلام به الجنة فقال لا خير بخير بعده النار و لا شر بشر بعده الجنة و خير و شر مقيدان و هو يكون خير الواجد و شر الآخر كالمال الذى يكون ربما كان خير الزيد و شر العمر .

لا يقال للمال خير حتى يكون كثيرا و من مكان طيب روى أن عليا عليه السلام دخل على مولى له فقال الا أوصى يا أمير المؤمنين قال لا لأن الله تعالى قال أن ترك خيرا و ليس لك مال كثير و الخير و الشر يقالان على وجهين احدهما أن يكونا اسمين كما تقدم نحو قوله تعالى : و لتكن منكم أمة يدعون الى الخير[1] ، و الثانى أن يكونا وصفين و يقدرهما بقدر أفعل منه نحو هذا خير من ذاك و أفضل و قوله تعالى: نأت بخير منها[2] و نحو قوله عليه السلام فما عند الله خير له .

الرزق لمعان ثلاثة العطاء الجارى دنيويا كان أو أخرويا النصيب

---

(١) آل عمران : ١٠٤ (٢) البقرة : ١٠٤ .

نحو قوله تعالى: و فى السماء رزقكم و ما توعدون [1]، و نحو قوله عليه السلام: رزق الله و يحتمل أن يكون المراد به الأولى و هو أظهر وأولى ما يصل الى الجوف و يتغذى به و قد يقال الرزق ما ينتفع به و الجمع الارزاق و بمعنى العطاء هو مصدر قولك رزقه الله الحرث كسب المال و جمعه و فى الخبر احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا و الحرث ايضا الزرع، الزرع و الحراث الزراع و قد حرث و احترث مثل زرع و ازرع و الثانى أظهر و الاول محتمل هنا.

الصلاح: ضد الفساد و هما مختصان فى اكثر الاستعمال بالأفعال و قوبل فى القرآن تارة بالفساد نحو قوله تعالى: ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها [2]، و أخرى بالسيئة نحو قوله تعالى: و خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا [3]. الحذر و الحذر التحرز يقال حذرت الشيء بالكسر فى الماضى و الفتح فى الغابر حذرا و رجل حذر و حذر أي متيقظ متحرز و التحذير التخويف. الخشية خوف يشوبه تعظيم و اكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه. قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء [4] و الخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة أو معلومة فيكون الخوف أعم من الخشية.

التعذير فى الأمر: التقصير فيه و المعذر المتهاون فى الأمر و قيل من يرى ان له عذرا ولا عذر له. العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد فيكون الفعل أعم لان الفعل قد ينسب الى الحيوانات التى يقع

(١) الذاريات: ٢٢. (٢) الاعراف: ٥٦. (٣) التوبة: ١٠٢.

(٤) فاطر: ٢٨.

منها

منها العمل بغير قصد و قد ينسب الى الجمادات و العمل قلما ينسب الى ذلك ولم يستعمل العمل فى الحيوانات الا فى قولهم البقر العوامل يستعمل فى الأعمال الصالحة و السيئة .

الرياء: اسم من أرائت الشاة أى عظم ضرعها فهى مراء ورجل مرآء و قوم مراؤن و فى العرب حقيقته طلب المنزلة بالعبادات و أعمال الخير و يقال فعلة رياء او سمعة أى ليراه الناس و يستمعوا به .

الشهدآء: جمع شهيد و الشهيد و هو فى الاصل الشاهد و المشاهد للشىء نحو قوله تعالى: معها سائق و شهيد [1]. و إختص فى العرف بالقتيل فى سبيل الله و انما سمى بذلك لحضور الملائكة اياه على ما يدل عليه قوله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا [2] و لأن أرواحهم يحضر عند الله تعالى على ما ينبىء عنه قوله تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم [3]، و قوله: و الشهدآء عند ربهم [4] .

السعادة: معاونة الامور الالهية على نيل الخير و يضادها الشقاوة يقول منه سعد الرجل فهو سعيد مثل سلم فهو سليم و سعد فهو مسعود، ولا يقال مسعد و جمع السعيد السعداء و السعادة ضربان دنيوية و اخروية و الدنيوية ثلاثة أضرب نفسية و بدنية و خارجية و أراد هنا السعيد المأخوذ من السعادة الاخروية و ان كان يحتمل العموم .

العشيرة: أهل الرجل الذين يتكثر بهم أى يصيرون له بمنزلة العدد الكامل و ذلك أن العشيرة هو العدد الكامل فصارت العشيرة اسما لكل

---

(١) ق: ٣١. (٢) فصلت: ٣٠. (٣) ال عمران: ١٤٩. (٤) الحديد: ١٩.

جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم .

و العشير المعاصر و فى الخبر أيكن تكثرن العشير أى الزوج لأنه يعاشرها و تعاشره دافع عنه و دفع بمعنى تقول دافع الله عنك السوء دفاعا ، الحيطة بالكسر الحياطة و هما من الواو و قد حاطه يحوطه حيطا و حيطة و حياطة أى كلاءة و رعاة و قد جاءت الرواية بها و الأصح الحيطة على وزن البينة . و هى اسم لـلاحاطة حفظا ، يقال : لممت الشىء أى جمعته و أصلحته .

الشعث : انتشار الأمر يقال لم الله شعثك أى جمع أمرك المنتشر ، و أيضا مصدر الأشعث أى المغبر الرأس و تشعيث الشىء تفريقه و التشعث التفرق .

العطف فى الأصل يقال فى الشىء اذا ثنى أحد طرفيه الى الآخر كعطف . . . . . (١) و الرسادة و قد يستعار للميل ، و الشفقة اذا عدى بعلى يقال عطفت عليه أى أشفقت و أعطفهم أفعل التفضيل منه و الدليل عليه تعديته بعلى .

النازلة : الشدة و المصيبة يقال فلان أصابته نازلة أى شدة و كذا يقال نزلت به نازلة .

لسان الصدق قيل الذكر الجميل بين الناس و الاولى أن نقول هو الثناء على الرجل بعده بما لم يكن المثنى فيه كاذبا بل صادقا و يكون كما قال الشاعر : .

---

(١) بياض فى الاصل .

اذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثنى و فوق الذى نثنى

و خيرهنا أيضا بمعنى أفعل من كذا .

(الاعراب)

الى كل نفس متعلق بينزل و هو مع متعلقه فى محلّ الرفع على أنه خبر أن ما فى ما لم يغش للمدة و يظهر صفة لدناءة و فيخشع عطف على يظهر إن حملنا الخشوع على المعنى اللغوى و ان حملناه على المعنى العرفى الذى هو الخشوع لله . فقيـــل الفاء للابتداء و معناه هنا بل و الأولى أن نقول جواب اذا للشرط قدم عليه للاهتمام بشأنه و يعضده وجود الواو فى قوله و تغرى بها لئام الناس .

فى تغرى روايتان التاء للتأنيث باعتبار الجمع الذى اقيم مقام فاعله و هو لئام الناس ، و التاء للتذكير باعتبار تقديم الفعل المؤنث غير الحقيقى نحو طلعت الشمس. فى بـه أيضا روايتان احديهما ضمير المذكر العائد الى ظهور الدناءة أو ذكرها الدال عليه الفعل كقولهم من كذب كان شرا له .

الثانية ضمير التانيث العائد الى لفظ الدناءة و هى أظهر درايـــة و تلك أصح رواية و كالفالج خبر و الياسر نعته .

توجب يحتمل أن يكون نعتا لفوزه و أن يكون جملة استينافيه ، داعى الله منصوب على أنه بدل من احدى ، وما فى فما موصولة و عند الله جملة ظرفية المجموع فى محل الرفع على الابتداء و خبر له و خبره ، و اذا فاذا للفاجاة و يجئ بعدها الجملة الاسمية فى الاكثر و الواو فى و معه للحال ، فى العمل الصالح روايتان .

احديهما الرفع على الابتداء و الثانية النصب أنه عـــلى اسم أن

و هو المال و ليست بتعذير نعت لخشية و فى غير رياء نعت لمصدر محذوف تقديره عملا مستقرا فى غير رياء الضمير فى أنه لا يستغنى للشأن و البـاقى واضح .

(المعـانى)

تصدير الجملة الأولى بان مع اشتماله على تشبيه المعقول بالمحسوس دال على أن المراد بايرادها رد المنكر المخطئ فى الحكم الى الصواب و أنه قد نزل المخاطبين منزلة الاغنياء الذين لا يعرفون الا المحـوسات .

الفاء فى فان للتشبيه الدالة على أن عدم الـكون له فتنة سبب لأن ينخرط فى سلك من حاز الفضيلة المشتملة عليها الجملة بعدها أو عـلى أن الـكون سبب للخروج عن سلـكهم .

تصدير قوله ان المال الى آخره بأن مع قطعه عما قبله يوذن بتعليل ما قبله و بأن المقصود بالايراد و المخطئ المتردد الى الثبات على الصواب و اشتماله على الايجاز سيما .

قوله و العمل الصالح : أيضا من البلاغة و تصدير بجمعهما الله لقد يشعر بأن اجتماعهما قليل نادر قلما يتفق ، و احذروا من الله ما حـذركم آية فى الايجاز لأنه كنى بهما عن جميع المناهى المترتب عليها الوعيد كما فى قوله تعالى : « فغشيهم من اليمّ ما غشيهم [١] » و ايراد المصدر الموصوف بعد الأمر بالخشية للدلالة عـلى تربية الفائدة و الاهتمام بشأن المامور

(٢) طه : ١١٨ .

به و اشتمال التراكيب الباقية على الخواص المعلومة من القواعد السالفة أظهر من البيان .

(البيان)

فى قوله ان الأمر ينزل : الى آخره تشبيه هيئة نزول الأمر الالهى من السماء و هى معقولة بهيئة نزول قطرات المطر و هى محسوسة و وجه الشبه اشتراكهما فى التتابع و التتالى و فى الاختلاف يعنى كما أن البقاع تختلف بكثرة اصابة المطر و قلتها كذلك النفوس الانسانية يتفاوت فى المقسوم بالزيادة و النقصان و ان حملنا السماء على غير معناها ففيه أيضا استعارة تصريحية مستدعية لتشبيه الجود الالهى و هى معقول بالسماء و هى محسوسة .

و وجه الشبه اشتراكهما فى العلو و الارتفاع و كون النازل منهما يقع على المجارى من غير تفاوت و ستعرف تمام التقرير فى الفحوى و كذا فى الارض استعارة مستدعية لتشبيه عالم الكون و الفساد بالأرض و وجه الشبه اشتراكهما فى الاسفلية و القبول .

فى قوله فان المرء المسلم : الى قوله و حسبه تشبيه للرجل الموصوف بالصفات المذكورة بالفالج الياسر و هما محسوسان و وجه الشبه ما أشار إليه بقوله و كذلك المرء الى آخره و ستعرف تمام التقرير فيه فى الفحوى و الباقى حال عما فيه طائل .

(البديع)

فان الأمر الى نقصان : راعى المطابقة حيث قابل السماء بالأرض

و الزيادة بالنقصان كما فى المغنم و المغرم و بين الشهداء المتوازى و الترصيع و بينهما و بين الانبياء المتوازن و الباقى ظاهر .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام أشار فى هـذا الفصل الى تأديب الفقراء بترك الحسد و سائر الرذائل التابعة لدناءة النفس و خساسة الهمة و ثانياً الى إرشاد الأغنياء الى بذل الفضل من الأموال للفقراء سيما اذا كانوا اقارب لهم و ترغيبهم الى اقتناء الذكر الجميل و تزهيدهم عن جمع المال لغيره ، المقصود منهما تنفرضعفآء النفوس عن الأصغاء الى معاوية و الأغترار سروسه[1] و دعوتهم الى متابعته و هنا مقصدان و قبل الخوض فى المقصود ذكر السبب الحامل له عليه السلام على إنشاء هذه الخطبة .

روى انه لما فشا فى الناس عطايا معاويـة فى أهل الشام و لم يكن عند على عليه السلام مال و لم يكن كمعوية مال . . .[2] ذلك مالت قلوب الناس الى معوية حتى استبان ذلك فى أهل العراق . . .[2] بعض القوم لئلا يلحقوا بالشـام ، فقام عليه السلام خطيبا فحمد الله و أثنى عليـه ثم قال اما بعد الى آخره .

المقصد الأول : فى تأديب الفقرآء بترالرذائل ، اعلم أنه عليه السلام مهد أولا قاعدة كلية مبينة أن كل ما يصل الى كل نفس من زيادة مال أو جاه أو خدم و حشم و ولد و نقصان فى ذلك فانه بمقتضى القسمة التى

(١) كـذا . (٢) كذا بياض فى الاصل . (٣) طه : ٥٠

(٤) الزخرف : ٣٢

تولاها بنفسها على ما ينبىء عنه قوله تعالى « اعطى كل شىء خلقه ثم هدى[1] » و قوله : « نحن قسمنا بينهم معايشهم[2] » و أثبتها فى اللوح المحفوظ فيه ما جرى و تجرى فى الكائنات بالقلم الالهى بقوله فان الأمر أى بحكم القدرة الالهية على الممكنات بالوجود المشار إليه بقوله : كن ينزل من السماء الجود الالهى إلى كل نفس بما قسم لها نزولا قد عبر عنه قوله تعالى : « و ما ينزل إلا بقدر معلوم[3] » .

و يحتمل أن يكون المراد بالسماء و الأرض حقيقتهما على معنى أن الحركات الفلكية لما كانت أسبابا معدة لما يحدث فى الأرض صح نسبة النزول إليها و إلى هذا أشار تعالى بقوله « و فى السماء رزقكم و ما توعدون[4] » و انما قدم هذه القاعدة ليبنى عليها ما هو المقصود من عقــد الفصل ، ثم لما فرغ من تمهيدها طفق عليـه السلام فى تأديب من حصل النقصان فى حقه من النفس أو المال أو الأهل بالنهى عن الانسان بما حصل لغيره من الأمور و النفاسة و قال فاذا رأى إلى فتنة .

قال بعض الشارحين : أراد بالفتنة هنا الحسد لا غير و يحتمل أن يكون المراد بها أعم و هو الضلال عن طريق الحق بالتفات نفسه إلى أحد الأمور المذكورة و الاشتغال بما لا يعنيــه و لا يهمه و يلهيه عن الاشتغال بما هو الواجب عليه أى إذا وقع نظر أحدكم على من حصلت له الزيادة فى أحدها و أنتم ممن حصل له النقصان فى أحدها فلا تعدلن عن

(١) طه : ٥٠ . (٢) الزخرف : ٣٢ . (٣) المرسلات : ٢٢ .
(٤) الذاريات : ٢٢ .

سلوك الطريق بالحسد عليه و اجعل نفسه من توابعه طمعا فى مال و غيرهما فانها امور يذهل الشاغل بأحدها عن القبلة الحقيقية التى امروا بالتوجه إليها و يضله عن الصراط المستقيم فيكون المنهى بالحقيقة الضلال المتبع للرذائل .

ثم لما نهى عليه السلام عن الافتتان بأحد الأمور المذكورة و أراد أن يشير إلى فضيلة و الانتهاء عليها أو هى إلى كون الفتنة دناءة بقوله ما لم يغش دناءة ثم أتى بتشبيه مفصح عن حال من انتهى عنه و قال عليه السلام : فان المرء إلى آخره ، أى ان المرء المذعن لأوامره تعالى بالقلب و اللسان المنقاد لها ما دام لم يرتكب أمرا خسيسا يظهر عنه فتكسب نفسه خلقا رديا و يصير نفسه ذليلا له إذ لم يذكر بين الناس من غاية الخجالة و يستحيي منه فعله إذا ذكر و يولع لئام الناس به و عوامهم فى مثل فعله .

هذا على المعنى اللغوى أما على المعنى العرفى للخشوع فمعناه ما لم يرتكب أمراً خسيساً يظهر عنه و يولع به لئام الناس و أراد بهم بأن ياتوا بمثله و يقتدوا به بل إذا ذكر بين الخلق تضرع إلى الله تعالى و يطلب الاستغفار منه و يخاف من أن نفع مثله منه مرة أخرى يفادنا عن عقابه المعد للعاصى فيكون قوله و يغرى بها لئام الناس مقدما فى التقدير على فيخشع .

أما وجه التشبيه فقد أشار إليه عليه السلام بقوله و كذلك اى كالفالج الياسر فى الصفة المذكورة المرء المسلم و بقوله البرىء من الخيانة بين

بين أن مراده بالاسلام هنا الاسلام الذى هو فوق الايمان يعنى المنقاد لأوامره المجتنب عن نواهيه بجوارحه الظاهر البرىء من مخالفة عهد الحق فى السر الذى يعلمــه إلا هو أى المصدق لما يأتى به من الأعمال بالقلب ينتظر من الله تعالى الفوز باحدى الخصلتين الخسيسين إما أن يجيب داعى الله . . . . [1] تعالى عن هذا الدنيا الدنية تقيا عن أدناس الذنوب فما عند الله مما أعده لأوليائه المقربين مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر خير له من الأمور الحاصلة له فى الدنيا من التعب و النصب.

و إلى هذا أشار تعالى بقوله : « فما عند الله خير للابرار[2] » و قوله : « و الله عنده حسن مآب » . فيفوز بالنعيم الدائم و الحيوة الأبديـة التى هى الحيوة الطيبة و إذا فاز بهما أمن من الوقوع فى الخسران بالضرورة فيكون كالفالج الياسر الذى فاز بالقدح الذى أثبت له الغنم و نفى عنه الغرم .

لو قلنا أن المراد بداعى الله الحوادث الربانيـة و السوانح الالهية التى تسنح له و تفيض على ساحة القلب حقيقة الزهد الحقيق و الالتفات عما سواه تعالى فيطلع بها على حقائق الأشياء فيهين عند ميزان عقله كل موجود سواه ، و يرى ما أعده الله تعالى للقبلين إليه المدبرين عما سواه لكان قريباً من الصواب .

و اما أن يخصه الله تعالى فى الدنيا بكثرة الرزق و يفتح عليه أبوابه فيصبح و قد فاز بالجمع بين المال الجم و البنين مع بقاء الحسب و الدين له فيفوز فى الدنيا بالمغانم الكثيرة و يأمن من العقاب الأليم المعد لأعدائه .

(١) كذا بياض فى الأصل .   (٢) ال عمران : ١٩٨ .

فيكون أيضا كالفالج الياسر و انتظار احدى الحسنيين أفضل عند من له أدنى مسكة من الافتتان بفتنة الحسد و غيره و تدنيس لوح النفس برذائل الأخلاق و كمال النهى بغليه[1] المشتملة على التشبيه يدل بالمطابقة على النهى عن الرذائل كذا يدل بالالتزام على الصبر على بلاء الله .

فان قيل الاطلاع على هذا التشبيه مسبوق بالاطلاع على كيفية اللعب بالميسر الذى نهى الله تعالى عنه فلا بد من الاشارة إليها .

فنقول أن السهام المسماة بالقداح سبعة العذ بالذال المعجمة و له فرض واحد ، التوأم و له فرضان ، الضريب بالضاد المعجمة و له ثلاثه فروض .

الحلس : بكسر الحاء فى الصحاح و فى الجمل بفتح الحاء و كسر اللام و له أربعة فروض ، النافس و له خمسة فروض ، و المنبل و له ستة فروض ، المعلى و له سبعة فروض و ليس بعد هذه السهام سهم له فرض إلا أنهم يدخلون مع هذه السبعة أربعة أخرى يسمونها أوغاد أو أسماؤها المصدر ، ثم المضعف ثم المسح ثم السفيح .

فاذا اجتمع ايسارا يجىء أخذ كل منهم قدحا وكتب عليه اسمه أو علمه بعلامته ثم أتو بجزور فينحرها صاحبها و يقسمها عشرة أجزاء ثم أتى برجل معروف بأنه لم يأكل لحما قط بثمن إلا أن يصيبه عند غيره و يسمى الحرصة فيجعل على يديه ثوب و يعصب رؤس أصابعه بعصابة لئلا يلبس الفروض ثم يدفع إليه القداح و يقوم خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع

(١) كذا فى الأصل .

إليه قدحا منها من غير أن ينظر إليها فمن خرج قدحه أخذ من أجزاء الجزور بعدد الفروض التى فى قدحه .

و من لم يخرج قدحه حتى استوقب أجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كأجزاء تلك الجزور من جزور أخرى بصاحب الجزور الذى نحرها فان اتفق أن خرج المعلى أولا فأخذ صاحبه سبعة أجزاء من الجزور ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه إلا ثلاثة أجزاء أخذها و غرم له من لم يفز قدحه ثلاثة أجزاء من جزور أخرى ، و اما الاوغاد فليس فى خروج أحدها غنم و لا غرم .

قوله عليه السلام ان المال : إلى الآخر اشارة إلى تحقير أسباب الدنيا بالنسبة إلى العمل الصالح الذى هو سبب لتحصيل ما فى الآخرة فاشار أولا إلى ما هو أعظمها و حقرها بقوله : ان المال و البنين حرث الدنيا ، و انما قلنا انهما أعظم المعيشات الدنيوية بقوله تعالى : « المال و البنون زينة الحيوة الدنيا[1] » و هذا فى تقدير قياس ضمير قد حذف كبراه تقدير القياس المال و البنون حرث الدنيا و حرث الدنيا حقير بالنسبة إلى حرث الآخرة لينتج أن المال و البنين حقيران بالنسبة إلى حرث الآخرة الذى هو العمل الصالح .

فيكون الاتيان بالعمل الصالح أولى عند العاقل من احراز المال و البنين أما الصغرى تشبيه بذاتها و أما الكبرى فللمنقول و المعقول ، أما المنقول فلقوله تعالى : « و ما متاع الحيوة الدنيا فى الآخرة إلا قليل[2] »

(١) الكهف : ٤٦ . (٢) التوبة : ٣٨ .

و قوله تعالى : « و الآخرة خير و ابقى[1] » و قوله تعالى : « انما الحيوة الدنيا لعب و لهو[2] » « و إن الدار الآخرة لهى الحيوان » و لا ريب فى أن اللعب لا مجال له فى مقائسة بما هو الواهب للحيوة الطيبة .

و اما المعقول فلأنهما من الأمور الفانية و العمل الصالح من الأمور الباقية و ما هو به أبقى خير مما ليس كذلك فضلا عن الفانى و هذا ترغيب فى الاقبال إلى الله تعالى بالكلية و تنفير عن الافتتان باللذات الدنيوية ثم دل على وجوب التوكل على الله فيما هو قصارى أمانيكم و هو الجمع بين الجزئين لواحد فانه الجامع لا غيره تعالى بقوله و قد يجمعهما الله لأقوام ، و يدل أيضا بالألتزام على أن الصبر فى الطلب من اللوازم لأن الله تعالى قلما يجمعهما لأحد .

ثم لما فرغ عليه تعالى بالكلية لا بدونه و أراد أن يشير إلى طريق الاقبال إليه على سبيل الأجمال أشار أولا إلى الاجتناب عن نواهيه تعالى بما هو مستلزم له و قال فاحذروا من الله ما حذركم أى تحرزوا من عذاب الله تعالى المعد للعاصين المتردين .

احذروا مما خوفكم من نفسه و هددكم عليه لو خرجتم عن طاعته و اخشوه من الله خشية صادقة سوبه[3] من التقصير فى طاعتـــه مستلزمة لمحافظة أوامره و الاجتناب عن نواهيه فان الخوف سوط يسوق العبد إلى نيل السعادة الأبدية على ما ينبىء عنه قوله تعالى رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشى ربه .

(١) الاعلى : ١٧ . (٢) محمد : ٣٦ . (٣) كذا فى الأصل .

اعلم أن الخوف من لوازم العرفان فمن عرف الله تعالى خاف منه الضرورة و كلما كانت الخشية أكثر كان صاحبها أكمل فى العرفان ، و إلى ذا أشار تعالى بقوله : « انما يخشى الله من عباده العلماء[1] » و أشار الرسول صلوات الله عليه بقوله : أنا أخوفكم بالله و لكل ينبغى أن لا يكون لخوف . . . . .[2] العظيم لمن خشى منه ، و إليه أشار صلى الله عليه و آله بقوله : من خاف الله تعالى خافه كل شىء و من خاف غير الله خوّفه الله من كلّ شىء ، و روى أنه تعالى أوحى إلى داود خفنى كما تخاف السبع الضارى و أقلّ الخوف هو أن يستلزم الأعراض عن الذنوب المهلكة و أعلاها أن يستلزم الزهد الحقيقى .

ثم أشار إلى اخلاص العمل لله بقوله : واعملوا إلى آخره أى اعملوا خالصا لله تعالى من غير أن يشوبه رياء للناس أو سمعة فان الريآء محبط للعمل على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « فويل للصلين الذين هم عن صلواتهم ساهون الذين هم يراؤن[3] » و قوله تعالى : « و من كان يرجو لقآء ربه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعبادة ربه أحداً[4] » و قوله صلى الله عليه و آله : إن المرائى ينادى يوم القيامة باربعة أسماء : يا مرائى ، يا غاوى ، يا فاجر ، يا خاسر ، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا .

و قد عرفت معنى يكلمه الله إلى من عمل له فى السابق و هذا الخبر دال عليه عاضد له و علامة الرياء ما أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام

(١) فاطر : ٢٨ . (٢) كذا بياض فى الأصل . (٣) الماعون : ٥ .
(٤) الكهف : ١١٠ .

بقوله : للمرآئی ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده ، و ينشط إذا كان فی الناس و يزيد فی العمل إذا أثنی عليه و ينقص إذا ذمّ ثم لما كانت همته عليه السلام مقصورة على طلب السعادة الأبدية و الحيوة الطيبة طلب من الله أولا الحيوة الباقية ببقاء الرب التی هی سبب لتحصيل السعادة و الانخراط فی سلك السعداء .

قال : فاسئل الله منازل الشهداء التی هی الحيوة عند ربهم على ما ينبیء عنه قوله تعالى : « و لا تحسبن الذين قتلوا فی سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله[1] » و معايشة السعدا أی . . . . [2] معهم فی الخلد على ما ينبیء عنه قوله تعالى : « و أما الذين سعدوا ففی الجنة خالدين[3] » و مرافقة الأنبياء أی المصاحبة معهم التی لا يحصل إلا باطاعة الله و رسوله على ما دلّ عليه قوله تعالى : « و من يطع الله و الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا[4] » .

هذا تأديب للفقراء بما هو اللائق بحالهم و ايذان لهم بأنّ المطلوب ينبغی أن لا يكون إلا المراتب الثلاثة المرتبة بالترتيب المذكور و الحيوة مقدمة على التعيش اذ لو لاها لما أمكن ، ثم هو مقدم على المرافقة و لا يمكن لأحد تقرير المراتب على ما هی عليه إلا مثله عليه السلام .

المقصد الثانی فی تأديب الأغنياء وحثهم على التعطف فی حق الفقراء

(۱) ال عمران : ۱۷۰ . (۲) كذا بياض فی الأصل . (۳) هود : ۱۰٦ .
(٤) النساء : ٦۹ .

ذوى الأرحام و الاحسان إليهم و أشار إلى أمرين أحدهما عدم استغنائهم عن معاونتهم و الآخر أن البذل خير من الحفظ و قال مشيرا إلى الأول أيها الناس إلى آخره أى ان الناس و ان كانوا ذوى ثروة و مال عظيم لا يستغنون بمالهم عن الأعوان و الأنصار يدنون عنهم بأيديهم صولة صائل و يدفعون عنهم بألسنتهم افترائ قائل .

و أولى الناس بعدم استغناء الرجل عنه العشيرة و القبيلة فانهم أعظم الناس حفظا من ورائه و أشدهم دفاعا عنه و ألمهم لشعثه أى أشدهم جمعا لانتشار أموره فى الدنيا و أعطفهم عليه عند نازلة ان نزلت به أى أشفقهم عليه فى دفع الأذى إن نزلت به نازلة من شدة محنة أو بلاء و ذلك لأن القرابة مظنة الشفقة و مظنة التحنن و الرحمة .

قال مشيراً إلى الثانى و لسان الصدق إلى آخره : يعنى أن الغاية من المال أمران أحدهما الجمع و الادخار ليرث منـــه غيره بعد موته ، و الآخر البذل و الايثار و اكتساب الذكر الجميل و الثناء الحسن بما صدق بين الناس و لا ريب أن الثانى عند كلّ عاقل أفضل و أرجح و كنى بذكر جمع المال و هو توريث الغير المستلزمة لذكر الموت الذى هو هادم اللذات باعثا على البذل و الايثار و ترك محبته ، و النزول عن الجمع لمن لمح ببصيرته عاقبة أمره و الله الموفق .

* * * * *

ومنها: أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِى لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ؛ وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ.

قال الشريف: أقول: الغفيرة ههنا الزيادة والكثرة، من قولهم للجمع الكثير: الجم الغفير، والجماء الغفير. ويروى «عفوة من أهل أو مال» والعفوة الخيار من الشيء، يقال: أكلت عفوة الطعام، أى: خياره، وما أحسن المعنى الذى أراده عليه السلام بقوله: «ومن يقبض يده عن عشيرته إلى تمام الكلام، فَإِنَّ الْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا احْتَاجَ إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَاضْطُرَّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ، وَتَثَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَافُدَ الْأَيْدِى الْكَثِيرَةِ، وَتَنَاهُضَ الْأَقْدَامِ الْجَمَّةِ

(اللغــــة)

العدول : الانحراف .

الخصاصة و الخصاص : الفقر و أصلهـا من الخصاصة بمعنى الثلمة و الخلل يقال بدت الشمس من خصاصة الغنم أى من خلله و الخصاص الفرج بين الأثافى و انما سمى الفقر بها لاختلال حال الفقر كما أنّ العرب سمت البيت من قصب خصّـا لانه لا يخلو من فرج و ثلم .

يقال سددت الثلمة : و نحوها أسدها سدا أصلحتها و أوثقتها .

امساك الشيء : التعلق به و حفظه قال الله تعالى « فامساك بمعروف »

الاهلال هنا بمعنى الاتلاف و الاعطاء .

قبض الشيء يقبض قبضا : أى أخذه و القبض خلاف البسط ، يقال صار الشيء فى قبضك و فى قبضتك أى فى ملـكك ، و قيل : القبض تناول الشيء بجميع الـكـّف نحو قبض السيف فقبض اليد على الشيء جمعها بعد تناوله و ذلك إمساك و منه قيل لامساك اليد عن البذل قبض .

قال تعالى : « يقبضون أيديهـم » : أى تمنعون من الانفاق و هو تحقيق جيد جدا ، و هنا أراد إمساك اليد عن البذل .

اليد الجارحة : و أصله يدى لقولهم فى جمعــــه أيد و أيد افعل و افعل فى جمع فعل نحو أفلس و قيل يدى نحو عبيد و قد جاء فى جمع افعل نحو أزمن و أجبل و أصله يدتان يدل على أنّ أصله فعل و استعير اليد للنعمة و جمع على أياد يقال يديت إليـه أى أحسنت إليـه و للحوز و الملك مرة ، يقال هذا فى يد فلان أى فى حوزه و ملكه و للقوة مرة يقال

يقال لفلان يد على كذا و ما لى يد عليـه و يده مطلقة عبارة عن ايتآء النعم ، و يده مغلولة عبارة عن امساك النعم و ستعرف تمام البحث فيه فى موضعه .

اللين : ضدّ الخشونة و يستعمل ذلك فى الأجسام ثم يستعار للخلق و لغيره من المعانى يقال : فلان ليّـن و فلان خشن ، و كلّ واحد منهما يمدح به طورا و يذمّ بـه طورا بحسب اختلاف المواقع حاشيـة الرجل جانبه و أيضا أخدامه و أتباعه .

المرافدة و الترافد : التعاون .

(الاعراب)

يرى بها : فى موضع النصب على الحال و الضمير بها للقرابة .

و أن يسدّها : بدل الاشتمال من القرابة و الباقى ظاهر .

(المعـانى)

قوله : إلا إلى أهلكه : مشتمل على أنواع من المؤكدات المعنوية الدالة على المبالغة ألا لتنبيهه عما كان عليه إلى سماع الكلام و لا يفوت عليه شيء ، ادخال نون التأكيد فى يعدلنّ بجيء أحدكم ثم الاتيان بحال منه ، الاتيان بالمبـــدل ثم المبدل الدال على أن المراد به تكرير الحكم لزيادة التقرير و الايضاح ، ادخال الباء للاستعانة على أنّ الموصول و الصلة الدال على أن السد أمر سهل و ما يحصل بـه السد أمر حقير ، ثم أكد هـذا المقصود بجملتين شرطيتين دالين على العموم ليكون أقرب إلى القبول و الباقى ظاهر .

(البيان)

فى أن يسدّها : استعارة تخييلية مكنى بها عن اصلاح حال الفقراء وى الأرحام ببذل المال لهم و معاونتهم فى المضائق و الشدائد مستلزمة نشبيه هيئة منع الاختلال إلى حالهم بالايثار و هى معقولة بهيئة منع جسم لجسم و هى محسوسة و وجه الشبه أن الباذل يمنع ظهور اختلال حال لقريب للناس بايتاء النعمة كما أن السادّ يمنع ظهور ما وراء الجسم لمن لا يريد أن يظهر عليه بضرب الحاجز و هو عقلى و لجعل أن الهيئة الأولى من أفراد الهيئة الثانية .

و فى من تلن حاشيته : استعارة تخييلية أيضا مكنى بها عن التواضع مستدعية لتشبيه جانب الرجل فى التذلل و اظهار الخشوع و هو معقول بالجسم اللين و هو محسوس و وجه الشبه اشتراكهما فى نعومة المس و المخالطة لكن كل بالنسبة إلى جنسه و هو معقول .

(البديع)

راعى فى بالذى المقابلة حيث قابل الزيادة بالنقصان و الامساك بالاهلاك و فى أمسكه و أهلكه المتوازى .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام أراد بهذا الكلام النهى عن العدول و الانحراف عن سدّه حاجات الأقرباء الفقراء ذوى المسكنة و المتربة ببذل الفاضل من أموالهم بقوله الذى لا يزيده ان أمسكه نبه على تحقير ما يسد به اختلال

أحوالهم

أحوالهم فى قلوبهم أى بالقدر الذى لا يؤثر زيادته فى صلاح حاله أن أمسكه و لا نقصانه فى فساد حاله ان أتلفه بالبذل لمرارته و قلته بالنسبة إلى ماله و ثروته .

و هذا قول القائل لمن يريد أن يسهل عليه أمرا حقيرا يتشدد عليه طلبه هذا الأمر لا يضرك أن تركته و لا ينفعك أن أخذته بالنسبة إلى صلاح حالك قيل : و يحتمل أن يريد بالزيادة و النقصان الثواب فى الآجل و الذكر الجميل فى العاجل بل يكون سببا لفساد حاله أما فى العاجل فلأنّ من يمسك خيره عن محتاج إليه مع استغنائه عنه استحقّ العذاب الأليم بمقتضى قوله تعالى : « و الذين يكنزون[1] » و أما فى الآجل فلأنّ الممسك منخرط فى سلك البخلاء المذمومين عند الناس و أما للآفة فلا ينقص ثوابا و لا لحوق عار بل يكون سببا للثواب الكثير بدلالة قوله تعالى : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون » و للذكر الجميل فى الدنيا بدلالة المقالات الصادرة من أولى النهى فى مدح الكرماء و الأسخياء و الأول أظهر و الثانى بعيد .

ثم دلّ على أنّ البذل خير من الامساك بالنسبة إلى الباذل نفسه بقوله : و من يقبض يده إلى أيد كثيرة ، و معناه ما ذكره السيد الرضى رضى الله عنه و ترتيب هذا الدليل على النظم الطبيعى أن يقال من أمسك خيره عن عشيرته فقد أمسك عنهم نفع يد واحدة و كل من أمسك عنهم نفع يد واحدة فقد منع من نفسه نفع أيد كثيرة بالضرورة العادية ينتج

(١) التوبة : ٣٤ .

أنّ من أمسك خيره عن عشيرته فقد منع من نفسه نفع أيد كثيرة و لكن منع نفع الأيدى الكثيرة عن نفسه باطل لا يقدم عليه إلا جاهل و الملزوم أيضا مثله .

ثم أشار إلى لين الجانب و التواضع المستجلبين لاستدامة المودة التى هى سبب لانتظام حال المتواضع فى المعاش و المعاد و ميل القلوب إلى قبول أقواله و متابعة أفعاله: بقوله و من يلن حاشيته إلى آخره، و بمثل هذا التأديب قال الله تعالى لنبيه فى غير موضع «و اخفض جناحك[1]» و إذا كان التواضع سببا لائتلاف القلوب و الألفة كان الغلظ و التكبر سببا للتباعد و التنافر على ما يدلّ عليه قوله تعالى: «و لو كنت فظا غليظ القلب[2]».

و قد أشار رسول الله صلى الله عليه و آله إلى فضيلة التواضع حيث قال: ان التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا رحمكم الله، و قال: إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة. و قال عيسى عليه السلام: طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم الذين يؤتون الفردوس يوم القيامة. طوبى للمتطهر قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى و الأخبار و الآثار فى هذا الباب أكثر من أن يحصى و لو حملنا الحاشية على الاتباع و الخدم فمعناه أيضا ظاهر مما قلنا .

* * * * *

(١) الحجر: ٨٨ . (٢) آل عمران: ١٥٩ .

٢٣ — ومن خطبة له عليه السلام

وَلَعَمْرِى مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ، وَخَابَطَ الْغَيَّ، مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيهَانٍ، فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَفِرُّوا إِلَى اللهِ مِنَ اللهِ، وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ. فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلاً، إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلاً.

اللغة

الغيّ : جهل من اعتقاد فاسد و ذاك أن الجهل قد يكون كون الانسان غير معتقد أصلا لا صالحا و لا فاسدا و قد يكون من اعتقاد شيء فاسد و يقال للقسم الثانى انه غى يقال قد غوى بالفتح يغوى غيا و غواية فهو غاو و غوو أغواه غيره فهو غوى على وزن فعيل و الغى الخيبة .

الادهان : الغش و المداهنة التلطف مع الخداع و الغش ، .

الايهان التقتير و الاضعاف يقال أوهنه ايهانا .

العبد : يقال على ثلاثة أضرب الاول عبد بحكم الشرع و هو الذى يصح بيعه و ابتياعه و منه قوله تعالى العبد بالعبد ، الثانى عبد بالايجاد و ذلك لا يكون الا لله تعالى ، الثالث عبد بالعبادة و الخدمة و الناس فى هذا ضربان :

الأول عبد الله مخلصا و إياه عنى بقوله : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان[1] . و الثانى عبد الدنيا و اغراضها و هو المعتكف على خـــدمتها و مراعاتها و اياه عنى عليه السلام بقوله تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار ، و على هذا التقرير يصح أن يقال ليس كل انسان عبد الله فان عبد الله بهذا المعنى هو العابد المخلص فى خدمته و لكن الناس كلهم عباد الله اما اختيارا أو تسخيرا و جمع العبد الذى هو سيرق عبيد ، و جمع العبد الذى هو العابد عباد .

---

(١) الاسراء : ٦٥

فالعباد اذا اضيف الى الله تعالى أراد بهم العابدين . فر يفر فرارا

ى هرب و المفر: موضع الفرار و وقته . مضى الشيء يمضى مضيا: أى ذهب

نهجت الطريق اذا أبنته و أوضحته يقال: اعمل على ما نهجته لك و نهجت

الطريق أيضا اذا سلكته و أنهج الطريق أى استبان و صار نهجا واضحا

بينا قاله الجوهرى . و قيل أوضح عصبه أى علقه و ربطه بكم كالعصابة .

الفلج: الفوز و الظفر الآجل و الأجلة ضد العاجل و العاجلة . المنح العطاء

يقال منحه و يمنحه و لاسم المنحة و هى العطية و استمنحه أى طلب منحته .

(الاعراب)

ما فى قوله ما على: للنفسى و الظاهر أن من فى من قتال بمعنى فى

و من فى ادهان للبيان و اسم ما بمعنى ليس محذوف تقديره ما علىَّ فى قتال

من خالف الحق و خابط الغى شيء من ادهان و لا ايهان و عباد الله قد

حذف منه حرف النداء .

آجلا و عاجلا: منصوبان على الظرف و منح يقتضى مفعولين

و هنا أحدهما المخاطبون الذين اقيموا مقام الفاعل و الآخر الضمير المنصوب

العائد الى الفلج ما فى بما عصبه موصولة بمعنى الذى .

(المعانى)

الفاء فى فاتقوا الله: يحتمل أن يكون للسببية الدالة على أن مضمون

الجملة السابقة جملة على الأمر بالتقوى و أن يكون فصيحة مفصحة من سبب

محذوف تقديره اذا لم يكن فى ادهان فى قتال من خالف الحق فلا تخالفوا

فى الحق و اتقوا الله .

الفاء فی فعلیّ ضامن : ظاهرا لربط الجملة الاسمية بالفعلية على سبيل العطف و باطنا فصيحة مفصحة عن محذوف هو سبب لما بعدها الاتيان بالصلة مع الموصول فی الذی نهجه لكم و نصبه بكم لـلايذان بتعليل الآمر به و ايراد هذا المعنى فی الجملة الاسمية الدالة على السوب[1] صريح فی استقرار الضمان عليه عليه السلام .

(البيـان)

فی فعلیّ ضامن لفلجكم : استعارة تخييلية مكنى بها عن توطين قلوبهم على حصول الفوز لهم بالضرورة مستدعية لتشبيه التزامه عليه السلام فلجهم بهيئة التزام الضامن دين المضمون له الثابت فی ذمة المضمون عنه . و وجه الشبه اشتراكهما فی الالتزام و توجه المطالبة و حصول التوطين .

(البديع)

بين الحق و الغى : المطابقة و المتوازن و كـذا بين آجلا و عاجلا .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام رد أولا قول من قال أن مداهنته عليه السلام فی محاربة أعدائه المخالفين فی الحق الخابطين فی الغى أولى له من النهوض للحرب و قال ما عليّ أی ليس مصانعتهم واجبة عليّ من طريق الدين و لا عليّ فی قتالهم عجز و فی ذكره عليه السلام اياهم بصفة مخالفة الحق و مخابطة الغى بنية السامعين على أن استحقـاقهم للقتال بسبب اتصافهم بالصفتين

(١) كـذا فی الاصل .

و على أنّ كل من اتصف بهما واجب على امام الوقت و جرهم عما كانوا عليه بالقتال و ان من لم يتصف باحديهما فلا يستحق الا الفوز .

ثم أردف عليه السلام هذا بأربعة أوامر دالة على كيفية السلوك الى الله تعالى المستلزمة لأنّ من تكيف بها سلم من الوقوع فى مخالفة الحق و الخبط فى الغى .

الاول قوله : فاتقوا الله و هو أمر بتقوى الله تعالى المستلزم للاجتناب عن مناهيه بل عن الالتفات عن كل ما سواه تعالى اليه تعالى ، و تخصيص عباد الله بالخطاب بعد الأمر المتناول للعموم للاشارة الى أن بامتثال هذا الأمر لايتهيأ الا لمن شمر عن ساق الجد و توجه الى السبيل المسلوك اليه تعالى .

الثانى و فروا الى الله من الله : قيل معناه فروا من الله باعتبار ذنوبكم و فروا الى الله باعتبار توبتكم و ايابكم الاولى أن يكون اشارة الى تخليص السير عن كل موجود سوى الله اعتباريا كان أو تحقيقيا و الاقبال بالكلية الى قبله و جوده القائم الباقى الذى لا اعتبار لوجود آخر بالنسبة اليه .

قال بعض المحققين: فرار العبد الى الله تعالى على ثلاثة مراتب بعد نقص كل موجود سواه تعالى أدناها الفرار من بعض آثار أفعاله الى بعض كالفرار من أثر غضبه الى أثر رحمته و اليه أشار تعالى حكاية عن المؤمنين فى التضرع اليه تعالى « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا »[1] و هذه المرتبة لمن لم ير فى الوجود الا الله تعالى و أفعاله . و أوسطها الفرار

(1) البقرة : ٢٨٤ .

من بعض صفاته إلى بعض و ذلك عند الترقى من مشاهدة الأفعال إلى مصادرها .

و هذه لمن لم يرفى الوجود إلا الله تعالى و صفاته و أعلاها الفرار من الذات إليها لقوله تعالى: لا ملجأ من الله إلا إليه و هذه مرتبة من ارتقى من مقام الصفات إلى ملاحظة الذات و لم يرفى الوجود إلا ذاته تعالى و تقدس و نفى جميع صفاته تعالى و إلى المقامات الثلاث أشار رسول الله صلى الله عليه و آله بقوله فى دعائه: أعوذ بعفوك من عقابك و هو كلام صادر عن مشاهدة الأفعال، ثم ترقى عن هذا المقام إلى مصادرها و هى الصفات ، و قال: أعوذ برضاك من سخطك، ثم لما رأى ذلك نقصانا فى التوحيد ترقى عن مقام مشاهدة الصفات إلى ملاحظة الذات ، و قال أعوذ بك منك و هذا فرار منه إليه بعد قطع النظر عن الأفعال و الصفات و إذا حققت هذا فاعلم أنه عليه السلام أمر باحراز قصب السبق فى مراتب التوحيد .

الثالث قوله : و امضوا فى الذى نهجه لكم .

أى اذهبوا فى الطريق الذى أوضحه لكم من الطريق الواضح العدل و الصراط المستقيم اللذين قد نصب عليهما الأوامر الالهية و الأحكام الشرعية دلائل واضحة و منارا بينة لا يحد عنهما إلا المخالف للحق الخابط فى الغىّ .

الرابع قوله قوموا بما عصبه بكم : أى قوموا بما ناط بكم من التكاليف الواردة على ألسنة المرسلين و استقيموا فيه و ثبتوا عليه و هذا أمر بالثبات

و الاستقامة. اعلم أنه عليه السلام بين بهذه الأوامر الأربعة كيفية السير إلى الله و السلوك و راعى الترتيب المرعى فيه .

فأشار بالأمر الأول إلى مقام التنحية و النقض و التفريق الذى هو أول مقام السالكين ، و بالأمر الثانى إلى تخليص السير بالكلية عما سواه إلى التوحيد المحض الذى أيضا المقام الثانى للكاملين فى السلوك إلى الله تعالى و لو قلنا أنه غاية سلوك السالكين لكان حسنا و بالأمر الثالث إلى التشبث بالأوامر الشرعية و السلوك فى الطريق الذى أوضحه الشارع ، و بالأمر الرابع الى الاستقامة فيما أمر به و هى مقام صعب للسالك .

و من ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله لما خوطب بقوله تعالى : « فاستقم كما أمرت[1] » ، شيبتنى سورة هود فعلىّ ضامن إلى آخره أي إذا امتثلتم بالأوامر المذكورة وصفيتم بواطنكم عن الحجب المانعة من افاضة الحق و حصلتم الاستعداد المستلزم لقبول الفيض الذى لا يخل فيه حصل لكم الفوز بجنات تجرى من تحتها الأنهار التى هى المآب[2] بالحقيقة لمن أطاع الله تعالى و رسوله على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار[3] » فى الآجل ان لم يتم استعدادكم فى الدار العاجلة فتحطوه فيها .

و لما كان هذا ترتيب الفوز بالسعادتين أو بالسعادة الأصلية أمرا

(١) هود : ١١٢ .
(٢) كذا فى الأصل .
(٣) النساء : ١٣ .

واجبا فى الحكمة الالهية وطن عليــــه السلام نفوسهم و ضمن لهم عنه و قال فعلىّ ضامن و هـذه الكلمات اليسيرة فى غايـة الجزالة معنى و نهايـة الوجازة لفظا لو تليت على الصخرة الصماء لأرعبت لها و تفجرت منهـا الأنهار لا يعقلها الا من تمرّن فى البلاغة و الفصاحة و راض نفسه القدسية فى رياض التوحيد و بلغ إلى نهاية مراتب التفريد .

* * * * *

٢٤ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عاملاه على اليمن، وهما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمْران لما غلب عليهما بُسْرُ بن أبي أرْطاة، فقام عليه السلام على المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له فى الرأى، فقال: —

مَاهِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا، إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ. فَقَبَّحَكِ اللهُ

وتمثل بقول الشاعر

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَاعَمْرُو إِنَّنِي عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلِ

ثم قال عليه السلام:

أُنْبِئْتُ بُسْراً قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَظُنُّ أَنَّ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ: بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمُ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ. فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ! اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي، وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي، فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنِّي، اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، أَمَا

لِلّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ

هُنَالِكَ ، لَوْ دَعَوْتَ ، أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

ثم نزل عليه السلام من المنبر .

قال الشريف : أقول : الأرمية جمع رمى وهو السحاب ، والحميم ههنا : وقت الصيف ، وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا وأسرع خفوفا لأنه لاماء فيه . وإنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء ، وذلك لايكون فى الأكثر إلا زمان الشتاء ، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا ، والإغاثة إذا استغيثوا ، والدليل على ذلك قوله هنالك لو دعوت أتاك منهم

٢٥ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ اللّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ ، وَفِي شَرِّ دَارٍ ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ .

(اللغــــة)

البلاد جمع بلد و بلدة و كذا البلدان جمع ، و البلد فى العرب اسم للمكان المختص المحدود المتأثر باجتماع قطانهم و اقامتهم فيه من قولهم بلد من مكان أى أقام به فهو بالد و بقى البلد أى الأثر و الجمع بلاد و البلدة أيضا الأرض و أيضاً الصدر يقال اللفظى المقيمة للوجود الذهنى مقام اللفظى و أن يكون ضمير القصة فعلى الأولين .

أقبضها : يحتمل أن يكون خبراً ثانياً بعد خبر و أن يكون خبر مبداء محذوف تقديره أنا أقبضها و هى أقرب الى البلاغة و على الثالث أقبضها خبر الكوفة .

أنت فى قوله فان لم تكونى الا أنت بدل من الضمير الذى قبل إلا فى تكونى و خبر كان محذوف و الجملة الفعلية و هى .

تهب أعاصيرك : يحتمل أن يكون جملة معترضة بين الشرط و الجزاء دعاء عليها أو اخبار عنها بمضمونها و أن يكون حالا منها و نظيره قوله تعالى : « فان لم تفعلوا و لن تفعلوا فاتقوا [1] » فقبحك جواب الشرط ، فى ذا الاناء روايتان احديهما ذا الأناء بالأسم ، و ذا اسم أشارة حذف منه ها تقديره هذا الأناء و هى الأشهر ،

الثانية ذى الأناء : بالياء و هو بمعنى الذى يعنى الذى فى الأناء و هو اللبن يقال ضربه حتى ألقى ذا بطنه أى رجيعه ، و يقال الذئب يغبط بذى

(١) البقرة : ٢٤ .

بطنه

بطنه أي بما فى بطنه و نظير هذا البيت قول الراعى :[1]

و لما قضت من ذى الاناء لبانة ۞ أرادت الينا حاجة لا نريدها .

يعنى أنه رغب عن امرأة رغبت عنه ، و قليل نعت لو ضر أنبأ .
اذا كان بمعنى أعلم يقتضى ثلاثة مفاعيل ، و هنا الأول الضمير لنفس المتكلم الذى اقيم مقام الفاعل و الثالث يسرا الثالث قد اطلع اليمن و الباقى واضح .

(المعانى)

ما هى إلا الكوفة : فيه القصر للافراد و أقبضها و أبسطها جملة استينافية دالة على الجواب عن السؤال المقدر عن سبب هذا الحصر ، ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب و جعل الكوفة مخاطبة مريداً أهلها . و قال فان لم تكونى الا أنت و جاء بالقصر ثانياً للتأكيد و الاحتقار بشأنها ، الباء فى باجتماعهم للاستعانة .

الفاء فى فابدلنى : للسببية الدالة على أن سآمته عليه السلام منهم و سآمتهم منه عليه السلام صارتا باعثتين له عليه السلام على هذا الدعاء و الباقى معلوم من الضوابط المذكورة .

(البيان)

أقبضها و أبسطها : كنايتان عن وجوه التصرف فيها تصرف الحكام فى مملكتهم و ذلك لأن القبض و البسط من لوازم القدرة النافذة المستلزمة لوجوه التصرف .

الأعاصير : ان كانت باقية على حقيقتها فمعناها واضح و الا فهى

(١) الراعى شاعر من بنى نمير و هو عبيد بن الحصين و الراعى لقب له و هو من رجال الحماسة .

استعارة تخييلية مكنى بها عن حدوث الارآء المختلفة و الأهوآء المتفرقة المقلقلة للأحشاء المفرقة للخواطر المشوشة لنظام العالم مرشحة مستلزمة لتشبيه الأهوآء و البدع و هي معقولة بالرياح المثيرة للسحاب و هي محسوسة .

و وجه الشبه اشتراكهما في الأذى الحاصل منهما و الانزعاج وهو عقلي و تخييل أنها من أفراد الاعاصير و اما كونها مرشحة فلان الهبوب من لوازم المشبه به ، و في تمثله عليه السلام بالبيت المذكور راعى تمثيلا على وجه الاستعارة و لو قلنا استعارة تمليحية لكان أقرب الى ما قررناه في البيان ، و هذا الاستعارة مستدعية اما لهيئة مملكته بالقياس الى ما استولى عليه خصمه من البلاد بهيئة ما اشتمل عليه الانآء من البقية بالنسبة الى الطعام الذي اشتمل عليه .

وجه المشابهة اشتراكهما في الحقارة بالنسبة أو التشبيه الكوفة بالوضر الباقي في الانآء و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما في الحقارة و القلة و هو عقلي و لتشبيه الدنيا بالاناء المملو من الطعام ، و هما محسوسان ، و وجه الشبه اشتراكهما في العزة و الكثرة .

قوله فلو ائتمنت الى بعلاقته : كناية عن خيانتهم لأمانتهم في عهده على قبول أوامره و ذلك لأنّ من يخون في الشيء اليسير من متاع الدنيا فبالضرورة ان يخون بالشيء الكثير من امور الدين فالذهن ينتقل من هذه الخيانة في العهود الموثوقة على امور الدينية و منها الى الخيانة في عهده عليه السلام على قبول أوامره .

قوله عليه السلام اللهم مث الى المآء : راعى عليه السلام فيه تشبيها احد طرفيه معقول ، و هو الموث في القلوب الذي هو عبارة عن تبددها بمخالطة الخوف العظيم و القلق الجسيم و احاطتها بهما و الآخر محسوس

و هو ذوبان الملح فى الماء و وجه الشبه اشتراكهما فى التفرق و استيلاء الغـــير عليهما .

(البديع)

راعى عليه السلام فى اقبضها و أبسطها : المطابقـــة و فى التمثل ارسال المثـــل .

فى قوله باجتماعهم الى فسادكم : أيضا المقابلة حيث قابل الاجتماع بالفراق و الحق بالباطل و المعصية بالطاعة و الامنة بالخيانة و الصلاح بالفساد و الباقى بين .

(الفحوى)

اعلم أن السبب الباعث له عليه السلام على انشاء هذه الكلمات هو أن قوما كانوا من صنعـا [1] ، من شيعة عثمان يعظمون قتله فبايعوا علي عليه السلام على سبيل النفاق فلما اختلف النـاس عليه بالعراق و تحرك فى بواطنهم داعيـة الخلاف و كان العـامل من قبله عليه السلام يومئذ على صنعاء عبيد الله بن العباس [2] ، و على الجند بها سعيد بن نمران فلما قتل

(١) صنعاء عاصمة بلاد اليمن قال عمارة بن أبي الحسن ليس بجميع اليمن اكبر و لا اكثر مرافق و اهلا من صنعاء و هو بلد فى خط الاستواء و هى من الاعتدال من الهواء بحيث لا يتجول الانسان من مكان طول عمره صيفا و لا شتاء و تتقارب بها ساعات الشتاء و الصيف .

(٢) عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب ابو محمد الهاشمى امه ام الفضل رأى النبي صلى الله عليه و آله و روى عنه و عنه ابنه عبد الله و سليمان بن يسار و محمد بن سيرين قال ابن سعد و كان اصغر سنا من عبد الله و كان سخيا جوادا و كان تاجرا ، استعمله على عليه السلام على اليمن و حج بالناس سنة ٣٤ و ٣٧ و مات بالمدينة سنة ٨٧ .

محمد بن أبي بكر رضى الله عنه بمصر و كثرت غارات أهل الشام أظهر هؤلاء الشقاق طالبين بدم عثمان فانكر عليهم عبيد الله بن العباس فاتفقت كلمتهم على منابذة على عليه السلام فحبسهم .

فكتبوا الى أصحابهم بالجند فعزلوا سعيد بن نمران[1] ، عنهم و أظهروا أمرهم من الخلاف و نبذوا العهد وراء ظهورهم و شقوا عصا الوفاق فوافقهم خلق كثير ممن ليس لهم من الدين خلاق فمنعوا اداء الزكوات فكتب عبيد الله و سعيد إليه عليه السلام كتابا ينهى إليه الخبر فكتب عليه السلام الى أهل اليمن و الجند كتابا يوبخهم على ما أظهروه و يهددهم فيه ، و يخوفهم من الله تعالى فأجابوه بأنا منخرطون فى سلك المطيعين ان عزلت عنا هذين الرجلين عبيد الله و سعيد .

ثم كتبوا الى معاويه مخبرين إياه ما كانوا عليه فوجه اليهم بسر بن رطاة[2] ، و كان قايداً من قواد معاوية فظا سفاكا للدماء فقتل فى طريقه بمكة

(١) سعيد بن نمران الهمدانى من نساب العرب و ذوى رأيهم و عقلائهم استعمله على عليه السلام على جند اليمن و بعد وقعة بسر بن ارطاة رجع الى الكوفة و كان يكتب لعلى و كان مقيما بالكوفة الى ان استشهد على عليه السلام و لما تسلط معاوية على بلاد المسلمين و استعمل زيادا على العراق اخذ سعيد بن نمران مع حجر بن عدى و أرسله الى معاوية و خلى معاوية سبيله بشفاعة حمزة بن مالك الهمدانى . و رجع الى الكوفة . و فى ايام عبد الله بن الزبير كان على قضاء الكوفة .

(٢) بسر بن ارطاة العامرى القرشى ابو عبد الله الرحمان قال ابن عساكر سكن دمشق و شهد صفين مع معاوية و كان على الرجالة ولاه معاوية اليمن و كانت له بها آثار غير محمودة و قيل انه خرف قبل موته و فعل بمكة و المدينة افعالا قبيحة ، حكى المسعودى ان عليا دعا على بسر أن يذهب عقله و انه خرف ومات فى سنة ٧٤ .

داود

داود و سليمان ابنى عبيد الله بن العباس و بالطائف عبد الله بن المدان و كان صهرا لابن عباس ثم انتهى الى صنعاء و قـــد خرج عبيد الله و سعيد و استخلفا عليها عبيد الله بن عمر الثقفى فقتله بسر وأخذ صنعاء فلما قدم ابن عباس و سعيد على على عليه السلام بالكوفة يحث عليه السلام الناس على الجهاد فتثاقلوا فقام الى المنبر و قال .

ما هى الا الكوفـة : و هو كلام يقال فى معرض الحقارة و القلة يعنى ليس لى من البلاد التى انفذ الحكم فيها الا الكوفة و انها بالنسبة الى البلاد التى استولى عليها الخصم حقيرة فما أفعل بها وكيف أتمكن من مقاومة الخصم و دفعهم بأهلها و هذا القول من فى يده مال قايل لمن طلب منه أمراً عظيما لايهياء الا بمال عظيم ما فى يدى الا هـــذا القدر اليسير من المال فكيف يتهيأ الفوز به و القيام بطلبه .

ثم التفت و قال ان لم تكونى الا أنت : عدة لى و جنة اتقى بهـا من العد و نصيبا من الملك و الخلافة فلا اريدك فأبعدك عن الخير و هذا ذمّ لها بعد ذكر حقارتها لكون أهلها بعيدين عن الخير و الصلاح ، ثم نبه على حقارتها بالنسبة الى ما استولى عليه خصمه من البلاد بتمثله عليه السلام بالبيت أى أتى على شيء حقير من هذا الأمر كالدرن الباقى فى الاناء ثم خاض عليه السلام أولا بقوله انبئت الى استيلاء بسر على اليمن و خروجها من التصرف يعنى اعلمت ان بسراً قد استولى على اليمن .

ثم خوفهم بما غلب على ظنه الذى لا يخطئ من صيرورة الدولة منهم الى مخالفيهم بقوله .

و انى لاظنّ الى فسادهم : ثم أردف ذلك بذكر أمارات مغلبة لوقوع ذلك المظنون فى الخارج فذكر أربعة امور من قبلهم هى أسباب الانقهار و اربعة اخرى يقابلها من قبل الخصم هى أمارات القهر و قابل كلّ فعل منهم ردئ بفعل حسن هو ضده من قبل الخصم ليرتدعو بذلك عن اختيار الافعال القبيحة الى الفرار الى الأفعال الجميلة .

الأول من أفعال الخصم اجتماعهم و ان كان على باطل و هو التصرف بغير الحقّ فى البلاد و من أفعالهم التفرق عن الحق و هو تصرفهم المستحق باذن ولى الأمر .

الثانى من أفعال الخصم انقيادهم لأوامر الامام الجائر فى الباطل و من أفعالهم خروجهم عن امتثال اوامر الامام العادل فى الحق .

الثالث من أفعال الخصم أدائهم الأمانة الى صاحبهم و هى الوفاء بالعهود و المواثيق و من أفعالهم الخيانة فى الامانات و الغدر فى العهود حتى صار الغدر سجية لأهل الكوفة .

الرابع من أفعال الخصم رعاية الصلاح فى امورهم لئلا يختلّ قواعد نظام أحوالهم و من أفعالهم اظهار الفساد المهدم لقواعد الدين و هما تابعان لطاعة الامام و معصيته ثم أردف ذلك بما يفهم منه كل أحد أنهم غير ثابتين على طريق الوفاء بالعهود و قال فلو ائتمنت الى بعلاقته أى لو اتخذت احدكم أمينا على قدح لا قيمة له لخشيت أن يذهب منى مع علاقة لغلبة الخيانة و الغدر على طباعكم و اذا كان حالكم فى الامور الخسيسة الحقيرة بهذه المثابة فى الخيانة فما أتوقع منكم الوفاء بالعهد على قبول أمرى .

و هذا

و هذا تعيير لهم بنقض العهد و توبيخهم عما كانوا عليه من التثاقل و القعود عن نصره ثم شكى منهم الى الله و أعلن ما فى ضميره و ضمائرهم من الملالة و السآمة بحسب ما شهدت به قراين أحوالهم بقوله : اللهم ملتهم و ملونى و سئمتهم و سئمونى و السآمة و الملالة اسمان مترادفان و لو قلنا أن الملالة عبارة عن إعراض النفس عن الشيء بواسطة تطرق الفتور الى القوى البدنية لكثرة صدور الأفاعيل منها و السآمة عبارة عن الاعراض بوساطة دلالة دليل بان عندها أن ما يطلب غير ممكن حصوله لكان أنسب المقام و اليق مراعاة كلامه عليه السلام من التكرار .

أما ملالته عليه السلام فلأنه عليه السلام لم يظهر الشكوى منهم الا بعد أن عجزت قواه عن اصلاح أودهم من الانسان[1] و الأفعال و أما سامته عليه السلام فلانه لم يأنس منهم الا بعد أن بان عند نفسه بمشاهدة القرائن الحالية أن تقويمهم غير ممكن له و أما ملالتهم منه عليه السلام فلان قواهم الضيقة فترت عن ذب تكرار أوامره المترادفة عليهم بالجهاد و اما سامتهم فلاعتقادهم أن ما ربهم لا يتاتى منه عليه السلام بوساطة قرائن خارجية لا حسب[2] عند نفوسهم .

ثم اردف تلك الشكاية بالتضرع الى الله تعالى فى الخلاص منهم بقوله فابدلنى خيراً منهم أى فى الدنيا بان يكونوا قوما صالحين يلوح من أفعالهم آثار الانقياد و يبوح من أقوالهم أمارات الاعتقاد لكون نظرهم لا يكون الا بنور الله فى الآخرة ثم دعا الله عليهم بقوله : و أبدلنى بى شرا منى

(١) كذا فى الأصل .　　(٢) كذا فى الأصل .

ليستريحوا منى و استريح منهم ، فان قلت فى هذا الدعاء اشكال من وجهين احدهما يقتضى ان يكون هو ذا شرجلّ جنابه المعلى أن يحوم حول الشرّ الثانى أنه عليه السلام دعا بالشر .

قلنا : أما الجواب عن الأول فهو أنه كلام وارد على اعتقادهم فى حقه لا فى نفس الامر يعنى شرا منى بحسب اعتقادهم ان فى شرا عليهم و يحتمل أن يكون هذا على سبيل التهكم بهم كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم ، أما الجواب عن الثانى فمن وجهين احدهما أنه انما دعا عليهم بان يبدله شراً منهم لأن فيه رعاية لمصلحة عايدة اليهم فى المعاد و هى اما جذبهم الى الله تعالى و ذلك لأن ذلك الدعا بمشهد طايفة عظيمة منهم أو نزول المدعوبه عليهم عقيب دعائه عليه السلام ليعلموا فضله عليه السلام و يقروا بولايته و لتعرفوا أن ذلك بسبب تركهم الجهاد و مخالفتهم طاعته .

الثانى أنه انما دعا عليهم لعلمه بأنهم ممن لا يرجى صلاح حاله فى المعاش أو المعاد و من كان كذلك فعدمه أولى من وجوده و لذلك بسط بساط الجهاد وحث الشرع عليه و على ذلك حمل قوله : اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح فى الماء أى أذب قلوبهم فى الغم و الحزن و إصابة المشقة بحيث لا يبقى لها رسم ولا اسم كما يذاب الملح فى الماء .

روى أنه ولد الحجاج بن يوسف فى اليوم الذى دعا عليه السلام و قيل فى ليلته و قيل بعد زمان قريب و عمل الحجاج بالكوفه من الصفو[1] ، و قد كدرا الماء بالكسر فى الماضى و الفتح فى الغابر كدراً فهو كدر و كدر أيضا مثل فخذو فخذو كدر الماء بالضم فيهما كدورة مثله و كذلك يكدر

(١) سقط هنا بقية شرح الخطبة و كذا سقطت الخطبة التى تليهامع شرح لغاتها .

يكدر و كدره غيره تكديرا . الجشب الطعام الردئ و قيل الطعام الذى لا ادم معه الارحام جمع رحم و الرحم رحم المرأة و منه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحد ، الاصنام جمع صنم و هو اسم لجثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب يعبدونها متقربين به الى الله تعالى .

قال بعض المحققين : كل ما عبد من دون الله تعالى بل كل ما يشغل عن الله تعالى يقال له صنم و على هذا الوجه قال الله حكاية عن ابراهيم « اجنبنى و بنىّ أن نعبد الاصنام[1] » اذ نحن نعلم بالضرورة أن ابراهيم مع تحققه بمعرفة الله تعالى و اطلاعه على حكمته لم يكن ممن يخاف أن يعود الى عبادة تلك الخشب التى كانوا يعبدونها فكانه قال اجنبنى عن الاشتغال ممّا يصرفنى عنك .

النصب : عبارة عن وضع الشىء وضعا ثانيا لنصب الريح و البناء و الحجر يقال نصبت الشىء اذا أقمته الاثام جمع اثم و هو اسم للافعال المنبطئة عن الثواب وما قال عليه السلام البرّ ما اطمأن اليه النفس و الاثم ما حكّ فى صدرك حكم البر و الاثم لا تفسيرهما ، العصب اطناب المفاصل و لحم عصب كثير العصب و المعصوب فى الأصل المسدود بالعصب المنزوع من الحيوانات ثم يقال لكل شد عصب .

(الاعراب)

نذيراً مفعول له الواو فى قوله و انتم شر العرب للحال أى أنّ الله بعث محمدا ليكون نذيرا للعالمين و حال كونكم على شردين ، فمعشر العرب منادى مضاف حذف منه حرف النداء .

---

(١) ابراهيم : ٣٥

منيخون : خبر و الاولى ان يكون خبر مبتداء محذوف يدل عليه سياق الكلام و الباقى واضح .

(المعانى)

انما صدر الجملة الاولى بأنّ ليردعهم بين الانكار الى الاقرار بنبوته و كما كانت الجملة الواقعة هنا حالا و هى أنتم على شردين غير واردة على أصل الحال لكونها اسمية دالة على الثبوت و ان كانت واردة على نهجها لكونها مثبتة أدخل الواو لما سبق فى الضابط المذكورة فى المعانى من افتقارها الى الواو اذا كانت اسمية مثبتة و تقديم معشر العرب على خبر المبتداء للايذان بأنهم المقصودون للخطاب دون غيرهم و أن المخاطبين ليسو إلا طايفة مخصوصة و انما اورد على ليؤذن بأنهم مشتغلون على شردين لا بالعكس .

و فى هذا مبالغة عظيمة فى ثباتهم على الكفر .

فى منيخون بين حجارة : فايدتان احديهما الاختصار الحاصل من حذف المسند إليه للتعويل على القرائن الحالية التى يستدل بها العقل على وجوده .

و الثانية قطعه عما قبله مع كونه جملة اسمية ليؤذن بتعليل استقرارهم فى شرّدار و قطع أيضا تشربون الكدر مع لو يراد المعنى الذى يتضمنه فى الجملة الفعلية ليؤذن أيضا بتعليل استقرارهم فى شردار بوجه آخر مغاير للوجه الأول ثم قطع الاصنام فيكم منصوبة مع أنه عليه السلام أورد بمضمونه فى الجملة الاسمية ليؤذن بتعليل كونهم على شردين ...[1] نصب

(١) كذا .

الأصنام مستقرّ بينهم و الباقى معلوم من القواعد السالفة .

(البيـان)

فى منيخون : راعى استعارة تخييلية مكنيا بها عن عدم تدبرهم فى الامور المحسوسة التى يدركها كل بليد مستدعية لتشبيههم بالجمـل و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى عدم العقل و تخييل أنهم من افراد الجمل

فى الآثام بكم معصوبة : استعارة تخييلية مكنى بها عن لزوم الآثام لهم فى تلك الحال مستدعية لتشبيه هيئة لزوم الآثـام بهم و هى معقولة بهيئة احدى الشيئين اذا شد بالآخر و هى محسوسة و وجه الشبه أشتراكهما فى عدم الانفكاك و الملازمة .

(البديع)

راعى بين خشن و بين صم التحسين و المتوازن كـذا بين الكدر و الجشب و بين منصوبة و معصوبة المتوازن مع الترصيع .

(الفحوى)

اعلم أن هذا الفصل من خطبة طويلة خطب بها قبل مسيره الى النهر و ان و مقصوده من ايراده ترقيق قلوب العرب التى هى أشد قسوة من الحجارة و جذبهم من الالتفات الى الدنيا الدنية الموبق للملتفت المبعد عن ملاحظة أنوار كبريـائه فذكر أولا ان النبي صلى الله عليه و آله مبعوث من قبل الحق و ذكر أحد شق الغاية من البعثة و هى كونه نذيراً للعالمين ، و ذلك لأنها بالنذارة و البشارة معا و انما خصها بالذكر لأنها اقواهما فى الردع عما كانوا عليه من الانهماك فى استيفاء اللذات الحاضرة التى يجدها كل نفس .

فان المشتغلين بها المقيـــدين بالأمور المحسوسة و هم أكثرهم قلما يلتفتون إلى ما وعدوا به من الجنة و أنواع اللذات العقليـة التى لا يدرك إلا بوجود شرائط قلمـا تحصل و يتركون للذات الحاضرة و لأجل انّ أذهان أكثر الخلق مربوطة بالمحسوسات ما أخبر الله تعالى عن اللذات العقلية إلا على مثال اللذات الحسية ليلتفتوا إليها ، ثم عقب ذلك بـكونه أمينا على التنزيل ليتنبهوا ان الانذارات الواردة على لسانه هى من عند الله تعالى جائها الرسول الأمين غير خائن فيها بتحريف و لا تبديل .

فيتأكد فى قلوبهم ما فهموه من الانذارات الملقاة إليهم ليـكون أدعىٰ إلى القبول و الانفعال عن أقواله ثم أتى بجملة واقعة حالا فى معرض مدحه عليـه السلام و ذمهم و هى قوله : أنتم على شردين أى مستقرون ثابتون على شر دين هى عبادة الأصنام من دون الله و اتخاذ الأنـداد ثمّ أردف ذلك بتذكيرهم ما كانوا فيـه من شر دين ، قيل أراد بالدار نجد و تهامة و الحجاز و قيل الدار القبيلة كما فى قول النبى صلى الله عليـه و آله و سلم : ألا أخبركم بخير دور الأنصار .

ثم استانف جملا لبيان كون دارهم شراو بين شريتـــه من وجوه يتعلق بالمعاش و المعاد أما الوجوه المتعلقـة بالمعاش فهى كون المساكن رديئة و الماء كدر أو الطعام رديا و مع هذه فبينهم بساط الظلم بالطفل[1] و قطع الأرحام مبسوط فنبه بقوله منيخون بين حجارة خشن و حيات صمّ على أن مساكنهم بين الحجارة الخشن التى لا نداوة بها و لا نبات

(١) كذا .

و مع

و مع هذا فهى مواضع للحيات الصم التى لا علاج لسمومها لكونها فى غاية الشدة و بقوله : تشربون الكدر على أن ماءهم غير صاف بل هو كدر لا يشربونه إلا عند غلبة العطش عليهم و خوفهم من التلف و مثل هذا الشرب ينافى التنعم و الالتذاذ .

و بقوله : و يأكلون الجشب على أن مآكلهم فى غاية الرداءة و قد سئل بعض العرب أى الحيوانات يأكلون من البادية فقال : نأكل كلما دبّ و درج إلا ام حنين ، و ام حنين دويبة قدر كف الانسان ، و بقوله : يسفكون إلى أرحامكم على أن مراسم الأمن و الأمان و الشفقة مرفوعة بينهم بالكلية و بقوله : الأصنام فيكم منصوبة على كونهم على شردين فان قيل لم قدم بيان كونهم على شردار على بيان كونهم على شردين .

قلنا : ليتذكروا بذلك نعم الله تعالى الجسام عليهم بواسطة مقدم محمد صلى الله عليه و آله و سلم فيرتدعوا عن الفساد و . . . .[1] إلى الصلاح فيعلموا أنهم على شردين و يصدقوه فى أخباره عن حالهم فكان بيان كونهم على شردين و هذا كله و إن كان فى معرض الذم لهم و لكن مدح للنبي صلوات الله عليه و آله .

* * * * *

(١) كذا فى الأصل .

ومنها . فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِى مُعِينٌ إلاَّ أَهْلُ بَيْتِى فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ، وَأَغْضَيْتُ عَنِ الْقَذَى ، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ ، وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ

(اللغـــة)

ضننت بالكسر فى الماضى و الفتح أيضا أضن ضناً : أى بخلت و هو ضنين أى بخيل الاغضاء شتر العين بإدناء الجفون .

أغضى الليل : أى أظلم و ليلة غاضية شديدة الظلمة .

القذى : ما يتأذى العين به أما رؤية و اما مماسة يقال قذيت عينه تقذى قذى فهو رجل قذى العين فى وزن فعل إذا سقطت فى عينه قذاة قال الأصمعى : قذت عينه يقذى قذيا رمت بالقذى و أقذيت عينه أى جعلت فيها القذى و قذيتها تقذية أى أخرجت منها القذا .

الشجى : ما ينشب فى الحلق من عظم و غيره و قيل الشجى الغصة التى يأخذ الحلق من همّ أو حزن و هو الشجو و هو الحزن يقال : شجاه يشجوه بالكسر يشجى شجى فيكون الشجى اسما و مصدرا .

الصبر : الامساك فى ضيق فى الأصل و فى العرف هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عامّ و ربما خولف من أسمائه بحسب اختلاف مواقعـــه فان كان حبس النفس بمصيبـــة صبر الا غير و يضاده الجزع و إن كان فى محاربة سمى شجاعة و يضاده الجبن .

و إن كان فى مانئـه[1] مضجرة سمى رحب الصـدر و يضاده الضجر و إن كان فى امساك كلام سمى كتمانا و يضاده المبذر و قـد يعبر عن

(١) كذا فى الأصل .

الانتظار بالصبر لما كان حق الانتظار أن لا ينفكّ على الصبر بل هو نوع من الصبر و أراد به هنا رحب الصدر و يحتمل أن يكون بمعنى اسطوب.

الكظم: مخرج النفس يقال أخذ بكظمه أى بمخرج نفسه و الكظم أيضا تجرع الغيظ و منه قوله تعالى: «و الكاظمين الغيظ[1]» المرارة ضد الحلاوة يقال هذا شىء مرّ و الجمع أمرار و هذا أمر من كذا و العلقم أصول الحنظل و هو شىء يشبه به المرارة لأن مرارته لذاعة.

(الاعراب)

أهل بيتى: مرفوع على انه بدل من معين و أمرّ أفعل التفضيل و هو نعت لمنعوت محذوف الباقى واضح.

(المعانى)

فى قوله ليس لى معين: الا أهل بيتى الحصر الافراد على تنزيل المخاطبين منزلة من يرى أن له معينا غيرهم الفاء فى فضننت للسببية الدالة على أن القصر المذكور حاصبا[2] للضنة بهم.

(البيان)

فى أغضيت على القذى: استعارة تخييلية مكنى بها عن فتوره عن المقاومة و قعوده عن القيام إليهم مع مشاهدته ما يكون ظلما فى حقه مستدعية لتشبيه هيئة ستره عليه السلام ظلمهم عليه عن الناظرين بالتحمل.

الصبر على المشقة: و هى معقولة بهيئة ستر المغضى عينه عن

---

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) كذا فى الأصل.

الناظرين بادنام الجفون و الصبر على تحمل ما وقع فيها من المؤذى و هى محسوسة و وجه الشبه اشتراكهما فى الايذاء البالغ و التحمل و الستر .

فى شربت على الشجى : أيضا استعارة تخييلية مكنى بها عن تحمله عن الظلم عليه و صبره على الانظلام مستدعية لتشبيه تهيئة قعوده عليه السلام عن المقاومة معهم و حمل نفسه على الصبر مع مشاهدته لحظة فلحظة أمورا جارية على غير نظام الشريعة خصوصا الظلم فى حقه و هى معقولة بهيئة شرب الماء على الشجى و هى محسوسة وجه الشبه اشتراكهما فى الألم الشديد و عدم الالتذاذ و الاساغة و هو عقلى .

و فى صبرت على أخذ الكظم : أيضا استعارة تخييلية مكنى بها عن صعوبة الصبر على الانظلام و ما يفوت من حقه مستدعية للتشبيه المذكورة و قريب منه .

فى و على أمرّ من طعم العلقم : أيضا استعارة تخييلية مكنى بها عما يجده عن شدة التألم بسبب فوت حقه مستدعية لتشبيه هيئة صبره على فوت حقه بهيئة الصبر على كلّ العلقم و ذوقه طعمه ، و وجه الشبه اشتراكهما فى الأذى و الألم و إنما قال أمر لأنّ ما يجده من الألم نفسانى و بالجد أكل العلقم ألم بدنى و الألم النفسانى أشد من ألم البدنى بكثير يجده كلّ عاقل و هذه الاستعارات الأربع فى غاية الحسن و النفاسة و نهاية الجمال و اللطافة لا يعرفها إلا المدرب بعلم البيان و الله أعلم .

(البديع)

بين القذى و الشجى : التجنيس المتوازى و بين العلقم و الكظم المطرف .

(الفحوى)

أعلم أنه عليه السلام ذكر فى هذا الفصل بيان صورة حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله فى أمر الخلافة و هو اقتصاص فى معرض التظلم و الشكاية لمن تلبس بها و أشار أولا إلى أنه قد أجال الفكر فى أن الأولى بحاله القيام بطلبه و المقاومة مع من أخذها أو الصبر فرأى أنه لا معين له إلا أهل بيته من العباس بن عبد المطلب و بنيه أبى سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب و غيرهم و هم قليلون بالنسبه إلى من لا يعينه و يعين عليه .

فبخل بهم عن الموت لأنه علم بالقرائن الحالية أنه لو قادم بهم اقتلوا ثم لا يحصل له مقصوده و لما ضن بهم عن الموت نسب بالصبر و كنى عنه بالاستعارات الأربع على ما عرفتها و الكلام فى أن الشقاق هل وقع بين الصحابة فى أمر الخلافه بين لا يدفع و مكشوف لا يتقنع لا يحققه إلا العاقل الذى يطرح العصبية و الهوى عن نفسه و يطالع كتب التواريخ المؤلفة و ليس علينا إلا بيان ما يتعلق بما اشتمل عليه نهج البلاغة و الباقى موكول إلى نظر المورخ و الله الهادى إلى التحقيق .

* * * * *

ومنها: وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ. فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا فَقَدْ شُبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا، وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ.

(اللغـــة)

المبايعة و البيعـة : اسمان للعهد الذى يجرى بين طائفة على الطاعة لمعيّن و إنما سمى بهما لأن الباع عدهه[1] المبايع هو الذى يلق البيعـة و المباع هو الذى يقلبها .

الفرق بين الايتاء و الاعطاء : أن الايتاء إعطاء لمشىء من غير تعبد طلب فكأنه إحضار للعطية بين يدى آخذها و هو من أتى يأتى ، و يتعدى بالألف فقال آتى يوتى كقولنا جاء و أجاء و كل عطية من الله سبحانه ايتاء لأنها من غير استحقاق و طلب و إليـــه الاشارة بقوله تعالى : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[2] » .

و الاعطاء : أعم من الايتاء .

الخزى : مهانة يسور صاحبها و يخجله ، و خزى الرجل يخزى خزيا إذا تشور و خجل و الخزيان النادم الخجل .

الاخذ : حوز الشىء و تحصيله و ذلك يكون تارة بالتناول ، نحو قوله تعـالى : « معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنـده[3] » و تارة بالقهر نحو أخذته الحمى و منه قوله تعالى : « لا تأخذه سنة و لا نوم[4] » و هنا أراد الأول ألا هبـة عدة يتق بها الحوادث و تأهب إذا استعـدّ يقال أعده لأمر كذا هيأه له و الاستعداد للامر المتهيؤ له .

---

(١) كذا فى الأصل . (٢) الحديد : ٢١ . (٣) يوسف : ٧٩ .

(٤) البقرة : ٢٨٥ .

العدة بضم العين : الاستعداد يقال كونوا على عدة أى استعداد و العدة أيضا ما أعددته لحوادث الدهر من المال و السلاح يقال أخذ للأمر عدة به و عدة الحرب ما يعدّ من الآلات و السلاح .

يقال شبيت النار و الحرب أشبها شبا و شبوبا : إذا أوقدتها و لتوقد الحرارة الغريزية فى الشبان يعتبر عن حالهم بالشباب .

اللظى : النار و قيل اللهب الخالص يقال لظيت النار و تلظت قال الله تعالى : « نارا تلظى[1] » و لظى اسم من أسماء النار غير مصروفة قال الله تعالى : « إنها لظى » .

علا فى المكان : يعلو علوا و على فى الشرف بالكسر يعلى علاء السنا مقصور ضوء البرق و أيضا نبت يتداوى به و ذكر علا قرينة معينة للمعنى الأول .

السناء : ممدود الرفعة السنىّ الرفيع و أسناه و سناه : أى رفعه فى بعض النسخ استشعروا الصبر فانه أدعى إلى النصر ، الاستشعار اتخاذ الشيء شعارا و الشعار ما يلى الجسد من الثياب و يلازمه .

(الاعراب)

الضمير الفاعل : فى لم يبايع عائد إلى عمرو بن العاص و فى يؤمه إلى معاوية و الضمير المنصوب فيه لعمرو بن العاص ، الحرب تؤنث يقال وقعت بينهم حرب و لذا أنث عليه السلام الضمائر العائدة إليها .

(١) الليل : ١٤ .

(المعاني)

الفاء في فلا : للسببية الدالة على أن المبالغة المشروطة علة لدعائه عليه السلام بعدم الظفر و الخزى ، و فى فخذوا فصيحة مفصحة عن سبب محذوف لهذا الأمر تقديره فأعطاه الثمن على البيعة و بايع هو اياه على مخالفتي فخذو[1] أو اشتمال هذه الكلمات على الايجاز أظهر من البيان و فى فقد الظاهر أنها لعطف الجملة الخبرية على الانشائية و يحتمل أن يكون سببية.

(البيان)

فى خزيت أمانة المبتاع : مجاز فى الافراد و التركيب معا أما فى الأفراد فلأنه عليه السلام كنى عن بلاد المسلمين التى تولى معاوية حكمها بالاستيلاء بالأمانة كناية بالاستعارة المستلزمة لتشبيه البلاد بالأمانة و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى المحافظة عن تسلط غير المؤتمن عليها و الخيانة و الرد إليه و هو عقلى ، أما فى التركيب فلأنه عليه السلام أسند الخزى إلى الأمانة نظرا إلى أنها السبب للخيانة فيها المستلزمة للحقوق الخزى بصاحبها .

فى قوله شبت لظاها : استعارة مكنى بها عن بدؤ امارات الحرب منهم مستدعية لتشبيه أمارات الحرب بلهب النار و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى كونهما علامات على أمرين هما مظنة الهلاك و محل الفتنة و هو عقلى و علا سناها يحتمل أن يكون ترشيحا للاستعارة السابقة

---

(١) كذا فى الاصل .

و ان

و أن يكون استعارة مكنيا بها عن ظهور علامات الحرب بحيث اشتهر بين الناس و ارتفع ذكره مستدعية للتشبيه المذكور .

(البديع)

بين اهبتها و عدتها : السجع المتوازى و كذا بين لظاها و سناها و الباقى ظاهر .

(الفحوى)

روى أنه عليه السلام لما نزل بالكوفة بعد فراغه من أمر البصرة كتب إلى معاوية كتابا يدعوه فيه إلى البيعة فأهمه ذلك فدعا قوما من أهل الشام إلى الطلب بدم عثمان فأجابوه فأشار أخوه عتبة بن أبى سفيان بالاستعانة بعمرو بن العاص و كان بالمدينة[1] فاستدعاه فلما قدم عليه و عرف حاجته إليه ، جعل يمدح علياً عليه السلام فى وجهه و يفضله ليخدعه عما يريد منه و كان قبل ذلك قد طلب من معاوية مصر و هو يماطله و عمرو يمتنع عن مساعدته حتى رضى معاوية أن يعطيه مصر .

فعاهده على ذلك و بايع عمرو معاوية و كتب له بمصر كتابا هذا هو المعنى بقوله و لم يبايع أى عمرو معاوية حتى شرط أن يؤتيه أى يعطى معاوية عمراً بيعته اياه ثمنا هو مصر ، ثم دعا على المبايع البايع لدينه و هو

(١) هذا مخالف للتاريخ و لم يقل به أحد و الصحيح ان عمرو بن العاص كان مقيما بفلسطين حين قتل عثمان و بعد مبايعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام و قتل طلحة و الزبير استدعاه معاوية إلى دمشق فأجابه و باع دينه بدنياه .

عمر و بعدم الظفر فى الحرب أو بالثمن الذى أخذه على البيعة المذهبة لدينه بقوله فلا ظفرت يد المبايع و أردف ذلك الدعاء بالدعاء على المبتاع الذى قبل البيعة منه بالثمن الذى التمس المبايع منه و هو معاوية يخزى أمانته التى هى بلاد المسلمين و هو عبارة عن لحوق الخجالة يوم القيامة به حيث خان فى بلاد الاسلام توبيخا له و ذما .

قال و خزيت أمانة المبتاع : و ظهرت دعوة معاوية عمرا من الشام و مبايعة عمرو له لاحت أمارات الشقاق و النفاق فأمر عليه السلام أصحابه بالتأهب للحرب و اعداد ما يحتاج الحرب إليه و الباقى معلوم مما ذكرنا و الله أعلم .

* * * * *

٢٦ — ومن خطبة له عليه السلام

أما بعـــد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه ؛ وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشملة البلاء ، وديث بالصغار والقماء ، وضرب على قلبه بالأسداد ، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ، ومنع النصف ، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، وسرا وإعلانا ، وقلت لكم : أغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا فتوا كلتم ، وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم ، وملكت عليكم الأوطان ، وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار ، وقد قتل حسان بن حسان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها ، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة ، والأخرى المعاهدة ، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ، ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ، ولا أريق لهم دم . فلو أن امرءا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما ، بل كان به عندي جديرا ؛ فياعجبا — والله — يميت القلب ويجلب الهم اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا ، حين صرتم غرضا يرمى ؛ يغار عليكم ولا تغيرون ،

وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ؛ فَإذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ قُلْتُمْ هٰذِهِ حَمَارَّةُ القَيْظِ، أَمْهِلْنَا يُسَبِّخْ عَنَّا الحَرُّ، وَإذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هٰذِهِ صَبَارَّةُ القُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا البَرْدُ، كُلُّ هٰذَا فِرَارًا مِنَ الحَرِّ وَالقُرِّ(١) فَأَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ، يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ! حُلُومُ الأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الحِجَالِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ! مَعْرِفَةٌ وَاللهِ جَرَّتْ نَدَمًا، وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا قَاتَلَكُمُ اللهُ!! لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا، وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالعِصْيَانِ وَالخِذْلَانِ، حَتَّى قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ، وَلٰكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ.

لِلّٰهِ أَبُوهُمْ!! وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي؟! لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا، وَمَا بَلَغْتُ العِشْرِينَ، وَهَا أَنَاذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ، وَلٰكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ!!

(اللغـــة)

الجهاد: مصدر جاهد يقال جاهد في سبيل الله مجاهدة و جهاد و الجهاد هو استفراغ الوسع في مدافعة العدو .

الفتح: ازالة الاغلاق و الاشكال و ذلك ضربان أحدهما يدرك كفتح الباب و نحوه و كفتح الغلق و القفل و المتاع ، الثاني ما يدرك بالبصيرة كفتح الهمّ و هو ازالة الغمّ و ذلك ضربان .

أحدهما في الأمور الدنيوية كفقر يزال باعطاء المال .

و الثاني فتح المنغلق من العلوم نحو قولك فلان فتح بابا من العلم مغلقا الاولياء جمع وليّ و ولي الله هو العبد المؤمن الذي فوض أمره الى الله بالكلية قاطعا نظره عن غيره بحال ما فيحبه الله و يرضى عن أفعاله و أقواله و ليس هذا مقام اطالة الكلام فيه .

الدرع: هي المتخذة من الحديد ليلبس المحارب و يدفع بها تأثير السهام و السيف وغيرهما و هي موثنة و الجمع القليل أدرع و أدراع و اذا اكثرت فهي الدروع الحصينة المحكمة .

الجنة: الترس و هو ما يستتر المرء عن الخصم حال المقاتلة و بقية عن ضربه .

الذل: ضد العز .

شملهم الأمر: يشملهم لغة فيه لم يعرفها الأصمعي ، .

البلاء: الغمّ الكثير و انما سمى بلاء لأنه يبلى الجسم .

ديثه : أي ذلله ر طريق مذلل و انما سمي الذى لا غيرة له لأنه قد ذلل نفسه لكل آت .

قال الجوهرى الصغار : بالفتح الذل و الضيم وكذلك الصغر بالضم و المصدر الصغر بالتحريك يقال قد صغر الرجل بالكسر فى الماضى و للفتح فى الغابر صغرا و الصاغر الراضى بالضيم ، قيل الصغار الدناءة فى النفس و هو من الصغر دناءة الهيكل وكلاهما محتمل .

يقال قمؤ الرجل قماءة : صار قميئا و هو الصغير الذليل و أقماته أى صغرته و ذللته فالقماء الذلة و الحقارة و القماءة صغر القامة و لكون القصر و الحقارة متلازمين يعبر بأحدهما عن الاخر .

قال الشاعر :

تبين لى أن القماءة ذلة ٭ و ان أعزاء الرجال طوالها

ضرب عليه : اذا حجر عليه يقال ضربت على يد فلان أى منعته من التصرف قال الله تعالى : و ضربنا على آذانهم[1] ، أى حجرنا عليها .

الاسهاب : ذهاب العقل يقال أسهب الرجل على البناء للمفعول اذا ذهب عقله من لذع الحية و قيل أصله من التوسع فى الشيء و السهب الفلاة الواسعة و الفرس الواسع الجرى و بئر سهبة أى بعيدة القعر واسعه ، و انما يقال لذاهب العقل المسهب لارتفاع ضبط العقل عنه فهو متوسع فى أحواله و أقواله و حركاته و سكناته .

يقال اديل الحق منه : أى غلب عليه عدوه و أخذ الحق منه من

(١) الكهف : ١١ .

إدالة

إدالة الغلبة سيم أى اذيق .

قال الله تعالى : يسومونكم سوء العذاب[1] أى يذيقونكم .

الخسف : النقصان يقال رضى فلان بالخسف أى بالنقيصة و بات فلان الخسف أى جايعا و يقال سام الخسف و سامه خسفا أوخسفا بالضم اى اولاه ذلا و يقال كلفه المشقة و الذلّ .

النصف بكسر النون : و سكون الصاد الاسم من الانصاف .

القتال و المقاتلة : المحاربة و تجر القتل .

العلانية : ضد السر و اكثر ما يقال ذلك فى المعانى دون الاعيان .

يقال أعلنته يعلن قال : انى أعلنت لهم و اسررت لهم اسرارا[2] . أى سرا و علانية .

الغزو : الخروج الى محاربة العدو قال غزا يغزو غزوا فهو غاز و جمعه غزاة كقاض و قضاة و غزى مثل سابق و سبق و غزى مثل حاج و حجيج و غزاء مثل فاسق و فساق .

قط : معناها الزمان : يقال ما رأيته قط قال الكسائى كانت قطط فلما سكنت الحرف الأول للادغام جعل الآخر متحركا باعرابه ، عقر الدار : و سطها ومعظمها .

العقر : أصل الشيء و انما سمى معظمها عقرا لأنه أصل الدار تواكل القوم اذا وكل كلّ واحد منهم الأمر الى صاحبه .

شنّ الغارة : شنها شنا اذا صبها و أفرغها و شن أفرغ من الشنّ و هو الدلو المتمزق يتخذ من الجلد البالى فينصب عنه الماء .

---

(١) البقرة : ٤٩ . (٢) نوح : ٩ .

الغارات جمع غارة و الغارة اسم من الاغارة على العدو .

غامد : حى من اليمن .

الخيل : أراد به الفرسان كما فى قوله تعالى : و اجلب عليهم بخيلك و رجلك[1] ، و القرينة الحالية و المقالية معنية اياهم .

الانبار : اسم بلد قريب من بغداد على طريق الشام واقع على حافة الفرات .

أزال : أى اخرج و الخيل هنا يحتمل أن يكون المراد به الخيول و هو الأغاب و أن يكون الفرسان .

المسالح : يحتمل أن يكون جمع مسلح و هو الاصطبل الذى هو موضع سلح الدواب و هو الروث و حينئذ يكون المراد بالخيل الدواب و أن يكون جمعا لمسلحة هى القوم ذوو السلاح و المسلحة أيضا كالثغر و المرقب و فى الخبر كان أدنى مسالح فارس الى العرب العذيب[2] و حينئذ يكون المراد بالخيل الفرسان .

المعاهدة : الكافرة التى عاهدت أهل الاسلام فسكنت ديارهم و المعاهد من المشركين كاهل الذمة من أهل الكتاب .

انتزع الشىء ينتزع انتزاعا : أى أقلعه .

---

(١) الاسراء : ٦٤ .

(٢) العذيب تصغير العذب و هو الماء الطيب و هو ماء بين القادسية و المغيثة بينه و بين القادسية اربعة اميال و هو من منازل حاج الكوفة و قيل هو حد السواد و كانت مسلحة للفرس و قد اكثر الشعراء من ذكرها .

الحجل : بالفتح و الكسر الخلخال .

القب : السوار و انما سمى به لتقابه فى الساعد و الحه[1] اذا تحلقت

سميت قلبا لمشابهتها السوار .

القلائد : جمع قلادة و هى اسم لما فى العنق من الطوق وغيره .

الرعاث : القرطة واحدتها رعثة و رعثة بالتحريك و ترعثت المرأة

ى تقرطت قيل : الرعاث ضرب من الخرز و الحلى و قيل كان يتخذ من

مهن حلى يتزينون بها ، .

الامتناع : الاحتراس ، الاسترجاع قول المرء لنائبة أصابته إنا لله

و إنا اليه راجعون .

و الاسترحام : طلب الرحمة .

الصرف : رد الشىء من حالة الى حالة أو ابداله بغيره يقال صرفته

نصرف و الانصراف هنا أراد به الرجوع .

الوفر : المال الكثير و الموفور الشىء التام . يقال وفرت الشىء تممته

و كملتــه أفره وفرا و وفر الشىء بنفسه وفورا . الوافر التام بالوفر أى

الحامل له .

الكلم : التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع و البصر و كلمته

جرحته جراحة بان أثرها .

الأسف : الغضب و الحزن معا و قد يقال لكل واحد منهما على

الانفراد و حقيقته ثوران دم القلب و شهوة الانتقام .

---

(١) كذا فى الأصل .

فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضبا و متى كان على من فوقه انقبض فصار حزنا و لذلك سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الحزن و الغضب يقال مخرجهما واحد ، و اللفظ مختلف فمن نازع من يقوى عليه أظهر غيظا و غضبا و من نازع من لا يقوى عليه أظهر حزنا و جزعا .

أللوم : عذل الانسان بنسبته الى ما فيه لوم يقال لمته فهو ملوم .

يقال فلان جدير بكذا : أى خليق و أنت جدير أن تفعل كذا و الجمع جدرآء و جديرون .

جلب الشيء يجلبه جلبا ، و جلبا اذا جذبه .

الهمّ : الحزن الذى يذيب الانسان يقال هممت الشحم فانهمّ و الهمّ ما هممت به فى نفسك و القرينة الحالية معينة للأوّل .

يقال قبحا له و قبحا : أى نحاه عن الخير .

الترح : ضد الفرح و هو الحزن يقال ترحه تتريحاً أى أحزنه .

الغرض : الهدف المقصود بالرمى ثمّ جعل اسما لكل غاية يتحرى ادراكهما .

حمارة القيظ : بتشديد الرآء شدة الحر فى الصيف و ربما خفف فى الشعر للضرورة و الجمع حمار و أن العرب يعبر عن الشدة بالحمرة لأنه لون الدم الذى يتفق اراقته فى الخطوب الشديدة و موت أحمر اذا وصف بالشدة .

فى الحديث كنا اذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله التسبيخ التخفيف يقال سبخ الله عنك الحمى أى خففها و فى الحديث أنه عليه السلام قال

لعايشة

لعايشة حين دعت على سارق سرقها لا تسبخي عنه بدعائك عليه أي لا تخفف عنه أثمه قال الشاعر :

فسبخ عليك الهمّ و اعلم بأنه ، إذا قدر الرحمن شيئا فكائن

و سبخ الحر فتر وخف .

صبارة الشتاء: بتشديد الراء شدة برده لاحباس الناس فيه عن السعى و الحركات و أصلها من الصبر و هو الحبس .

القر : بضم القاف و تشديد الرآء البرد يقال يوم قروليلة قرة أى باردة .

الانسلاخ : الانفصا لعن الشىء المخيط كالثوب و الجلد و اشباههما ، يقال انسلخ الشهر من سنته و الرجل من ثيابه و الحية من قشرها و النهار من الليـــل .

الحجال : جمع حجلة بالتحريك و الحجلة للعروس بيت يزين بالثياب و الاسرّة و الستور و أراد بربات الحجال النساء .

الحلوم ، جمع حلم : و هو ضبط النفس عن الغضب فى الأصل و يراد به العقل على سبيل المجاز اطلاقا لاسم المسبب وارادة السبب و هنا يحتمل الأمران ، المعرفة و العرفان ادراك الشىء بتفكر و تدبر لأمره أخص من العلم و يضاده للانكار .

الندم و الندامة : التحسر من تغيير رأى فى أمر فائت .

القيح : المدة لا يخالطها دم يقول منه قاح الجرح يقيح و قيح الجرح و يقيح ، شحنتم أى ملأتم .

الغيظ : غضب كامن للعاجز يقال غاظه فهو مغيظ .

---

(١) التوبة : ٣٤ .

جرعت الماء أجرعه جرعا و جرعه غيره تجريعا يقال جرعه غصص الغيظ فيجرعه أى كظمه .

النغبة : بضم النون الجرعة و الجمع النغب قال ابن السكيت : نغبت من الاناء بالكسر نغبا أى جرعت منه جرعا .

التهمام . تفعال من الهمّ و هو شدة الغمّ و الحزن .

المراس : الممارسة و المعاجلة و قوة الجلد و الاصطبار على الشىء يقال رجل مرس اذا كان جلدا شديد العلاج .

ذرف على المائة تذريفا: أى زاد .

(الاعراب)

و افرين : حال من فاعل انصرفوا أسفا مفعول له أى لو مات لأجل الأسف على ما فات منه ، عجبا الأول منادى نكرة كقولهم يا رجلا خذ بيدى ، الثانى نصب على المصدر من المصادر التى يحذف منها أفعالها مثل حمداً و شكرا و انما كرره تاكيدا . الضمير فى به ملوما عائد الى الموت الدالّ عليه مات على طريقة قولهم من كذب كان شرا له .

يحتمل أن يكون العجب الأول مصدرا و الثانى تاكيدا و المنادى محذوفا تقديره يا قوم اعجبوا عجبا . و يميت القلب نعت لعجبا .

فقبحا لكم و ترحا : منصوبان على المصدر من المصادر المذكورة فراراً نصب على المفعول له تقديره كل هذا يقولونه لأجل الفرار .

أنفاسا : حال من نغب التهمام ها للتنبيه و أنا مبتدأ و الجملة بعده خبر .

(المعانى)

انما ذكر الجهاد و فصله أولا على سبيل الاجمالى ثم فصل و خاطبهم بالخطاب

بالخطاب الخالى عن الاقتصاص بالمقصود بل المشتمل على توبيخهم على القعود حين دعاهم ثم أتى بالمقصود ليكون أقبل لما مر غيرة ان الكلام إذا سبق على سبيل العموم ثم على الخصوص كان أقرب إلى المفعول أنما أتى بالمسند إليه مضمراً غائباً فى قوله و هو لباس لذكر المظهر أولا و الاهتمام بشانه، الفاء فى فمن تركه رغبة ألبسه الدالة على أن ما قبل الجملة علة لما بعدها . و فى فو الله ما غزى إلى ذلوا خاصيتان، إحديهما التصدير بالقسم المؤذن بأن الكلام مع المنكر و بأنه إنما أورد ليرده عن الخطاء إلى الصواب ، الثانية القصر للقلب يعنى ليس الامر ما تصورتم من أن القعود عن المقاتلة و المقام فى البيت أولى بالعزة بل هما موجبان للذلة .

الفاء فى فتواكلتم : فصيحة مفصحة عن محذوف هو سبب للتواكل تقديره فما أطعتمونى و تثاقلتم عن دعوتى و قعدتم عن نصرى و جبنتم فتواكلتم هذا فى قوله ، هذا يحتمل أن يكون لاتمام توبيخهم و الشروع فى الغرض أى مضى هذا أوتم و أن يكون للتحقير مثل قوله فى الشقشقية إلى هذه النظائر و هو أقرب إلى البلاغة إذ كما أنه يؤذن بتحقير الرجل كذا يؤذن بنسبتهم إلى الجبن و العجز على سبيل التعريض حيث قعدوا عن مقاومته .

و افرين : حال على الأصل و حيث كان وصفا غير ثابت و اسم فاعل و على النهج حيث كان خاليا عن حرف النفى .

ما نال رجلا منهم كلم : جملة استينافية مقررة لمضمون الجملة السابقة.

الفاء فى فقبحا لكم : للسببية الدالة على أن التفرق على الحق سبب للدعاء عليهم مع اشتماله على الايجاز .

يغار عليكم : جملة استيافية دالة على تعليل صيرورتهم غرضا يرمى.

حلوم الاطفال : أيضا جملة استينافية .وذنة بتعليل نفى الرجولية عنهم و حذف منه المسند إليه تعويلا على القرائن التى يشهد العقل بها على الوجود أو لأن هذا الخبر لا يصلح أدعا[1] الا لهم .

و الله جرت ندما : أيضا جملة استينافية حذف منه المسند إليه لما عرفت و قد صدرت بالقسم ليردها المخالف لمضمونها إلى الموافقة تقديره تلك معرفة و الله جرّت ندما هل أحد منهم استفهام عن الثبوت على سبيل الانكار و مثل هذا التركيب أى ادخال هل على الاسم لا يصدر إلا من البليغ العارف بمواقع البلاغة و ذلك لأنا قد بينا فى المعانى أن هل مختص بالفعل و لا يدخل على الاسم إلا اذا كان مراد المتكلم عدم التجدد ل الثبات على ما دخل عليه هل .

و من ثم كان قوله تعالى : « فهل أنتم شاكرون[2] » ادخل فى الأنباء ن طلب الشكر من قوله فهل تشكرون و الله أعلم . ثم حقق ثباته فى لحرب و ممارسته لها بادخال اللام للقسم فى لقد نهضت و لكن فى لكن ا رأى لرد من اعتقد فيه عليه السلام أن ليس له رأى إلى أن له رأيا . لكن يمنع من ظهور أثره مانع هو عدم اطاعة القوم و الله أعلم اعلم أن تحت كلّ كلمة خواص لو أطلق أذكرها لخرج كتابنا هذا عن حد الاعتدال و لأفضى إلى التطويل .

(البيان)

فى الجهاد باب من أبواب الجنة : تشبيه واقع فى المرتبة العليا من

(١) كذا فى الأصل .
(٢) الأنبياء : ٨٠ .

بدايتها

بدايتها و هى ذكر المشبه و المشبه به بذوات حرف التشبيه، و وجه الشبه وقد عرفت علوهـا فى المقصد الثانى فى البيان من القاعدة الثانيـة و هذا تشبيه للمعقول و هو الجهاد بالمحسوس و هو الباب، و وجه الشبه أن المسلم بسبب الجهاد يدخل الجنة و يستحقها كما ان با[1] من الباب يدخل الدار و هو عقلى، فى لباس التقوى استعـارة تصريحية المستعار منـه فيها و هو الثوب الذى يلبس محسوس و المستعار له و هو الجهاد معقول،

وجه الشبه أن الجهاد يدفع حرارة العذاب و برودته كما أن اللباس يدفع به الحرّ الشديد و البرد الشديد و هو عقلى .

فى درع الله الحصينة : أيضا استعارة تصريحية مرشحة المستعار منه فيها و هو الدرع التى يلبسها المقاتل لردّ سهام الخصم حسى، و المستعار له و هو الجهاد عقلى، و وجه الشبه أنّ الجهاد يدفع سهام مكائد الأعداء فى الدنيا و سوء العذاب فى الآخرة كما أن الدرع يتقى بها عن تأثير سهام العدوّ و هو عقلى و قد رشحها بذكر الحصينة .

فى جنته الوثيقة : أيضا استعارة تصريحية مرشحة المستعار منه فيها و هو الجنـة التى يتقى بها من تسلط العدو بأثرة عليه و المستعار له و هو الجهاد عقلى، و وجه الشبه أن الجهـاد من تلبس به أمن من أن يتسلط العدو عليه و زال عنه الخوف منه كما أن الجنة يتخذها المقاتل قدامه ليأمن من سطوات الخصم و تأثيراته و هو عقلى و قد رشحها بذكر الوثيقة .

فى ألبسه الله ثوب الذل : أيضا استعارة تصريحية مرشحة المستعار

(١) كذا فى الأصل .

منه فيها هو الثوب محسوس و المستعار له و هو الذل عقلي ، و وجه المشابهة أن الذل يحيط به احاطة الثوب لابسه و هو عقلي ، و قد رشحها بذكر الالباس .

ضرب على قلبه بالاسهاب ايضا استعارة تصريحية المستعار منه فيها يضرب الخيمة و ماشاكلها و هو أمر حسي و المستعار له الثبت و الدوام و هو عقلي و وجه الشبه اشتراكهما في الاحاطة يعني قلة العقل و ذهابه يحيط به كاحاطة الخيمة بمن فيها و تلك الاستعارة مثل ما في قوله تعالى : و ضربت عليهم الذلة و المسكنة .

انما اسند الاماتة الى العجب إما لانه مثير للعجز الذي هو في آخر الأمر و جرّ المرء إلى الهلاك فيكون اطلاقا لاسم الشيء باسم ما يؤل اليه أولا استعارة بالاماتة عن الاعجاز استعارة مكنيا بها مستدعية لتشبيه الموت و هما عقليان ، و وجه الشبه اشتراكهما في عدم حصول المطلوب معهما و هو ايضا عقلي .

حين صرتم غرضا يرمى : استعارة تخييلية مكنى بها من غاية عجزهم في مقاومة العدو مستدعية لتشبيههم بالهدف الذي يجهل مقصودا بالرمي و هما محسوسان .

وجه الشبه اشتراكهما في عدم القدرة على الدفع و العجز و هو عقلي في ينسلخ عنا البرد استعارة تصريحية المستعار منه فيها و هو ظهور المسلوخ من جلدته و المستعار له و هو ظهور آثار الحرارة من آثار البرودة محسوسان ، و وجه الشبه هو ما يعقل من [1] مديب أحدهما على الآخر

(١) كذا في الاصل .

و هو عقلي و مثلها فى قوله تعالى : نسلخ منه النهار[1] .

حلوم الأطفال و عقول ربات الحجال : تشبيه لحلومهم بحلوم الاطفال و وجه الشبه اشتراكهما فى كونهما فى غير مواضعهـا و تشبيه لعقولهم بعقول النساء .

وجه الشبه المشاركة فى النقصان و عدم تعقل الأ مورالمختصة بتدبير المدن و الحرب و هذان التشبيهان واقعان فى أعلى مراتب التشبيه و أقواها .

فى قاتلكم الله : مجاز من باب اطلاق الملزوم و إرادة اللازم و ذلك لانّ المقاتلة غير ممكن اطلاقها على الله تعالى و المراد بها حقيقتها و لـكن لمـا كانت مستلزمة للعداوة المستلزمة للطرد و اللعن و الابعاد عن الرحمة كانت مستلزمة للطرد و غيره لأن لازم الـلازم لازم فيكون مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم و ارادة اللازم البعيد ، .

ملأتم قيحا : استعارة تخييلية مكنى بها عن بلوغ ألم قلبه الحاصل من عدم طاعتهم لأوامره و قعودهم عن نصره الى الغاية مستدعية لتشبيهين :

احدهما تشبيه عدم طاعتهم لأمره و تثبطهم بالجرح الواقع فى العضو المجروح و عدم طاعتهم يؤلم قلبه ، الثانى تشبيه غاية فعلهم بغاية فعل الجرح و وجه الشبه اشتراكهما فى تحصيل الألم البالغ الى الغاية و هو عقلي و من قال عبر بالقيح عن ألم قلبه اطلاقا لاسم الغاية على ذى الغاية فقد أخطأ فان القيح ليس غاية لم القلب حتى يقول هذا .

---

(١) ليس : ٣٧ .

فی شحنتم صدری غیظا : استعارة قریبة مما ذکرنا ، فی جرعتمونی نغب التهمام استعارة مکنی بها عن عدم مطاوعتهم لأوامره المرادفة علیهم و قعودهم عن نصره فی المحرمات مستدعیة لتشبیه هئیة ادخالهم الهم علی نفسه و تکرار ذلك منهم بعدم انقیادهم و هی معقولة بهیئة ادخال الجرع المآء و نحوه فی الحلق و علی سبیل التکرار و هی محسوسة .

وجه الشبه اشتراکهما فی حصول الأثر من الغیر و هو عقلی .

قوله أنفاسا : مجاز فی الدرجة الثانیة و ذلك لأن النفس حقیقة فی الهوآء الداخل و الخارج فی بدن الحیوان من قبل الطبیعة ثم استعمل عرفا لمقدار ما یشرب من الشراب فی مدة ادخال الهوآء بقدر الحاجة اطلاقا لاسم المتعلق علی المتعلق ثم استعمله دهنا فی کل مقدار یراد علیه من الهم من قبل أصحابه وقتا فوقتا فیکون واقعا فی الدرجة الثانیة .

(البدیع)

بین الحصینة و الوثیقة : السجع المتوازی و لو لم یعتبر وجود التاء لکان السجع متوازیا .

بین البلاء و القضاء المتوازی مع الترصیع کما بین الخسف و النصف و بین کلم و دم المطرف .

کذا بین الأطفال و الحجال و بین ندما و سدما : المتوازی و الترصیع و التجنیس المضارع .

بین قیحا و غیظا المتوازن و الباقی سهل استخراجه .

(الفحوى)

اعلم أن هذه الخطبة مشهورة ذكرها أبو العباس المبرد و غيره من أساطين التواريخ و الواعين لكلام الصحابة و التابعين قال ابو العباس المبرد : روى أنه لما انتهى اليه ورد خيل معاوية الانبار و قتل حسان بن الحسان البكرى خرج مغضبا يجرّ رداءه حتى أتى[1] النخيلة و معه الناس فرقى ربوة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه و صلى على النبي صلى الله عليه و آله ثم قال أما بعد إلى آخرة .

قوله فان الجهاد إلى منع النصف : إشارة الى حث السامعين على الجهاد بذكر فضائله حصول[2] و الامور التي ينفر عنها الطباع و يمجها الاسماع لمن تركه فذكر من فضائله اموراً .

الاول كونه بابا من أبواب الجنة و ذلك لأن الجهاد ثلاثة : جهاد العدو و جهاد الشيطان الكامن الجارى فى ابن آدم بجرم الدم فى البدن ، و جهاد النفس التي أعدى الاعداء على ما ينبىء عنه قوله عليه السلام أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك .

قوله عليه السلام جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم و يدخل

---

(١) نخيلة تصغير نخلة : موضع قرب الكوفة على سمت الشام و هو الموضع الذى خرج اليه على لما بلغه ما فعل بالانبار من قتل عامله عليها و خطب خطبة مشهورة ذم فيها اهل الكوفة ، و نخيلة اليوم معروف بخان النخيلة على منتصف الطريق من النجف الاشرف الى كربلاء المقدسة .

(٢) كذا .

وجوب عمومها فى قوله تعالى : و جاهدوا فى الله حق جهاده لما كان الطريق الى الله تعالى هو العبادات المتممة على تطويع النفس الأمارة بالسوء و منها الجهاد كان كل من أركانها بابا من أبواب الجنة يدخل به إلى التى هى غاية سعى العارفين المجاهدين .

الثانى كونه بابا فتحه الله لخواص من أوليائه واراد بالخاص الاولياء الذين صدقوا ظنونهم بالله تعالى و عرفوا النفس الكامنة و خالفوا أوامرها و قطعوا العلائق الدنياوية و فوضوا امورهم بالكلية الى الله و سلموا نفوسهم اليه تعالى و أخلصوا دينهم لله و فارقوا أهلهم و أموالهم و أولادهم و ذبوا الكفار عن حوزة الدين .

هم فى جميع الأحوال صابرون و شاكرون معترفون لا يزول موثرا بالحقيقة ألا هو الله فمن وصل الى هذه المرتبة فى الاسلام فقد فرغ من جهاد الشيطان و النفس أو مع مقاومتهما لا يقدر أن يصل اليها ولا يبالى بأن يلقى نفسه فى الجهاد للذب عن الدين فلا جرم كان هذا الباب مفتوحا دائما .

فان قيل فما معنى قول الصحابة لما (١) رجعوا عن جهاد المشركين رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قلنا ارادوا بالجهاد الأكبر الجهاد مع النفس و انما كان أكبر لوجوه .

(١) فى الحديث المشهور المستفيض قال رسول الله صلى الله عليه و آله حين رجع من احدى غزواته رجعنا من الجهاد الاصغر و بقى علينا الجهاد الاكبر قالوا يا رسول الله و ما الجهاد الاكبر قال جهاد النفس .

ا ـ أن مضرة النفس لكونها مضرة أخروية باقية أعظم من مضرة العدو الظاهر لكونها دنيوية فانية وكلما كانت المضرة أعظم كان الجهاد اكبر .

ب ـ أن النفس عدوّ كامن لازم لا يفارق بحال بخلاف العدوّ فله ظاهر مبين لا يبرز نفسه للمقاتلة فى كل سنة الا مرة أو مرتين و لا ريب أن جهاد العدو و الملازم الكامن أعظم من جهاد من كان ظاهراً مفارقا .

ج ـ أن مكائد النفس امور محققة مصبوبة فى قوالب الصفاء و المودة لايكاد يعرفها الا العارف بالنفس كما هى بخلاف مكائد العدو الظاهر فانها يعرفها كل أحـــد و لاخفاء فى أن دفع المكائد التى لا يكن الوقوف عليها الا بعد تعب عظيم بالجهاد أشق و اكبر من دفع المكائد التى لا يحتاج فى معرفتها الى مشقة و كلفة .

الثالث كونه لباس التقوى الى الوثيقة و قد عرفت فى البيان معناه، ثم عقب عليه السلام الكلام فى الفضائل بلحوق الامور المنفوذة طبعا بمن تركه رغبة عنه من غير عذر يخلفه ، و قال فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل أى أحاط الله به الذل كاحاطة الثوب به و شمله البلاء أى أصابه البلاء بسبب ظفر العدو عليه ، و ديث بالصغار و القماء أى اذلل بالضيم و دناءة النفس و الحقارة من قبل العدو و ضرب على قلبه بالاسهاب أى حجر على قلبه بقلة العقل العملى المرشد الى التدابير فى الضرب اما لاستيلاء الوهم عليه بحسب استيلاء الخوف و لعدم مبالاته بالامور الشرعية بحسب استيلاء الخوف أو لعدم مبالاته بالامور الشرعية .

و يحتمل أن يكون معناه لزم قلبه قلة العقل لزوم المضروب على

الحائط و أن يكون معنى الاسهاب بكثرة الكلام أى احيط به كثرة الكلام عن غير فائدة لغلبة الخوف عليه و هكذا شان الخائف الجبان كثيرا ما تخبط فى الكلام ، و من ثم قال عليه السلام .

أميتوا أصواتكم فانه أطرد للفشل : و فى بعض النسخ الاسداد و هو جمع سدّ و هو الحاجز و أراد بها الحجب التى يحول بين المرء و ادراكاته على ما عنى به تعالى حيث قال : « و جعلنا من بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون[1] » أى حجابا يحجزهم عن ادراك ما أمامهم من الأمور الأخروية والالتفات إلى ما خلفهم من الحوادث الدنيوية و اللوازم الباقية من غلبة العدو عليه بصيرورة الدولة إليه بواسطة تضييع الجهاد و اذاقة الذل و كونه ممنوعا من الانصاف ظاهرة غنية عن زيادة بيان .

ثم لما فرغ من بيان فضائل الجهاد و لحوق الأمور المنفورة طبعا بمن تركه من غير عذر خاض عليه السلام فى توبيخهم على تركهم الجهاد و قال : ألا و إنى أى إنى قد دعوتكم إلى قتال أصحاب معاوية و محاربتهم فى جميع الأزمنة و الأوقات و الأحوال و قد نصحت لكم و قلت أخرجوا لغزوهم قبل خروجهم لغزوكم و قد نبهتكم على ما كان انا أعلم به منكم من القاعدة الكلية التى لا ريب فيها و هى المشار اليها بقوله :

فو الله ما غزى قوم إلى ذلوا : يعنى من لم يستقبل الحوادث خصوصا قصد العدو بالدفع قبل وقوعها و ذهل عن وقوعها أو تغافل عنه و تكاسل

(١) يس : ٩ .

حتى وقعت بحيث اضطربه إلى الدفع كان ذلاً و صغارا له .

و ذلك لأن للأوهام أفعالا عجيبة تارة تثير فى النفس قوة و أخرى تثير ضعفا و فتورا و جبنا و كان السبب فى لحوق الذلّ بمن غزى فى داره هو الأوهام و ذلك لأن وهمه يحكم بأن العدو ما قصده إلا لاعتقاد الضعف فيه و القوة فى نفسه فحينئذ نظر النفس ذلك المتوهم انفعال فينقهر عن المقاومة و إذا حصل الانقهار نظر بأن الضعف فى النفس حصل الذل و العجز ، و أما العدو القاصد فيحكم وهمه بضعف الخصم الذى توجه إليه بسبب أنه لو كان قويا شجاعا لما مكننى من المجيء إلى باب داره فيحصل له العزة و الغلبة .

ثم دلّ بقوله فتـوا كلتم إلى الأوطان : على أنهم ما قبلوا نصيحته لغزو أعدائهم قبل أن يغزوهم و قابلوها بالتواكل الذى يشم منـــه رائحة التكاسل و التخاذل الذى يذوق منه الجبن حتى ظهر العدو عليهم و افزع الغارات عليهم و أخذوا أملاكهم و أوطانهم بالقهر و الاستيلاء ثم عقب ذلك الكلام الدالّ على ذكر العدو المطلق بذكر العـــدو المعين و ابتدأ بقصة ما ورد على الانبار .

قال هذا أخو غامد : إلى آخر القصة قيل اسمه سفيان بن عوف و هو صاحب معاوية أغار على عسكر أمير المؤمنين بعـد صفين يعنى قد بلغت عسكره الانبار و قد قتل عامله من قبل أمير المؤمنين عليـه السلام و هـو حسان بن حسان البـكرى و أزال خيلكم عن مسالحهـا أى أخرج دوابكم و افراسكم عن اصطبلها أو دفع فرسانكم المقيمين على الثغور و المراقب

عنها فانهزموا و فعل بالمسلمات و المعاهدات ما لا يفعل إلا بالأذلاء والعجزة نهب أموال المسلمين على ما ذكره عليه السلام مفصلا و هتكوا حرمتين.

ثم رجعوا حال كونهم تامين بالمال و المال ما أصاب رجلا من ذلك العسكر جراحة و لا قتل منهم واحد بل انصرفوا غانمين غير غارمين ثم دل بقوله فلو ان إلى جديرا على ان الأولى الحق صاحب الغيرة و الحمية أن يموت من الحزن على ما أصاب المسلمين من نهيب أموالهم و هتك حرمة ذراريهم و تقاعدهم عن المقاومة معهم و المكاوحة و بخهم على ما كانوا عليه من التكاسل فى القيام بالحق مع جدهم فى الباطل و نادى العجب و كرر ، هذا تنفيرلهم عن القاعد و محبهم على الجهاد .

ثم عقب ذلك التعجب بالدعاء عليهم ببعدهم عن الخير و أصابتهم الحزن بسبب تفريطهم .

قال فقبحا لكم و ترحا : ثم بين الموجب لاستحقاقهم كونهم ممن يدعى عليه و وبخهم بما يأنف منه أهل المرؤة و يستحى منه من كان له أدنى رجولية و يوجب لهم الخجل بسبب صيرورتهم أغراضا للرماة يقصدها كل رام بالرمى يغار عليهم و الأولى لهم أن يغيروا و يغزون و كانوا هم الأولى بالغزو و يعصى الله و هم راضون به ثم دل بقوله : فاذا إلى البرد على أنهم إذا طولبوا بالخروج للجهاد و يجعلون تارة شدة الحر عذرا و أخرى شدة البرد ، و ليس غرضهم إلا التكاسل و الفتور عن الحرب لضعف نياتهم و عجزهم عن المقاومة .

ثم قبل عليه السلام أعذارهم و احتج عليهم بأنكم إذا كنتم تفرون

من الحر و البرد اللذين هما مشقتان أسهل من مشقة السيف فبالضرورة أن فراركم من السيف أكثر ثم عقب ذلك الاحتجاج بثلاثة أوصاف فى معرض الذم لهم .

الأول أنه أطلق عليهم مشابهة الرجال بالصورة المحسوسة و بقى عنهم الرجولية التى بها الصورة المعقولة للانسان المستلزمة لصفات الكمال من الحمية و الغيرة و الانفة ليستلزم نفيها نفى هذه الكمالات إذ نفى الملزوم المساوى مستلزم لنفى اللازم .

الثانى أنه أثبت أن حلومهم لكونها ليست واقعة فى مواقعها كحلوم الأطفال يعنى إن تصوروا قعودهم عن المقاومة منهم حلما محمودا فذلك تصور باطل لأنه حلم فى غير موضعه فكل حلم فى غير موضعه فهو مستلزم للجبن المجلب للذم .

الثالث أثبت لهم نقصان العقول و أنهم لينون يحبون للتنعم و الترفه قاصرون همتهم على الأمور الحربيــة العائدة إلى اللذات الحسية كالنساء المتفردات بالقعود فى الحجال المزينة اللاتى ليس لهن همّ الا الالتذاذ بالأمور المحسوسة غافلات عن تدبير المعاد و ما يتعلق به من لوازم قلة العقل ، ثم عرفهم بقوله لوددت إلى مدما أنه متمن عدم رؤيتهم و عدم معرفتهم بالكلية إذ معرفتهم ما أورثت له عليه السلام الا ندامة على الدخول فى أمرهم و الحزن على تقصيرهم فى الذبّ عن الدين .

ثم عاد عليه السلام إلى الدعاء عليهم بقوله : قاتلكم الله أى أبعدكم الله من رحمته السابقة على غضبه ، قال المفسرون معنى قول العرب :

قاتلكم الله لعنكم الله، و قال ابن الأنباري: المقاتلة من القتل فاذا أخبر الله بها كان معناها اللعنة لأن من لعنه الله كان بمنزلة المقتول الهالك ثم شكى منهم بقوله: لقد ملأتهم إلى أنفاسا و قد عرفت معناه فى البيان .

قوله و أفسدتم على رأيي: اشارة إلى تمام شكايته عليه السلام منهم يعني أنهم لم يلتفتوا إلى قولي و خذلوني و خرجوا من طاعتي و ما قبلوا مني كل رأي القيت إليهم و أقدموا على أمور خارجة عن نظام الرأي الشديد فتوهم القوم أن هذا من نتيجة رأي فحسبوه رأيا مني فاسدا حتى قالت قريش ان ابن أبي طالب و ان كان رجلا شجاعا غير أنه لا علم له بالحرب، ثم رد عليه السلام بقوله لله أبوهم إلى آخره على قريش فى نسبتهم له عليه السلام إلى قلة العلم بالحرب قوله لله أبوهم كلمة يتكلم العرب بها فى معرض المدح .

ثم انكر عليهم و استفهم منهم على سبيل الانكار و سألهم عن رجل هو أشد ثباتا للحرب منه و أقدم فيها مقاما منه يعني ليس رجل هو أشد معالجة مني ثم نبههم على صدق هذه الدعوى اللازمة من الاستفهام على سبيل الانكار بقيامه فى الحرب من حين بلوغ سنه عشرين إلى آخر عمره و هو بعهد الستين .

يعني كنت أربعين سنة مباشرا للحرب ممارسا لها فكيف أحد غيري أعلم بأمورها مني، ثم بين أن فساد الرأي ليس حاصلا مني على ما توهمه قريش فى حقي بل انما نشأ من عدم مطاوعتهم و ذلك لأن أثر الرأي الشديد فى الحروب فى الخارج انما يظهر بمطاوعة الأصحاب و الجنود هذا هو المعنى بقوله عليه السلام: و لكن لا رأي لمن لا يطاع و الله أعلم.

* * * * *

اللغة

٢٧ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

أَمَّا بَعْدُ . فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ ، وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ ؟ أَلاَ وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ ، وَغَدًا السِّبَاقَ ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ ؛ أَفَلاَ تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ؟ أَلاَ عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ ؟ أَلاَ وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ، وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ ، وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ وَضَرَّهُ أَجَلُهُ ، أَلاَ فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ ؟ أَلاَ وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا ، وَلاَ كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا أَلاَ وَإِنَّهُ مَنْ لاَ يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضْرُرْهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى يَجُرُّ بِهِ الضَّلاَلُ إِلَى الرَّدَى . أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ . تَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْرُزُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ غَدًا .

قال الشريف : أقول: لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد فى الدنيا و يضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام ، وكفى به قاطعا لعلائق الآمال، وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار . ومن أعجبه قوله عليه السلام «ألاَ وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ

وَغَدًا السِّبَاقَ وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ ، فإن فيه — مع فخامة اللفظ ، وعظم قدر المعنى ، وصادق التمثيل ، وواقع التشبيه — سراً عجيباً ، ومعنى لطيفاً ، وهو قوله عليه السلام : « والسبقة الجنة ، والغاية النار » فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ، ولم يقل « السبقة النار » كما قال « السبقة الجنة » ؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب ، وغرض مطلوب ، وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا فى النار نعوذ بالله منها ، فلم يجز أن يقول « والسبقة النار » بل قال « والغاية النار » ؛ لأن الغاية ينتهى إليها من لا يسره الانتهاء ومن يسره ذلك ، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا ، فهى فى هذا الموضع كالمصير والمآل ، قال الله تعالى : (قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار) ولا يجوز فى هذا الموضع أن يقال : سبقتكم — بسكون الباء — إلى النار ، فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد . وكذلك أكثر كلامه عليه السلام ، وفى بعض النسخ ، وقد جاء فى رواية أخرى « والسبقة الجنة » — بضم السين — والسبقة عندهم : اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض ، والمعنيان متقاربان لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم ، وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود .

(اللغـــة)

الدنيا : مؤنث من الأدنى و الأدنى يحتمل أن يكون من الدنو لقربها من الناس و الأخرى لتأخرها عنها ، و من ثم قال بعض الصوفية : الدنيا ما دنا من قلبك فشغلك عن ربك و قال عز من قائل : إذا هم بالعدوة الدنيا أي القربى و أن يكون من الدنىء المهموز ولين همزه و الدنى الدون السفلة و سميت دنيا لدناءتها و تسفلها و قيل لميلهـا إلى السفل و الأدوان و يقصد هذا الاحتمال ما روى أن رسول الله صلى الله عليه و آله مر على شاة ميتة فقال : أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هو انها ألقوها .

قال : و الذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها و لو كانت الدنيا يعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة و الأخبار فى هـذا الباب أكثر من أن يحصى و أن يكون من الدنية و هى النقيصة .

الادبار : ضد الاقبال و هو التوجه إلى الشىء .

آذنت : أى أعلمت الايـذان الأعلام بطريق مخصوص و ذلك بامرار القول على الاذن ثم يستعمل فى كل اعلام مجازا .

التوديع : عند الرحيل و الاسم الوداع و هو من ودع يدع ودعا أى ترك و المودع تارك للودع .

يقال أشرفته : أى علوته و أشرفت عليه أى أطلعت عليه من فوق و ذلك الموضع مشرف بحسب ما يمكن .

المطلع : المأتى الظاهر و لهذا يقال للموت المطلع قال عمر لو أن لى طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من هول المطلع و طلاع الأرض ما طلعت عليه الشمس ، و المطلع الموت .

قال الجوهرى : تضمير الفرس : أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت و ذلك فى أربعين يوما و هذه المدة يسمى المضمار و الموضع الذى يضمر فيه الخيل أيضا مضمار .

السباق : هو مصدر مرادف للسابقة و يحتمل أن يكون جمعا لسبقة كنطفة و نطاف و ان يكون جمع سبق كجمل و أجمال و السبقة و السبق و كذا السبقة اسما لما يجعل للسابق من مال أو عرض .

المنية : الموت .

بئس الرجل يبأس بؤسا و بيسا : اشتدت حاجته و الباس العذاب و الباس الشدة فى الحرب تقول منه بؤس الرجل يبؤس باسا إذا كان شديدا البأس فهو بئيس على وزن فعيل أى شجاع وعذاب بئيس أى شديد.

الأمل : امتداد النظر إلى ما يرجوه من بين يديه يقال أمل خيره يأمله أملا و كذلك التأميل ، قيل الأمل الاسم منه و أملته رجوته فهو مأمول .

الأجل : المدة للشىء و هنا أراد به المدة المضروبة لكل نفس من العمر

جار عن الطريق يجور جورا : أى مال عن القصد .

الردىء : الهلاك يقال ردىء بالكسر يردى ، ردىء أى هلك أرداه

غيره و رجل ردأ أى هالك .

يقال ظعن يظعن ظعنا : إذا شخص من بلد إلى بلد أى ذهب .

قال تعالى: يوم ظعنكم .

الزاد : المدخر الزائد على ما يحتاج إليه فى الوقت ، وقال الجوهرى : هو طعام يتخذ للسفر ، يقول منـه زودت الرجل فتزود و المزود ما يجعل فيه الزاد و المزادة ما يجعل فيه الزاد من الماء .

الهوى : مقصور ميل النفس إلى الشهوة و يقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة و قيل سمى بذلك لأنه يهوى بصاحبه فى الدنيا إلى كل داهية و فى الآخرة إلى الهاوية .

تحرزون : أى تحفظون و أصله من الحرز و هو الموضع الحصين و تحرزت أى توقيت .

و فى بعض النسخ يجوزون أى يعتبرون و أصله من جزت الموضع أجوزه جوازا أى سلكته و سرت فيه و فى أصحها يحوزون أى تسوقون به سوقا خفيفا من حاز الابل يحوزها و يحيزها حزا و حيزا أى ساقها لينا و حوز الابل ساقها إلى الماء و الباقى ظاهر و ليس فى كلام السيـد رضى الله عنه زيادة غلق فلا يحتاج إلى تفسير ما فيه .

(الاعراب)

اعلم أن المضمار و السباق : قد وردا مرفوعين و منصوبين أما رفع المضمار فعلى أنه خبر إن و اليوم اسمها تقديره ان اليوم المضمار و أما نصب

المضمار فعلى أنه اسم لأن و اليوم خبره و لكن فيه اشكال منشأه أن المضمار يحتمل أن يكون عبارة عن الزمان فلو أخبر عنه باليوم لكان ذلك اخبارا بوقوع الزمان فى الزمان فيكون الزمان محتاجا الى زمان آخر و هو محال و الجواب انا نقول اذا كان المضمار اسما للمكان فلا إشكال فيه .

اما اذا كان بمعنى الزمان فلا نسلم أنه لو أخبر عنه باليوم لكان محوجا الى ان يكون للزمان زمان و هو محال و انما يحوجه لو كان المضمار اسما لمجرد الزمان و ليس كذلك اذ هو اسم لما هو الزمان جزؤه و يجوز مثل ذلك نحو ان مصطبح القوم اليوم ، و اما نصب السباق فعلى أنه اسم ان و غدا خبره و هو ظاهر و أما رفعه فقال بعض الشارحين على أنه خبر ان و هو باطل لأنه لو كان خبرا لكان غدا اسمه و لو كان غدا اسمه لكان مبتدأ فى الأصل و السباق خبره .

و لكن لا يجوز هذا لأنه لوجاز هذا لكان السباق محمولا على غدا بالضرورة و اذا كان محمولا عليه فأما أن يكون حمل هو هو كحمل الحيوان على الانسان فى قولنا الانسان هو الحيوان و هو المسمى فى عرف أرباب الميزان بحمل المواطاة أو يكون محمولا عليه بتوصل ذى كحمل البياض على الجسم فى قولنا الجسم ذو بياض اذ لا ثالث لهما ولا يمكن هنا اعتبار الحمل بأحد المعنيين فيمتنع أن يكون خبر ان ، اللهم الا على تقديره حذف المضاف و اقامة المضاف اليه مقامه على تقدير ان غدا مرفوعا بالابتداء خبره غداء و اسم ان ضمير الشأن .

و يمكن أن نقول حمله على الابتداء يستلزم حذف ضمير الشأن الذى

الذى هو الخبر و حمله عـــلى الخبر يستلزم المجاز و اذا تعارض المجاز و الاضمار تساويا فلا أولوية .

قوله لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها .

اعلم أنّ أرى يقتضى مفعولين احــديهما هنا محذوف هو المشبه و الآخر نام طالبها فيكون فى محل النصب و الضمير فى طالبهـا و هاربها عايد الى المفعول الأول المحذوف الدال عليه القرينة المقالية و الحالية تقديره لم أرنعمة كالجنة نام طالبها ولا نقمة كالنار نام هاربها الضمير فى أنه من لم ينفعه الحق للشأن و يجر مجزوم على جواب الشرط و الضمير فى به عائد الى من و الباقى ظاهر .

(المعـانى)

قد صدر أكثر الجمل الموردة فى هـذه الخطبة بألا لتنبه السامعين عن رقدة الغفلة و تشفرهم لسماع ما ألقى اليهم و بأن لتحقق مضمونها فى أذهانهم و يزيل الحيرة التى كانوا مبتلين بها و الباقى ليس فيه شىء دقيق محتاج الى ذكره مما يسهل استخراجه من القواعد السالفة فى المعانى .

(البيـان)

فى أدبرت : استعارة تخييلية مستدعية لتشبيه هيئة يقضى أحوال الدنيا بالقياس الى شخص التحص[1] ، من اسباب و مال و جاه و تغيرهـا و هى معقولة بهيئة مفارقـة الحيوان و بعده عن الانسان و هى محسوسة

(١) كذا فى الأصل .

و وجه الشبه اشتراكهما فى البعد عن الانسان و المفارقة عنه .

و فى آذنت بوداع : استعارة تخييلية مكنى بها عن مفارقتها عن الانسان بوجـــه يحصل له الشعور بها ينقضى أحوالها شيئا شيئا مستدعية لتشبيه هيئة مفارقتها عن الانسان المحب لها و هى معقولة بهيئة ارتحال الصديق عن صديقه المحبّ له و هى محسوسة .

و وجه الشبه اشتراكهما فى كونهما المستلزمين لأسف المفارق عنه و حزنه و هو عقلى و تخييل انها من أفراد هيئة ارتحال الصديق و ان الدنيا من أفراد المودع و إلا لم يصح اسناد الايذان بالوداع اليها و ذلك لقولهم نطقت الحال بكذا و افترست المنية .

و فى الانه:: أيضا استعارة تصريحية مستدعيـة هيئة دنوها من الانسان ينقضى العمر شيئا فشيئا و هى قوله بهيئة اقبال الحيوان الى الانسان و هى محسوسة و وجه الشبه اشتراكهما فى صلاحية الاتصال فى العاقبة و هو عقـــلى .

و فى أشرفت : استعارة تصريحية مستدعية لتشبيهها و هى معقولة بالمكان العلى المرتفع و هو محسوس .

و وجه الشبه أن الآخرة عالية بالنسبة الى الدنيا و هى سافلة كما ان المكان العالى عال بالنسبة الى السافل و هو عقلى فيكون استعارة المستعار منه فيها محسوس و المستعار له معقول ، و وجه الشبه عقلى و فى باطلاع أيضا استعارة مكنى بها عن احاطتها بجميع الأحوال التى يكون الانسان عليها علما المستعار منه فيها محسوس و هو العالم المطلع على أحوال الشىء

و المستعار له معقول و هو الآخرة و وجه الشبه اشتراكهما فى العلم و هو عقلى.

هـذا ان اعتبرنا المسند إليه لاشرفت الآخرة بالحقيقة اما لو كان بالحقيقة هو رب الآخرة و قـد كنى بها عن تعظيمه كما يكنى عن الرجل الفاضل بحضرته و بمجلسه فلا يكون الا مجاز بالحذف و القرينة له الاطلاع اذا الاطلاع لا يمكن أن يكون الا للعالم العارف العاقل.

فى اليوم المضمار: تشبيه لليوم الذى كنى به عن مدة عمره الانسان بالمضمار و هما محسوسان، و وجه المشابهة ان الانسان فى مدة عمر يستعد بالتقوى و الرياضة الشاقة و الأعمال الصالحة لأن ينخرط فى سلك السابقين الى لقاء الله تعالى المقربين فى حضرته كما يستعد الفرس بالتضمير لأن يسبق على مثله و يكون من جملة الأفراس التى من شأنها السبق.

و يحتمل أن يكون فيه استعارة مكنيا بها عن أن الدنيا التى هى عبارة عن عن مدة عمر كل شخص بالنسبة إليه محل العمل المعد الانخراط فى مسلك السابقين مستدعية للتشبيه المذكور و هو جيد.

و فى غدا السباق: استعارة مكنى بها عن أن الآخرة وقت مسابقة بعض الناس على بعض بحسب تفاوتهم فى الأعراض عما عدا الواحد الحق و الاقبال إليه بالكلية مستدعية لتشبيه هيئة مسابقة بعض الناس على عرصة القيامة التى هى محل اعتبار أحوالهم بسبب الأعمال الصالحة و الرياضة الشاقة فى الدنيا.

و هى معقولة بهيئة مسابقة بعض الأفراس على بعض فى العرصة

المعينة للتسابق التى هى محل اعتبار تفاوتها فى الغد و بحسب قلة الضمير و كثرته و هى محسوسة و وجه الشبه أن كل من كان أقطع لعلائق الدنيا عن قبله و أشد توجها الى الله و أخف ظهرا من تقبل الملكات الردية بعد الموت فى الآخرة بسبب كثرة نفسه بالطاعات و العبادات و الرياضات الصحبة فى الدنيا التى هى المضمار كان أسبق ممن كان اقــل استكمالا منه و اثقل ظهرا باعباء الأوزار و أغلق قلبا بالدنيا بسبب قلة سعيه فى الاعراض و الاستكمال .

كما ان الفرس الذى اكثر تضميرا فى المضمار و أسبق فى وقت السباق ممن ليس كذلك و هو عقلى و الحاصل أن تفاوت التضمير و عدمه و وجوده كما يتبين فى وقت المسابقة كذا تفاوت النفوس الانسانية باتباع الشهوات و الميل الى اللذات الفانية و الاعراض عنها بالكلية و الاقبال الى القبلة الحقيقية الى أمروا بالتوجه اليها بالكلية انما تبين فى الآخرة و هذا هو معنى قول السيد رضى الله عنه فخامة اللفظ و عظم قدر المعنى و صادق التمثيل و واقع التشبيه .

اما ان جعلنا السباق جميعا لسبق فمعناه أن الآخرة يحصل الأجر المعد لمن يسبق فى الدنيا و يلحق انما يحصل له بعد مفارقة النفس عن البدن و فى الآخرة و لكن التشبيه المذكور باق و ذلك لأن السباق و انما يقع بعد وجوده .

و فى قوله خسر عمله : استعارة تصريحة مستدعية لتشبيه العامل فى

فى الدنيا بالأعمال الصالحة المقصر فيها بالتاجر الذى يتجر برأس المال و يفوت فى يده بسبب تقصيره .

و وجه الشبه أن المقصر فى العمل فات منه العمل كما أن المقصر فى حفظ رأس المال فات منه و فيه أيضا تشبيه للعمل برأس المال ، و وجه الشبه أن العمل مما يكسب به الكمالات الأخروية التى هى الأرباح الباقية كما أن رأس المال مما يكسب به الأرباح بالتجارة و ذلك لأن الخسران عبارة عن فوات رأس المال بالكلية أو تطرق النقصان إليه .

قوله لم أر كالجنة : تشبيه للنعمة بالجنة و وجه الشبه اشتراكهما فى..[1] .

و فى ولا كالنار نام هاربها : تشبيه للنقمة بالنار و وجه الشبه اشتراكهما فى كونهما منفور عنهما .

فى قوله الا و انكم قد أمرتم بالظعن : استعارة تصريحية المستعار منه الانتقال من بلد الى آخر و هو محسوس و المستعار له الانتقال من عالم الحيوانية الذى هو عبارة عن السفر الى الله و هو معقول ، و وجه الشبه اشتراكهما فى قطع المراحل غير أن المراحل فى المستعار منه محسوس تقطع بالرحل و الحمل و نحوه و المراحل فى المستعار له معقولة يقطع تقدم العقل و خطى النفس و هو عقلى .

و فى دللتم على الزاد : استعارة أيضا تصريحية المستعار منه فيها الطعام المتخذ للسفر و هو محسوس و المستعار له هو الأعمال الصالحة و بالجملة التقوى و هو معقول و وجه الشبه أن الامور المقربة الى الله تعالى

(١) كذا فى الأصل .

من العمل الصالح مما تقوى بها النفس على قطع المراحل المعقولة الى أن يصل الى جنابه المقدس كما أن الطعام يتقوى به الطبيعة على الحركة الحسية فى قطع المراحل المحسوسة الى أن يصل الى المقصد و هو عقلى .

(البديع)

بين وداع و اطلاع السجع المتوازى .

فى قوله فان الدنيا : الى آخره راعى المقابلة حيث قابل الدنيا بالآخرة و الادبار بالاقبال كما فى قوله :

الا فاعملوا : حيث قابل الرغبة بالرهبة .

فى قوله : لم أر كالجنة حيث قابل الطالب بالهارب و الجنة بالنار و فى من لم ينفعه حيث قابل الحق بالباطل .

فى قوله : من لا يستقيم حيث قابل الاستقامة بالجور عن الطريق و الهدى بالضلال و راعى بين الهدى و الردى المتوازى .

(الفحوى)

اعلم أن هذه الوصية من الخطبة التى أولها الحمد لله غير مقنوط من رحمته و سيجئ من بعد و ان هذا الفصل مشتمل على احد عشر تنبيهها .

الاول أشار إليه بقوله أما بعد فان الدنيا الى وداع و هو اشارة الى تنفير الدنيا و الركون اليها لما أن أحوالها متقضية آيلة الى الزوال و كل من أنس بها فهو سعب[1] من مفارقتها و يقع فى حزن عظيم و أسف حسيم و قد عرفت فى البيان تمام الكلام فيه .

(١) كذا فى الأصل .

الثانی أشار إلیه بقوله و إن الآخرة قد أقبلت و هو تنبیه على الاقبال إلى الآخرة المقبلة علیکم المطلعة على سرائرکم الکاشفة لکم ما تعملون الیوم على ما ینبیء عنه قوله تعالى: «یوم تجد کل نفس ما عملت من خیر محضرا و ما عملت من سوء تود لو أن بینها و بینه أمدا بعیدا[1]».

قد قال أمیر المؤمنین علیه السلام: من جمع ست خصال لم یدع للجنة مطلبا و لا من النار مهربا، أولها من عرف الله فأطاعه و عرف الشیطان فعصاه و عرف الحق فأتبعه و عرف الباطل فأتقاه و عرف الدنیا فرفضها و عرف الآخرة فطلبها. و قال[2] الفضیل و نعم ما قال لو کانت الدنیا من ذهب تفنى و الآخرة من خزف تبقى لکان ینبغی لنا أن نختار خزفا یبقى على ذهب یفنى و کیف و قد اخترنا خزفا یفنى على ذهب یبقى.

الثالث أشار بقوله: ألا و ان الیوم إلى الغایة النار و هو تنبیه على أن تحصیل الأسباب المعدة للوصول إلى درجة السابقین المقربین انما یمکن فی مدة عمر کل انسان لا قبلها و لا بعدها و من راض نفسه فیها و قطعتها عن العلائق المذهلة عن الاقبال إلى القبلة الحقیقیة التی هی معرفة الواحد الحق و ضمرها بالأعمال الصالحة و الطاعات فقد فاز بعد أن مات و قامت

---

(۱) آل عمران: ۳۰.

(۲) فضیل بن عیاض الابیوردی عابد زاهد مشهور کان فی ابتداء امره یقطع الطریق بین نسا و ابیورد ثم تاب و رحل إلى مکة، روى عن ابی عبد الله الصادق علیه السلام اخبارا و ابنه محمد بن فضیل أیضا من مشاهیر الزهاد و لها قصص و حکایات مذکورة فی کتب الرجال.

قيامته بدرجات الجنـــة التى أعد الله للمتقين و جعلها حظرا لمن سبق فى عرصات القيامة بسبب ثقل موازينه بالحسنات .

و من لم يرض نفسه و انهمك فى اللذات الحسية و اشتغل باقتناص المقتنيات الفانية الدنيويـة و أعرض عن القبلة الحقيقية فقد وقع فى اسر الملكات الردية و لذع عقارب الهيئات البدنيـــة التى هى غاية كل نفس غرقت فى لجج بحار الدنيا و استغرقت فى حبها بعد المفارقة عن الدنيا و استحق النار التى هى معدة للمتمردين الفاسقين عن أوامره تعالى على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « من كان يريد حرث الدنيا نؤته منهـا و ما له فى الآخرة من نصيب[1] »

و بقوله و السبقة الجنة و الغاية : النار أن المستبق إليه الذى أشار إليه أولا على سبيل الاجمال للسابقين هو الجنة و ان غاية سعى المقصرين هو الدخول فى النار و ما ذكره السيد الرضى رضى الله عنه فى الفرق بين الغاية و السبقة واف بمراده عليه السلام إلا أن ههنا بحثا و هو أن النار غاية عرضية أو ذاتيـــة و لما كان المقصود بالقصد الأول للانسان المقبل إلى الدنيا هو تناول اللذات الحاضرة المستلزمة لدخول النار إلا من شاء الله خلاصته كانت الغاية الذاتية هو التناول و الدخول هى العرضية .

الرابع أشار إليه بقوله أفلا تايب من خطيئـة قبل منيته : و هو تنبيه على الاتيان بالتوبة التى هى عبارة عن انزجار النفس الأمارة بالرجوع إلى الله واجب قبل الموت ، و لما كان تمام السلوك إلى الله بالتخلية و التحلية

(١) الشورى : ٢٠ .

و كانت

و كانت التخلية مقدمة فى السير على التحلية قدم التنبيه على وجوب التوبة التى من التخلية على التنبيه على وجوب الاتيان بالأعمال الصالحة الذى هو من التحلية .

الخامس أشار إليه بقوله ألا عامل إلى قوله و ضره أجله : و هو تنبيه على وجوب العمل الصالح لخلاص النفس من أسر الشيطان و قهره قبل يوم البؤس الذى هو كناية عن الموت و العـــذاب اللازم للنقصان اللازم عن التقصير فى العمل ثم نبههم على الزمان الذى يمكن لهم العمل فيه و هو الأيام التى يصرفونها إلى الامال المهدمة لقواعد الاعمال و على ان تلك الفرصة سينقطع بالأجل القاطع لأيام امهال كل شخص .

ثم نبه بقوله فمن عمل إلى أجله : على أن من أتى بالأعمال الصالحة فى الأيام التى محل الاتيان بها فيها قبل انقطاعها بالأجل فقد نفعه عمله حيث استحق به الثواب المعدّ للعاملين فى الآخرة على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات أن لهـم جنات[1] » و من نفعه عمله لم يضرر أجله بالضرورة بل نفعه إذ يرفع الحجاب بينه و بين مطلوبه المعدلة .

قوله و من قصر إلى أجله : على أن من غلبت عليـه الشقوة و لم يأت بالأعمال فى زمان الفرصة حتى ينقطع بوصول الأجل و بمضى الفرصة فقد فات عمله الذى هو رأس مال الآخرة و من فات عنه عمله و خسر به فقد ضره أجله إذا وصل إليه لأنه يقربه إلى النار التى هى غاية المقصرين

(١) النساء : ١٣ .

على ما عرفت و قد قال الله تعالى : « و من يعص الله و رسوله يدخله نارا خالدا فيها و له عذاب مهين » .

السادس أشار إليه بقوله : ألا فاعملوا إلى الرهبة : و هو تنبيه على وجوه التسوية بين العمل فى الرهبة و العمل فى الرغبة على العاملين ، يعنى الواجب على من عمل لله أن لا ينظر إلى الأمر الخارجى من اللذة و الرهبة و يعمل مخلصا له و لا يعرض عنه حال صفاء اللذات الحاضرة بالطغيان و يقبل إليه حال ما ابتلى بنازلة نزلت به فان مثل ذلك ليس من شأن المخلص فى العبودية بل من شأن من عمل للطمع .

إلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله : « و إذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم و كان الانسان كفورا[1] » و انما شأن المخلص الموقن أن لا ينظر إلى كونه عاملا له فضلا عن العمل و عن الشدة و الرخاء و تجعل الصبر مع الله شعارا فى حالتى السراء و الضراء و هذا مقام العارفين بالله الكاملين فى العبودية .

السابع أشار إليه بقوله ألا انى لم أر الى هاربها : و هو تنبيه للنائمين فى مراقد الغفلة عن الجنة و النار و تعجب من حال طالب الجنة كيف يغفل عنها و يقصر فى طلبها بالأعمال الصالحة و من حال الهارب عن النار كيف ينام عن دفعها و لا يعمل الصالح ليقرب من الجنة و يبعد من النار ، تقدير الكلام انى لم أعلم قط نعمة مثل الجنة فى غاية الكمال و تمامها يصفه يوم الطالب و لم ار نقمة مثل النار فى عظيم العذاب يصفه يوم الهارب ،

(١) الاسراء : ٦٧ .

و الحاصل

و الحاصل أن الذى يقضى منه العجب حال الجنة بالموقن كيف يقعد عن طالبها و حال الموقن بالنار كيف ينام عن طلب الخلاص منها .

الثامن أشار إليه بقوله ألا و انه من لم ينفعه الحق يضرره الباطل .

و هو تنبيه على أن مضرة الباطل لازمة لعدم منفعة الحق و أراد بالحق الاقبال على الله بلزوم الأعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابقة لما فى نفس الأمر و بالباطل الالتفات عن طريق الحق بالاشتغال بما لا يجدى نفعا فى الآخرة ، بيان الملازمة أن بين الحق و منفعته و هى الوصول إلى حضرته المقدسة و استحقاق الأجر الجزيل و الثواب الجميل ملازمة على سبيل التوبة كما بين الحق و الباطل و بين الباطل و مضرته و هى البعد عن رحمة الله تعالى و استحقاق دخول النار .

و إذا عرفت ذلك فاذا لم تنفعه بالحق كان الحق بالنسبة إليه معدوما إذ لو كان موجودا لكان نافعا له و اذا لم يكن الحق موجودا بالنسبة إليه كان الباطل موجودا إذ عدم الحق مستلزم لوجود الباطل و كلما كان الباطل موجودا كان مضرا به إذ وجود الباطل مستلزم لمضرته فثبت ان لم ينفعه الحق لعدمه عنده يضرره الباطل لوجوده عنده .

التاسع أشار إليه بقوله و من لا يستقم به الهدى يجر به الضلال إلى الردى .

و هو بينة على وجوب الأخذ بزمام الهدى و على أن عدم الاستقامة على الهدى مستلزم للانحراف عن سلوك الصراط إلى الوقوع فى احد جانبى الافراط و التفريط الموجب للهلاك الأبدى و أراد بالهدى الايمان

بالله و الاستضاءة بنور العلم و سلوك الصراط المستقيم و بالضلال الخروج عن طاعة الله سبحانه و الجهل .

يعنى من لم يحمل الايمان و نور العلم فائدة إلى الاستقامة على الصراط المستقيم فالضرورة تقود الضلال عن الجادة إلى مهاوى الهلاك و بأن الملازمة قريب مما مرّ و ذلك لأنه إذا كان وجود الضلال المستلزم للجور بالانسان إلى مهاوى الردى و الانحراف به عن الصراط المستقيم إلى سواء الجحيم .

العاشر أشار إليه بقوله: ألا و انكم قد أمرتم بالظعن و دللتم على الزاد .

و هو تنبيه على أنه تعالى قد أمرهم بالانتقال من دار الدنيا إلى دار البقاء بالاتيان بالأعمال الصالحة حيث قال : « ففروا إلى الله إنى لكم نذير مبين[1] » ، و قال : « و سارعوا إلى مغفرة من ربكم[2] » ، و على أنه قد أمرهم باتخاذ الزاد حيث قال : « و تزودوا فان خير الزاد التقوى[3] » ، و قد عرفت تمام الكلام فيه فى البيان .

الحادى عشر أشار إليه بقوله : و ان أخوف إلى آخره .

هو تنبيه على الاجتناب[4] فاز بالسهم الأخيب راعى استعارة مكنيا بها عن ان حصولهم له عليه السلام لا يجديه نفعا بل ربما يجر ضرا مستدعية لتشبيهين أحدهما تشبيه نفسه و خصومه باللاعبين بالميسر و هما محسوسان

(١) الذاريات : ٥٠ . (٢) آل عمران : ١٣٣ . (٣) البقرة : ٩٧ .

(٤) كذا فى الأصل .

و وجه

و وجه الشبه اشتراكهما فى طلب الربح و الفوز على الآخر يعنى كما أن اللاعبين بالميسر يتوقعون باللعب خروج القداح الموجبة للغنم الرافعة للغرم كذلك كل منه عليه السلام و من خصومه يتوقع بالمقابلة الفوز على الآخر.

الثانى تشبيه المخاطبين بالسهام الخايبة التى لا غنم لها و التى فيها غرم كالسهم الذى لم يخرج حتى استوفيت أجزآء الجزور و يوجب على صاحبه غرما و خيبة و هما محسوسان ، و وجه الشبه اشتراكهما فى عدم الانتفاع و توقع الغرامة و هو عقلى و اطلاق الفوز هنا مجاز من باب اطلاق اسم الشىء باسم ضده كما فى قوله تعالى : « جزآء سيئة سيئة مثلها[1] » وفى و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل أيضا استعارة مكنى بها عن تقاعدهم عن نصره و عدم تجاوزهم أوطانهم و عدم ايذائهم الخصوم مستدعية لتشبيهين .

أحدهما تشبيه رجال الحرب بالسهام و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى كونهما عدة للحرب و دفع العدو و هو عقلى ، و الثانى للتشبيه المخاطبين بالسهام التى انكسرت فوقها و لا نصل لها و هما محسوسان و وجه الشبه انهم لا يتجاوزون عن مقاعدهم و لا ينبعثون عن أوطانهم و لا يدفع بهم الخصوم كما أن السهام الموصوفة بالوصفين لا يتجاوز عن القوس و لا يدفع بها العدو و هو عقلى و الباقى ظاهر[2] .

(١) الشورى : ٤٠ .

(٢) هنا سقط الخطبة ٢٩ من النسخة أولها أيها الناس المجتمعة ابدانهم .

٢٨ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الْأَعْدَاءَ! تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ! مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ وَلَا اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ (١) دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ. وَلَا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ، أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ الْمَغْرُورُ وَاللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللهِ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ، فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ

أَصْبَحْتُ وَاللهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ مَا بَالُكُمْ! مَا دَوَاؤُكُمْ! مَا طِبُّكُمْ! الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ! أَقَوْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ؟ وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟ وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ؟!

(البديع)

بين أبدانهم و أهوائهم : المتوازى و الترصيع و بين عمل و ورع المتوازن و القسم المتخلل بين المغرور و مبتدائه حشوا للوربيح[1] .

(الفحوى)

روى أن السبب فى هذه الخطبة أن معاوية لما سمع باختلاف النّاس على علىّ عليه السلام بعد قصة الحكمين و تفرقهم عنه عليه السلام و قتله من قتل من الخوارج بعث ضحاك بن قيس فى نحو أربعة آلاف فارس و أشار إليه بالنهب و الغارة فأقبل الضحاك يقتل و ينهب حتى مر بالثعلبية[2] فأغار و أخذ أمتعتهم و قتل عمرو بن عميش بن مسعود أخا عبد الله ابن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله و قتل معه ناسا من أصحابه فلما بلغ الخبر أمير المؤمنين عليه السلام حث أصحابه على لقاء العدو و حرصهم على الجهاد فتقاعدوا عن صوته و تأخروا فرآى منهم عليه آثار التكاسل .

فخطبهم بهذه الخطبة و وبخهم فيها على ما يقدمون عليه فى أحوالهم واقعا لهم و أقوالهم و نبههم على ذمه و على أنه غير واقع على سنين حسن السيرة . أما أحوالهم فأشار إلى خروجها عن نظام الطريقة المعهودة الثابتة

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) الثعلبية بفتح أوله من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق قال الزجاجى سميت الثعلبية بثعلبة بن دودان بن أسد و هو أول من حفرها و نزلها .

بالعقل و الشرع بقوله المجتمعة أبدانهم المختلفة أهوائهم ، و ذلك لأن الاجتماع بالأبدان مع التفرق بالآراء يوجب التخاذل و يفرق شمل مصالحهم و شق عصا و فاقهم فلا يكون مطابقا للامام المذكور ، أما قولهم و أشار إلى أنها غير جارية على قانون العدل .

يقول كلامكم يوهى الصمّ الصلاب : أى أقوالكم فى المجالس نحن نفعل كذا و لا محل لخصومنا فى مقابلنا يرخى القلوب .

الثانية الشديدة التى لا يزعجها إلا مزعج قوى و يلينها و يلق الرعب فيها و إنما كانت خارجة عن القانون لأن من شرط الرجولية و العدالة فى الأقوال أن لا يتلفظوا بما لا وجود له فى الخارج و لهذا ذم قوما باظهارهم القول قبل إيقاعهم العمل حيث قال .

ارعدوا و ابرقوا : و أما أفعالهم فأشار إلى ضعفها و امترامها[1] بالعجز بقوله .

و فعلكم يطمع فيكم الأعداء : أى قعودكم عن الحرب و تثاقلكم عن صوته و طلبكم الفرار عند لقاء القتال يحسر العدو عليكم .

بين عليه السلام كيته أطماع فعلهم فيهم الأعداء بقوله .

إذا جاء القتال قلتم حيدى حياد .

ثم اعتذر لنفسه متضجرا من تقاعدهم عن نصره معرضا بعدم ثباتهم على الرجولية و الشجاعة .

قال ما عزت دعوة من دعاكم : أى من دعاكم وقع فى حصص

(١) كذا فى الأصل .

الذلة و من عارضكم بالشدة و المفاسد فقد اختص بالبلية و التعب .

ثم نبه بقوله أعاليل بأضاليل : على أن ما يتعللون به حين يدعوهم إلى القتال ليس إلا ضلالا عن سبيل الله و أمورا باطلة و أن دفاعهم ليس إلا للتكاسل و الطمع فى عدم الاطاعة .

ثم نبه بقوله لا يمنع : على أن من اتخذ المذلة شعاره لا يقدر أن يدفع الظلم عن نفسه مريدا به رجوعهم عن الجبن الذى هو عين المذلة إلى الشجاعة ، و بقوله لا يدرك على أن الانسان حقه الابان يبذل الطاقة فى طلبه معرضا بتوبيخهم على التوانى ثم بين لهم على سبيل التقريع عن تعيين الدار التى يحفظونها عن تسلط الغواة عليها بعد دار الاسلام التى هى مأواهم و دار العز و الكرامة و عن تعيين الامام الذى يحملونه مقتدى بعده بقوله : و أى دار إلى تقاتلون .

و الحاصل أن لكم لا بد من حماية دار و متابعة امام و لا نسبة لدار بدار الاسلام و لا الامام غيرى بامامتى فاقتدوا بى و ذبوا الأعداء عن دار الاسلام ثم دلّ بقوله .

المغرور على أن ليس فى الدنيا مخدوع مغرور إلا من غررتموه : بكلامكم و بقوله .

و ما فاز بكم إلى ناصل : على سوء حال من كانوا حزبه و يقوم للقتال بهم يعنى من كان عسكره و جنده أنتم فالخيبة حاصلة له فيما يدوم باستعانتكم و من قاتل بكم عدوه فلا يحصل له نفع بكم أبدا .

ثم دلّ بقوله أصبحت إلى بكم : على أمور حصلت له من كثرة

عن

عن مواعيدهم يعنى لا أصدق قولكم لأنكم قد أخلفتم مواعيدكم أكثر من مرة و من تخلف مرة فقد ارتفع الوثوق عن وعده فضلا عمن لم ينجز وعده أصلا و لا أطمع فى نصركم لغلبة الكسالة و الجبن و التخاذل عليكم و لا أوعد العدو بكم إذا الايعاد بكم مع تخاذلكم عن القيام يوجب جرأته و تسلطه إذا أحسّ به .

ثم استفهم منهم على سبيل الانكار و التقريع عما يوجب لهم التخاذل بقوله ما بالكم أى ما حالكم و ما دواءكم الذى يزيل هذا المرض الذى استولى عليكم من الجبن و التكاسل ما علاجكم ان كان مرضكم من توهمكم أن أعداءكم .

قد برزوا فى الشجاعة بحيث لا يكون لأحد مقاومتهم فليس بشىء . فانهم رجال أمثالكم فى الشجاعة فلا معنى للخوف منهم وقد أشاره إليه بقوله .

القوم رجال أمثالكم : و إن كان من نفاقكم و عدم ثباتكم على الايمان و حسبانكم ان الاتيان بالقول المجرد كاف فليس بشىء .

فان هذا يجلب المقت عند الله تعالى على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون[1] » و قد أشار إلى هذا القسم على سبيل الانكار بقوله .

أقولا بغير عمل : أى تقولون بأفواهكم ما ليس فى قلوبكم و تتصورون انّ بهذا القدر يحصل الايمان ، و ان كان من تغافلكم عن مصالحكم التى ينبغى أن يكونوا عليها فليس بعذر و ذلك لأن التغافل إذا كان مقرونا بالورع فهو محمود ، و ذلك بأن يلازم التقوى و يتقبل إلى الله

(۱) الصف : ۳ .

تعالى بالكلية و يغفل عن الأمور الدنياوية بالكلية .

أما إذا كان خاليا عن الورع بأن كان تغافلا عن أمور الآخرة و ما يكون به صلاح الحال فهو مستقبح فى العقل و الشرع و ان كان من طمعكم فى أموال المسلمين بحيث لا ينهضون إلا بأن يمنحكم شيئا من أموال المسلمين و زيادة على استحقاقكم فذلك طمع باطل لأنه طمع فى غير حق و الاقدام على وضع الحق فى غير موضعه و ان صدر ممن سبق على .

(اللطائف الرشيدية)

سألت تلك الحضرة العلية لا زالت ملاذا للاقبال و ملجاء للكمال ليلة الأحد الحادى و العشرين من جمادى الآخر من شهور سنة اثنى عشرة و سبعمائة بحدود ميدان عن تحقيق قوله عليه السلام .

غفلة من غير ورع : فأفاد مجيبا أن مراده عليه السلام منه توبيخهم على ما يقدمون عليه من الغفلة عن الأمور الدينية و الحضور مع الأمور الدنيوية المورطة فى الذنوب المخرجة عن دائرة الورع و العفة و تقريعهم فيما يستقرون عليه من الغفلة الخالية عن الورع و تفهم من هذا التقرير أن الغفلة على نوعين .

احديهما محمود و هو الأمور الدنيوية و ثانيهما مذموم و هو الغفلة عن الأمور الدينيــة فالأول يستلزم الورع فان من عقل عن أمور الدنيا كان فى الغالب بسبب كونه حاضرا للامور الدينية ، الثانى يستلزم خلافه لأن من كان منهمكا فى اللذات الدنيوية مشغولا بها غافلا عن الأمور الأخروية كان فى غالب الأمر خارجا عن دائرة الورع و العفة .

* * * * *

٢٩ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى معنى قتل عثمان

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً ؛ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ : نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّى ، وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ : اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ ، وَلِلّٰهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِى الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ .

(اللغــــة)

استأثر فلان بالشيء : أي استبد به و الاسم الأثرة بالتحريك و المستأثر المستبد بالشيء .

ساءه يسوء سواء : بالفتح و مساءة نقيض سره و الاسم السوء بالضم و أساء إليه نقيض أحسن إليه و السوئ نقيض الحسنى .

الاستطاعة : استفعالة من الطوع و ذلك موجود ما يصير به الفعل متأتيا و هو عند المحققين اسم للمعاني التي بها يتمكن الانسان فيما يريده من أحداث الفعل و هي أربعة أشياء بينة مخصوصة للفاعل و مادة قابله[1] لتأثيره و آله ان كان الفعل الآة كالكتابة .

فان الكاتب يحتاج إلى هذه الأربعة في ايجاده الكتابة و لذلك يقال : فلان غير مستطيع للكتابة إذا فقد واحد من هذه الأربعة فصاعدا و يضاده العجز و هو أن لا يجد أحد لهذه الأربعة فصاعدا و متى وجد هذه الأربعة كلها فمستطيع مطلقا فتى فقدها فعاجز مطلقا و متى وجد بعضها دون بعض فمستطيع من وجه عاجز من وجه لأن يوصف العجز أولى و الاستطاعة أخص من القدرة ، قال الجوهري : الاستطاقة الاطاقة .

(الاعراب)

غير يقع في كلام العرب على أوجه الأول أن يكون لمجرد النفي

---

(١) كذا في الاصل .

من غير اثبات معنى به نحو مررت برجل غير قائم أى لا قائم ، قال الجوهرى : قد يكون غير بمعنى لا فتنصبها على الحال كقوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ و لا عاد[1] » كأنه قال فمن اضطر خائفا لا باغيا .

كذلك قوله : غير ناظرين اناه ، و قوله : غير محلى الصيد .

الثانى أن يكون بمعنى إلا فيستثنى به فيعربها باعراب الاسم الواقع بعد إلا . نحو مررت بالقوم غير زيد أى إلا زيدا و قول أمير المؤمنين عليه السلام غير أن أى إلا أن .

الثالث أن يقع وصفا للنكرة نحو قوله تعالى : « هل من خالق غير الله » فيعربها إعراب الموصوف المتقدم عليها .

الرابع أن يكون لنفى صورة من غير مادتها نحو قولك الماء إذا كان حارا غيره إذا كان باردا و منه قوله تعالى : « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها » .

الخامس أن يكون متناولا لذات نحو قوله تعالى : « يقولون على الله غير الحق » أى الباطل و الباقى ليس فيه أشكال الضمير المرفوع فى استأثر لعثمان .

(المعانى)

أنا جامع لكم أمره : يفيد القصر للافراد أى لا يقدر على أن يجمع لكم أمره إلا انا دون غيرى استأثر انما قطع ليؤذن جواب عن سؤال مقدر كان يسأله عليه السلام كيفية الجمع و الباقى معلوم .

---

(١) البقرة : ١٧٢ .

البيان

(البيان)

أليس فيه شيء الا أنه عليه السلام ذكر الجزع و كنى به عن أقدمهم على قتله .

(البديع)

فى لو أمرت إلى ناصرا راعى المقابلة حيث قابل الأمر بالنهى و القاتلية بالناصرية .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام ساق هذا الفصل لبرآءة نفسه عن الدخول فى دم عثمان و الرد على معاوية و غيره ممن ينسبونه إليه قوله عليه السلام.

لو أمرت به لكنت قاتلا : ملازمة شرطية بين فيها لزوم كونه قاتلا لكونه آمرا و بيان الملازمة مبنى على التعارف الحاكم بأن كل آمر بالقتل قاتل شريك فيه و إن كان القاتل بحسب الوضع هو الذى صدر منه القتل و أراد به نفى اللازم لينتج نفى الملزوم الذى هو مقصوده عليه السلام أى لكن لم أكن قاتلا و ذلك مما يقبل منه الخصوم .

فانهم متفقون على أن القتل لم يصدر منه بحال غاية ما فى الباب أنهم يدعون أنه عليه السلام قعد عن نصرته أو سكت على قتله و لا ريب فى أن القعود عن النصر لا يستلزم كونه راضيا بقتله لجواز أن يكون خاف على ثوران الفتنة و على تفسير أهل بيته أو يعلم أن الكاره لا يفيد مع القاصدين له بالقتل ، و من شرط النهى عن المنكر أن يعلم المنكر أو يغلب

على ظنه قبول قوله فضلا عن كونه قاتلا .

قوله او نهيت عنه لكنت ناصرا : ملازمة بين فيها لزوم كونه ناصرا لكونه ناهيا عنه و وجهها ظاهر و يحتمل أن يكون مراده عليه السلام أيضا نفي اللازم لينتج نفي الملزوم و يكون مراده عليه السلام بايراد الملازمتين أنه عليه السلام ما أمر به ولا نهى عنه بل لم يتعرض له بحال و يعضده ما نقل أنه لما سئل عليه السلام أساءك قتل عثمان أم سرك فقال ما ساءني ولا سرني ، و قيل أرضيت بقتله فقال : لم أرض فقيل : اسخطت بقتله فقال : لم أسخط و أن يكون مراده وضع الملزوم لينتج بثوت كونه ناصراً و هو أنسب بحاله .

و هذا كلام مشتمل على اعتراضات و أجوبة المذكورة في الكتب المصنفة في معنى قتل عثمان فليطلب فيها ان أردت الاطلاع عليها فلا نطول كتابنا هذا بذكرها لأنها خارجة عن الشرح و كان في عزمنا أن لا يتجاوز عما يتعلق ألفاظه عليه السلام على الترتيب المذكور ، قوله غير أن من نصره الى خير مني في معناه أقوال : الأول قال الامام الويري رحمه الله معناه من انتصب لانتصار عثمان بعد قتله لا يمكنه أن يقول ان عليا عليه السلام خذل عثمان فلم ينصره و نحن نصرناه فنحن خير من علي .

و ذلك لأن عليا عليه السلام ما خذل عثمان و رمى الى داره منديلة و نادى بصوته و عرض على عثمان نصرته و دفاعه فأبى عثمان القتال بسبب الدفاع عنه و قال لأن اقتل قبل سفك الدماء أحب الى من ان اقتل بعد

سفك الدماء و قال لغلمانه من وضع سلاحه منكم و لم يقاتل فهو حر لوجه الله و من خذله أى خذل عثمان و لم يهتم بشأنه لا يمكنه أن يقول نصره على فلكونه ناصراً هو خير من خاذله لأن علياً عليه السلام لم يسل السيف بسبب الدفاع و لم يستنصره عثمان و لم يقبل نصرته و هذا القول مؤيد احتمال كون مراده عليه السلام من الملازمة الثانية وضع الملزوم الثاني .

قال بعض النقاد هي كلمة قرشية أى عسى[1] ، عليهم المقصود و ليس المقصود براءة عن كونه خاذلا أو ناصراً على ما فهمه السامعون منها بل المراد أن الخاذلين لا يصيرون مفضولين بسبب الخذلان و الناصرين لا يصيرون فاضلين بسبب النصرة و هذا يفهم من الكلام غير أن براءة ذمته أيضا عن كونه خاذلا أو ناصرا مقصوده و صدر . . .[1] من الملازمتين دليـل عليه .

الثالث قال المحققون من الشارحين أن هذا كلام ورد ردا على انكار من أنكر بحضرته على من قعد عن نصرته و أن الفتنة كلها عائدة الى الخاذل معرضا بأمير المؤمنين حيث خذله و ذلك لأنه و خواصه من أكابر الصحابة لو قاموا بنصرة عثمان لما اجترأ عليه طغام الأمة وجها لها ولما . . .[2] على الناس أن خذلانه من الصغائر ولو كانوا رأوا أن قتله هو الحق كان الواجب عليهم أن يعرفوا الناس ذلك حتى يرتفع عنهم الشبهة التى عرضت لهم وما وقع الاختلاف الكثير .

---

(١) كذا فى الأصل . (١) كذا بياض فى الاصل .

فلما لم يأتوا بأحد الأمرين و نفضوا أيديهم عنهم و تركوا الناس في فتنة مظلمة كان دائرة السوء عليهم و جوابا لهذا الانكار بتلويح لا بتصريح أو كان ذلك في محل يلزمه التوقي يعني أن من كان خاذلا يعني نفسه ليس للناصر و شبهه أن يفضل نفسه عليه لأن الذي يدعيه السائل أنه خاذل هوانا و هو أفضل الناصرين بالوفاق و اذا لم يكن له أن يفضل نفسه عليه فيكون الخاذل أفضل و ليس للمفضول أن يتعرض الفاضل ولا يجب على الفاضل أن يتبع المفضول.

و هذا تقرير لما أنه عليه السلام ليس بخاذل ولا بناصر على ما دل عليه الملازمتان كانه عليه السلام أنه من الخاذلين ورد على اعتقاد المنكر في أن الواجب على المفضول متابعة الفاضل و الاقتداء به فيجب على الناصرين كمروان و أشباهه لكونهم مفضولين أن تقديره بالخاذلين لعلي عليه السلام بزعم المنكر و طلحة و اشباههما و تبعهم فلا يكون لأحد الانكار على الفاضلين و هو عكس اعتقاد المنكر.

قوله أنا جامع الى الجزع: إشارة الى أن كل واحد من عثمان و قاتليه تجاوز عن العدالة التي هي الصراط المستقيم الى طرف الافراط اما عثمان فلانه استبد برأيه و ترك المشاورة التي أوجبها الله على النبي صلى الله عليه وآله مع كمال ثباته على حاق الوسط و تقدسه عن أن يقع في أحد طرفي الافراط و التفريط بقوله و شاورهم، و مع هذا فقد أساء الاستبداد حيث فوض امور الناس الى المائلين عن طريق الحق المخذولين

عن

عن نظر النبي عليه السلام كمروان حتى أفسد نظام الخلافة عليه أثار مروان الضغائن على نفسه .

أما قاتلوه فلأنهم قد خرجوا عن حد الجزع الى طرف الافراط الذى هو القتل اذا الحد الأوسط أن يثبتوا أنفسهم على الصبر و ينتظروا الفرج فصلاح الحال بينهم و بينه بدون القتل قيل فأسأتم الجزع بعد قتله حيث أثرتم الفتنة و كان الواجب عليهم أن يظهروا الجزع قبل وقوع قتله ، قوله و الله حكم واقع فى المستأثر و الجازع يحتمل معنيين .

أحدهما أن يكون الحكم الواقع فى كل منهما فى الدنيا يعنى أن القتل الذى أصابه عثمان بمقتضى الحكم الالهى المقدر فى حقه بسبب اساءته فى الاستبداد برأيه و جرأتهم على قتله . انما هى بمقتضا الحكم الالهى المقدر فى حقهم بسبب اساءتهم الجزع ، و مقصوده عليه السلام من هذا تبرؤه من دخوله فى ذمه .

الثانى أن يكون فى الآخرة يعنى أن لله تعالى حكما واقعا لكل منهما من ثواب أو عقاب كما قال الله تعالى : يحكم بينهم يوم القيامة فيها كانوا فيه يختلفون[١] ، أى ان كان عثمان مظلوما فقد استحق درجه الشهادة التى أحكم الله بها لكل مقتول ظلما و استحق قاتلوه العذاب العظيم و اللعن و الغضب من الله على ما ينبئ عنه قوله تعالى : و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها و غضب الله عليه و لعنه و اعد له عذابا عظيما[٢] ، و إلا فحكمه إليه

---

(١) البقرة : ١١٣ .   (٢) النساء : ٩٣ .

تعالى فليس لكم الاعتراض على الخاذلين بلا موجب .

(اللطائف الرشيدية)

سألت تلك الحضرة لا زالت فياضة على الاطلاع عما أنه عليه السلام كيف دفع ما نسب اليه من الرضا بقتل عثمان بقوله لو أمرت به به لكنت الى قوله و الجازع ، يوم الأحد سلخ جمادى الآخر من شهور سنه اثنتى عشرة و سبعمائة بحدود كرند[1] و خوشان فأفاد راكبا مرتجلا أنه عليه السلام ذكر أولا شرطية موضحة لكونه قاتلا لو كان آمرا بالقتل و ثانيا شرطية مفصحة عن كونه ناصرا لو كان ناهيا عنه ثم بين على سبيل التعمية ان الناس فى هذا الباب صنفان ناصرون له و خاذلون اياه ولا محال لكل واحد من الصنفين الطعن فى الآخر يفادنا عن وقوع الفتنة ولا أن ينسب كل منهما الخذلان الى الآخر .

فالناصرون لا استطاعة لهم أن يطلبوا التفوق على الخاذلين و الاابترب[2] ، بواتر الضغائن التباغض وكذا الخاذلون لا محال لهم أن ينسبوا النقصان الى أنفسهم بالاضافة الى الناصرين ولا أن يضيفوا الفضيلة و المزيد الناصرين و الاربما وقع التباغض بينهم فيفهم من هذا الكلام المعمى أنه برئ من قتله لأنه لم يكن امرآ به باتفاق ولو كان ناهيا عنه لكان ناصرا فلا يكون قاتلا بالضرورة ولا أتمكن من ترجيح الناصرين على

(١) كرند بكسر الكاف بلد مشهور بين كرما نشاهان و قصر شيرين .

(٢) كذا فى الأصل .

الخاذلين ولا بالعكس حذرا من ثوران الفتنة التى قد قيل فيها لعن الله من أيقظها .

و لو كنت أضم نفسى الى احدهما هاجت الفتنة و أنا ابين حالى المقتول و القاتلين على وجه جامع خال عن المصيبة و ذلك ان المقتول استبد برأيه و اختار كيفية الأشياء فأساء الاختيار و الاستبداد و القاتلين أفرطوا فى القلق و الاضطراب و أخرجوا أقدامهم عن دائرة الاعتدال حيث عدلوا عن الأخف الى الأثقل و الله حكم واقع فى المستأثر و الجازع يوم القيامة .

* * * * *

٣٠ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لابن العباس لمـا أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل

لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ: هُوَ الذَّلُولُ. وَلٰكِنِ ٱلْقَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ٱبْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا

قال الشريف: أقول: هو أول من سمعت منه هذه الكلمة، أعني «فما عدا مما بدا»

(اللغـــة)

نفـذ الـكتاب الى فلان نفاذا و نفوذا أى أرسله اليه و انفذتـه أنا و التنفيذ مثله .

يستفيئه : أى يسترجعه الى الحلة المحمودة التى كان عليها قبل نكث البيعة و ذلك لأن الفئ و الفيئة الرجوع الى حالة محمودة و لهذا قال تعالى حتى تفئ الى امر الله[1] ، و قال تعالى أيضا : فان فاءت فاصلحوا بينهما[2] ، و قال فان فاؤا فان الله غفور رحيم[3] ، .

اللقاء مقابلة الشئ و مصارفة معا و قد يعبّر به عن كل منهما يقال لقيه يلقاه لقاء و لقيا و لقية و قد يقال ذلك فى الادراك بالحس بالبصر و بالبصيرة و هنا النهى عن رؤيته الحسية و ملاقاته .

الثور : من البقر و الأنثى ثورة و الجمع ثورة مثل عود و ثيرة و ثيران مثل جيرة و جيران العاقص قرنه هو . . .[4] ، .

العقص : ألالتواء فى القرن يقال تيس أعقص بين العقص و هو الذى التوى قرناه على اذنيه من خلفه و قد عقص قرنه بالكسر عقصا أى عوج و هو لازم بالفتح متعد .

الصعب : الدابة الجموح .

الذلول : السهلة الساكنة .

---

(١) الحجرات : ٩ (٢) الحجرات : ٩ (٣) البقرة : ٢٢٤

(٤) كذا بياض فى الاصل .

العريكة : الطبيعة و فلان لين العريكة اذا كان سلسا و يقال لانت عريكة اذا انكسرت نخوته .

قيل العريكة فعيل بمعنى مفعول و التاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية كما فى اكيلة و نطيحة و أصلها من عركت الشىء أعركها عركا أى دلكه و هو جيد ، عداه يعدوه أى جاوزه و عدوته عن الأمر صرفته عنه و المصدر المعدى و المعنيان محتملان و بدا يبدوا بدوا أى ظهر .

(الاعراب)

عاقصا : اسم فاعل وقع حالا من الثور و العامل فيه المقدر الدال عليه الظرف و هو كالثور ، و قرنه معقول عاقصا ، و يحتمل أن يكون حالا من الضمير الفاعل فى تجده و العائد الى صلحة و هوجيد و الاول أظهر و ضمير الفاعل فى يركب لطلحة .

ألين : أفعل التفضيل و قد حذف المفضل عليه السلام به عريكة نصب على التميز أى أنه ألين من طلحة من جهة الطبيعة و الباقى ليس فيه شىء الا فيما عدا مما بدا و ستعرف بعيد هذا فى الفحوى .

(المعانى)

الفاء فى فانك : و فأنه لعطف الجملة الاسمية على الفعلية لفظا و للدلالة على السبعة معنى و عاقصا لكونه مشتقا و مثبتا حال جارية على أصلها و نهجها مما انما قطع يركب عما قبله ليؤذن بتعليل التشبيه السابق .

فى ألين عريكة : الاجمال و التفصيل وما عدا استفهام على سبيل الانكار عن حصول النسبة .

(البيـان)

فى تجده كالثور عاقصا قرنه : راعى تشبيها طرفاه و هما طلحة و الثور محسوسان ، و وجه الشبه أن طلحة فى رأيه و نيته منحرف عنه عليه السلام و ملتو كالتوآء قرن الثور فيكون عاقصا قرنه اشارة الى وجه الشبه واقعا بين التواء رأى طلحـة عن أمير المؤمنين عليه السلام و انحرافه عنه و هو معقول و بين التوآء قرن الثور و هو محسوس ، و وجـه الشبه اشتراكهما فى الانحراف المطلق و انما ذكر الثور و ادخل الكاف عليه لتوطية المقصود و الأول أشبه لأن كاف التشبيه لا يدخل ظاهرا الا على المشبه به .

و أيضا على التقدير الثانى يكون المشبه محذوفاً بخلاف الأول فان المشبه مذكور عليه ، هذا ان كان عاقصا قرنه حالا من الثور أما اذا كان حالا من الضمير المنصوب فى تجده ففيه استعارتان استعارة مكنى بها عن كونه شجاعا المستعار منه فيها القرن و هو محسوس المستعار له و هو الشجاعة له معقول ، و وجه الشبه اشتراكهما فى كونهما آلة لدفع الخصم و للتغلب و يستدعى هذا كون شجاعته فردا من أفراد بالتخيل .

الثانية استعارة مكنى بها عن خشونة جانبه و تهيؤه للقتال ، اذا لقيه ابن عباس و خاطبة بالطاعه لأمير المؤمنين عليه السلام و اظهاره الكبر و العجب لنفسه مستدعية لتشبيه هيئة منع جانبه و عدم انقياده للطاعة و هى معقولة بهيئة ارخاء الثور رأسه و عطف قرنيه ليدفع بها خصمه الذى اراد انقياده و هى محسوسة و وجه الشبه اشتراكهما فى الكبر و العجب المستلزمين لعدم الانقياد و هو عقلى و يكون أيضا إشارة الى وجه الشبه تقديره تجده

حال (٩٢)

حال كونه عاقصا قرنه كالثور عاقصا قرنه .

قوله يركب الصعب . يقول هو الذلول كناية عن شجاعته و قوته و غاية تكبره و هو ظاهر .

فى ألين عريكة استعارة مكنى بها عن كون الزبير مما يصغى الى قوله و ينفعل بالمواعظ مستدعية لتشبيه طبيعته و هو معقولة بالجلد اللين و هو محسوس و وجه الشبه اشتراكهما فى سهولة المأخذ و هو عقلى .

(البديع)

راعى فى يركب المطابقة حيث طابق الصعب بالذلول وكذا فى عرفتنى حيث طابق المعرفة بالنكرة .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام نهى ابن عباس عن لقاء طلحة و أشار بقوله فانك الى سبب النهى يعنى أنك ان تلقه لا يفدك لقاه فائدة بل ربما يقابلك بالكلام الخشن ولا يذعن أمرك لكبره و عجبه برأيه و لكن الق الزبير فانه أسهل جانبا منه و أقبل انفعالا من الموعظة منه فاذا نصرته فقل يقول لك ابن خالك أى ابن أبى طالب الذى هو اخوصفية[1] . ام الزبير و هما من أولاد عبد المطلب بن هاشم .

عرفتنى بالحجاز : أى عرفت ولايتى و أقررت بطاعتى بالمدينة حيث

---

(١) صفية بنت عبد المطلب بن هاشم القرشية الهاشمية عمة رسول الله صلى الله عليه وآله و شقيقة حمزة توفى بالمدينة سنة عشرين و قبره ببقيع الغرقد يزار .

تابعت معی و دخلت تحت طاعتی و انکرتنی بالعراق حیث یظهر لا یلیق بحال الموافق المبایع .

قوله فما عدا مما بدأ فیه أقوال : الأول قال ابن الحدید فی شرحه : عدا بمعنی صرف و من ههناه بمعنی عن و معنی الکلام فما صرفك عما کان بدأ منك أی ظهر أی ما الذی صدك عن طاعتی بعد اظهارك لها و حذف الضمیر المفعول کثیر نحو قوله تعالی : « و سئل من ارسلنا قبلك من رسلنا » أی أرسلناه .

الثانی قال قطب الدین الراوندی[1] رحمه الله فی شرحه له معنیان أحدهما ماالذی منعك مما کان قد بدأ منك من البیعة قبل هذه الحالة ، الثانی ما الذی عاقك من البداء الذی یبدو للانسان و یکون المفعول الثانی لعدا محذوفا یدلّ علیه الکلام رأی ما عداك یرید ما منعك و ما شغلك عما کان بدالك من نصرتی . قال ابن الحدید[2] : لیس فی المعنی الثانی زیادة فائدة علی المعنی الأول إلا زیادة فاسدة أما أنه لا زیادة فلأنه فسر عدا

(۱) أبو الحسن سعید بن هبة الله المعروف بقطب الدین الراوندی الفقیه المحدث الثقة الجلیل صاحب الآثار المعروفة و المصنفات المشهورة منها شرح نهج البلاغة فضائله کثیرة و مناقبه معروفة توفی سنة ۵۷۳ .

(۲) عز الدین عبد الحمید بن أبی الحدید المدائنی الفاضل الأدیب المؤرخ الحکیم شارح نهج البلاغة و صاحب القصائد السبع المشهورة کان مذهبه الاعتزال کما شهد لنفسه کان مولده سنة ۵۸٦ ، و توفی ببغداد سنة ٦۵۵ یروی العلامة الحلی عن أبیه عنه .

فی

فى المعنيين بمعنى منع و فسر قوله مما بدأ فيهما بتفسير واحد أما اشتمال الثانى على الزيادة الفاسدة فلأنه ظن أن عدا يتعدى إلى مفعولين و هو باطل باجماع النحاة .

الثالث قال ابن الميثم : بيض الله غرته فى شرحه أقول الوجه الذى ذكره ابن أبى الحديد هو الوجه الأول من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندى إذ لا تفاوت كثيرا بين صرف و منع و ان كان يفهم أن المنع أعم و أما اعتراضه عليه بأنه لا فرق بين الوجهين اللذين ذكرهما فهو سهو عليه لأن معنى ما فى الوجه الأول ظهر للناس منك من البيعة لى و مراده به فى الثانى ما ظهر لك فى الرأى من نصرتى و طاعتى و فرق بين ما يظهر من الانسان لغيره و بين ما يظهر له من نفسه أو من غيره. أما ما ذكره أنه زيادة فاسدة فالظاهر أن لفظة الثانى فى قوله المفعول الثانى زيادة من قلمه أو قلم الناسخ سهوا .

ثم أقول و هذه الوجوه و ان احتملت أن يكون تفسيرا إلا أن فى كل واحد عدولا عن الظاهر من وجه أما الوجه الذى ذكره المدائنى فلانه لما حمل عدا على الحقيقة و هى المجاورة و حمل ما بدا على الطاعة السابقة احتاج أن يحمل من بمعنى عن على ما قال و هو خلاف الظاهر ، أما الراوندى فانه فسر عدا بمعنى عاق أو منع أو شغل و حمل ما بدا على الطاعة السابقة أو على البيعة و لا يتم ذلك إلا أن يكون من بمعنى عن ، و الحق أن يقال عدا بمعنى جاوز و من لبيان الجنس .

و المراد مالذى جاوز بك عن بيعتى مما بدأ لك بعدها من الأمور التى ظهرت لك و حينئذ معنى الألفاظ على أوضاعها الأصلية و استقامة المعنى و حسنه و هو جيد و لكن ما هذا لا يخلو من حذف و هو عن بيعتى و ما ذكره المدائنى مستمل على مجاز و المجاز و الاضمار سيان فلا وجه لترجيح ما قاله على ما قال ابن أبى الحديد و يحتمل أن يكون عدا بمعنى صرف ادنا[1] حد معينيه و من للبيان و يكون المعنى ما صرفك عن طاعتى من الأمور التى ظهرت فينا بعدها و هو جيد .

روى عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن أبيه عن جده قال : سألت ابن عباس رضى الله عنه عن تلك الرسالة فقال : بعثنى فأتيت الزبير فقلت له فقال : إنى أريد ما تريد كأنه يقول الملك و لم يزدنى على ذلك فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته و عن ابن عباس أيضا أنه قال قلت الكلمة للزبير فلم يزدنى على أن قال : أنا مع الخوف الشديد لنطمع . سئل ابن عباس ما يعنى الزبير بقوله هذا . فقال : يقول أنا مع الخوف الشديد لنطمع . . . .[2] من الأمر ما وليتم و قد فسر غيره بتفسير آخر يقال : أراد أنا مع الخوف الشديد من الله نطمع أن يغفر لنا هذا الذنب .

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) كذا بياض فى الأصل .

(٣) فى بعض النسخ : تنزل بنا .

(اللطائف الرشيدية)

سألت تلك الحضرة لا زالت فياضة عن تحقيق قوله لا تلقين إلى الذلول فأفاد مرتجلا أن مراده عليه السلام منه بيان أنه جبار متكبر يرى الأشياء بخلاف ما هى عليه فلا يجوز التعويل عليه و لا الاعتماد فقوله كالثور عاقصا قرنه تنبيه على كونه جبارا متكبرا خاليا عن التواضع و الاستكانة جاليا بالتكبر الموقع فى المهواة ، و المهانة و قوله يركب الصعب و يقول هو الذلول تنبيه على أنه يظهر من نفسه بخلاف ما هى عليه و هذا معنى لطيف جدا .

* * * * *

٣١ — ومن خطبة له عليه السلام

أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دهر عنود ، وزمن كنود يعد فيه المحسن مسيئا ، ويزداد الظالم عتوا ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسأل عما جهلنا ، ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعهم الفساد إلا مهانة نفسه ، وكلالة حده ، ونضيض وفره ؛ ومنهم المصلت لسيفه ، والمعلن بشره ، والمجلب بخيله ورجله ، قد أشرط نفسه ، وأوبق دينه ، لحطام ينتهزه ، أو مقنب يقوده ، أو منبر يفرعه . ولبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمنا ، ومما لك عند الله عوضا : ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا : قد طامن من شخصه ، وقارب من خطوه ، وشمر من ثوبه ، وزخرف من نفسه للأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية : ومنهم من أبعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه ، وانقطاع سببه . فقصرته الحال على حاله . فتحلى باسم القناعة ، وتزين بلباس أهل الزهادة ، وليس من ذلك في مراح ولا مغدى . وبقي رجال غض أبصارهم ذكر المرجع ، وأراق دموعهم خوف المحشر ، فهم بين شريد ناد ؛ وخائف مقموع ، وساكت مكعوم ، وداع مخلص ،

وَتَكْلَانُ مُوجَعٍ . قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ ، وَشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ . وَقَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا ، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا ، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا . فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً : فَإِنَّهَا رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ .

قال الشريف : أقول : هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ، وهى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذى لا يشك فيه ، وأين الذهب من الرغام ، والعذب من الأجاج ؟ وقد دل على ذلك الدليل الخرِّيت ، ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ؛ فإنه ذكر هذه الخطبة فى كتاب البيان والتبيين ، وذكر من نسبها إلى معاوية ، ثم قال : هى بكلام على عليه السلام أشبه وبمذهبه فى تصنيف الناس . وبالإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال ، ومن التقية والخوف - أليق قال : ومتى وجدنا معاوية فى حال من الأحوال يسلك فى كلامه مسلك الزهاد ، ومذاهب العباد ؟؟!!

(اللغــــة)

الصبح و الصباح : أول النهار و هو وقت ما أحمر الأفق بحاجب الشمس و المساء نقيض الصباح و كذلك الصبيحة تقول منه أصبح الرجل و أصبحنا أى دخلنـا فى الصبح و أصبح زيد عالما أى صار و الأول هنا أظهر و الآخر محتمل .

الدهر فى الأصل : اسم لمدة العالم من مبـدأ وجوده إلى انقضائه ثم يعبر به عن كل مدة كثيرة و هو أخص من الزمان فانه يقع على القليلة و الـكثيرة .

عند عن الطريق يعنـد : بالضم عنودا أى عدل فهو عنود عنـد يعند بالـكسر عنودا أى خالف و ردّ الحق و هو يعرفه فهو عنيد و عاند و هو قريب مما قيل العنيد المعجب بما عنده ، و العنود الذى يعند عن القصد و قال بعضهم : العنود هو العدول عن الطريق لـكن خص العنود بالعاذا[1] عن الطريق المحسوس ، و العنيد العادل عن الطريق فى الحكم و جمع العنيد عند مثل رغيف و رغف و جمع العنود عندة كند كنودا أى كفر النعمة فهو كنود و هو احدى الروايتين و الـكاثرى[1] هى شديد .

عتوت يا فلان تعتو عتوا و عُـتيا و عتيا : أى ظلمت و تجاوزت عن الحد .

تخوفت عليـــه الشىء : أى خفت و تخوفناهم أى تنقصناهم تنقصا اقتضاء الخوف منه .

---

(١) كذا فى الأصل .

و وجه

القارعة : الخطب الشديد من شدائد الدهر و هي الداهية يقال : قرعتهم قوارع الدهر أصابتهم دواهيه و نعوذ بالله من قوارع فلان و لو ادعه و أصلها من القرع و هو ضرب شيء على شيء و ذلك لأن الداهية كأنها يضرب النازل .

حل بالمكان حلولا و نزلا و محلا : أى نزل به الهوان يقال على وجهين .

أحدهما تذلك الانسان فى نفسه لما لا يلحق به غضاضة فيمدح به و منه قوله تعالى : « و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا » و قوله عليه السلام : المؤمنون هينون لينون .

و الثانى أن يكون من جهة متسلط مستخف فيذم ، و منه قوله تعالى : « و أولئك لهم عذاب مهين » .

قوله عليه السلام مهانة نفسه : أى حقارتها .

كلّ حد السيف و غيره كلا لا : إذا وقف عن القطع ثم يستعمل فى كل ما يبطل مقصوده منه .

النضيض : الماء و الجمع نضاض قال أبو عمرو : النضيضة المطر القليل و الجمع نضائض .

و الوفر : المال الكثير .

أصلت سيفه : أى جرده من غمده فهو مصلت و ذاك مصلت وصلته بالسيف صلتا أى ضربه به .

أجلب : أى جمع و قد مر تفسير خيله و رجله .

أشرط فلان نفسه : لأمر كذا أى أعلمها و أعدها ، قال الأصمعى : و منه سمى الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها الواحد شرطة و شرطى .

و بق يبق و بوقا : أى هلك و أوبقه أى أهلكه .

الحطام : متاع الدنيا و أصله من الحطم و هو كسر النبات .

النهزة : الفرصة و انتهزتها أى أغتنمتها .

المقنب : بكسر الميم و فتح النون ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل و أيضا شيء يكون مع الصائد يجعل فيه ما يصيده و يقوده قرينة الأول .

قدت الفرس و غيره أقوده قودا و مقادة و قيدودة .

نبرت الشيء انبره نبرا : أى رفعته و منه سمى المنبر .

فرع المنبر يفرعه : أى علاه يقال : فرعت الجبل أى صعدته و فرعت رأسه بالعصا أى علوته و فرعت قومى أى علوتهم بالشرف أو بالجمال .

طامن من شخصه : أى خفض و الاسم الطمأنينة و هى السكون بعد الانزعاج و اطمأن بمعناه .

قال سيبويه[1] وزن طامن فعلك و اطمأن قلوب عنه و وزنه افعلل

(١) أبو الحسن عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسى البيضاوى النحوى المشتهر كلامه وكتابه فى الافاق أخذ عن الخليل و يونس والأخفش توفى سنة ١٨٠ بشيراز و قبره معروف و قد جدد عمارته و اقيم له بشيراز حفلة علمية عالمية و القيت كلمات حول حياته العلمية و خدماته الاسلامية .

قال الحرمى: طمن على وزن فعلل و أطمأن وزنه افعلل.

شمر عن ثوبه: أى زخرف أى زين و أصله من الزخرف الذهب الذى يزين كل شيء و المزخرف المزين.

الذريعة: الوسيلة يقال: قد تذرع فلان بذريعة أى توسل و الجمع الذرائع قعد قعودا و مقعدا أى جلس و اقعده غيره.

الملك: ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم و الملك كالجنس للملك فكل ملك ملك و ليس كل ملك ملكا.

ضؤول ضالة و ضؤلة: إذا صغر و رجل ضيل الجسم إذا كان صغير الجسم نحيفا و أراد بضؤولة نفسه حقارتها.

السبب: فى أصل اللغة الحبل الذى يصعد به النخل و جمعه أسباب ثم شاع فى كل ما يتوصل به إلى شيء.

قصرت الشيء أقصره قصرا: حبسته و منه مقصورة الجامع و قصرت الشيء على كذا إذا لم يجاوز به إلى غيره و هو المراد هنا.

تحلى بالحلى: أى تزين به.

القناعة: بالفتح الاجتزاء باليسير من الأغراض المحتاج إليها يقال: قنع بالكسر فى الماضى و الفتح فى الغابر قناعة فهو قنوع و قنع و أقنعه الشيء أى أرضاه و قيل قنع يقنع قنوعا إذا سأل فهو قانع أى سائل قال تعالى: «و أطعموا القانع و المعتر[1]».

قال بعضهم: القانع هو السائل الذى لا يلح فى السؤال و يرضى

(١) الحج: ٣٦.

مما يأتيه عفوا و القنوع هو الراضى بالقليل .

المراح : بفتح الميم الموضع الذى يروح منه القوم أو يروحون إليه .

المغدى : من الغداة يقال ما ترك فلان من أبيه مغدى و لا مراحا إذا أشبهه فى أحواله كلها .

غض بصره : أى خفضه .

قال الجوهرى المرجع : كالرجوع مصدر و منه قوله تعالى : « إلى ربكم مرجعكم[1] » أى رجوعكم و هو شاذ لأن المصادر من فعل يفعل انما يكون بالفتح .

أراق المآء و غيره أراقة : أى صبه .

حشرت الناس أحشرهم : و أحشرهم حشرا جمعتهم و منه يوم الحشر و المحشر بكسر الشين موضع الحشر و المحشر بالفتح هو الرواية و هو مصدر .

الشريد : الطريد و التشريد التطريد و منه فشرد بهم من خلفهم أى فرق و بدد جمعهم و ليس من شرد البعير يشرد شرودا أو شرادا ، اسم الفاعل شارد و شرود لاشريد .

ند البعير : يند ندا و ندادا و ندودا إذا نفر و ذهب على وجهه فهو ناد .

قمعته و أقمعته : بمعنى أى قهرته و أذللته فانقمع فهو قامع و ذاك مقموع .

المكعوم : الممنوع من كلام كأنه سد فوه بالكعام و هو شىء يجعل

(١) الانعام : ١٦٤ .

فى

فى فم البعير عند الهياج ، يقال كعمت البعير إذا شددت فاه بالكمام .

الثكل : فقدان المرأة ولدها وكذلك الثكل بالتحريك وامرأة ثاكل وثكلى وثكلان .

الوجع : المرض والجمع أوجاع ووجاع فلان يوجع وييجع وياجع فهو وجع وأوجع فلانا يوجعه ايجاعا أى أولمه فهو موجع وذاك موجع .

أخملتهم : أى اسقطتهم من الاخمال أى الاسقاط ، التقية الخوف وكذا التقوى .

شملتهم : أى عمتهم .

ماء اجاج أى ملح مر وقداج الماء يؤج اججا أى ملح .

أفواههم : جمع فم وأصل فم فوه .

ضمز يضمز ضمزا : سكت ولم يتكلم وكل ساكت ضامز وضموز .

قرح جلده : بالكسر يقرح قرحا فهو قرح إذا خرجت به القروح وقرحه قرحا خرجه فهو قريح وقوم قرحى وقرحة من الأول .

الحثالة : ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذى قشارة إذا نقى وحثالة الدهن ثقله فكأنه الردى من كل شىء .

القرظ : ورق السلم يدفع به ومنه إذا تم مقروظ .

قرضت الشىء وأقرضه : بالكسر قرضا قطعته والقراضة ما سقط بالقرض ومنه قراضة الذهب .

الجلم : المقراض الذى بجز به أوبار الابل .

الرفض : الترك و قد رفضه يرفضه و يرفضه رفضا و رفضا و الشيء رفيض و مرفوض و الروافض جند تركوا قائدهم و الرافضة فرقة من الشيعة قال الأصمعى : سموا بذلك لتركهم زيد بن على عليه السلام .

ذميمة فعيلة : من الذمامة الحقارة .

اشعف : من شعفه الحب أحرق قلبه لا من شغفـه الحب بالغين المعجمة أى بلغ شغافه و هو غلاف القلب و ان احتمل دراية لأن الرواية لم تساعده .

(الاعراب)

يعد فيه المحسن : و ما عطف عليه جمل وقعت نعوتا لدهر و زمن منع انما يتعـدى إلى المفعول الثانى بواسطة عن ، يقال منعتـه عن الشيء فامتنع منه و هنا فى قوله لا يمنعـــه الفساد ، و قد حذف منه الخافض و نصب على نزعه تقديره لا يمنعه عن الفساد .

الألف و اللام فى المصلت : و أخويه بمعنى الذى ، و مما لك عطف على ما قبله تقديره أن يرى الدنيا عوضا مما لك عند الله ذلك فى قوله ليس فى ذلك فى مراح و لا مغـدا اشارة إلى المذكور من التحلى باسم القناعة و التزين بلباس أهل الزهادة .

ذميمة : حال من الضمير المنصوب فى و ارفضوها والضمير فى فانها و رفضت و بها للدنيا .

(المعـانى)

التنكير فى دهر و زمن : للتعظيم و التهويل و لا ينفع بما علمنا إلى بنا ساق الكلام على طريقة قوله تعـالى : « انا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » المسماة بالمنصف لأنه عليه السلام ليس ممن لم ينتفع و لم يسئل عما جهله لو أمكن و لم يتخوف قارعة تحل به ليـكون أقرب إلى القبول و هذه لها من البلاغة يد طولى على ما عرفتها فى موضعها فى المعانى .

قوله منهم من لا يمنعه : إلى مهانة نفسه القصر للافراد على تنزيل المخاطبين منزلة المشاركين و هو قصر المفعولية على الفاعلية .

يعنى كونه ممنوعا عن الفساد ليس له مانع إلا شيء واحد هو بمجموع مهانة نفسه و كلالة حده و نضيض وفره لا أن هذا المجموع لا يجوز أن يكون مانعا لشيء آخر و هو دقيق جدا انمـا عدل فى المصلت عن الذى إلى اللام رعاية للاختصار المطلوب و ايذانا ببيانـه على الأمور المذكورة قطع قد أشرط و قد طاس ليؤذن بتعليل السابق عليه فى تقديم عن طلب الملك على صئولة نفسه فائدة القصر للافراد على الوجه الذى عرفت آنفا .

الفاء فى فقصرته : يحتمل أن يكون فصيحة و أن يكون سببية و فى فتحلى الظاهر أنها فصيحة لأنها تفصح عن محذوف و هو سبب للتحلى تقديره لما قصرته الحال على حاله و لم يتهيأ له الظفر بالمقصود و بحير[1] فى الطريق الموصل إليه و اختار المنكر و الزرق فتحلى باسم ، التنوين فى رجال

---

(١) كذا فى الأصل .

للتعظيم أى رجال معظمون ذووا همم عالية و أولو عزوم جازمة .

الفاء فى فهم : لعطف الجملة الاسمية على الفعلية لفظا و لافادة السببية معنى و ذكرهم هنا للاهتمام بشأنهم و ليدل على الثبات و الاستقرار المستفادين من الجملة الاسمية و النقل من الاسمية و إلى الفعليـــة فى قوله قد أخملتهم للدلالة على تعليـل المذكور سابقا و أن الاسقاط أمر عارض لهم ليس بذاتى و اعادة فهم للتأكيد و قطع أفواههم عما قبله للايذان بالتعليل .

الفاء فى فليـكن : للسببية هذا كلام لو تلى على الحجارة لانفجرت منها الأنهـار و لو وضع على الأرض لانغرست منها الاشجار و لو ذكر لمريض لأبل أو رقى به زمن لاستقل أنظر كيف اشقت مبانيه و انطبقت ألفاظه على معانيه اعربت مسالك انجازه عما تضمن من مدارك اعجازه .

(البيـان)

كلالة حده : كناية عن ضعفه عن الأمور و عجزه عن القيام بها .

المصلت بسيفه : كناية عن التغلب و تناول ما امكن تناوله بالغلبة و القهر إذ الاصلات من لوازم التغلب و الاعلان بالسر كناية عن المجاهرة برذائل الأخلاق و الاجلاب بالخيل .

الرجل : كناية عن جمع أسباب الظلم و القهر و التعدى على الغير فى الحطام أستعارة مكنى بها عن أن الغاية التى أفسد دينه لنيلها فى غاية الحقارة مستدعية لتشبيه المال بالحطام و هما محسوسان .

وجه الشبه أن المال الدنيوى بالنسبة إلى النعيم الأخروى المعد لمن أطاع الله و رسوله حقير كما أن النبات اليابس حقير بالنسبة إلى الأخضر

الناضر

الناضر، أو أن المال لا نفع له بالقياس إلى العمل الصالح الباقى ثمرته فى دار البقاء كما أن اليابس من النبات لا نفع له بالقياس إلى المخضر الذى له ثمرة.

وكنى بقوله مقنب يقوده: عن تحصيل الأعوان والأنصار الكثيرة ولبئس المتجر الى عوضا راعى استعارة مكنيا بها عن أن من اثر الدنيا على الآخرة فهو بمعزل عن العقل و فى غبن عظيم و خسران جسيم مستدعية لتشبيهات ثلاثة.

ا ـ تشبيه النفس و هى معقولة بالمتاع الخطير و هو محسوس و وجه الشبه اشتراكهما فى النفاسة و العزة وكذا تشبيه ما عند الله من النعيم الدائم و السرور المقيم و هو عقلى بالجوهر النفيس و هو حسى.

و وجه الشبـــه اشتراكهما فى كثرة رغبات النفس العقلاء اليهما و هو عقـــلى.

ب ـ تشبيه الدنيا بالثمن البخس و هما محسوسان و وجه اشتراكهما فى حقارة و الخساسة و هو عقلى و هذا تشبيه المفرد بالمفرد.

ج ـ تشبيه هيئة المتعب نفسه فى تحصيل الدنيا المعرض عن الله و عما أعد للمحسنين و هى معقولة بهيئة باذل المتاع النفيس فى مقابلة الثمن البخس و هى محسوسة و وجه الشبه أن من أعرض عن الله تعالى و أتعب نفسه فى طلب الدنيا فهو فى غبن عظيم عند العقلاء و ممن يلومونه و ينسبونه الى قلة العقل و البصارة كما ان من رضى بثمن بخس فى مقابلة جوهر نفيس يعد سفيها قليل العقل و التجربة مغبونا و هو عقلى.

فى ستر الله : تخييلية مكنى بهـا عن أن التقوى يحمى المتقين عن أن يردوا موارد الهلكة و يسترهم عن الشياطين مستدعية لتشبيه التقوى و هو معقول بالستر و هو عقلى .

قوله ليس فى ذلك من مُراح ولا مغدى : كناية عن أنه ليس له من القناعة ولا من الزهادة خلاق ، فى ساكت مكموم استعارة مكنى بها عن كونه ممنوعا من الكلام مستدعية لتشبيه هيئة منعه التقية من الظالمين عن أن يتكلم بحسب المشية و هى معقولة بهيئة منع العكام البعير عن أن يتحرك بحسب المشية و هى محسوسة .

و وجه الشبه اشتراكهما فى المنع المطلق و هو عقلى و هذا التشبيه يستلزم تشبيه التقية و هى معقولة بالعكام و هو محسوس . و وجه الشبـه اشتراكهما فى كونهما آلة للمنع و هو عقلى .

و فى ثكلان موجع استعارة مكنى بها عن كونه مصابا فى الدين مستدعيـة لتشبيـه فوات الدين بغلبة الكفر و الفسوق عليه و هو معقول بفوات الولد و هو محسوس و وجه الشبه اشتراكهما فى الفوات المطلق و فى كونهما موجبين للتعب على صاحبهما و لتشبيه صاحب الدين بالمرأة التى فقدت و لدها و وجه الشبه اشتراكهما فى وقوع المصيبة .

بحر اجاج : استعارة مكنى بها عن كونهم فى الدنيا فى المشقة و تعب مستدعية لتشبيه الدنيا بما هى عليه الأحوال الباطلة بالبحر المشتمل على الماء المالح المر وهما محسوسان و وجه الشبه الشبه أن الدنيا لا يصلح ان يفتتنها من فيها و ينتفع لكونها سببا للعذاب فى الآخرة كما لا يصلح البحر أن

ينتفع بمائه المالح السابح فيه لكونه سببا لقطع الأمعاء و الهلاك .

و يحتمل أن يكون التشبيه اللازم تشبيه كون المتقين فى الدنيا يكون السابحين فى البحر المالح : و وجه الشبه ان المتقين فيها لا يقدرون أن يسكتوا عن المناهى لغلبة داعية النهى عن المنكر عليهم ولا أن يتكلموا بالنهى عنها للخوف من غلبة الظالمين عليهم كما أن السابحين لا يقدرون أن يطبقوا أفواههم لئلا يصب فيها الماء لغلبة داعية النفس عليهم و العطش ولا أن يفتحوها للخوف من غلبة الماء المالح القاطع للاحشاء عليهم و دخوله فيها .

و هو احتمال لطيف جدا و الى مثل التشبيه أشار لقمان حيث قال أن الدنيا بحر عميق و قد غرق فيها ناس كثير فليكن سفينتك فيها تقوى الله و حشوها الايمان بالله و شراعها التوكل على الله لعلك تنجو وما أراك ناجيا ، فى أفواههم ضامرة ان كان بالراء المهملة استعارة مكنى بها عن كثرة صيامهم و بعدهم عن الالتذاذ باللذات الحسية المألوفة مستدعية لتشبيه أفواههم بالفرس الضامر و وجه الشبه اشتراكهما فى بعد العهد عن الطعام و طريان الضعف اليهما و هو عقلى .

و لو قلنا أن فيه فى المفرد و التركيب أما فى المفرد فلانه أطلق الأفواه و أراد الأبدان من باب اطلاق اسم الجزؤ و ارادة الكل و أما فى التركيب فلانه أسند الضمور الى الأفواه على أنه حقيقة فى الفرس بناء على التشبيه المذكور لكان حسنا قريبا الى المراد و ان كان بالزاء المعجمة ففيه مجاز فى الاسناد حيث اسند السكرت الى الأفواه اعتبارا بأنها طريق

الكلام على أنه من باب اطلاق الجزؤ و ارادة الكل لأن السكوت بالحقيقة لا يقع الا مسندا الى الشخص .

قوله قتلوا حتى قلوا : مجازا فى الاسناد لأنه اسند القتل الى الكل مع بقائهم من باب اطلاق الكل و ارادة الجزء أو من باب اطلاق السبب الغائى و ارادة المسبب اذ هم مقصودون بالقتل و حتى خلوّ قرينة المجاز .

(البديع)

بين عنود و كنود : المتوازى و الترصيع و بين عنود و شديد المتوازى لا غير .

و قوله يعد المطابقة : حيث طابق بين المحسن و المسئ ، و فى قوله لاتنتفع الى جهلنا المقابلة حيث قابل العلم بالجهل و بين ثمنا و عوضا المتوازن كما بين دينه و نفسه و شخصه و خطره وثوبه و بين نفسه و سببه و ان اعتبر بالضماير فالمطرف .

و بين القناعة و الزهادة : المتوازى و الترصيع .

بين المراح و المغدى : المقابلة و بين المرجع و المحشر المتوازى كما بين مقموع و مكعوم و بين التقية و الذلة المطرف كما بين ضامرة و قرحة و بين ملوا و ذلوا وقلوا المتوازى و الترصيع و بين القرظ و الجلم المتوازى .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام قد بين فى هذه الخطبة وصف الزمان بالشدة و تصنيف الناس الى اصناف و التحذير عن الدنيا فهنا مقاصد ثلاثة .

المقصد الأول فى بيان و صفا لزمان بالشدة و الجور لما كان الزمان من الأسباب المعدة لحدوث ما يحدث فيه من الامتزاجات وما يتبعها مما يعد

خبرا

خيرا أو شرا و كان يتفاوت فى الأعداد بأن يكون فى بعضها يعد ما يعد شرآ و فى بعضها ما يعد خيرا كان نسبة الجور و الشدة الى بعض الازمنة صحيحة و نسبة العدل و الحسن الى بعضها واقعا على النظام اذا عرفت ذلك.

فقوله انا اصبحنا فى دهر عنود و زمن كنود.

أشارة الى أن الزمان الذى صار فيه خارجا عن قانون نظام العالم الذى هو العدالة جار على سنن الشدة و ذكر له أوصافا خمسة بها صار موصوفا بالجور و الشدة.

الأول أشار إليه بقوله يعد المحسن مسيئا.

و ذلك لأن الغالب على طباع أهل ذلك الزمان التظاهر بالفسق و الاسائة و اظهار رذائل الاخلاق....[1] أعنه الملكات الردئية ديدنا لهم و عادة يحسبون أن كل فعل حسن لكونه خارجا عن قانون ما هو مقتضى طباعهم قبيحا سيئا و كل فعل قبيح حسنا و أيضا لو علموا لنسبوا المحسنين الى الاسائة فى الفعل بأن قالوا أحسنوا رياء أو سمعة أو غيرهما حسدا عليهم و طمعا فى أن يلحقوا بهم فى درجاتهم فى الاساءة.

الثانى أشار إليه بقوله يزداد الظالم فيه عتوا.

و ذلك لأن مظهر الظلم و الطغيان النفس الأمارة بالسوء و هى فى زمان العدل ملجمة بحكمة العدل مقهور دائما أو فى اكثر الأحوال و هى طالبة للفوز بمطالبها على سبيل الاختلاس بخلافها فى زمان الجور فانها مطلقة العنان فى كل ما أرادت فالظالم فى زمان العدل و نظام الشرعية

---

(١) كذا بياض فى الاصل.

كالسارق لا يأمن فى كل لحظة أن يقع به المكروه فلا يقدر أن يقدم دائما و فى زمان الظلم كالناهب الذى ليس له التفات الى أحد فيأخذ بحسب مشيته و لهذا كان ظلم الظالم فى زمان الجور أزيد زمانه عليه السلام بالنسبة الى زمان الرسول صلى الله عليه و آله كذلك .

الثالث أشار إليه بقوله لاننتفع بما علمنا .

و هو توبيخ للعالمين بما جاء به صاحب الشريعة نبينا صلوات الله عليه المقصرين فى الاعمال التى اقتضاها علمهم اذ الانتفاع بالعلم أن يتخذه اماما للعمل عــلى ما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه و آله العلم أمام العمل تابعه فاذا لم يتفق العمل بما علم كان علمه وبالا عليه فى الدنيا و العقبى أما فى الدنيا فلأنه يصير سببا لضلال الناس أما فى العقبى فظاهر .

و من ثم استعاذ الرسول صلى الله عليه و آله فى دعائه عن العلم الذى لا ينفع و حيث قال : انى أعوذ بك من علم لاينفع و حقهما أن يتلازما لأن العلم كالأس و العمل كالبناء و كما لا يغنى اس ما لم يكن بناء ولا يثبت بناء ما لم يكن اس كذا لا يغنى علم بغير عمل ولا عمل بغير علم و كذا قال تعالى : اليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه[1] ، فاذا انفك أحدهما عن الآخر ظهر الفساد و بان الجور .

الرابع أشار إليه بقوله لانسأل عما جهلنا .

و هو توبيخ للمقصرين فى العلم بالسؤال عما جهلوا به لقلة التفاتهم اليه بواسطة انهماكهم فى اللذات الحسية الحاضرة أو لجهلهم المركب ، قد

(١) فاطر : ١٠ .

روى أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال اطلعت ليلة المعراج على النار فرأيت اكثر أهلها الفقراء فقالوا يا رسول الله من المال قال لامن العلم .

الخامس أشار إليه بقوله ولا تتخوف قارعة حتى تحل بنا .

ذلك لعدم مبالاتهم لعواقب امورهم و عدم تدبرهم فى مصالحهم الدينية لاشتغالهم باللذات الحاضرة و حبهم اياها و هو توبيخ للمقصرين فى الجهاد حتى يضطرهم بأن يحل بهم بغتة و قد أشار الى أن التقصير مثمر للذلة بقوله ما غزى قوم قط فى عقردارهم الا ذلوا و لما كان هذه الامور الخمسة خارجة عن نظام العدل كانت من معدات كون الزمان المشتمل عليها جائرا و الله أعلم .

المقصد الثانى : فى بيان أقسام الناس اعلم أنه عليه السلام ذكر من الناس الذين هم فى زمان الجور و قسمهم على أربعة أصناف و ذكر صنفا ليسوا من أهله و الحق ان الناس مطلقا على خمسة اصناف صنف ثابتون على الصراط المستقيم و أربعة اصناف منحرفون عنه و وجه هذه القسمة ان الناس اما طالبون لله أو للدنيا و الطالبون للدنيا إما قادرون عليها أوغير قادرين و غير القادرين اما يحتالون لطلبها أم غير محتالين و المحتالون لها إما أن يؤهلوا أنفسهم للامارة و الملك أم لا فهذه أقسام خمسة لاغبار عليها .

الصنف الأول الطالبون للدنيا غير القادرين عليها و غير المحتالين و قد أشار اليهم بقوله منهم من لا يمنعه الفساد الى وفره أى بعضهم لا يمنعهم عن الفساد فى الأرض الا ثلاثة امور حقارة نفسه و ضعفه و قلة ماله ولا خفاء فى أن الطالب للدنيا المعرض عن الله اذا خلا عن

الموانع المذكورة و وجه الدنيا لم يكن سعته فيها الا قاز .

الصنف الثانى أشار اليهم بقوله و منهم الى يقرعه و هم القادرون على الدنيا الطالبون لها أى أنهم الذين أطلقوا عنان الشهوة و الغضب فى تحصيل ما يتخيلونه كمالا من الأعراض التى يتوجه اليها فى الأغلب هم أرباب الدنيا و هى جمع المال أو الرياسة و الدنيوية بافشاء الخيل و النعم الأعوان و الأنصار او الرياسة الدينية كاقتراع المنابر و جعل نفسه مفتيا أو قاضيا أو واعظا أو شيخا ثم أشار الى وقوع هذا الصنف فى الخسران العظيم بسبب توجههم الى الاعراض المذكورة بقوله و ليس المتجر أن يرى الدنيا لنفسك ثمنا .

و ذلك لأن من جعل غرضه الدنيا قد جعل نفسه طالبة لها معرضة عما سواها فلم يكون نفسه مليحة الى الله تعالى فكأنه بدل النفس و رضى بعوضها عن الدنيا ان نالها و هو غبن عظيم لأنه تعالى جعل ثمنها الجنة التى هى الدار الباقية حيث قال : ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة ، و أى غبن أعظم من أن يعرض عن معاطته تعالى و عن الثمن الباقى و يرضى بمعاملة هواه و الثمن البخس الفانى اللهم اعذنا من هذه المعاملة البايرة و الصفقة الخاسرة .

الصنف الثالث غير القادرين عليها مع طلبهم لها المحتالون لها المعدون أنفسهم لأمور دون الملك و هم المشار اليهم بقوله و منهم من يطلب الى المعصية ، قوله من يطلب الدنيا بعمل الآخرة إشارة الى وجه الحيلة لها على سبيل الاجمال من الرياء و السمعة أى يأتون بالأعمال التى شابهت

الأعمال

الأعمال الأخروية فى الصورة دون الحقيقة لخلوها عن الاخلاص الذى بمنزلة القلب منها و الروح و يجعلونها أسبابا لأقسام الدنيا و أعراضها .

قوله و لا يطلب الآخرة يعمل الدنيا : اشارة إلى عدم ارادتهم بالآخرة و اتعاب أنفسهم فى الدنيا لطلبها .

قوله قد طامن إلى زخرف من نفسه .

اشارة إلى تفصيل ما أجمل أولا أى أنه شعار الصالحين من الخضوع فى الصورة و تقارب الخطى و رفع الذيل و تزين النفس بالأعمال الصالحة ظاهرا سبكا لاقتناص الدنيا و اتخذ ستر الله الذى هو التقوى وسيلة إلى الظفر بالدنيا بأن صام دائما و قام بالليل و سكت ظاهرا عن المناهى ليشتهر بين أرباب الدنيا أنه رجل صالح معرض عن الدنيا مقبل إلى الله بالكلية و يتوجهون إليه متقربين خاضعين له منقادين مطيعين فيحصل منهم مقصوده من الدنيا هؤلاء بالحقيقة قال الله تعالى فيهم : « فويل للمصلين ه الذين هم عن صلاتهم ساهون ه الذين هم يراؤن و يمنعون الماعون[1] » .

الصنف الرابع غير القادرين عليها المحتالون لها المؤهلون أنفسهم للامارة و الملك و هم المشار إليهم بقوله و منهم من أقعده إلى آخره أى ليس المانع عما يرومه من الملك إلا أمرين أحدهما ضعف نفسه و تخيلها العجز عن طلب الملك . الثانى هو سبب ذلك الضعف و هو انقطاع سببه أى سبب طلب الملك من المال و الأعوان و الأنصار .

قوله فقصرته الحال على حاله : أى بانقطاع سببه أفضاه إلى أن

---

(١) الماعون : ٤ - ٧ .

يتجاوز عما اقتضته حاله من العجز و السكوت عما لا قدرة له عليه و لما عجز عن هذا الطريق عدل إلى الحيلة و تزين باسم القناعة و أظهر بين الناس أنه قنع معرض عن الزيادة و تزين بلباس أهل الزهادة بأن واظب على العبادات و جعلها كاللباس الظاهر لنفسه طلبا لمقصوده من الترؤس ثم أشار بقوله و ليس إلى مغدى إلى أنه خال عما تزين .

الصنف الخامس : هم الطالبون لله تعالى المعرضون عن الدنيا و أعراضها بالكلية و هم المشار إليهم بقوله بقى رجال إلى قلوا و قد ذكر لهم أوصافا عشرة .

الأول أشار إليه بقوله غض أبصارهم : ذكر المرجع و ذلك لأن المقبل إلى الله بالكلية إذا استحضر فى ذهنه أنه واقف بين يديه تعالى اعرض عن غيره لاستغراقه فى مطالعة أنوار جلاله و خوفه من أن يشتغل عنه تعالى فلا يزال قلبه غريقا فى مراقبته بحيث لا يخطر به طرفة عين التفات إلى غيره فلم يكن بصيرة الحسنى أيضا ملتفتا إلى غيره لأنه تابع للقلب يكون ذكر المرجع إلى الله تعالى قد خفض أبصارهم عن أن يقع على الغير و أيضا من ذكر أن المرجع هو و المبداء منه لم يقع نظره بحال من الأحوال إلى شىء لعدم وجوده فى نظره و من شرائط الأبصار وجود المبصر فاذا لم يكن لشىء وجود بالنسبة إلى وجوده تعالى لم تقع بصره على شىء البتة و هو المراد بالغض .

الثانى أشار إليه بقوله أراق دموعهم خوف المحشر .

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب و احتراقه بسبب توقع مكروه

فى الاستقبال و هو ينتظم من علم و حال و عمل أما العلم فهو العلم بالسبب المفضى إلى المكروه و ذلك من وجهين .

أحدهما أن يكون جنانه الخائف و ذلك كمن جنى على ملك و وقع فى يده فخاف القتل و يجوز الانقلاب بالعفو و لكن يألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله و هو تفاحش خيانته و كون الملك حقودا غضوبا قهارا و كونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع إليه و كان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة و حسنة تمحو أثر جنايته عند الملك فالعلم يتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف و شدة تألم القلب و بحسب تفاوت هذه الأسباب بتفاوت الخوف بالضعف و القوة .

الثانى أن يكون السبب هو صفة فى المخوف و له احسار[1] كالذى وقع فى مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع و هو سطوته و حرصه على الافتراس غالبا أو صفة خيلته للخوف منه لخوف من وقع فى مجرى مسيل أو جوار حريق فان الماء يخاف منه لأنه بطبعه مجبول على السيلان و الاغراق كالنار على الاحراق فالعلم بأسباب المكروه و هو المثير لنار القلب و حرقته و تألمه و هو الاحتراق انما يكون فى القلب .

إذا عرفت ذلك فاعلم أن الخوف من الله تعالى قد يكون بمعرفة الله تعالى و معرفة صفاته و أنه لو أهلك العالمين لم يبال و قد يكون لكثرة الخيانة من العبد بمقارفة المعاصى و يكون بحسب معرفته بالله تعالى و بجميع

(١) كذا فى الأصل .

صفاته و معرفته نفسه جميعا فأخوف الناس لربه أعرفهم بربه و بنفسه و لذلك قال النبي عليه السلام: أنا أخوفكم بالله، و قال تعالى: «انما يخشى الله من عباده العلماء[1]».

ثم إذا كملت المعرفة أورثت حال الخوف و احتراق القلب ثم يفيض أثر الخوف عن القلب على البدن و الجوارح و الصفات أما على البدن فيقطع النظر عن غيره تعالى و الاقبال إليه بالكلية و هو المشار اليه بقوله.

غض أبصارهم: ذكر المرجع و التجول و الصفاء و للغشية على ما رويناه أن زين العابدين عليه السلام لما أراد أن يلبي ارتعد و غشي عليه في قوله عليه السلام فرض عليكم حج البيت و الرغبة و البكاء على ما روى أن داود النبي عليه السلام بقي أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى ينبت المرعى من دموعه، و قد ورد في فضيلة البكاء عن الخوف آيات و أخبار.

أما الآيات فمثل قوله تعالى: «يبكون و يزيدهم خشوعا[2]»، و قوله تعالى: «فليضحكوا قليلا و ليبكوا كثيرا[3]»، و قوله تعالى: «أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون و لا تبكون[4]»، أما الأخبار فقد قال النبي عليه السلام: ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دمعة و إن كان مثل رأس الذباب من خشية الله الا حرمه على النار، و قال عليه السلام في دعائه:

(١) فاطر: ٢٨. (٢) الاسراء: ١٠٩.

(٣) التوبة: ٧٣. (٤) النجم: ٦٠.

 اللهم

أللهم ارزقنى عينين هطالين ، و قال عليه السلام : ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم اهريقت فى سبيل الله .

و أما فى الجوارح فيكفها عن المعاصى و يقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط و استعدادا للمستقبل أما فى الصفات فانه يقمع الشهوات و تكدر اللذات فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سما فيحترق الشهوات بالخوف و يحصل فى القلب الخشوع و الذلول و الاستكانة و مفارقة الكبر و الحسد و الحقد بل يصير مستوعب الهم بخوفه و النظر فى خطر عاقبته فلا يتفرع لغيره و لا يكون له شغل إلا المراقبة و المحاسبة و المجاهدة و الضنة بالأنفاس و اللحظات و مؤاخذة النفس فى الخطرات و الخطوات و الكلمات .

و يكون حاله حال من وقع فى مخالب سبع ضارى لا يدرى أيغفل عنه فينفلت أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره و باطنه بما هو خائف منه لا يتسع فيه غيره هذا حال من غلب عليه الخوف و استولى عليه و إذا عرفت حقيقة الخوف فاعلم أن المخوف منه المكروه على قسمين .

احدهما أن يكون مكروها لافضائه إلى المكروه كالخوف من الموت قبل التوبة و خوف نقض التوبة و نكث العهد و خوف حال رقة القلب و تبدلها بالقساوة أو خوف الميل عن الاستقامة أو خوف استيلاء اتباع الشهوات المالوفة على العبادة أو خوف أن يكله الله إلى حسناته التى اتكل عليها و اغتربها أو خوف البطن بكثرة نعم الله تعالى أو خوف الاشتغال

عن الله لغير الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم أو خوف تبعات الناس عنده فى الغش و الخيانة .

أو خوف تعجيل العقوبة فى الدنيا و الافتضاح قبل الموت أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا أو خوف اطلاع الله تعالى على سريرته فى حال غفلته عنه أو خوف الختم[1] له عند السوء فهذه كلها مخاوف العارفين و لكل واحد خصوص فائدة و هو سلوك سبيل الحذر عما يفضى إلى المكروه لذاته .

الثانى أن يكون مكروها لذاته مثل سكرات الموت و شدته و سؤال منكر و نكير و عذاب القبر و هو المطلع و هيئة الوقوف بين يدى الله تعالى و الحياء من كشف الستر و السؤال عن النقير و القطمير و الخوف من الصراط وحدته و كيفية العبور عليه و الخوف من النار و أغلالها و أهوالها و الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم و نقصان الدرجات .

كل هذه أسباب مكروهة فى أنفسها مخوفة منها و يختلف أحوال الخائفين فيها و أعلاها رتبة خوف العارفين من القرآن و الحجاب من الله تعالى و ما قبلها فهو خوف الصالحين و المتقين و الزاهدين و من لم تكمل معرفته و لم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال و لا بألم الفراق و البعد من الله تعالى و من كملت معرفته بالله فهو دائما فى مدرجة خوف الحجاب و الفراق .

(١) كذا فى الاصل .

و قد روى أنه سئل الجنيد[1] عن الصبر عن الله فزعق و غشى عليه و تفصيل هذا المقـام و شرحه حرام مع من ليس أهلا له أما من كان أهلا له فهو غنى بانفتاح بصيرته و كمال معرفتـه عن أن له غيره[2]، قوله خوف المحشر من القسم الثانى و انمـا أطنبت الكلام لأن كشف الغطاء عن المقام مسبوق بالأطناب مع أن المتروك أكثر من المذكور بكثير .

الثالث أشار إليـه بقوله: فهم إلى موجع هذا يحتمل أن يـكون اشارة إلى آحاد المتقين يعنى بعضهم مطرود عن البلاد أما لـكثرة نهيه المنـكر أو لقلة صبر على مشاهدة المنـكر و بعضهم خائف عن أذى الظالمين و إيذائهم اياه مقهور بقهرهم و بعضهم ممنوع عن الكلام اما لخوفه على نفسه أو لعلمه بأن كلامه لا يؤثر لو تكلم به و بعضهم يتضرع إلى الله بالابتهال و يدعو بالدعوات النافـذة من قلب خالص عن شوائب الرياء صاف عن حبالة العجب .

منهم من صار حاله كامرأة فقدت ولدها و تواظب على الجزع و البكاء أما لمشاهدته فوات الدين أو لعدم قدرته على تحمل أذى الظالمين

---

(١) جنيد بن محمد ابو القاسم الخزاز و يقال القواريرى اصله من نهاوند مولده و منشأه ببغداد ، و سمع بها الحديث و لقى العلماء شيخ وقته و فريد عصره فى علم الاحوال والكلام على لسان الصوفية وله اخبار مشهورة راجع تاريخ بغداد ج : ٧ ص : ١٤١ .

(٢) كذا .

و يحتمل أن يكون تفصيلا لمن أراق دموعهم خوف المحشر أى خوف المحشر فرقهم إلى فرق مختلفة على التفصيل المذكور .

الرابع أشار إليه بقوله قد احملتهم التقية أى أرذلتهم التقية أى الخوف من أذى الظالمين بين الناس و اسقطتهم عن درجة الاعتبار بينهم .

الخامس أشار إليه بقولة شملتهم الذلة أى عمتهم الذلة . . . . .[1] مخالفتهم للظالمين الأكثرين فى الطريقة و السيرة .

السادس أشار إليه بقوله فهم فى بحر اجاج و قد عرفت معناه فى البيان .

السابع أشار بقوله أفواههم ضامرة و هو لازم عما قبله و تاكيد لشدة حالهم فى الدنيا و قد عرفته أيضا فى البيان .

الثامن أشار إليه بقوله قلوبهم قرحة أى قلوبهم قد خرجت بها القروح أما للخوف من الله أو للذلة أو للعطش إلى رحمته و رضوانه أو لكثره مشاهدة المنكرات و عدم التمكن من رفعها .

التاسع أشار إليه بقوله : قد وعظوا حتى ملوا أى خوفوا الناس على اقدامهم على المنكرات من عقاب لله تعالى . . . .[1] فيما أعد الله للمحسنين حتى أصابتهم الملالة لعدم نفعه فيهم و اتعاظهم به .

العاشر أشار اليه بقوله قهروا حتى ذلوا و قتلوا حتى قلوا و قد عرفته فيما قبل .

المقصد الثالث فى الامر بالحذر عن الدنيا و اقتنائها اعلم أنه

---

(۱) كذا بياض فى الاصل .

عليه السلام أشار إليه بقوله فليكن إلى الحلم إلى الأمر باستصغار الدنيا و استحقارها إلى حد يكون أحقر فى أعينهم ما لا يلتفت اليه خاطر بوجه ما لغاية حقارته و نهاية رداءته و هو حثالة القرظ و قراضة الحلم بالمطابقة و بالالتزام إلى تركها بالكلية و الاعراض عنها رأسا و ذلك لأن استحقار الشيء يستلزم تركه و الاعراض عنه .

و انما وردت الآيات و الاخبار و الآثار عن أمير المؤمنين عليه السلام بتركها لأنا نعلم بالضرورة أن المقصود من خلق الانسان هو تحصيل السعادة الأخروية و لا تحصل إلا لمن قدم على الله تعالى عارفا به محبا له و العرفان لا يحصل إلا بالاعراض عن كل شيء سواه تعالى الذى هو التحلية و دوام الذكر و الفكر الذى هو التخلية و الاعراض لا يحصل إلا لمن رفض الدنيا بالكلية أولا فمن اشتغل بالدنيا أو بأسبابها فهو بمعزل عن المعرفة و عن ذوق تحصيلها .

فعلم من هذه المقدمات تحقيق ما قال عليه السلام و ما قال النبى صلى الله عليه و آله : من أصبح و الدنيا أكثر همه فليس من الله فى شيء و الزم قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه و شغلا لا ينفرج منه أبدا و فقرا لا يبلغ غناه أبدا و املالا يبلغ منتهاه أبدا و قال صلى الله عليه و آله : من أصبح و همه الدنيا شتت الله عليه أمره و فرق عليه ضيعته و جعل فقره بين عينيه و لم يأته الدنيا إلا ما كسب له و من أصبح و همه الآخرة جمع الله له أمره و حفظ عليه ضيعته و جعل غناه فى قلبه و أتته لدنيا و هى راغمة .

ثم أشار بقوله و اتعظوا بمن كان إلى من بعدكم إلى الأمر بالاتعاظ بأحوال الأمم السالفة و القرون الخالية فان لهم نعيما دائما بالأموال الكثيرة و الأعوان و الأنصار و الخيول المسومة و الحرث و النسل و قد تركوها نادمين على اقتنائها متحسرين على تضييع أعمارهم فى طلبها ثم أشار بقوله قبل أن يتعظ بكم من بعدكم إلى أن المفارقة عما كنتم فيه من اللذات الحاضرة ضرورية لكم لا يحيص لكم عنها فان لم يتعظوا بمن قبلكم فعن قريب يتعظ بكم من بعدكم .

روى أن عيسى صلوات الله عليه كشف بالدنيا فرآها فى صورة عجوز شوهاء عليها من كل زينة فقال لها : كم نكحت ؟ فقال : انى لا احصيهم فقال : فطلقوك أو ماتوا عنك . قال : بل قتلت كلهم ، فقال عيسى صلوات الله عليه : بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين و هذا الأمر أيضا بالالتزام دليل على الاعراض عنها ثم عقب الأمرين السابقين بالأمر الدال بالصريح على تركها .

و قال و أرفضوها فى أعينكم : باردة على قلوبكم كأنه عليه السلام شرط الرفض بذمامتها و لذا قدم الأمر باستحقارها على الأمر بالرفض و ذلك لأن وجود الشرط مقدم على المشروط و لأن من كانت الدنيا عظيمة فى عينه لا يقدر أن يتركها و لو تركها بالصورة لا . . . . [1] ان يفرغ قلبه للاقبال إلى الله تعالى لاشتغال قلبه بها .

(١) كذا بياض فى الاصل .

ثم أشار إلى ما يصلح تعليلا لتركها و قال فانها قد رفضت أى أن لم يرفضوها فانها لا يبقى لكم و لا يدوم بل عن قريب يفارق عنكم و أنتم تبقون وحدكم و كيف لا يترككم و قد تركت من كان أغلق قلبا بمحبتها منكم و إذا لم تدم لمن كان أشد حبا لهم منكم فبالأحرى أن شهيد أن لا تدوم لكم و إذا كان حالها فى العاقبة المفارقة فاللائق بحال من كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد أن يترفع عنها و يقبل إلى الله تعالى الباقى الدائم له النافع له صحبته و الله أعلم و ما قال السيد رضى الله ظاهر الا الرغام و هو النحاس و التراب و الخريت و هو الدليل الحازق .

* * * * *

٣٢ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند خروجه لقتال أهل البصرة

قال عبد الله بن العباس : دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذى قار وهو يخصف نعله فقال لى : ماقيمة هذه النعل ؟ فقلت : لاقيمة لها . فقال عليه السلام : والله لهى أحب إلى من إِمْرَتِكُمْ إلا أن أقيم حقا ، أو أدفع باطلا، ثم خرج فخطب الناس فقال :ـ

إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً ، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ ، وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ ، وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ . أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا حَتَّى وَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا : مَاضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَإِنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ مَالِي وَلِقُرَيْشٍ ! وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ ؛ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ !

(اللغـــة)

الدخول : نقيض الخروج و يستعمل ذلك فى الزمان و المـكان و الأعمـال .

ذوقار : منزل قريب من البصرة سمى به لأنه فيه بئرا وماؤها يشبه القار فى السواد وكانت فيه محاربة بين شيبان بسبب ودائع النعمان بن المنـذر ملك العرب و بين أبرويز نائب كسرى فظفرت بنوشيبان و قال رسول الله صلى الله عليه و آله حين انهزمت الفرس و غلبت العرب هذا أول يوم انتصب العرب من العجم و باسمى نصروا .

خصفت النعل : بفتح العين فى الماضى و كسرها فى الغابر خصفـا أى خرزتها فهى نعل . . . (١) .

و الخصف : نعل ذات الطراق و كل طراق منها خصفة يقال أمر بالضم فيهما أمرة بكسر الالف و امارة أى صار أميرا .

و الأمرة : بالفتح المرة الواحدة من الأمر يقال لك عـلى أمره مطاعة أى لك على أمره اطيعك فيها .

ساق الماشية : يسوقها سوقا و سياقا فهو سائق و سواق شدة للمبالغة .

بوأه تبوّاه : أى أسكن و أعطى المكان .

المحلة : منزل القوم المنجأة اسم موضع النجاء .

القناة : الرمح و يجمع على قنوات و قنى عـلى فعول و قناه الظهر

(١) كذا بياض فى الأصل .

عموده

عموده المنتظم للفقار .

الصفاة : بفتح الصاد المهملة صخرة ملساء يقال فى المثل ما تبدى صفاته و الجمع صفا مقصور و أصفاء و صفى على وزن فعول .

السافة جمع سائق : تولت أى أعرضت يقال تولى عنه أى أعرض و ولت أى ادبرت .

حذافير الشيء أعاليه و جوانبه يقال أعطاه الدنيا بحذافيرها أى بأسرها الواحد حذفار .

العجز : أصله التأخر عن الشيء و حصوله عند عجز الأمر أى مؤخره و صار فى التعارف اسما للقصور فعل الشيء و هو ضد المقدرة .

و الامرأة الكبيرة سميت عجوزا لعجزها عن اكثر الأمور ، نقب الجدار نقبا أى نقبه و شقه و نقب البيطار سرة الدابة ليخرج منه ماء اصفر أى شقها و هو المراد هنا و فى بعض النسخ بالثاء المثلثة من الثقب و فى بعضها .

لأنقبن : بالنون و القاء من الانقاء أى لاديلن و الأول اشهر و أصح روايـــة .

القرش الكسب و الجمع و قد قرش يقرش ، قال الفراء و به سميت قريش و هى قبيلة و أبوهم النضربن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر .

و كل من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة و من فوقه و ربما قالوا قريشى و هو القياس فان أردت بقريش الحى صرفته و ان أردت به القبيلة لم تصرفه ، و الباقى ظاهر .

(الاعراب)

الواو فى و هو يخصف نعله : للحال .

و كذا الواوان الداخلتان على النفى فى قوله و ليس أحـــد الى نبوة ، ان فى أما و الله ان كنت مخففة و الدليل عليه وجود اللام فى لساقتها .

و الضمير فى ساقتها : للحرب و ان بحر لها ذكر صريح تسويلا على أن الوجود العقلى كالوجود الحسى و فى لمثلها روايتان احديهما بكسر اللام و يكون متعلقا بمسيرى الثانية و هـذا نعت لمسيرى بفتحها و هى الداخلة على . . . [1] ، ان و كافرين و مفتونين حالان .

(المعـانى)

الجملتان المنفيتان الواقعتان حالين انما ادخل الواو عليهما لكونهما غير واردين على نهج الحال و ان كانتا واردتين على أصل الحال بكونهما فعيلتين ، الفآء فى فساق فصيحة مفصحة عن محـــذوف هو سبب تقديره بعث الله محمدا صلى الله عليه و آله و دعا الناس الى الحق و نهاهم الباطـــل فقبل بعضهم رغبة و قوى حاله بالأعوان و الأنصار و فى فاستقامت للسببية الدالة عـلى أن سكونهم فى محلهم و بلوغم الى منجاتهم سببان لاستقامـة أمورهم تصريحية مستدعية لتشبيه قلوبهم بالصخرة الملساء و هى محسوسة .

و وجه الشبه اشتراكهما فى الخلو و الصفاء عن كل شىء يناسب كلاهما و عـدم ثبات الشىء عليهما يعنى أن القلوب خالية عن الحق

[1] كذا بياض فى الأصل .

و الاعتقادات الصحيحة لايستقر عليها اصلا شيء لصلابتها و ملاستها خلوا الصخرة عن الشيء و عدم استقرار الأشياء عليها و هو عقلي و بذكر الاطمينان الذي هو سكون القلب و في صفاته جردها .

و في لأنقبن الباطل : استعارة مجردة تخييلية مكنى بها عن اظهاره الحق من الباطل مستدعية لتشبيه الباطل الذي امتزج به الحق و هو عقلي بالدابة التي كان في بطنها ماء أصفر و هو حسي ، و وجه الشبه اشتراكهما في الافتقار الى احتياجهما الى تمييز الباطل عنهما و هو عقلي و تخييل أن الباطل من أفرادها و الالم يصح جعله منقوبا و بذكر النقب و الجنب جردها .

(البديع)

في إلا أن اقيم حقا و ادفع باطلا : راعى المقابلة حيث قابل الاقامة التي هي عبارة عن الاثبات بالدفع الذي هو النفي و الحق بالباطل كما في لأنقبن الباطل الى جنبه بين قناتهم و صفاتهم المتوازي و الترصيع و الباقي واضح .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام بين بالقسم البار نظره الى الامارة ليس باعتبار أنها رياسة . . . ، للانقياد و الغرة و الحرمة بين الناس و تملك قلوبهم على ما هو مطمح نظر الامرآء و الخلفاء السابقين اكثرهم خصوصا من نازعهم فيها بل باعتبار أنها مما يقيم به الحق و يدفع الباطل على سبيل الالتزام و على سبيل المطابقة ان النعلة التي لاقيمة لها تكون أحب عنده

من الامرة باعتبار أنها رياسة دنيوية و قال فى جواب عبد الله بن العباس رحمة الله عليهما و الله لهى أحب الى باطلا .

و غرضه عليه السلام من ذلك اعلامهم بأن طلبه عليه السلام اياها ليس كطلبهم بل ليس الا ليجعلها آلة لاقامة الحق و دفع الباطل بخلافهم فانهم يطلبونها للترفع و جمع المال و غيرهما من الأسباب الدنيوية وهذه الدعوى لا يقدر أن يأتى بها الا من ابتهج بمطالعة انوار كبريائه و غرق فى بحار عرفانه بالكلية بحيث لا يبقى له التفات الى غير بوجه ما . . . (١) . الذى اذاق كأس معرفته عبارة المخلصين و أسكرهم عن الكائنات بالقاء عشقه فى سويداوات قلوبهم .

ثم مهد قاعدة لنفسه بين بها فضيلة نفسه بالالتزام . فضيلة الرسول صلى الله عليه و آله بالمطابقة ليعلموا أن مراده عليه السلام من القيام بالخلافة ليس الا مثل مراد الرسول عليه السلام من الرسالة و هو اقامة الحق و دفع الباطل و قال إن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه و آله الى كافة العالمين خصوصا الى العرب و الحال أن ليس أحـــد منهم يقرأ كتابا أى تبع كتابا منزلا من عند الله سبحانه ولا دينا ولا أحد منهم يدعى نبوة أى سفارة من الله تعالى الى الخلق .

بل حال ما كانت الأهواء الباطلة غالبة عليهم و انواع الكفرة راكة عليهم فدعاهم الى الحق بعضهم بالترغيب و بعضهم بالترهيب فساق الناس مما كانوا عليه من الباطل باظهار المعجزات الباهرات و الدلائل

(١) كذا بياض فى الأصل .

الظاهرة

الظاهرة حتى أنزلهم منزلتهم التى خلقوا لأجلها و هى لزوم المقصد المسمى اسلاما و دينا و بلغهم ما هو سبب نجاتهم و هو الدين الحقيق الذى لا عوج فيه و من تمسك به نجا و من انحرف عنه فقد ضل و غوى فلما سكنوا فى مواطنهم الأصلى بحسب الفطرة الأصلية الذى هو الاسلام انتظمت امور دولتهم و استقامت أحوالهم و اطمأنت صفاتهم أى سكنت قلوبهم به التى كانت فى القلق و الاضطراب قبل بدو الاسلام .

كل ذلك بمقدم محمد صلى الله عليه و آله فهو المنعم عليهم بانعام لايواريه سكر فلا يوافق حالكم ان تخالفوا نصه و أخباره فان قيل كيف يصح أن يقال بعث فى حال ليس أحد منهم يقرأ كتابا و اليهود يقرؤن التورية و النصارى الانجيل .

قلنا التورية لكونها قد حرفوها تصدق عليها انها ليست بكتاب من حيث هى محرفة بدليل قوله تعالى : قل من أنزل الكتاب الذى جاء بموسى نورا و هدى للناس تجعلونه قراطيس يبدونها و تخفون كثيراً [1] . أما النصارى فلكونهم قائلين بالتثليث لا يبقى وثوق بنقلهم و اعتماد على أخبارهم عما فى أيديهم .

و النافون للتثليث قليل جدا فلا يفيد قولهم أن ما فى أيديهم هو انجيل عيسى عليه السلام فلم يكن المقر و فى حال مبعث محمد عليه السلام كان منزلا من عند الله سبحانه باليقين . قوله أما و الله إن كنت الى جنبت أشارة الى اثبات فضيلة نفسه و أنه من ساقتها أى ساقة الحرب الدال عليها قوله الله الله بعث على طريقة قولهم من كذب كاما سرا له الى أن تولت الحرب بأسرها أى انطفأت نار الفتنة و الحرب و استقام الدين

و لم يطرأ على عجز و على جبن بل كنت شديد القلب ثابته .

قيل تقديره لساق الناس و هم يومئذ كتائب عليه فكنت فى ساقها حتى تولت الكتائب باسرها و السوق قد يكون سوقا الى الهدى و هو المطلوب لذاته و قد يكون سوق طرد و هو المقصود بالعرض و لما لم يكن سوق الحلوأ الى الهدى الا بايضاح السبيل اليه و نهيهم عما كانوا عليه كأن كونه من جملته .

ساقتها حتى تولت بحذافير ها : مثبتا لأن يكون من جملة الحامين للنبى عليه السلام و الذابين عن حوزة الدين بل من أعظمهم ، قوله ما عجزت ولا جبنت دال بالمطابقة على العجز و الجبن الذى هو طرف التفريط من فضيلة الشجاعة عن نفسه و بالتزام على اثبات فضيلة الشجاعة .

قوله عليه السلام و ان مسيرى هذ المثلها أى لمثل تلك الحال التى كنت عليها زمان كفرهم من سوق كتائبهم و طردهم من غير جبن . لا ضعف و هو زجرلهم عما كانوا فيه وردع لهم عما اعتقدوا فى حقه من فتور فى الشجاعة و العقيدة و بقوته لقلوب أوليائه و توطين لنفوسهم ، و حاصل المعنى يرجع الى ان حال ما تغيرت بعد الرسول صلى الله عليه و آله عما كانت عليه فى زمانه عليه السلام لا فى الشجاعة ولا فى قوة الدين .

قوله فلا نقبن الباطل الى جنبه : ايماء الى ان ما عليه خصومة باطل محض و اشارة الى انى لا اقرر الحق ملسا بالباطل أى معكم بل اميز الحق من الباطل و أضع كلا منهما فى موضعه تمييزالبيطار الماء الاصفر من بطن الدابة بالشق ، قوله ما لى و لقريش انكار عليهم فيما يفعلونه من الجحد

لفضيلته و حسم لاعدادهم فى مقاومته .

قوله : و لقد قاتلتهم كافرين : أى حاربتهم حال كونهم كافرين و سبقتهم من الكفر الى الدين أولا و هو تعيير لهم بما كانوا عليه من الكفر ليقروا بفضيلته و أنه السائق فى الدين .

فيكون الاولى بحماية حوزة الدين فلا يليق بحالهم مقابلهم و اثبات أيضا لفضيلته .

قوله : ولا قاتلتهم مفتونين : أى لأحاربنهم حال كونهم مفتونين ضالين عن الدين منحرفين عن سوآء السبيل فذكر كافرين و مفتونين يشعر أن علة مقاتلته اياهم كفرهم و فتنتهم و ان الفتنة مساوية الكفر فى الاحواج الى المقاتلة . قوله و انى لصاحبهم بالأمس كما انا صاحبهم اليوم توكيدا لما سبق و تذكيرا لهم بوقائعه فى بدو الاسلام و آيماء الى ان . . . .[1] ، لم يتغير و أراد بالأمس حال كونهم كافرين و باليوم حال كونهم مفتونين ـ و الله أعلم .

* * * * *

(١) كذا بياض فى الأصل .

٣١ — ومن خطبة له عليه السلام

في استنفار الناس إلى أهل الشام

أف لكم، لقد سئمت عتابكم !! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا؟ وبالذل من العز خلفا؟ إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة، يرتج عليكم حواري فتعمهون. فكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عز يفتقر إليكم ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر، لبئس — لعمر الله — سعر نار الحرب أنتم تكادون ولا تكيدون، وتنتقص أطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غلب والله المتخاذلون. وايم الله إني لأظن بكم، أن لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس. والله إن امرأ يمكن

عدوه من نفسه يعرق لحمه، ويهشم عظمه، ويفري جلده : لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره أنت فكن ذاك إن شئت فأما أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد

وَالْأَقْدَامُ ، وَيَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ : فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا ، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعَلَّمُوا ، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ ، وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ .

(اللغـــة)

قال الجوهرى : الالفار عن الشيء . . . [1] .

الاستنفار : الذى أخذ عنه اللحم و الجمع عراق ، و قد يقال العراق اللحم الذى أخذ منه يقال فلان معروق العظم و معترق أى قليل اللحم .

هشم العظم ، يهشمه هشما : أى كسره ودقه و انما سمى هاشم به لهشمه الثرد فى الجدوب و لهذا قيل له :

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ٭ و رجال مكة مسنتون عجاف

فى يفرى روايتان : احديهما يفرى بفتح الياء من فريت الشيء أفريه فرياً قطعته لأصلحه ، الثانية يفرق بضمها من أفريت الشيء شققته فانفرى أى انشق قال الكسائى أفريت الأديم قطعته على جهة الافساد و فريته قطعته على جهة الاصلاح .

الضم : الجمع الشيئين فصاعدا .

الجوانح : الأضلاع تحت الترائب و هى مما يلى الصدر كالضلوع مما يلى الظهر الواحدة جانحة و انما سميت بها لأنعطافها عليه يقال جنح يجنح و جنوحا أى مال المشرفية : سيوف قال أبو عبيدة نسبت الى مشارف و هى قرى من ارض العرب يدنو من الريف يقال سيف مشرفى و لا يقال مشعار فى لأن الجمع لا ينسب اليه اذا كان على هذا الوزن لا يقال مها لبى ولا جعافرى ولا عباقرى .

(١) كذا بياض فى الأصل .

فراش

فراش الرأس عظام دقاق يلى القحف و انما سميت بها لانبساطها على سطح الرأس وكل قريب يعترش على الأرض أو قريب منها فهو فرش، الفراشة التى تطير و تهافت على السراج و فى المثل أطيش من فراشة و الجمع فراش و الفراش أيضا ما يبس بعد الماء من الطين على وجه الأرض و الاضافة الى الهام و هو الرأس قرينة الاول.

طاح يطوح. تطيح: سقط و هلك و كذلك اذا تاه فى الارض.

السواعد: جمع ساعد، قال الجوهرى: ساعد الانسان عضده و هو غلط منه بل هما ذراعاه.

النصح: يجرى[1]. فعل أو قول فيه صلاح صاحبه، يقال نصحتك نصحا و نصاحة و هو استعماله باللام أفصح قال تعالى: أنصح لكم. والاسم النصيحة و النصيح الناصح، قيل النصيحة ضم الأمر المتشعب بصدق فى القول أو فى الفعل و انما سمى الخياط ناصحا لأنه يضم شتات الثوب المتمزق.

وفر عليه حقه: و فيرا و استوفره أى استوفاه.

الفئ: الغنيمة و قيل الفئ لا يقال الا للغنيمة التى لا يلحق فيها مشقة و قيل سمى ذلك بالفئ الذى هو الظل تنبيها على ان أشرف أعراض الدنيا يجرى مجرى ظل زائل و عنى هذا ألم الشاعر:

ارى المال أفناء الظلال عشية.

و قال الشاعر:

انما الدنيا كظل زائل.

---

(١) كذا فى الأصل.

علمته و أعلمته : فى الاصل واحد إلا ان الاعلام اختص بما كان بأخبار سريع و التعليم اختص بما يكون بتكرير و تكثير ، حتى يحصل منه أثر لتعورها .

التأديب : الارشاد الى الطريق المحمود عقــلا و شرعا يقول أدبته فتأدب .

المشهد مصدر شهده أى حضره و كذا شهودا .

و المغيب : أيضا مصدر يقال غاب عنه غيبا و غيبة و غيابا و غيوبا و مغيبا أى خفى عنه .

(الاعراب)

عوضا و خلفا : منصوبان على التميز .

يرتج عليكم حوارى : حال منهم و التقدير من الذهول فى سكوره حال كونكم مسدودا عليكم جوابى .

فى زوافر روايتان : احديهما النصب عطفا على محل بركن اذ فى محل النصب على أنه اسم ما بمعنى ليس تقديره ما أنتم ركنا يمال بكم الثانية الجر عطفا على لفظ بركن .

ضال رعاتها : جملة وقعت نعتا لابل .

و لبئس سعر نار الحرب ، ستعرف الكلام فيه فى علم المعانى .

اسم انى الضمير الراجع الى نفس المتكلم و خبره لأظن .

و أن مخففة : من الثقيلة و اسمها ضمير الشأن و الجمــلة الشرطية خبرها و هى مع اسمها و خبرها قائمة مقام مفعول أظن .

ان امرأ : اسم ان امرأ و الجمل بعده نعوت له و خبره لعظيم مجزه ضعيف خبر بعد خبر ، وما موصول و ضمت صلته و الضمير فى عليه عائد الى الموصول .

و جوانح صدره : مفعول ما لم يسم فاعل ضمت و الموصول مع صلته فى محل الرفع على أنه مفعول ضعيف و الباقى واضح .

(المعانى)

فى أرضيتم : استفهام علــى سبيل الانكار عن حصول الرضا لهم و أيضا الاجمال و التفصيل اذ كل تمييز مع مميزه له مرتبة الاجمال و التفصيل .

التنوين فى غمرة و سكرة : للتفخيم .

و يرتج لكونه جملة واردة على أصل الحال لأنها فعلية و على نهجها لأنها مثبتة و يكون فعلا مضارعا حذفت الواو للربط لاستغنائها عنهــا فى الكلام الفصيح .

الفاء فيعمهون : للسببية الدالة على أن سدا الكلام عليهم هو سبب لترددهم من الحسرة و لما لم تكن أنتم لا تعقلون جملة واردة على أصل الحال لكونها اسمية . أتى بالواو و انما قال أنتم لا تعقلون . و لم تقل لا تعقلون أنتم .

لأن مراده عليه السلام نفى العقل عنهم بالكلية و اختصاصهم به لأن المسلوب عنهم العقل هم دون غيرهم و الأول إنما يفيد المراد دون الثانى و ذلك لأن أنتم فيما قال عليه السلام لتأكيد الحكم و فى لا تعقلون أنتم لتأكيد المحكوم عليهم بأنهم هم لا غيرهم محورا[1] ، او سهوا و قد عرفت

---

(١) كذا فى الأصل .

تمام البحث فيه فى المعانى .

نظيره قوله تعالى : و الذى هم بربهم لا يشركون [١] ، و قوله : لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون [٢] ، و فى تقديم لى على بثقة أفاد التخصيص و القصر للافراد يعنى أنهم ليسوا بثقة لى خاصة لجواز ان يكونوا ثقة لغيره عليه السلام .

و انما قطع ما اسم لى بثقة عما قبله لعدم الجامع بينه و بين السابق قطع ما أنتم بركن وما أنتم إلا كابل ليدل على ان كلا من الجمل يدل على السابقة و أنها غير وافيه بتمام مراده و المقام يقضى الاعتناء بشأنه و معرفة مواقع الفصل من الوصل صعبة لايهيأ الا لمن له يد طولى فى البلاغة .

فى ما أنتم إلا كابل ضل رعاتها : القصر للقاب على تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين فانهم يفعلهم كانهم منكرون لكونه عليه السلام سائقهم و إن كانوا بالقول المجرد قائلين ، و قد عرفت اشتمال لبئس لعمر الله على الاجمال و التفصيل و دلالة الجمل المصدرة بأن مع القسم و اللام على أن الخطاب مع المنكرين قد عرفتها غير مرة ايراد الجملة الدالة على الحكم العام ثم تعقيبه على الخصوص مع اقترانه بحرف الشرط من أوضح الامارات على كمال البلاغة و ذلك فى قوله عليه السلام و الله ان امرء الى ان شئت و الباقى معلوم من القواعد السالفة .

(البيان)

فى أرضيتم بالحيوة الى خلفا : كناية فى الافراد و استعارة أما

---

(٢) المؤمنون : ٥٩ . (٣) يس : ٧ .

الكناية

الكناية فلأنه عليه السلام ذكر الحيوة الدنيا و الذل فيها و أراد ملزومهما و هو ترك الجهاد المستلزم للبقاء فى الأغلب و لطمع العدو فيهم المستلزم للذل و ذكر الآخرة و العزة و أراد ملزومهما و هو الجهاد المستلزم للحيوة فى الآخرة ان قتل شهيدا لقوله تعالى : ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء و لكن لا تشعرون[1] . و لكسر قلوب الاعداء المستلزم للعزة .

أما الاستعارة فلانه ذكر العوض و الخلف اللذين من خواص المعاوضة فيكون استعارة مكنيا بها عن لحوق الخسران العظيم بمن رضى بالحيوة الدنيا الفانية و المذلة فيها و أعرض عن الحيوة الباقية الابدية و العزة السرمدية مستدعية لتشبيه هيئة من استبدل الحيوة الدنيا و الذل بل فى غاية الخساسة بالآخرة و العزة و هى معقولة بهيئة من استبدل المتاع الخسيس بالمتاع النفيس بل فى غاية النفاسة و هى محسوسة .

و وجه الشبه اشتراكهما فى الدلالة على غباوة المستبدل و جهله بمواقع الأمور و فى لحوق الغبن العظيم و هو عقلى .

فى قوله دارت أعينكم كانكم من الموت فى غمرة : كناية وتشبيه أما الكناية عليه السلام ذكر دوران الأعين و أراده به ملزومها و هو الحيرة و الخوف و هو ظاهر أما التشبيه فلأنه عليه السلام شبه حالتهم تلك فى دوران أعينهم بحالة المغمور فى شدة الموت أو سكراته و هما محسوسان . و وجه الشبه أنهم ساهون عن عواقب امورهم مشغولون بما كانوا مستغرقين فيه من الحيرة كما أن المغمور لاشتغاله بالألم الذى حضره و يجده من

(١) البقرة : ١٥٤ .

نفسه غافل عن حاضر أحواله و هو معقول و أيضا شبه حالتهم بحال السكران بقوله .

و من الذهول فى سكرة : و وجه الشبه قريب مما ذكرنا و لما كان وجه الشبه متحدا فيهما أو قريبا أحدهما من الآخر اكتفى بذكر حرف التشبيه مرة واحدة ثم شبه هيئة حالهم عند دعوتهم الى الجهاد من التحير و التردد بحال من اختلاط عقله أو بحال من تمكن فى سويدائه قبله الغل و الخيانة .

و وجه الشبه فى الأول اشتراكهما فى عدم الاحاطة علما بها يصدر منهما من القول و الفعل و هو عقلى ، و فى الثانى أنهم يطلبون مهربا عن دعوته مسببا يتسببون به لدفعه كالخائن اذا دعاه المؤمن الى رد الوديعة عليه يطلب دفعا و مهربا و هو عقلى و لطيف جدا .

فى قوله ما أنتم لى بثقة : كناية عن كذبهم و خلفهم فى المواعيد اذ هما مستلزمان لعدم الاعتماد بالقول .

فى ما أنتم بركن يمال بكم : استعارة تصريحية .

الافراء : رشح الاستعارة و كنى عن هتك عرضهم و تمرين حالهم يحتمل أن يكون المستعار منه فى الأول عرق اللحم و هو محسوس له سلب المال و هو أيضا محسوس و وجه الشبه اشتراكهما فى الدلالة على العجز و هو عقلى فيكون استعارة تبعية غير مرشحة تصريحية .

فى الثانية المستعار منه هشم العظم و المستعار له قتل النفوس و وجه الشبه اشتراكهما فى الاذى الشديد و هو عقلى فيكن استعارة تبعية غير مرشحة تصريحية .

فى الثالث المستعار منه افرآء الجلد و المستعار له هتك العرض و هو عقلى و وجه الشبه اشتراكهما فى اظهار المعائب وما هو مخفى بساتر و هو عقلى فيكون أيضا استعارة تبعية غير مرشحة تصريحية و الاستعارات الثلاث على التقدير الأول أصليات مرشحات .

فى قوله تطير منه فراش الهام : استعارة تخييلية اصلية مكنى بها عن شدة تأثير ضربه عليه السلام مستدعية لتشبيه فر ش الهام بالطاير و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى شرعة النقل و هو عقلى و يذكر تطير رشح الاستعارة و يحتمل أن يكون استعارة تبعية تصريحية مستدعية لتشبيه شرعة فراش الهام بالنقل بطيران الطائر و وجه الشبه ما ذكرنا .

و اضافــة الطيران الى الفراش و هو جمع فراشة السراج صنعة لا يتيسر مثلها لغيره عليه السلام و كذا اضافة الفراش الهام و هما أيضا من جنس الطيور أيضا عربية و العجب انهـا تهيأت له من غير قصد له ذلك لهمرسه (١) . فى الفصاحة و تمرنه بالبلاغة و مثل هذا لرسول الله صلى الله عليه و آله يتفق فانه كان يسمع لسانه بكلمات موزونة من غير قصــد ذاك .

(البديع)

راعى فى أرضيتم الى خلفا : من المحسنات المعنويـة المقابلة حيث قابل الدنيا بالآخرة و العز بالذل و من اللفظية المتوازن بين عوضا و خلفا و بين غمرة و سكرة المتوازى و الترصيع كما بين لحمه و عظمه و جلده و بين

(١) كذا فى الأصل .

الهام و الاقدام المطرف و فى تعليمكم الى تعلموا المقابلة حيث قابل الجهل بالعلم كما فى المشهد و المغيب ، لعمر الله فى قوله لبئس لعمر الله سعر و والله فى غلب و الله المحتاذلون حشو مليح .

(الفحوى)

روى أنه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج و قد كان قام بالنهروان فحمد الله و أثنى عليه و قال أما بعد فان الله تعالى قد أحسن نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم من أهل الشام فقالوا له قد كلت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا لنصلح عدتنا و لعل أمير المؤمنين عليه السلام يزيد فى عدونا ميل من هلك منا ليستعين به فأجابهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم [1] ، و توكلوا عليه فقالوا ان البرد شديد فقال انهم يجدون البرد كما تجدون اف لكم ثم تلا قوله تعالى : قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين [2] ، .

فقام منهم ناس و اعتذروا بكثرة الجراح فى الناس و طلبوا أن يرجع بهم الى الكوفة ثم يخرج بهم فرجع بهم غير راض و أنزلهم نخيلة و أمرهم أن يلزموا بعسكرهم و توطنوا على الجهاد أنفسهم و يقلوا زيارة أهلهم فلم يقبلوا و جعلوا يتسللون و يدخلون الكوفة حتى لم يبق معه إلا القليل منهم فلما رأى ذلك دخل فى الكوفة فخطب الناس فقال أيها الناس استعدوا لقتال عدو فى جهادهم القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده قوم حيارى عن الحق لا ينصرونه و وصفهم بأوصاف دالة على عدولهم

(١) المائدة : ٢١ (٢) كذا فى الأصل .

عن الحق و انعطافهم الى الباطل .

ثم قال : فأعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل و توكلوا على الله و كفى بالله وكيلا ، قال فلم ينفروا فتركهم اياما ثم خطبهم بهذه الخطبة و قال لهم ضجرا من تثاقلهم عن الجهاد و تواكلهم اف لكم ثم بين سبب باقيه [1] ، لهم و قال لقد سئمت عتابكم أى مللت من تخاذلكم بالعتاب و اظهار ما لا يكون عذرا فى التخلف عن الجهاد ، ثم حثهم عليه منكرا لقعودهم مستفهما اياهم على سبيل الانكار و التوبيخ و قال ارضيتم الى خلفا و الكلام فيه قد عرفته .

ثم وبخهم على تثبيطهم و تكاسلهم عند دعوتهم الى الجهاد لعروض رذائل لهم و قال اذا دعوتكم الى قوله لا تعقلون الأولى أشار اليه بقوله دارت الى سكرة و هذا الوصف لازم لغلبة الخوف عليهم اذا دعاهم و يردلهم فى أن القيام به اقدام على الموت و فى التخلف عنه مخالفة لقول الامام بالحق و فى الأمرين خطر عظيم و التردد علامة الجبن أو عدم اليقين بما أعد الله للشهداء بقوله و لكن احياء عند ربهم و لكن لا تشعرون .

الثانى أشار إليه بقوله يرتج عليكم جوارى أى دارت اعينكم من غاية التردد حال كونكم قد سد عليكم جوابى فيقعون فى تيه الحيرة المستفادة من التردد .

الثالث أشار إليه بقوله كأن قلوبكم ما لوسة أى أنهم لكثرة ترددهم و تحيرهم فى التفصى عن عهدة جواب دعوته عليه السلام كمن أصاب قلبه منه لا يفهم ما يقول ولا يدرى ما سقوه به و هذا التشبيه لوصفهم بقلة العقل و عدم درايتهم بما ينتظم به حالهم .

(١) كذا بياض فى الأصل .

الرابعة أشار إليها بقوله ما أنتم إلى الليالى أى إنهم ليسوا ممن يعتمد عليه السلام على أقوالهم و يثق إلى مواعيدهم أبدا لكثرة اكاذيبهم و خلفهم فى المواعيد كأنه عليه السلام بهذا سلب الصدق و انجاز الوعد عنهم و أثبت رذيلة الكذب و الخلف فيهم .

الخامسة أشار إليها بقوله ما أنتم بركن يمال بكم أى أنهم ليسوا بجانب قوى يعتصم به و يسد به ظهره و يلتجى إليه عند نزول الخطوب الملمة و حدوث الكروب المدلهمة و هذا مستلزم للعجز و التخاذل و عدم الأنفة و الحمية .

السادسة أشار إليها بقوله : و لا زوافر عز يفتقر إليكم أى انهم ليسوا بأنصار و أعوان يحصل العزة بالاستنصار منهم عند الافتقار و عرض الحاجة إليهم و هذا يستلزم ذلتهم و حقارتهم .

السابعة أشار إليها بقوله : ما أنتم إلى قوله آخر أى انهم شتتوا الآراء ضعيفا[1] العزوم لا اهتمام لهم بالجمع على مصلحة بها يكون نظام أحوالهم فى الدارين و هذا مستلزم لقلة تدبرهم بعواقب الامور و عدم اطمينان قلبهم بالامام الحق و حيرتهم فى أمر الدين و عدم عقلهم و رأيهم .

الثامنة أشار إليها بقوله لبس إلى أنتم أى انهم ليسوا مما يلتهب به نار الحرب أى ليسوا من رجالها و ذلك لأن مدارها على الشجاعة و أصابة الرأى و هما معزولون عنهما لما عرفت .

(١) كذا فى الأصل .

التاسعة أشار إليها بقوله: تكادون و لا تكيدون أى تخدعون و تمكر بهم العدو فى ايقاع الحرب عليهم و يقع الحرب بهم ولا تقاتلون عدوهم بايقاع الخداع بهم و القاء الحرب إليهم و هو وصف مستلزم للضعف فى الرأى و الجبن.

العاشرة أشار إليها بقوله تنتقص إلى تمتعضون أى يستولى العدو فى كل وقت عليكم و ينقصون من أطراف مملتكم و يقتلون منكم كثيرا فلا تنزجرون عن ذلك و لا تعيبكم أنفة و لا حمية و هو وصف لهم برذيلة المهانة.

الحادية عشر أشار إليها بقوله: لا ينام عنكم إلى ساهون أى أن عدوكم متيقظ لكم و مترصد لمكائدكم و أنتم مستقرون فى غفلة عظيمة عنهم ساهون ليس لكم تدبير مصالح أحوالكم و كل هذا توبيخ لهم و حث لهم على الجهاد و تنبيه لنفوسهم الراقدة فى مراقد طباعها على ما ينبغى لهم من المصالح التى بها ينتظم أحوالهم على قانون الدين و أصول اليقين.

قوله غلب و الله المخاذلون: أشارة إلى أنهم سيغلبون بتخاذلهم و انما لم يخصصهم بالخطاب أورد على صورة المجهول ليكون إلى القبول أقرب و ذلك لأنه جعل التخاذل علة للمغلوبية لما بين فى الكتب الأصولية أن الاسم المشتق إذا أعقب بحكم كان المشتق منه علة لذلك الحكم فكلما وجد التخاذل وجد المغلوبية و هم إذا رجعوا أنفسهم و وجدوها متخاذلين قطعوا بأنهم سيغلبون فينزجرون عن التخاذل و يكفون عنه و يقومون بالجهاد، و أيضا ادخال الألف و اللام فى الجمع دليل على العموم، و هذا من دقائق الكتاب.

قوله و أيم الله إلى الرأس: قسم بوحدانية الله تعالى أنه ليظن بهم أنهم إذا اشتد الحرب و استحر الموت أى صار فى غاية الشدة يتفرقون عنه أشد تفريق اعلم أن انفراج الرأس مثل قيل أول من تكلم به أكثم ابن صيفى[1] فى وصفه له لابنه يا بنى لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس لأنكم بعد ذلك لا تجتمعون على غزو و فى معناه للعلماء أقوال.

الأول قال ابن دريد[2] معناه أن الرأس إذا انفرج عن البدن لا يعود إليه و لا يكون له اتصال بعده و صار البدن منفصلا عنه بحيث لا يصلح لأمر ما.

الثانى قال المفضل: أن الرأس اسم رجل ينسب إليه بلدة صغيرة بالشام بين رملة و غزة[3] مولد الشافعى، و منشائه يقال لها بنت الرأس و فيها يباع الخمر قال حسان بن ثابت الأنصارى:

---

(١) أكثم بن صيفى من حكام العرب مشهور.

(٢) أبو بكر محمد بن دريد الأزدى البصرى الشيعى الامامى عالم فاضل أديب شاعر لغوى كان واسع الرواية لم ير أحفظ منه يحكى أنه كان اذا قرئ عليه ديوان شعر واحدة حفظه قام مقام الخليل بن أحمد و أورد أشياء فى اللغة توفى ببغداد سنة ٣٢١.

(٣) رملة مدينة عظيمة بفلسطين و كانت رباطا المسلمين و قد نسب اليها قوم من العلماء و غزة بفتح أوله و تشديد ثانيه و فتحه مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر بينها و بين عسقلان فرسخان وهى من نواحى فلسطين وفيها مات هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه و آله و بها قبره و يقال لها غزة هاشم و بها ولد أبو عبد الله الامام الشافعى و انتقل طفلا إلى الحجاز.

كأن

كأنّ سبيئة من بنت رأس يكون مزاجها عسل و ماء

و كان هذا الرجل قد انفرج عن قومه و مكانه فلم يعد إليه فضرب به المثل فى الانفصال الشديد .

الثالث قال بعضهم : أن الرأس إذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان لا يقبل الاتصال بعده إلا نادرا .

الرابع قال بعضهم : انفرجتم عنى رأسا أى قطعا و بالكلية .

الخامس قال بعضهم : معناه انفراج من يريد أن ينجو برأسه .

السادس قال بعضهم : معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حالة الوضع فانه فى غاية الشدة و أيضا لا يعود إليه البتة و إلى هذا أشار عليه السلام بقوله فى موضع آخر انفراج المرأة عن قبلها .

السابع قال بعضهم : معناه تفرقتم عنى و تفلقتم تفلق الهام عن مخها . هذه استعارة تصريحية مستدعية لتشبيه نفسه عليه السلام بمحل المخ المحرر فى اكنة العظام و تشبيههم بالهام و وجه الشبه فى الأول أنه المسلمين و به قوامهم كما أن المخ أصل الرأس و به قوامه و فى الثانى أنهم بمنزلة الحافظين له عليه السلام عن اصابة الآفات كما أن الهام وقاية للمخ و هذان تشبيهان فى المفرد .

و هنا تشبيه آخر فى المركب هو تعبية تفرقهم عنه عليه السلام بتفرق الهام عن المخ و وجه الشبه اشتراكهما فى ابطال الانتفاع بالاجتماع بالكلية و هذه الاستعارة يقربا مجازها الأذهان و بحر لا يجازها الاذقان لا يدرك شاؤها و لا يشق غبارها قوله و و الله إلى صدره اشارة إلى حكم

عام بأن من مكن عدوه من نفسه حتى يسلب ماله و يقصد نفسه بالقتل و النهب و يهتك عرضه بحيث يبدو فى التخاذل عن العدو و التضعيف و التكاسل للناظرين لكان فى غاية الجبن و نهاية ضعف القلب .

ثم التفت منه . و قال مخاطبا لمعين مريدا به كل واحد واحد ممن له صلاحية لدخول تحت الخطاب أنت فكن ذاك أى ذاك المرء الموصوف ان شئت أن تصير من حملته و تنخرط فى سلكه و هذا أمر وارد على سبيل التهديد و الوعيد و حاصل مقصوده يرجع إلى أن كل من يقعد عن الجهاد و يتكاسل عنه و يتخاذل يغلب عليه عدوه و يقهره بحيث لا يبقى له مالا و لا نفسا و يهتك عرضه فانه فى غاية العجز و نهاية الجبن .

فأنتم ان لم تقوموا بالجهاد و لم تبعدوا اعداوكم عن دماكم فتقهروا و يفنى مالكم و نفسكم و عرضكم فى معرض الزوال فقوموا ان كان لكم رجولية و هو مبالغة عظيمة فى الحث على الجهاد و قيل أراد بالخطاب مخصوصا هو الأشعث بن قيس ثم برأ نفسه عليه السلام عن أن يكون ممن يمكن عدوه و ان اختار المخاطب ذلك و قال : أما أنا فو الله دون اعطى ذاك أى أمكن عدوه من نفسه ذلك التمكين لا يأتى منى لا ضرب بالمشرفية ينفصل عنه فراش الهام و يسقط منه السواعد و الاقدام .

و ذلك كناية عن أشد المجاهدة إذا وجه إليه العدو قاصدا اياه و يفعل الله بعد ذلك أى بعد الضرب العظيم المستلزم للجهاد الجسيم ما يشاء من تمكين العدو و عدم تمكينه فان إليه مرجع الأمور و عواقبها

ثم لما فرغ من تهديدهم و زجرهم و توبيخهم على أفعالهم القبيحة أردف ببيان مالهم عليه من الحق و ماله عليهم من الحق و قدم مالهم عليه على ماله ليكون أقرب إلى السماع و أنسب بالأدب فان البداية حق الغير .

قيل حق النفس أليق بالأدب و أشار إلى ان ما عليه من حقوقهم قد وفيت فيجب أن توفوا ما عليهم من حقوقه و قال أيها الناس إلى آخره و ذكر أربعة أمور بها يكون صلاح حالهم فى المعاد و المعاش و قدم ما يرجع إليهما غير مختص باحديهما ثم ما يختص بصلاحهم فى المعاش ثم ذكر أمرين عايدين إلى انتظام حالهم فى المعاد ليكن اقرب إلى القبول .

الأول النصيحة لهم و هى تحريصهم على تحسين الأخلاق و دلالتهم على ما هو الأليق ينطام أمورهم فى الدارين .

الثانى توفير فيئهم عليهم أى يوفيه حقهم إليهم من غير ظلم عليهم فى تعريفه فى غير ما يرجع إلى مصلحتهم لينتظم به حالهم فى الحيوة الدنيا و يلتئم به أمرهم المتشعب .

الثالث تعليمهم العلوم الواجبة على كل مكلف يعلمها على ما ينبىء عنه قوله صلى الله عليه و آله : طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة ، لئلا يكونوا جاهلين بمواقع الأمور التى فرض الله عليهم العلم بها فيقعوا فى مهاوى المهالك ، و انما قال كيلا تجهلوا و لم يقل كما تعلموا لأن اظهار المنة عليهم بنفى الجهل أشد من ظهورها فى عرض ايجاد العلم لهم يعرف ذلك بأدنى تأمل .

الرابع تأديبكم أى ارشادهم إلى طريق العمل النافع له فى الدنيا

و العقبى كيما تعلموا ما هو نظام لهم فى العمل فالسابق عليه راجع إلى تكميل القوة العلمية و هذا إلى تكميل القوة العملية و هذه الأمور الاربعة واجبة على كل امام بالنسبة إلى رعيته ، ثم ذكر أربعة أمور واجبة عليهم و هى حقوق الامام عليهم .

الأول الوفاء بالبيعة و هى أهم الأمور و أسناها إذ به انتظام أحوال الدين و التيام مصالح المسلمين و كذا كرر الله تعالى الأمر بالوفاء فى كتابه المجيد و تنزيله الحميد و قال فى مواضع : أوفوا بالعهد ، أوفوا بالعقود و غيرهما .

الثانى النصيحة له فى حضوره و غيبته بالذب عن حريمه اذ به ينتظم المصالح بينهم و بينه .

الثالث اجابته حين يدعوهم إلى الجهاد و حفظ حوزة الدين من غير تثاقلهم عن دعوته و إلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله : أجيبوا داعى الله .

الرابع طاعتهم حين يأمرهم بأى أمر كان و إلى هذا أشار التنزيل الالهى بقوله : « يأيها الذين آمنوا أطيعو الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم[1] » من حيث الحقيقة هذه الأمور أيضا راجعة إلى منافعهم فى الدنيا و الآخرة و هو ظاهر .

* * * * *

(١) النساء : ٥٩ .

٣٤ — ومن خطبة له عليه السلام

بعد التحكيم

الْحَمْدُ لِلّٰهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ، وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَيْرَةَ، وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ. وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي، لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ؛ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُنَاةِ، وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ، حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ. وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ، فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ: —

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

(اللغـــة)

الخطب : الأمر العظيم .

الفادح : المهلك يقال فدحه أى غاله و أهلكه و فدحت الشىء اذا دسته تحت رجلك ، قال الجوهرى : فدحه الدين أى أثقله و أمر فادح إذا غاله و أنهضه و هو محتمل هنا .

جل فلان يجل : بالكسر جلالة فهو جليل أى عظم قدره .

أشفقت عليه : فانا مشفق و شفيق .

المجرب : الذى قد جربته الأمور و أحكمته فان كسرت الراء جعلته فاعلا الا أن العرب تكلمت به بالفتح .

الحسرة : التلهف الشديد على الشىء الفائت تقول منه حسر على الشىء بالكسر فى الماضى و الفتح فى الغابر حسرا و حسرة فهو حسير يقال اكل اكلة أعقبه سقما أى أورثه و انتجته .

الندم و الندامة : التحسر من تغير رأى فى أمر فائت .

نخلت : أى خلصت .

الابآء : شدة الامتناع فكل أباء امتناع و ليس كل امتناع آباء .

الجفاة : جمع الجافى مثل الكفاة و الكافى ، و الجافى من حسن طبعه و ينبو[1] عن مصاحبة الناس فيفارق يباين .

المنابذ : الذى نبذ العهد أى نقضه قال الله تعالى : « فانبذ اليهم على

(١) كذا فى الأصل .

سواء » أى فانقض العهد الذى بينك و بينهم و وبال ذلك راجع إليهم إذ هم بدؤا بذلك .

ارتاب فيه : أى شك و قيل اتهم و الريبة: التهمة .

الضنة : هو البخل بالشيء النفيس و لهذا يقال علق مضنة و مضنة .

الزند : العود الذى يقدح به النار و هو الأعلى و الزندة السفلى فيها نقب فاذا اجتمعا فقيل زندان و الجمع زناد و أزناد .

قدحت النار قدحا : أى أوريتها بالمقدحة و هى ما يقدح به النار و الباقى ظاهر .

(الاعراب)

ان فى قوله و ان أتى شرط : قدم جزاؤه و سيق للمبالغة جواب لو كان يطاع محذوف أى لو كان هو عليه السلام يطاع بأن أطاعوا أمره لوقع الأمر على ما ينبغى و لما أصابهم ما أصاب و الباقى ظاهر .

(المعانى)

تصدير ان معصية إلى الندامة : بأن يؤذن أن الكلام أورد لرد المنكرين إلى الصواب و اضافة المعصية إلى الناصح يؤذن لتفخيمها و تعظيمها و وصف الناصح بالأوصاف الثلاثة للتمييز و للايذان بأن من لم يكن متصفا بها من النصحاء لم يكن معصيته مؤدية للحسرة و استمال[1] لو كان على الا محادتين غنى عن الشرح .

---

(١) كذا فى الأصل .

الفآء فی فأبیتم : فصیحة یؤذن بمحذوف هو سبب للاباء تقدیره لم تطیعونی و أبیتم و فی فکنت أیضا فصیحة تقدیره فأبیتم قبول أمری و أصبتم بالمصیبة و ندمتم علی مخالفة أمری فصادر حافی[1] و جاء لکم کما قال أخو هوازن .

(البیان)

فی نخلت لکم مخزون : استعارة تخییلیة مکنی بها عن أنه علیه السلام استخلص لهم الرأی الثاقب و نقاه من کدورات الشهوة و الغضب مستدعیة لتشبیه الرأی الأجود و هو معقول بالمنخول من الدقیق و هو محسوس أو وجه الشبه اشتراکهما فی الاصفا[1] عما یمانع الانتفاع التام و الاستخلاص و هو عقلی و تخییلی أنه من أفراد الدقیق و الا لم یصح جعله منخولا و یحتمل أن یکون استعارة تبعیة مستدعیة لتشبیه هیئة اجتهاده علیه السلام فی استخلاص أسدرایه و أنفعه و هی معقولة بهیئة اجتهاد الناخل فی تصفیة أجود ما ینتفع به من الدقیق عن النخالة و هی محسوس .

وجه الشبه اشتراکهما فی أن الغرض تحصیل الأنفع و الأصفی و هو عقلی فی لقصیر أمر استعارة تمثیلیة مسبوق بیانها بأصل هذا المثل قصته أن جذیمة الأبرش ملك العرب خطب الزباء و هی ملکة الجزیرة فالتمست منه القدوم علیها .

فبذل التماسها و خرج متوجها إلیها فی ألف فارس و خلف باقی

---

(١) کذا فی الأصل .

جنوده مع ابن أخيه عمرو بن عدى و كان لجذيمة صاحب يقال له قصير بن سعد اللخمى فاستشار منه فأشار إليه بأن لا يتوجه إليها فلم يقبل نصيحة فلما دنا جذيمة من الجزيرة استقبلته جنود الزبا مع الأسلحة و العدة و ما ترجلوا لجذيمة و لم يوقروه توقير الملوك إذا قدموا بلدا .

فقال له قصير ارجع فانها امرأة و من عادة النساء الغدر فلم يصغ إلى قوله فدخل عليها فغدرت به و أخذته و فيكنه[1] فيمدها قال قصير : لا يطاع لقصير أمر فشاعت مثلا لكل من كان مصيبا فى نصيحة و لم يقبل نصحه .

إذا عرفت هذا فاعلم أنه عليه السلام شبه حاله عليه السلام فى نصحه اياهم بحال قصير فى نصيحة جذيمة و وجه الشبه اشتراكهما فى سوء العاقبة و ظهور أن الناصح مصيب فى رأيه و ان عصيانه مجلب للندامة و هو عقلى فى ضمن الزند بقدحه استعارة تمثيلية مستدعية لتشبيه هيئة بخل ذى الرأى باظهار ما هو الأنفع للناس من الرأى الصواب و هى معقولة بهيئة عدم الزند النار و هى أيضا معقولة .

وجه الشبه اشتراكهما فى عدم ابراز ما هو الأصلح و هو أيضا عقلى ، قيل هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده إذا لم ير لها قائلا عارفا بحقها و لم يتمكن من افادتها و فى فكنت و اياكم كما قال أخو هوازن استعارة تمثيلية مستدعية لتشبيه هو مسبوق بيان سبب هذا القول .

اعلم أن هذا البيت لدريد بن الصمة و السبب الحامل له على انشائه

(١) كذا فى الأصل .

أن

أن أخاه عبد الله بن الصمة غزا بنى بكر بن هوازن بن غطفان فغنم منهم و ساق ابلهم فلما وصل إلى منعرج اللوى و هو اسم موضع أقام و قال: و الله لا أبرح حتى أنحر البقيعة و هى اسم لجزوز جزر للضيافة.

قيل هى ما ينحر من النهب قبل القسمة و أجيل السهام فقال له دريد أخوه لا تفعل فان القوم فى طلبك فأبى ولج و أقام و نحر البقيعة و بات و قد أقعد له رجلا ربيئا[1] فقال له عبد الله أنظر ما ذا ترى، فقال أرى خيلا عليها رجال كأنهم صبيان رماحهم بين آذان خيولهم.

فقال هذه فراد[1] فالتق القوم و هجموا عليه فطعن عبد لله فاستغاث بأخيه دريد فنهنه عن القوم حتى طعن هو أيضا و ضرع و قتل عبد الله و حال الليل بين القوم فنجا دريد برأسه بعد جراحات و طعنات حصلت له.

إذا عرفت هذا فاعلم أنه عليه السلام شبه هيئة نفسه فى نصحه لهم و نهيه عن الحكومة و مخالفة أمره بهيئة نصح دريد أخاه و نهيه عن الاقامة بمنعرج اللوى و مخالفته نصحه، و وجه الشبه اشتراكهما فى أصابة الناصح فى نصيحة و استلزام المخالفة الندامة و الهلاك و هو عقلى.

ثم اعلم ان نسبته عليه السلام دريد بن الصمة إلى هوازن مجازية لعلاقة الاتصال فان دريد بن الصمة من بنى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن و له نظير فى القرآن و هو قوله تعالى: «و اذكر اخا عاد و هود» بالنسبة إلى عاد كدريد بالنسبة إلى هوازن.

(١) كذا فى الأصل.

(البديع)

بين الحسرة و الندامـة : المتطرف و بين الجفاة و العصاة المتوازى و الترصيع و بين نصحه و قدحه المتوازى و فيه ارسال المثل فى موضعين .

(الفحوى)

روى أن أمارات الغلبـــة ليلة الهرير لما لاحت على أهل الشام و عاينوا الهلاك استشار معاوية عمرو بن العاص[1] فى كيفية الخلاص فقال عمرو ان رجالك لا يقوم لرجاله لست مثله انه يقابلك على أمر و أنت تقابله على غيره أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء أهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهـم و أهل الشام لا يخافون عليا ان ظفرهم و لكن ألق إلى القوم أمرا ان قبلوه اختلفوا و ان ردوه اختلفوا دعهـم إلى كتاب الله حكما بينك و بينهم فانك بالغ به حاجتك و انى لم ازل اؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه فقبل معاوية ذلك .

فلما أصبحوا رفعوا المصاحف على أطراف الرماح و كان عددها خمسمائة مصحف و رفعوا مصحف المسجد الأعظم على ثلاثة رماح تمسكها غيره و رهط و نادوا بأجمعهم الله معشر العرب فى النساء و البنات الله الله

(١) عمرو بن العاص القرشى كان من دهاة العرب و كان فى الجاهلية جزار أو ذا مكانة عالية فى قريش لشهرته بالدهاء و الكيد و المكر و هو الذى فتح مصر فى ايام عمر بن الخطاب و كان شديد الحب لمصر حتى أنه باع دينه واتبع معاوية لولاية مصر و هو الذى مهد الخلافة لمعاوية و أخباره مفصلة معروفـــة و قصته مع أبى موسى الاشعرى مشهورة مات سنة ٤٣ .

فى دينكم هذا كتاب الله بيننا و بينكم. فقال عليه السلام: اللهم انك تعلم إنهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا و بينهم انك انت الحكم الحق المبين و حينئذ اختلف أصحابه.

فقالت طائفة القتال و قال أكثرهم المحاكمة إلى الكتاب فلا نحل الحرب و قد دعينا إلى حكم الكتاب و تنادوا من كل جانب الموادعة، فقال عليه السلام فى جوابهم. أيها الناس! انى أحق من أجاب إلى كتاب الله و لكن معاوية و عمرو بن العاص و ابن أبى معيط ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن.

إنى أعرف بهم منكم صحبتهم صغارا و رجالا فكانوا شر صغار و شر رجال الحكم انها كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها لأنهم يعلمونها و لكنها الخديعة و المكيدة أعيرونى مواعدكم و جماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق بمقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر القوم الظالمين.

فجاء عشرون ألفا من أصحابه و نادوا باسمه دون أمير المؤمنين اجب اليوم إلى كتاب الله إذا دعيت و الا قتلناك كما قتلنا عثمان. فقال عليه السلام: يحكم أنا اول من أجاب كتاب الله و أول من دعا اليه فكيف لا أقبله و أنما قاتلتهم بحكم القرآن و لكنى قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم و ليس العمل يريدون فقالوا ابعث إلى الاشتر يأتيك فقد كان الاشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله و لاح له الظفر.

فبعث اليه فرجع على كرة منه و وقع بينه و بين من أجاب إلى الحكومة من أصحاب على عليه السلام و مجادلات على ما اختاروا من ترك

الحرب و تنادوا من كل جانب رضى أمير المؤمنين بالتحكيم كتبوا عهدا على الرضا به و التقى أبو موسى الاشعرى[1] المنصوب من قبله عليه السلام و عمرو ابن العاص المنصوب من قبل معاوية و له حكما فى أمر الناس .

و كان أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به فلما تمت خدعة عمرو لأبى موسى و بلغه عليه السلام ذلك اغتم له غما شديدا و قام فخطب الناس و قال الحمد لله إلى آخره و روى أنه .

قال بعد التمثيل ببيت دريد بن الصمة الا أن هذين الرجلين الذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب و أحييا ما أمات و اتبع كل واحد منهما هواه و حكم بغير حجة و لا بينة ماضية و اختلفا فيما حكما و لم يرشد الله فاستعدوا للجهاد و تأهبوا للسير و أصبحوا فى معسكركم يوم كذا و سنشير إلى تمام القصة فيما بعد هذا إن شاء الله .

إذا عرفت هذا فلترجع إلى كلامه عليه السلام قوله الحمد لله إلى الجليل اشارة منه عليه السلام إلى أن حمده لله لا يختلف فى حالتى الباساء و الضراء و لا يتفاوت و الحمد عند الكروب الملمة و الخطوب المدلهمة من الرتب العلية و المقامات السنية للعارفين .

الشرط المذكور يؤذن بوقوع الخطب الفادح الذى هو أمر الحكمين ،

---

(١) عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعرى كان واليا على البصرة و الكوفة و كان يخذل أهل الكوفة عن حرب الجمل فى نصرة أمير المؤمنين و كتب إليه اعتزل عملنا يابن الحائك مذءوما مدحورا و قصته فى امر التحكيم و اجتماعه مع عمرو بن العاص فى دومة الجندل معروف .

قوله

قوله ليس معه اله غيره تأكيد لما يدل عليه كلمة التوحيد بالتزام و تقرير لمقتضاه ، قوله أما بعد إلى الندامة اعلم أن وجوب قول الناصح مشروط بأن يكون الناصح موصوفا بصفات ثلاثه .

الاول أن يكون شفيقا ليحث شفقته على التدبر فى أحوال من يريد نصحه و اختيار ما هو الأصلح له بعد التروى و الاجتهاد الوافر فيه فتى لم يكن شفيقا لم يقل إلا من بادى الرأى و ربما كان خطا مفسد الحالة لا مصلحا .

الثانية أن يكون عالما بمصالحه فى المعاش و المعاد فان الجاهل لا يعرف وجه المصلحة و من ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله : استرشدوا العاقل ترشدوا و لا تعصوة فيندموا .

الثالث أن يكون له تجربة بأمور الدنيا و ذلك لأن كثيرا من أمور الناس لا يحصل الوقوف على جيادها الا بممارسات طويلة و تجربلت كثيرة و اذا كان المشير الناصح موصوفا بالصفات المذكورة كانت نصيحة فى غالب الأحوال بجلبة السرور لانتظام حال المستشير و كانت نصيحته معصيتها و الخروج عن مقتضاها مستلزمة للحسرة معقبة للندامة بالضرورة.

و لما بين على سبيل العموم أن معصية المناصح الموصوف تورث الحسرة و تعقب الندامة عقب ذلك ببيان أنه المشير الناصح الموصوف و أنه قد أظهر لهم من خلاصة الرأى ما هو الأنفع لهم فلم يقبلوه و أعرضوا عنه خارجين عن طاعته فلذا جربتهم الندامة و أصابتهم الحسرة و قال و قد كنت إلى رأيي ثم لم يقنع بما ذكر أولا و نسب بالمثل المذكور على

الوجه الذى عرفته و قال لو كان يطاع لقصير أمر .

قوله فأبيتم اشارة إلى استثناء نقيض المقدم للتصلة التى دلّ عليها لو كان تقديرها لو أطعتمونى فيما أمرتكم به و محضت لكم من النصيحة لاسترحتم من التعب و الندامة و الحسرة و لكن لم تطيعونى و أبيتم على آباء من خالف الحق و جفلم المشير الناصح و فارق الصديق و نقض العهد و خرج عن الطاعة حتى طرأ الشك فى ذهن الناصح أن نصحه هل كان صوابا أو خطأ لملازمتكم الامتناع عن قبول الرأى الشديد .

فان المشير بالرأى الصواب إذا كثر مخالفوه فيه عرض لذهنه شك فى رأيه ذلك لأن الرأى الصواب باجتهادى حصل له بأمارات مغلبة لظنه عليه فاذا اجتمع المخالفون عليه حصلت له أمارات الخلافة .

قال بعض الشارحين : أراد به المبالغة لا وقوع الارتياب لأنه منزه عن أن يشك فى رأيه الصائب و هو جيد جدا ، و الباقى معلوم مما سلف فى البيان ـ و الله أعلم بحقيقة الحال .

* * * * *

٣٥ — ومن خطبة له عليه السلام

(فى تخويف أهل النهروان)

فَأَنَا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهْرِ، وَبِأَهْضَامِ هٰذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ: قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ، وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ، حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ، وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وَلَمْ آتِ — لَا أَبَا لَكُمْ — بُجْرًا، وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا.

أقول: الخطاب للخوارج الّذين قتلهم عليه السلام بالنهروان، و قدكان القضاء الالهى

(اللغـــة)

النذير : المخبر عن الشيء المخوف ضد البشير و هو المخبر عن الشيء المفرح و النذير و المنذر بمعنى .

يقال أصبح الطين : خزفا أي صار و هو المراد هنا . و يحتمل أن يكون من الصباح و هو بعيد .

صرعى جمع صرعان : كسكران و هو من صرعته صرعا و صرعا الفتح لتميم و الكسر لقيس أي أوقعته فوقع .

الاثناء : المعاطف جمع ثني بكسر الثاء و سكون النون و هو المعطف و الثني العطف . يقال : ثني الزمام اذا عطفه وما يتعطف عليه مرتين فهو الثناء ، و في الخـــبر لاثناء في الصدقة أي لايعار ،ولا يتعطف عليها في السنة مرتين .

الاهضام : بطون من الأرض مطمئنة و هي كثار[1] ، في الأرض واحدها هضم .

الغائط : المطمئن من الأرض الواسع غوط و أغواط و غيطان .

البينة : الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة .

السلطان : الحجة القاهرة و كل ما غلب قهره فهو سلطان و سميت الحجة سلطانا لما للحق من الهجوم على الباطل غير أن اكثر تسلطها على أهل العلم و الحكمة من المؤمنين .

---

(١) كذا في الأصل .

طوحه و طوح به : أى توهه و ذهب به ههنا و ههنا و طوحته الطوائح أى قذفته القواذف .

احتبلكم المقدار : أى اصطادكم المقدار و اوقعكم القدر بالحبالة و هى مصيدة يتخذها الصائد من الحبل يقال احتبله أى اصطاده .

و الاخفاء : جمع خفيف كأشد جمع شديد و الخفيف ضد الثقيل يقال فلان خفيف اذا كان فيه طيش و ثقيل اذا كان فيه وقار يقال خفيف ذما و الثقيل مدحا .

السفه : خفة فى البدن و منه قيل نعام سفيه كثير الاضطراب و ثوب سفيه ردئ النسج استعمل فى خفة النفس و لنقصان العقل و فى الامور الدنيوية و الأخروية . و السفهاء جمع سفيه .

الأحلام جمع حلم و هو ضبط النفس عن هيجان الغضب .

لا ابا لكم : كلمة جرت فى لسان العرب .

قال الجوهرى : يقال للمدح و قال غيره للذم . . . [1] ، مستلزم لنفى العشيرة قيل أنه . . . [2] ، أى لا يكن لكم اب يربقكم و يظهر نسبكم و يدفع . . . [2] ، شرفا و افتخارا و قيل : تعريض باره لا من نكاح و الأولى ان يكون كلمة يقال و معرض من التوبيخ و الغضب .

فى بجرا : ثلاث روايات احديها بجرا بضم الباء و سكون الجيم و هو أنه المنكر الخارج عن العهود قال الجوهرى الشرى الا . . . . [1] ، العظيم قال الراجز :

أدى عليها و هى شىء بجر .

(١) كذا فى الأصل . (٢) بياض فى الأصل .

أى

أى ذاهبة قولهم افضيت اليه بعجرى و بجرى أى بعيوبى كلها ظاهرها و باطنها و العجر ما نعقد فى الجسد الظاهر من العروق و البجر عقد فى باطن الجسد يخرج كهيئة الغدد .

الثانية هجرا بالهاء المضمومة و سكون الجيم و هو الاسم من الاهجار و هو الافحاش فى المنطق و الخنا و يقال أيضا الهجر اذا اكثر الكلام فيما لا ينبغى .

الثالثة العر بضم العين و تشديد الراء المهملة قروح مخرج بالابل متفرقه فى مشافرها و قوائمها يسيل منها مثل الماء الاصفر فتكون الصحاح لئلا يعذبها المراض تقول منه عرت الابل فهى معرورة و الأولى أشهر الضر بالضم الهزال و سوء الحال اما فى نفسه لقلة العلم و الفضل و العفة و اما فى بدنه لعدم جارحة و نقص و اما فى حالة ظاهرة من قلة مال أو جاه .

(الاعراب)

أن فى أن تصبحوا مصدرية أى تجعل الفعل المستقبل الداخلة هى عليه فى تقدير المصدر أى اصباحكم .

الواو فى و أنتم : للحال و العامل فيه صرفت .

و اخفاء الهام : نعت لمعشر قيل العرب يضيف الشىء الى ضده اثباتا للضاف و نفيا لمضاف اليه و بجرا مفعول آت أصله آتى فسقطت الياء بلم الجازمة .

فأنا نذير لكم : يحتمل أن يكون تقديم أنا لتقوى الحكم و ان يكون

للتخصيص و الحصر للافراد على تقدير تنزيلهم منزلة المنكرين و هو أقرب قد طوحت قطع ليدل علـى الاستيناف الدال على الجواب عن السؤال المقدر عن كمية هـذا الاخبار و جاء بالفعل الماضى ليؤذن بأن المخبر عنه أمر كان وقع للحكم الالهى به و بقد ليؤذن بالتقريب و انما أتى بالواو فى قوله انتم معشر : لكونه جملة اسمية غير جارية على أصل الحاصل و أن كانت جارية على نهجها لكونه مثبتة .

(البيـان)

فى طوحت بكم الدار : الأولى أن يكون فيه مجاز فى التركيب اما فى الافراد فلأنه عليه السلام أطلق الدار و أراد الدنيا على سبيل الاستعارة التصريحية باشتراكهما فى محل القرار فيكون غير مستعمل فى موضوعها أما فى التركيب فلانه اسند طوحت الى الدار مع أن المطوح هو اتباع أهوائهم الباطلة و أرائهم الفاسدة باعتبار أن منشأها هى تحصيل الدنيا فيكون من باب اطلاق المسبب و ارادة المسبب و فى احتبلكم المقدار استعارة مكنى بها مرشحة تخييلية مستلزمة لتشبيه القدر الالهى و هو معقول بالصائد و هو محسوس .

و وجه الشبه اشتراكهما فى تحصيل المطلوب على غفلة منه و باسناد الاحتبال اليه رشحها و يحتمل أن يكون استعارة تبعية مستدعيـة لتشبيه ايقاع القدر اياهم فى الواقعة التى كتبها الله لكم بالقلم الالهى و هو معقول بايقاع الصائد الصيد فى الحبالة التى هيأها له من غير شعور له بها و هو محسوس و وجه الشبه اشتراكهما فى القصد الى المطلوب مع غفلة عنه

و هو معقول خفة الهام كناية عن رذيلة الطيش فان من لوازمه خفة يقال فلان خفيف الهام اذا كان طياشا .

(البديع)

بين الدار و المقدار : المطرف كما بين الهام و احلام .

و بين بجرا و ضرا : المتوازى .

(الفحوى)

اعلم أنـه عليه السلام خاطب بهذه الكلمات الخوارج الذى قتلهم بالنهروان[1] ، و غرضه التعريض لقومهم بأن يقع بهم الهلاك و هم عـلى غير بينة ولا حجة غالبة يحتجون بها على حسب دعواهم كما وقع بالخوارج و حرموا من سعادة الدارين و قد كان القضاء الالهى قد سبق لهم بالخروج على ما ينبئ عنه قوله عليه السلام و احتبلكم المقدار و يؤيده ما روى فى صحيح الاخيار ان رسول الله صلى الله عليه و آله بينا هو يقسم قسما اذ جاء رجل من بنى تميم يقال له ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فانك لم تعدل .

فقال صلى الله عليه و آله ويلك و من يعدل اذا لم أعـدل فقـام عمر و قال يا رسول لله ايذن لى فى ضرب عنقه فقـال دعه يستخرج من صيصى هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على

(١) نهروان كورة واسعة بين بغداد و واسط من الجـانب الشرقى كان بها وقعة لأمير المؤمنين عليـه السلام مع الخوارج مشهورة و هو الآن خراب و كان سبب خرابه اختلاف السلاطين و قتال بعضهم بعضا فى ايام السلجوقية و كان أيضا فى ممر العساكر فجـلا عنها أهلها و استمر خرابها و قد استشأم الملوك أيضا من تجديد حفرنهره .

فرقة من الناس يحتقر صلاتكم فى جنب صلاتهم و صومكم فى جنب صومهم يقرؤن القرآن فيهم رجل أسود مجدع اليد احدى ثديه كأنها ثدى امرأة يقتلهم أولى الفريقين بالحق .

روى أنه عليه السلام لما قتلهم طاب ذا الثدية طلبا شديـــدا فلم يجده فجعل يقول و الله ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل و أنه انى القوم فلم يترك يطلبه حتى وجده فى وهدة من الارض تحت القتلى و هو رجل مجدع اليه كأنها ثدى فى صدره و عليها شعرات كسبال الهرة فكبر عليه السلام و كبر الناس معه و قد كنت نهيتكم الى النابذين اشارة الى الاحتاج عليهم على وجه الالزام تقريره لابح من أن يكون الحق هو طلب الحكومة أو عدمه .

فان كان الاول فلم خالفتمونى الآن اذا اخترتها و عهدت عليها و سكت عن هذا القسم لظهوره و ان كان الحق هو الثانى فقد أبيت بمقتضاه اولا و نهيتكم عنها فلم تقبلوا منى و أبيتم آباء المخالفين المنابذين حتى صرفت رأى الصواب المستبد الى الحق المحص الى ما ذهب اليه دواكم من الحكومة و على التبعة لكم و الوبال عليكم و الفساد منكم .

ثم نسبهم بقوله الى الأحلام الى رذيلتى الطيش و السفاهة المقابلتين للثبات و الحـلم الداخلين تحت ملكه بالشجاعة ثم اعتـــذر منهم و نفى ما نسبوا اليه عنه عليه السلام و قال لم آت اى ما جئت بأمر عجيب ولا شرمنكم ولا اردت بكم سوء حال فلا تكون الحق معكم فى نسبتكم الأمر القبيـــح الىّ .

*****

٣٦ — ومن كلام له عليه السلام

يجرى مجرى الخطبة

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ تَمَنَّعُوا وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللهِ حِينَ وَقَفُوا. وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَأَعْلاَهُمْ فَوْتاً فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا. وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ: لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ، الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ، رَضِينَا عَنِ اللهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لِلّٰهِ أَمْرَهُ، أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ وَاللهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ.

فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

(اللغـــة)

الفشل ضعف مع جبن قال الله تعالى : حتى اذا فشلتم و تنازعتم فى الأمر ، و تفشل الماء أى سال و الأفشل الرجل الضعيف الجبان .

تعتع الرجل اذا تردد فى الكلام من عى و حصر و كل من كره شيئا فاضطرب فيه و تردد فقد تعتع المكره على الشىء و المتردد فيه متعتع و فى الخبر حتى يؤخذ حقه غـــير متعتع و وقع القوم فى تعاتع أى فى أراجيف و تخليط و تعتعت الرجل اذا أقلقته .

تطامت : أى ظهرت ظهورا بالغا من التطلع التعرف .

تقبعوا أى تقبضوا من قبع القنفذ اذا ادخل رأسه ، و فى اكثر النسخ ما يوجد تقتعوا مع تطقت .

فاعلم خفض الصوت : عبارة عن غضه يقال خفض عليك القول و خفض عليك بالأمر أى هون .

الصوت : هو الهواء المنضغط عن فرع [1] ، جسمين و ذلك ضربان مجرد عن تنفس بشى [1] ، كالصوت الممتد و متنفس بصورة ما فالمتنفس ضربان اختيارى كما يكون من الانسان و غير اختيـارى كما يكون من الحيوانات و الجمادات و الاختيارى ، اما أن يكون بضرب اليد كصوت العود وما يجرى مجراه أو بضرب الفم و هو اما نطق او غير نطق و النطق اما مفيد أو غير مفيد و المفيد إما مفرد أو مركب .

و الصيت فى الأصل انتشار الصوت ثم خص فى العرف بالذكر الجميـــل .

---

(١) كذا فى الأصل .

ألفوت : السبق ولا يقال الا اذا سبق سبقا بعيدا و الافيات السبق الى الشيء دون ايتمار من يؤتمر يقال فلان لايفتات على أمره أى لا يعمل شيء دون أمره و الفوت أيضا فرجة بين اصبعين و الجمع أفوات و قرنية أعلام عينت الأول للمراد .

استبد فلان بكذا : أى تفرد به أصله من التبدد و هو التفرق و التفرد و الانفراد عن الشيء فرقه عنه و بعد منه ولا بد من كـذا أى لا يمكن الانفراد عنه .

الرهن : ما يوضع وثيقة للدين و الرهان مثله لكن اختص بما يوضع للخطار .

المهمز : عيب يؤخذ على المرة أخذا شديدا و الهماز الذى يهمز فى قفا أخيه بعيبه و همز فى الكلام اذا تحير فيه كان لسانه فى ضغطة .

المغمز : العيب الذى يشنع عليه و الغمز اشاعة العيب و غمز بجفنه أشار .

اترانى بضم التاء أى دتظنى . و الباقى معلوم .

(الاعراب)

و صوتا و فوتا : منصوبان على التميز و الضمير فى بعنانها ورهانها للحرب و الأولى أن يكون للفضائل و ان لم يجر لها ذكر لان سياق الكلام تشعر بذكرها كالجبال متعلق بحال محذوفة من الفاعل تقديره و استبددت ثابتا كالجبال اذا فى قوله عليه السلام فاذا . و اذا للمفاجاة .

(المعانى)

و فى اشتمال كنت أخفضهم صوتا و أعلاهم فوتا عـلى الاجمال

(١) كذا فى الاصل .

و التفصيل لا يحتاج الى التقرير .

الفاء فى فطرت للسببية الدالة على كونه اخفضهم صوتا علة لاشراعه الى الجهاد و الحرب أو الفضيلة و الأولى أن يكون فصيحة مفصحة عن محذوف تقديره تسابقنا و شرعنا فى إحراز الفضائل فطرت بعنانها و نفحات الايجاز يفوح من صفحات كلامه عليه السلام انما قطع لم يكن لأحد عما قبله ليؤذن بعلة استبداده برهانها و قطع الذليل عندى ايكون كالبيان للسابق مع اشتماله على بيان الفضيلة ولو قلنا انما قطع الأول يؤذن بعصمته

و الثانى ليؤذن بعدالته المستلزمة لوجود العلم و الجسم و ليعلم منهما علة استبداده لكان فى غاية اللطافة و نهايـــه النفاسة لا يشق غباره إلا ذو الذوق السليم المتدرب بعلم المعانى و قطع رضينا عن الله عما قبله للاعلام بأنه مع كمال طهارة نفسه و وفور علمه اللذين هما من شرايط الامام بالحق كان مسد المتوكلين بعد رسول الله صلى الله عليه و آله .

و ليس له باستبداده تحصيل الاعلاق الدنيوية التى يتنافس الطبائع فيها و يجل اكثر النـاس القيام بالامامة ذرائع اليها أترانى استفهام عن حصول الظن فيه بالكذب على رسوله عـلى سبيل الانكار ، و والله لأنا أ . لنفى الانكار و رده من خطائه الى الصواب .

الفاء فى فلا : الأولى أن يكون فصيحة أنها يفصح عن محذوف هو كبرى القياس . الضمير تقديره لأنا أول من صدقة و كل من كان كذلك فلا يكون أول من كذب عليه بالضرورة فينتجان فلا أكون أول من كذب عليه .

(البيـان)

فقمت بالأمر: كناية عن الشجاعة فان من لوازمها القيام بالحرب .

و نطقت كناية عن الفصاحة المستعملة[1] للعلم فان مثله عليه السلام ان لم ينطق فالنطق من لوازم العلم .

و التمتعة: كناية عن جهلهم لما مر فى تطلعت استعارة تبعية مستدعية لتشبيه هيئة اطلاع العقل على الأمور الكلية المعقولة و هى معقولة بهيئة تطلع الانسان على الأمور المحسوسة و هى محسوسة .

وجه الشبه أن العقل فى إدراك الأمور الكلية المنتزعة من الأمور المحسوسة يحتاج فى اتعاب الفكر الذى هو عين العقل بالحقيقة و تحديقه نحو الأمور المعقولة و ارسال المتخلية فى التفصيل و التركيب كما ان المتطلع على الأمر المحسوس يحتاج إلى تطاول العنق و مد البصر و نحوه هو عقلى .

و فى تقبعوا: استعارة أيضا تبعيـــة مستدعية لتشبيه هيئة تصور فكرهم عن ادراك الأشياء و عجزهم عن الاحاطة علما بالحقائق و هى معقولة بهيئة ادخال القنفذ رأسه و ستره عن الغير و هى محسوسة .

وجه الشبه اشتراكهما فى العجز و الاخفاء و هو عقلى و على هذا يكون الاستعارتان تصريحيتين و يحتمل أن يكونا استعارتين مكنيتين بهما عن اثبات العلم بالمعقولات لنفسه و الجهل لغيره الأولى مستدعيـة لتشبيه نفسه عليه السلام بالمتطلع ، و وجه الشبه اشتراكهما فى تحمل اعباء التحصيل و التدبر على ما عرفت و هو عقلى و يكون التطلع قرينة صادقة .

(١) فى الأصل: المستتمة .

الثانيـة مستدعية لتشبيههم بالقنفـذ و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى العجز عن المقاومة و هو عقلى و هذان التشبيهان من تشبيه المفرد بالمفرد و الأولان من تشبيه المركب بالمركب .

و مضيت بنور الله : كناية عن علمه بطريق الحق و الصراط المستقيم السلوك إلى الله تعالى .

قوله كنت أخفضهم صوتا : كناية عن الثبات فى الأمور و تصميم العزم على فعل ما ينبغى مع قطع النظر عن الالتفات إلى الموانع لما عرفت أن خفض الصوت من شعار الثابت قلوبهم على الحق .

قوله فطرت فيـه : استعارة تبعية تصريحية مستدعية لتشبيه سبقه العقلى و هو معقول بطيران الطاير و هو محسوس و وجه الشبه اشتراكهما فى السرعة .

و فى بعنانها : استعارة تخييليـة مكنى بها مستدعية لتشبيه الفضائل النفسانية بالجبل و وجه الشبه اشتراكهما فى توجه النفوس اليهما يعنى كما أن جبل الحليـه[1] مما يسعى النفس فى تحصيله كذلك الفضائل مما يبعث النفوس على اقتنائها و كذا الرهان . قوله كالجبل مشتمل على تشبيه لنفسه عليه السلام بالجبل و هما محسوسـان و وجه الشبه ما أشار إليـه بقوله : لا تحركه القواصف و لا يزيله العواصف .

يعنى كما أن الجبل لا تحركه الرياح الشديدة و لا تزيله لغاية ثباته

---

(١) كذا .

كذلك لا تحركنى صدمات الأهواء الباطلة و الآراء المبدعة الغاية ثباتى على الحق و هو تشبيه قد ذكر المشبه و حرف التشبيه و وجه الشبه قوله لم يكن لأحد إلى مغمز كناية عن عفته عليه السلام و عصمته .

قوله الذليل إلى منه : كناية عن عدالته و هو ظاهر .

قوله رضينا إلى أمره : كناية عن حكمتـه التى هى عرفانه بحقائق الأمور و بذات الله تعالى و صفاته .

(البديع)

راعى عليه السلام فى فقمت إلى وقفوا المقابلة حيث قابل الشجاعة بالجبن و الفصاحة بالعى و كبر الهمـــة بالقصور و العلم بالتحير و الجهل و بين صوتا و فوتـا المتوازى و الترصيع كما بين القواصف و العواصف و مهمز و مغمز . وفى قوله الذليل عندى عزيز و القوى عندى ضعيف المطابقة و الباق ظاهر .

(الفحوى)

اعلم أن بعض الشارحين قال بهذا الفصل فيه فصول أربعة التقطها السيد الرضى رضى الله عنـه من كلام له طويل قاله بعـد وقعة النهروان ذكر فيه حاله منذ توفى رسول الله صلى الله عليه و آله اعلم أنه عليه السلام أثبت لنفسه امهات الفضائل النفسانية التى بها يستعد الشخص للرياستين الدنيوية و الأخروية و هى الحكمة و العفة و الشجاعة و العلم و لمقابلته الرذايل و أثبت لنفسه أيضا بعض الفضائل الداخلة تحت المذكورة .

قوله فقمت بالأمر حين فشلوا : اشارة إلى اثبات الشجاعة لنفسه حين فشلوا أى قمت بأمر الله تعالى بين يدى رسول الله و بعده فى الحروب و الوقايع الصعبة التى عجزوا عنها و فشلوا فيها .

قوله و نطقت حين تمتعوا : اشارة الى اثبات ملكة الفصاحة لنفسه التى هى فضيلة داخلة تحت العلم و اثبات رذيلة العى لهم التى هى طرف التفريط منها يعنى نطقت فى القضايا المبهمة و الحوادث المشكلة حين عتوا عنها .

قوله تطلعت حين تقبعوا : اشارة إلى اثبات فضيلة كبر الهمة فى تحصيل المعارف الالهية التى هي فضيلة داخلة تحت ملكة الشجاعة على ما عرفت و اثبات رذيلة صغر الهمة و قصورها لهم و المعنى ظاهر . قوله و مضيت بنور الله حين وقفوا: اشارة إلى اثبات فصيح العلم لنفسه و الجهل لهم يعنى سلكت سبيل الله مشيئا بنور الله تعالى الذى هو لا يصل من نسبت به حين وقفوا عن السلوك حائرين جاهلين بالقصد و كيفية السلوك .

قوله و كنت أخفضهم صوتا و أعلاهم : أى كنت أشدهم ثباتا و أربطهم قلبا على فعل ما ينبغى للانسان و أسبقهم إلى درجات الكمال و مراتب الجلال و احراز السعادات منهم و ذلك كأنه نتيجة لما تقدم .

قوله فطرت إلى رهانها : أى أشرعت فى احراز الفضائل النفسانية و تفردت بحواصلها التى يستبق الصحابة بها إلى نيل رضوان الله تعالى و هذا اشارة إلى سبقه عليهم فى الفضائل سبقا لا يشق غباره .

قوله كالجبل إلى العواصف : اشارة إلى ثباته على قانون الطريقة و مقتضى الأوامر الالهية . قوله لم يكن لأحد فى مهمز أى لم يكن لأحد على الاطلاق فى أن يعيبنى و أن يؤاخذ على نفسى صغيرة كان أو كبيرة لأنى معصوم لا اقصد إلى فعل قبيح أصلا و هو اشارة إلى اثبات فضيلة العفة النفسية .

قوله الذليل إلى منه : اشارة إلى اثبات فضيلة العدالة لنفسه يعنى أن الذليل الذى لا يلتفت إليه أكثر الناس لمهانته عندى عزيز أى ممن اعتنى بشأنه و اهتم بأمر ظلامته حتى اخبر حاله و اقبض الحق له من الظالم و القوى عندى ضعيف أى ممن كان ظالما لقوته اضعفه و اقهره تحت حلمى الجارى على قانون العدالة حتى ادفعه ظلمه على الناس و آخذ الحق الذى كان لغيره و فى يده منه .

فان قيل ذكر الغائبين يؤذن بأن الذليل عنده بعد ايصال حقه المأخوذ من القوى اليه لا يكون كالقوى بل التفاته إلى القوى أولى و هو ليس من العدل . قلنا لما كان الغرض من النظر بالمساواة بين الخلق ليس إلا لدفع الظلامة و اقرار كل شىء فى مركزه لم يكن ترجيحه للأقوى بعد أخذ الحق منه بسبب آخر مخلا لقاعدة العدل على أن المفهوم انما يدل على أحد أمرين .

احدهما التساوى بين القوى و الذليل و هو مقتضى العدل و الآخر ترجيح القوى على الذليل و ذلك ليس من مقتضى العدل إذا كان الترجيح من جهة استيلائه و ظلمه و الرضا بكونه ظالما أما إذا كان من جهة أخرى

فلا

فلا يدل المفهوم على هذا القسم بعينه لأن العلم لا دلالة له على الافراد مطلقا قوله رضينا إلى أمره اشارة إلى اثبات الرضا بقضائه و التسليم لأمره المستلزمين للوصول إلى لب العرفان و نقاوة الايمان .

اعلم أن ههنا نكتة لا بد من الاشارة اليها و هى أنه قال عليه السلام رضينا قضاء و لم يقل رضينا بقضائه و سلمنا لله أمره و لم يقل سلمنا إلى الله و ذلك لأن معنى الرضا بالشىء طمأنينة النفس على المكروه فان من كان راضيا بالشىء كان صابرا أى حابسا نفسه على المكروه و معنى رضيه اختياره محبوبا عنده و لا يصير القضاء محبوبا عند أحد إلا إذا كان عارفا بأن لا مؤثر فى الوجود إلاالله و الكل مسوون[1] تحت أمره واصلا إلى الدرجة الخامسة من الدين و لأن معنى التسليم إلى الله أن يقلد الأمر ثم يخلعه عن رقبته و يفوضه إلى الله تعالى .

و معنى التسليم لله أن لا يقلد الأمر أصلا بل كان من مطلع أمره و بدء عمره لا يرى نفسه و لا لأحد من الخلق أمرا و لم يكن فرقا بين أن يقول المرء فوضت أمرى إلى الله و بين أن يقول لله الأمر من قبل و من بعد ، فالمرء فى المقام الأول أثبت الأمر لنفسه ثم فوضه إلى الله تعالى و فى المقام الثانى لا يثبت لنفسه أمرا أصلا و لما كان أمير المؤمنين سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه و آله أنزل نفسه فى مقام الواصلين إلى درجة العرفان القارعين باب الله الأعظم و أخبر عما هو مقامه فى تسليمه و رضاه و هو فوق المقامات كلها .

---

(١) فى الأصل : مسحوون .

و إليه أشار تعالى بقوله : و رضوان من الله أكبر ، و أشار الرسول صلوات الله عليه و آله الرضا باب الله الأعظم ، قوله أترانى اكذب على رسول الله اشارة إلى الانكار على مخصوص قد تفرس فيهم عليه السلام أنهم ينسبونه عليه السلام فيما يخبره عن رسول الله صلى الله عليه و آله من أخبار الملاحم فى الأمور المستقبلة إلى الكذب و منهم من كان يواجهه بذلك .

روى أنه لما قال عليه السلام : سلونى قبل أن تفقدونى فو الله لا تسألونى عن فئة يضل مائة و يهدى مائة الا أنبأتكم بناعقها و سائقها ، فقام اليه أنس النخعى فقال : أخبرنى كم فى لحيتى و رأسى طاقة شعر ، فقال عليه السلام : و الله لقد حدثنى حبيبى أن على كل طاقة شعر من رأسك ملكا يلعنك و أن على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك و ان فى بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله و كان ابنه سنان بن أنس قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلا ، قوله و الله إلى عليه اشارة إلى تقرير حجة فى ابطال ما نسبوه إليه و تقريره قد عرفت فى المعانى ، قوله فنظرت إلى لغيرى للشارحين فيه أقوال .

الأول قال بعض الشارحين : هذا الكلام مقطوع عما قبله مورد لبيان ما يلزمه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله من أن لا ينازع فى أمر الخلافة بل ان حصل له بالمداراة و الا فيسكت عنها يعنى فنظرت

ق أمرى بالنسبة إلى الخلافة فاذا طاعتى لرسول الله صلى الله عليه و آله فيما أمرنى به من ترك القتال قد سبقت بيعتى للقوم فلم اتمكن من المنازعة و إذا الميثاق أى ميثاق رسول الله صلى الله عليه و آله و عهده التى بعدم المنازعة فى عنق لغيرى أى إذا كانت يستقر لغيرى .

الثانى معنى طاعتى قد سبقت بيعتى مثل ما مر و لكن معنى و إذا الميثاق فى عنق لغيرى أى ميثاق القوم و عهدى معهم بالرضا بأبى بكر قد لزمنى فلم أتمكن من المخالفة و القيام بالطلب .

الثالث قال بعضهم : انه كلام سبق لبيان تبرمه و تضجره من ثقل أعباء الخلافة و تحمل مداراة الخلق فى اختلاف أهوائهم و يكون المعنى فنظرت فى أمرى بعد القيام للخلافة و التلبس بها فاذا طاعتى أى طاعة الخلق إلى و أطباقهم قد سبقت بيعتى أى بيعتهم لى فى هذا الوقت إذ كان الواجب عليهم بمقتضى ما جرى فى يوم الغدير أن يدخلوا تحت طاعتى بعد الوفاة و لم يؤخروا البيعة لى إلى هذا الزمان .

قوله و إذا الميثاق : أى ميثاقهم قد صار فى عنقى فلم أجد بدا من القيام بأمرهم و لم يسعنى عند الله الا النهوض بأمرهم و لو لا بيعتهم و ميثاقهم لتركت كما قال فى الشقشقية لو لا حضور الحاضر الى لسقيت آخرها بكأس أولها و الأول أشهر بين الشارحين . الثانى أوفق لكلامه و انسب بالمقام فهنا احتمال آخر جيد و هو أن يكون الكلام منساقا للتعجب من حاله .

معناه فنظرت فى حالى فاذا طاعتى كانت واجبة على الخلق قبل ان بايعونى لأنهم قد بايعونى بعد ثلاثة و كان الواجب عليهم بيعتهم معى حين قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و مع هذه الحالة فبيعة غيرى فى عنقى و هو مما يقتضى منه العجب اذ الحال يقتضى أن أكون مطاعا و قد انعكس الحال فصرت مطيعا و ما مثل هذا إلا من عكوس أفعال الدهر و هو لطيف .

* * * * *

٣٧ — ومن خطبة له عليه السلام

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ: فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى، وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى، فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ، وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ.

(اللغـــة)

الشبهة : هو أن لا يتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه عينا كان أو معنى و المشابهة المماثلة .

اليقين : هو سكون القلب مع ثبات الحلم و هو من صفة العلم فوق المعرفة و الدراية .

السمت : الطريق تقول منه سمت يسمت بالضم و القصد و هيئة أهل السير[1] يقال ما أحسن سمتـــه أى هديه و السير بالظن و الحدس و المراد هنا الأول .

الهداية و الهدى : فى أصل اللغة واحد لكن الهدى قد خص إذ أطلق بالشرع المطهر وكذا قال تعالى : « أولئك على هدى من ربهم ، و هدى للمتقين » .

العدو : التجاوز و منافاة الالتيام فان كان بالقلب يقال له العداوة و المعاداة و ان كان بالمشى يقال له العدو و ان كان بالاخلال فى العدالة يقال له العدوان و ان كان فى اجزاء المقر[1] يقال له العدواء يقال مكان ذو عدواء أى غير متلائمة الأجزاء فمن العاداة يقال رجل عدو و قوم عدو و جمعه عدى و اعداء .

الدعاء : كالنـــداء يقال دعوت فلانا أى صحيت و أيضا واحد الأدعية .

---

(١) كذا فى الأصل .

الضلال : العدول عن الطريق المستقيم و يضاده الهداية .

العمى : يقال لمن افتقد بصره أو بصيرته و على الأول يقال أعمى و عم و على الثانى المعمى فى الأكثر .

البقاء : ثبات الشيء على حالة الأولى و تضاده الفناء ، و الباقى على ضربين باق بنفسه و هو الله تعالى و باق بغيره و هو ما عداه تعالى و يصح عليه الفناء .

(الاعراب)

اضافة السمت إلى الهدى : من إضافة المصدر إلى المفعول تقديره قصدهم الهدى فى أول الأمر ، فاعل ينجو من خافه و الضمير فيه للفوت و أعطيت يقتضى مفعولين الأول منهما هذ هو من أحبه و كذا اقيم مقام الفاعل و الثانى البقاء .

(المعانى)

انما سميت فيه القصر للافراد على تنزيل تحسين منه [illegible] بصور لعلة تسميتها لشيء آخر غير ما ذكره عليه السلام ان لم يكن لخطاب للشاركين و اشتمال اما على الاحتصار أمر بين قد كشف القناع عنه فى أول الكتاب ان قدرنا اليقين .

و سمت الهدى : مبتدأ فى كل منهما الحصر لتلب لا يدرك شأوه إلا ذو الذوق السليم و الطبع المستقيم و هو أولى من تقديرهما خبرا و لذا ادعاهم الضلال و دليلهم العمى .

(البيـان)

ليس فيه شيء منه يحتاج إلى تدقيق نظر .

(البديع)

فيه من المقابلة حيث قابل الهدى بالضلال و اليقين بالعمى و الموت بالبقاء و بين الهدى و العمى المتوازى .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام رتب فى هذا الكلام ثلاثة مقاصد الأول فى بيان سبب تسمية الشبهة شبهة اعلم أن ما قاله عليه السلام حق فى السبب و ذلك لأن الشبهة عبارة عما يشابه الحق إما فى صورته أو فى مادته أو فيهما معا لا غير .

قوله لأنها تشبـــه الحق : يشتمل الاقسام ، الثانى فى بيان الناس بالنسبة إلى البعض[1] عن عهدتها .

اعلم أن الناس اما أولياء الله أو أعداؤه أما أوليائـه تعالى فلما كانت صفايح نفوسهم منورة بنور العـــلم بالله و صفاتـه و طريق الحق مستضيئة بنور النبوة فى سلوك الصراط المستقيم كان ذلك اليقين مخلص أذهانهم عن غمرات الشبهات و حافظها عن الوقوع فى مهاوى الجهالات به يفرقون بين الحق و الباطل كما قال تعالى : « يسعى نورهم بين أيديهم[2] »

(١) كذا فى الأصل .   (٢) الحديد : ١٢ .

و دليلهم إلى ما هو الحقّ تصدهم إلى سلوك الشرع المقدس فلم يدفعوا فى مضائق الشبهة منغمرين .

و أما أعداؤه فليس دعاؤهم إلى ما يدعون به الا ضلالا لا عن الطريق القويم و اضلالا للخلق عن النهج المستقيم على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « و ما دعاء الكافرين إلا فى ضلال[1] » و قوله تعالى : « فمن لم يجعل الله له نورا فما له من نور[2] » و ليس لهم دليل يتبعون إلا الغى فيسوقهم إلى الردئ و الهلاك على ما ينبىء عنه قوله تعالى الذى هو طمس لأبصار بصائرهم عن مطالعة نور الحق يهدون إلى النار .

الثالث فى بيان المبادرة إلى الموت و ان ما يجرى فى عالم الكون و الفساد ليس بحسب اشتهاء النفس قوله فهل ينجو من الموت من خافه : اشارة إلى أن الخوف من الموت لم ينفعه بل لا بد و أن يفرغ لعمل الآخرة و لا يلتفت إلى نزول الموت فانه أمر ضرورى لا بدّ على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم[3] » و قوله : « أينما تكونوا يدرككم[4] » و الخوف منه لا يجدى الا صرفه عن الاقبال إلى الله بالكلية و تحته دقيقة و هى أن من لم يخف الموت يكون له منه نجاة و هكذا أمر من لم يخف الموت فى سبيل الله تعالى .

فجاهد حتى قتل فقد نجا من الموت إذ حصل له الحيوة الباقية على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « و لا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء

(١) الرعد : ١٤ . (٢) النور : ٤٠ . (٣) الجمعة : ٨ .
(٤) النساء : ١١٨ .

أحياء» قوله «و لا يعطى البقآء من أحبه» اشارة إلى أن محبة البقاء لا ينفعه بل تضره لأنها تلهيه عن الاشتغال بالعبادة و تورطه فى المعاصى و اقتناء اللذات و تحته دقيقة و هى ان من لم يحب البقآء فى الدنيا اختص بالبقآء فى الآخرة على ما ينبىء عنه قوله تعالى: إن الله اشترى من المؤمنين أموالهم و أنفسهم بأن لهم الجنة[1]».

و من أحبه فى الدنيا حرم عن البقآء فى الآخرة كالكفار الذين أحبوا البقاء و قد حكى عنهم تعالى و واحدهم «لو يعمر ألف سنة» و حرموا عن البقاء فى الآخرة على ما ينبىء عنه قوله تعالى: «و ما هو بمزحزحه من العذاب[2]» و الحاصل أن العامل بعمل الآخرة ينبغى أن لا يلتفت لا إلى الفناء و لا إلى البقاء فى الدنيا كان كل منهما و يحتمل أن يكون هذا الكلام من تتمة السابق و يكون معناه فكن من أولياء الله و لا تعص الله و رسوله حتى تخاف من هجوم الموت.

فان العاصى لا ينجو من الموت لخوفه من عصيانه فقد ذكر المسبب و هو الخوف من الموت و أراد السبب و هو العصيان و لا يركن إلى الدنيا بالكلية فينخرط فى سلك المحبين للدنيا المتهالكين عليها فان محبتها لا ينفعك و لا يوصلك إلى المقصود بل ربما يمنعك و لا يوصلك إلى المقصود بل ربما يمنعك عن البقاء فى الآخرة و هو احتمال جيد.

* * * * *

---

(١) التوبة: ١١١. (٢) البقرة: ٩٢.

٣٨ — ومن خطبة له عليه السلام

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لَا أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْراً، حَتَّى تَكَشَّفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ، فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ؛ دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)

(اللغـــة)

منيت : أى أبتليت .

أحمشت الرجل : إذا اغضبته و كذلك التحميش و الاسم الحمشة مثل الحشمة مقلوب منه و احتمش و استحمش أى التهب غضبا .

قال الجوهرى : المستصرخ المستغيث قيل هـو أن يقول الرجل و اغوثاه و هو قريب منه معنى غوّث الرجل و تغوث إذا قال و اغوثاه و الاسم الغوث و الغواث و الغواث .

كشفت الشيء فانكشف و تكشف : أى أظهرته فظهر .

أساء يسوء سوء و مساءة و مسائية : نقيض سره والاسم السوء بالضم .

الثار و الثورة الدخل : أى الحقـــد ، رام يروم روما و مراما : أى طلب .

الجرجرة : صوت يردده البعير فى حنجرته .

قال الأغلب : جرجر فى حنجرة كالحب .

فهو بعير جرجار كما يقول ثرثر الرجل فهو ثرثار بعير أسرّ إذا كانت بكركرته دبرة بين السرد قال الشاعر :

ان جنبى عن الفراش لناب   كتجا فى الاسرّ عن الظراب

و هى جمع ظرب بكسر الراء و هى الروابى الصغار .

السردا [1] باحد البعير فى سرمه .

---

(١) كذا فى الأصل .

النضو : البعير الذى أصابه الهزال من تعب السير ، الأدبر البعير الذى به دبر و هو القروح التى فى ظهره و الباقى ظاهر .

(الاعراب)

قـــد أضاف المصدر إلى الفاعل فى قوله ينصركم و مفعوله ربكم و كذا نصب و ذلك مثـل قولنا دق القصار الثوب ، مستصرخا و متغوثا منصوبان على الحال من الفاعل ، الواو فى وهم ينظرون للحال أيضا .

(المعـانى)

استفهم عن نفى الدين الذى يجمعكم فى قوله أما دين على سبيـل[1] متغوثا .

و أشار بقوله : فلا تسمعون إلى أمر إلى سوء معاملتهم و خروجهم عن قانون المروة و الحمية و الدين و تعييرهم بما رضوا به من الذلة و توبيخهم على ما كانوا عليه من الانقياد للخصوم و الاذعان لطالبيهم و بقوله : حتى إلى المساءة إلى غاية سوء معاملتهم و خطابهم فيما كانوا عليه ، و بقوله : فما يدرك إلى مرام توبيخهم على ما عاملوا معه و نفى الرجولية عنهم .

فان من لم يحصل بمدده مطلوب فهو ممن ليس له خلاق من المروة التى قامت الرجولية بها كل هذا يحثهم على القيام و زجرهم عن التقاعد إذ من شان طباع العرب أن يثور بمثل هذه الأقوال .

قوله دعوتكم إلى الأدبر : اشارة إلى غاية تضجرهم من ثقل ما يدعوهم

(١) كذا فى الأصل .

إليه و نهاية تثاقلهم ، و أراد عليه السلام باخوانكم مالك بن كعب[1] مع أصحابه و يحتمل أن يكون المراد بهم العموم و هو أكد .

ثم عقب ذلك بوصف من خرج منهم بالتصغير و الضعف و الجبن و قال ثم إلى وهم ينظرون و قد عرفت التشبيه فيه و الله أعلم .

ه ه ه ه ه

(١) مالك بن كعب الأنصارى مختلف فى اسمه والصواب كعب بن مالك صحابى روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله روى عنه عبد الله بن كعب .

٣٩ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فى الخوارج لما سمع قولهم : لا حكم إلا لله ؛ قال عليه السلام

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ ! ! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلّٰهِ ، وَلٰكِنْ هٰؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلّٰهِ ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ ، يَعْمَلُ فِى إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الْأَجَلَ ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ .

وفى رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال :

حُكْمَ اللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ

وقال : — أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ ؛ وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ .

و فى امرته عائد إلى الأمير من حيث هو لا إلى البر مطلقا لأن الكافر لا يتمكن فى امرته من الاستمتاع و لا إلى الفاجر و ان قال به بعض الشارحين : لأن المؤمن لا يتمكن فى امرته من العمل و كذا الضمائر المجرورة كلها عايدة اليه مطلقا .

(المعانى)

قد حذف المشبه إليه من الجملة الأولى تعويلا على القرائن الحالية الشاهدة و بناء على أن الخبر لا يصلح الا له حقيقة أو ادعاء و اشتمال الكلام على الايجاز أوضح من البيان .

(البيان)

ليس فيه شيء منه يحتاج إلى زيادة فكر .

(البديع)

راعى فى أكثر الكلمات المقابلة وفى التقى و الشقى المتوازى والترصيع بين مدته و منيته المطرف .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام رد على أصحابه اولا الذين تمكن فى سويدوات قلوبهم حقية دعوة أصحاب معاوية إلى كتاب الله و قال كلمة حق يراد بها باطل أى قولهم لا حكم إلا لله كلمة حق و لكن ليس مقصودهم كتاب الله بل غرض آخر باطل و هو اطفاء نائرة الحرب عنهم و تشتت كلمتكم

و شق عصاكم مما ينخرط فى سلك الباطل ، ثم بقوله نعم لا حكم إلا لله صدق قولهم لكن لا من حيث انه صدر عنهم و دال على القصر للافراد لأنه من هذه الحيثية يستلزم أن يكون الأحكام كلها منصوصة دلّ عليها ألفاظ كتاب الله و ليس كذلك .

فان الىر[1] أحكام الفروع مأخوذة من الأخبار النبوية منتزعة منها بحسب الاجتهاد و شرائطها لمن كان أهلا لذلك من أنها أحكام الله بل من حيث انّ فى نفس الأمر جميع الأحكام راجع إلى حكمه تعالى و لما اعتقدت الخوارج أنه لم يصح التعويل على حكم لم يوخذ بعينه فى كتاب الله تعالى و لا يجوز امتثاله و لا العمل به و هذا الاعتقاد يستلزم نفى الأمرة لأن استنباط الأحكام الجزئية و النظر فى تدبير مصالح الرعية مفوض إلى رأى الأمير و نفى اللازم يستلزم نفى الملزوم .

قال نعم لا حكم إلا لله : و لكن هولآء يقولون لا امرة ثم كذب قولهم لا أمرة بقوله و أنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر و حاصل الكلام يرجع إلى أنّ كلامهم فى تقرير شرطية متصله لازمها باطل فيكون باطلا ، تقريره كلما ثبت قولهم لا حكم إلا لله كما اعتقدوه ثبت انتفاء الامرة بالكلية و لكن اللازم باطل لأن نقيضه صادق و هو أنه لا بدّ للناس من أمير بر أو فاجر و الدليل على هذا أن الانسان خلق فيه النفس الأمارة بالسوء و القوة الغضبية الداعية إلى تفرق الأهواء و الهرج و المرج .

---

١) كذا فى الأصل .

فلو لا بين الخلق سلطان قاهر يردعهم عن أثرة الفتن و يأتلف بهيئة القلوب و يسكن بسطوته اختلاف الأهواء و لا اختل نظام الخلق فى معاشهم و قد ألم المتنبى[1] إلى هذا المعنى حيث قال :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق إلى جوانبه الدم
و الظلم فى شيم النفوس فان يجد ذا عفة فلعله لا يظلم

و قد روى أن النبى صلى الله عليه و آله قال : ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لاخلاق لهم فى الآخرة و روى بالرجل الفاجر ، و قول الحكماء الأنسان مدنى بالطبع مستلزم لوجود الأمير على ما بينا قوله يعمل فى امرته المؤمن أى المؤمن يعمل فى امرة الأمير من حيث أنه برّ عمله على مقتضى أوامر الله و نواهيه و الكافر يطلب التمتع بانهماكه فى اللذات الحاضرة و الاعراض عن الله تعالى بالكلية فى امرة الآمر من حيث أنه فاجر .

قوله يجمع به إلى القوى : اشارة إلى فوائد وجود الأمير برا كان او فاجرا .

قوله حتى يستريح برّ و يستراح من فاجر : اشارة إلى الغاية من

(١) أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفى الكندى الكوفى الشاعر المشهور ولد بالكوفة سنة ٣٠٢ و قدم الشام فى حال صباه و اشتغل بفنون الأدب و مهر فيها و أكثر المقام بالبادية وطلب علم العربية حتى بلغ الغاية التى فاق أهل عصره و على شعراء وقته و اتصل بالأمير سيف الدولة و كان يتحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام قتل سنة ٣٥٤ .

قوله

الأمارة أى الغاية من الأمور المذكورة الباقية ببقاء الأمير ان يستريح برّ مؤمن بوجودها و يستراح من فاجر أى من ظلمه و قيل معنـاه ان هذه الفوائد لا تزال باقية ببقاء الأمير برّا كان أو فاجرا حتى يستريح الأمير البر بموته و يستراح الفاجر بموته أو بعزله و هو احتمال جيد و المذكور فى الرواية الثانية معلوم مما ذكرنا و بالله التوفيق و العصمة .

* * * * *

٤٠ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْءَمُ الصِّدْقِ ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ . وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ . وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ ، قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ ، مَالَهُمْ ؟ قَاتَلَهُمُ اللهُ ! قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ .

(اللغـــة)

الجنة : الترس و انما سمى بها لأنه يستر القاعد خلفه عن ضرب العدو من جن أى ستر .

أوقى : أفعل التفضيل من الوقاية و هى حفظ الشىء مما يؤذيه و يضرّه يقال وقيت الشىء أقيه وقاية و وقاء و التقوى جعل النفس فى وقاية مما يخاف .

الغدر : الاخلال بالشىء و تركه ثم شاع فى ترك العهد و منه قيل فلان غادر و جمعه غدرة و غدار كثير الغدر .

الكيس : خلاف الحمق و فى الحقيقة عبارة عن الفطانة و الذكاء و جودة الرأى فى استخراج المصالح .

الحيلة : ما يتوصل به إلى حالة فى خفيـة و أكثر استعماله فيما تعاطيه حيث .

الحول : بتشديد الواو الرجل البصير بتحويل الأمور .

القلب : الكثير التقلب يقال حول قلب لمن كان عارفا بتقلبات الامور و كيفية الخروج منها .

و دع يدع : أى ترك لا يقال ودعه و انما يقال تركه و لا وادع بل تارك قال الجوهرى : و قد اميت ماضيه فاعلم .

دع : ذا أى أتركه .

انتهزت الفرصة ينتهزها انتهازا أى اغتنمتها الفرصة الشرب و النوبة .

الحريجة : اسم من التحرج وهو التأثم والتحرز من الحرج و هو الاثم .

(الاعراب)

الضمير فى منه عائد إلى الوفا اتخذ مفعولين أولها الغدر و الآخر كيسا الضمير فى نسبهم إلى أكثر أهله و فى فيه إلى الزمان فى دونه روايتان :

احديهما بضمير التأنيت العائد إلى الحيلة و هى الأصح .

و الثانية بضمير التذكير العائد إلى وجه الحيلة . هى محتملة و نهيه عطف على الله تعالى و الضمير المنصوب فى فيدعها للحيلة و المرفوع للحول القلب و رأى العين متعلق بحال محذوفة أى حال كونها مرئية رأى العين .

(المعـانى)

تصدير الجملة الأولى بأن : و تعقيبها بالجملة الثانية دليلا على أن الكلام مع المنكرين و شدة اهتمامه عليه السلام باثبات فضيلة الوفاء مالهم استفهام على سبيل الانكار و التوبيخ عن خوضهم فى حاله عليه السلام الفاء فى فيدعها للسببية الدالة على أن المانع من الله سبب لتركه عليه السلام الحيلة و لتكون تقديره هو يدعها يدل على استمراره فى الترك .

(البيـان)

فى أن الوفا توأم الصدق استعارة تصريحية تخييلية مستدعية لتشبيه الوفاء و هو معقول به لتوأم و هو الولد المقارن لولد آخر و هو محسوس و وجه الشبه أن الوفاء يقارن للصدق تحت أم من أمهات الفضائل المفسانية و هى العفة كما أن التوأم مقارن لآخر فى بطن واحد من أمها و يخييل أنه من أفراد التوأم و الا لم يصح اطلاقه عليه و الباقى ليس فيه شيء مشكل .

(البديع)

ليس فيه شيء زائد .

(الفحوى)

قوله أن الوفاء توأم الصدق : اشارة إلى أن الوفاء الذى هو ملكة نفسانية نفسا من لزوم العهد كما ينبغى و البقاء عليه و الصدق الذى هو ملكة تحصل عن لزوم الأقوال المطابقة للواقع متلازمان لا ينفك أحديهما عن الآخر داخلا تحت ملكة العفة يلازم الغدر الذى هو رذيلة فى مقابلة الوفاء و الكذب الذى هو رذيلة فى مقابلة الصدق و دخولهما تحت رذيلة الفجور ، و قد أشبعنا الكلام فى هذا المقام فى القاعدة الثالثة .

ثم حث الناس بلزوم الوفاء و جعله شعارا لنفسه و قال :

لا أعلم جنة أوقى منه : أما فى الدنيا فلأنه يستر المرء من لحوق السب و العار اللازمين من الغدر الملطخين توجه النفس و أما فى الآخرة فلأنه يستر المرء من عذاب الله تعالى و يقرنه إلى نيل الأجر العظيم على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما[1] »

ثم نبه بقوله .

ما يغدر من علم كيف المرجع : على أن الغدر لا يأتى إلا ممن جهل بكيفية المرجع إلى الله تعالى و منازل السفر إلى الله تعالى و الوفاء انما يأتى مما كان عالما بكيفية الرجوع إلى الله مطلعا على أحوال الآخرة فمن لم يوف و غدر كان لجهله بمواقع الأمور خصوصا أحوال الغيب و ان أوفى كان

(١) الفتح : ١٠ .

لكونه

لكونه من الموقنين بالله .

و هذا توبيخ عظيم للغادرين و إلى هذا أشار النبي صلى الله عليه و آله حيث قال لكل غادر لوآء يعرف به يوم القيامة .

قوله و لقد إلى كيسا : اشارة إلى انا قد أصبحنا فى زمان لا يعرف الشريعة و من الناس من يروى الجذاء بالجيم أى قد انقطع خيرها و درها الصبابة بضم الصاد البقية من الماء فى الاناء اصطبها أصله اصتبها افتعل من صببت الماء فانصب أى سكبته فانسكب فكتب التاء طاء لقربها من الصاد ، الحساب فى الأصل استعمال العدد ثم شاع فى اعتبار ما جرى على الشخص و تمييز أفعاله الحسنة عن القبيحة [1] .

(الاعراب)

اثنتان : صفة لموصوف محذوف و هو خصلتان و قد روى أنه عليه السلام قال .

ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى و طول الأمل : فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق .

اصطبها صابها : نعت لصبابة و الأولى أن يكون صلة لموصول محذوف تقديره بصبابة إلا بالتى اصطبها صابها و حذاء حال ، اليوم اسم ان و عمل قام مقام الخبر استعمالا للمضاف إليه مقام المضاف تقديره أن اليوم يوم عمل و يحتمل أن يكون الاسم ضمير الشان و قد حذف العلم به و اليوم مبتدأ عمل خبره و الجملة فى محل الرفع على أنها الخبر .

---

(١) هنا سقطت الخطبة ٤٢ .

٤١ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَى ، وَطُولُ الْأَمَلِ ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ . أَلَا ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا ، أَلَا وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ .

(المعانى)

فى أن أخوف إلى الآمل : خواص احديهما كونه مصدر بأن ليؤذن بأن المقام مقام انكار .

ثانيها جعل اثنتان خبرا ثم بيانه ليؤذن بالاجمال و التفصيل الموقعين للكلام فى النفس فضل ايقاع .

ثالثها ايراد أفعل التفضيل مضافا إلى الشىء الذى يخاف منه عليه السلام تأكيدا للمعنى و اشتمال اما على الايجاز و قد أوقفناك عليه غير مرة .

الفآء فلم : فصيحة تقديره الكلام و لب[1] حال كونها سريعة و قد مسى المرها فلم[1] و فى فلم يبق منها إلى صابها القصر للقلب و انما جعل قوله عمل نفس الخبر ايذانا بأن الدنيا ما يكون إلا للعمل و ليس منها غرض سواه و هكذا بيان كل شىء منه غرض مقصود فاذا فقد ذلك الغرض منه فيصح سلب الاسم عن ذلك الشىء كما أن الفرس إذا لم يأت منه العدو يصح أن يقال أنه ليس بفرس و فى اشتمال هذا التركيب على الايجاز لا يحتاج إلى بيان .

(البيان)

فى الاصبابة : استعارة تصريحية تخييلية مستدعية لتشبيه الدنيا بالقياس إلى كل شخص و هى معقولة بالبقية من المآء فى الانآء و هى محسوسة و وجه الشبه اشتراكهما فى القلة و هى معقولة و تخييل أنها من

(۱) كذا .

أفراد الصبابة و الا يصح جعلها خبرا عنها .

ثم لم يقنع بهذا و شبهها بعد جعلها فردا من أفرادها بصبابة إلا بالتى اصطبها صابها و وجه الشبه اشتراكهما فى غاية القلة و لكل منهما بنون استعارتان مكنى بها تخييلية مستدعية لتشبيه الدنيا و الآخرة بالأم : و وجه الشبه أنهما مقصد الناس واصلان للنافع كما أن الأم مقصد الأولاد و محل منفعتهم و هو عقلى .

الثانية تصريحية تخييلية مستدعية لتشبيه الناس بالبنين و هما محسوسان و وجه الشبه أن بعضهم يميل بالطبع إلى الدنيا و يطلب المنافع منها و بعضهم يميل عن الدنيا و يرغب إلى الآخرة و يتصور أن السعادة الأبدية و المنفعة الباقية ليستا حاصلتين إلا من الآخرة كما أن البنين يميلون بالطبع إلى الأمهات أو بحسب تصورهم أن منافعهم لا يتأتى إلا منهن و هو عقلى و الباقى واضح ، و اليوم كناية عن البقا فى الدنيا لأنه حاضر و غدا كناية عن القيامة لأنها آتية .

(البديع)

فى هذا الفصل قد راعى المقابلة حيث قابل أولا الدنيا بالآخرة ثم التولية بالاقبال و ثانيا فى قوله إن اليوم إلى و لا عمل حيث قابل اليوم بعد أو العمل بلا عمل و الحساب بلا حساب .

(الفحوى)

اعلم أن غرضه عليه السلام من ايراد هذه الخطبة و القائها إلى الناس أن يعرفوا الموانع التى يمنع السالكين فى سبيل الله عن السلوك

إلى الله تعالى فيقظونها ليكون السلوك لهم أسهل و أيسر و لما كانت القبلة الحقيقية التى أمروا بالتوجه إليها مطالعة أنوار كبريائه و مجاورة الملاء الأعلى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

كان اتباع النفس الأمارة بالسوء فى سوء لها الطبيعية و بها لكنها على اللذات الحاضرة الفانية اسد حادث له عن القصد إلى المقصد الأعلى و أعظم صاد له عن التوجه إلى الحق و كذا رتب الله تعالى استحقاق أن ينزل فى حضيض جهنم على من انهمك فى أسباب الدنيا و آثر الحيوة الفانية على الحيوة الباقية السرمدية .

قال تعالى : « فاما من طغى و أثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى » و رتب استحقاق الترقى فى منازل الجنة و درجاتها على الا نهى[1] النفس الأمارة بالسوء عن الهوى . و قال : « و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى[2] » و أدرج الرسول الله صلى الله عليه و آله اتباع الهوى فى المهلكات شح مطاع و اتباع الهوى و اعجاب المرء بنفسه و بالحقيقة المهلك ليس إلا واحد و هو اتباع الهوى .

إذا الشح المطاع انما يلزم من اتباع النفس الأمارة فى محبتها الشديدة لأغراض الدنيا و كذا الاعجاب و ذلك لأن من عرف نفسه و ترقى من حضيض الامارة إلى أوج الاطمينان لا يحوم حول ساحة قلبه شائبة النظر إلى نفسه فضلا عن الاعجاب و فى موضع آخر جعل حب الدنيا أصل كل مانع ضار ، و قال عليه السلام : حب الدنيا رأس كل خطيئة كان أخوف

(١) كذا فى الأصل . (٢) النازعات : ٤١ .

ما يخاف على الطريق من الأمور التى قصد السالك عن سلوك سبيل الحق اتباع الهوى .

و أما الأمل سئوله لكونه أيضا عبارة عن توقع الأمور المحبوبة من اللذات الفانيـــة يستلزم ملاحظة النفس اياها و هى تستلزم اينفاس[1] لوح النفس بها فيسود فلا يقل يفوس أحوال الآخرة و لو كانت تزول عنه لغلبة المتوقعات هذا هو المعنى بقوله فينسى الآخرة و كذا حث الرسول عليه السلام على قطع الأمل و قال لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء و إذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح و خذ من حيوتك لموتك و من صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدرى ما صمك . . .[2] غدا .

قال أبو سعيد الخدرى[3] اشترى أسامة بن زيد[4] وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول : ألا تعجبون من أسامة المشترى إلى شهر أن أسامة لطويل الأمل و الذى نفسى بيده ما طرفت عيناى

(١) كذا فى الأصل . (٢) بياض فى الأصل .

(٣) سعد بن مالك بن سنان الخزرجى كان من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، قيل لم يكن أحد من أحداث الصحابة افقه من أبى سعيد و كان من الحفاظ المكثرين و العلماء العقلاء و كان أبوه مالك استشهد يوم أحد .

(٤) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله صلى الله عليه وآله و كان يسمى حب رسول الله ، استعمله النبى صلى الله عليه و آله على المهاجرين و الأنصار و هو ابن ثمانى عشرة سنة و كان أسامة بن زيد منحرفا عن على عليــــه السلام و لم يبايعه و توفى سنة ٥٤ .

إلا ظننت أن شفرتى لا تلتقيان حتى يقبض الله روحى و لا رفعت طرفى و ظننت أنى واضعه حتى اقبض و لا لقمت لقمة إلا ظننت أنى لا اسيغها حتى أغص بها من الموت ، ثم قال يا بنى آدم إن كنتم تعقلون تعدوا أنفسكم من الموتى و الذى نفسى بيده انما توعدون لات و ما أنتم بمعجزين .

و قال صلى الله عليه و آله لأصحابه : أ كلكم تحب أن تدخل الجنة قالوا : نعم يا رسول الله ، قال قصروا من الأمل و ثبتوا آجالكم بين أنصاركم و استحيوا من الله حق الحياء و الأخبار فى ذلك كثيرة و لما كان امير المؤمنين عليه السلام هو المرشد للخلائق بعد رسول الله صلى عليه و آله إلى الحق و سلوك سبيل الآخرة و المتولى لصلاح حالهم نسب الخوف إلى نفسه عليه السلام ثم التفت عن السبب الضار إلى قطع الآمال ونفرهم عما تأملونه من الدنيا و رغبهم إلى ما تقرون منه و هو الآخرة .

قال : ألا ان الدنيا قد أدبرت جدآء قوله : فلم يبق منها اشارة إلى ان الأمر ليس على ما يأمركم به انفسكم من البقاء باللذات الدنيوية بل ليس الباقى بالنسبة إلى كل فرد من أفراد الانسان إلى أن لكل واحد من الدنيا و الآخرة أهلا يميلون إليه مثل الابناء إلى آبائهم و أمهاتهم فمنهم من نصرهم الله تعالى . . . . (١) الدنيا بمنافع الآخرة و هتك الأستار بين أبصار بصائرهم فمالوا إلى الآخرة معرضين عن اللذات الفانيـــة ففازوا بالسعادة الأبدية و الكرامة السرمدية .

منهم من أسرتهم أنفسهم الأمارة و استولوا عليهم الهوى فانهمكوا

(١) كذا بياض فى الأصل .

فى استيفاء اللذات الحاضرة التى هى بالحقيقة آلام روحانية لا يكون لهم شعور بها لأصابتهم الحدر[1] فبعدوا عن النعيم المقيم و السرور الدائم الجسيم أولئك الذين أنزلوا أنفسهم من معارج الملكوت بمدارج . . .[2] الهيات الردية إلى مهاوى الهلاك و البعد عن ملاحظة أنوار كبريائه و لما كان حال الأولين يؤول إلى الفوز بدرجات الجنات و حال الآخرين يرجع إلى الهوى فى مهاوى الدركات أمر الناس عليه السلام بالانخراط فى سلك الأولين و نهيهم عن الادخال فى الآخرين .

قال فكونوا من أبناء الدنيا و لا تكونوا من أبناء الآخرة و أشار بقوله : فان كل إلى القيامة إلى أبناء الآخرة المقبلين إليها إذا قامت القيامة يلحقون بمقاصدهم التى توجهوا إليها من الالتذاد باللذات الدائمة و الابتهاج بمطالعة أنوار كبريائه لحوق الولد بأمه بعد المفارقة بينهما و أما أبناء الدنيا فلان نفوسهم لما كانت مستغرقة فى محبتها معرضة عن الآخرة كانت يوم القيامة ملحقة بالدنيا مغلولة لسلاسل الهيات البدنية و الملكات الردية التى اشبتبها[1] بينها و بين الالتذاذ باللذات الباقية .

فهم كالأولاد وقعت بينهم و بين أمهاتهم المفارقة فى موضع لا يكون لهم أنس و لا لهم لذة و أى عاقل يرضى لنفسه أن ينزل نفسه فى مقام الحسرة و الندامة و يبعدها عن الكرامة و السعادة فمن كان له أدنى تميز بين اللذات الباقية و الفانية لا يرضى بذلك ، و من ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله : الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت .

---

(١) كذا فى الأصل . (٢) كذا بياض فى الأصل .

ثم نبههم على الطريق الموصل للكون من أبناء الآخرة و هو العمل و أمرهم بلزومه قبل أن يجيء وقت امكانه و قال : ان اليوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل ، فمن أراد أن يكون من أبناء الآخرة فليعمل لها أوان امكانه فانه إذا ضاعت الفرصة أصابت الغصة و إليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : اضاعة الفرصة غصة اللهم وفقنا لما تحب و ترضى .

* * * * *

٤٢ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جريرا بن عبد الله البجلى إلى معاوية

إنَّ اُسْتِعْدَادِى لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ، وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ. وَلٰكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا. وَالرَّأْىُ عِنْدِى مَعَ الْأَنَاةِ فَأَرْوِدُوا، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدَادَ وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هٰذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ، وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَ لِى إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ. إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثًا، وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا، فَقَالُوا، ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا.

(اللغــــة)

الاستعداد للأمر : التهيؤ له .

خدعه يخدعه خدعا و خدعا أيضا مثل سحره سحرا أى ختله و أراد به المكروه من حيث لا يعلم فهو خادع و ذاك مخدوع .

الاناة الاسم من التأنى و الرفق .

أرود فى السير اروادا و مرودا: أى رفق و قولهم فلان يمشى على رود أى على مهل .

الكره و الكره : واحـــد كالضعف و الضعف قيل الكره المشقة التى تنال الانسان من خارج مما تحمل عليه باكراه و الكره ما يناله من ذاتـه و ذلك ما يعاف من حيث العقل أو الشرع و لهذا يصح أن يقول الانسان فى الشيء الواحد انى اريده و اكرهه بمعنى انى بالطبع و اكرهه من حيث العقل أو الشرع أو بالعكس .

أراد عليه السلام بنفى الكره هنا من حيث العقل و الشرع .

قلبت الشيء : أى صرفته عن وجه الى وجه فانقلب أى انصرف .

أحدث أى أوجد شيئا لم يكن و فى أحداثا روايتان احديهما كسر الهمزة على أنه مصدر أتى به للتوكيد .

و الثانية فتحها على أنه جمع حدث .

أوجد : يحتمل أن يكون من وجد عليه أى غضب موجدة أى أغضبهم و أن يكون من وجد لى أحزن وجدا أى أحزنهم و قيل معناه

جعلهم واجدين فيه مقالا للتشنيع و هو محتمل .

نقمت الشيء و نقمته : اذا انكرته اما بلسان أو عقوبة قال الله تعالى « وما نقموا الا ان أغناهم الله و رسوله من فضله » و قد وجد بخط الرضى رضى الله عنه نقموا بكسر القاف و هو صحيح .

(الاعراب)

استعدادى : فى محل النصب على أنه اسم ان و خبره اغلاق للشام .

الواو فى و جرير للحال مخدوعا نصب على الحال من الضمير المستكن فى يقيم العايد الى جرير و العامل فيه يقيم اصل .

فلم أر له : من رأى يرى سقطت الياء بلم الجازمة الضمير فى أنه عائد الى عثمان و هو اسم ان و وال كقاض سقطت الياء فى الرفع و هو اسم كان و على الامة خبره و المجموع فى محل الرفع على أنه خبر ان .

و أحدث أحداثا ، يحتمل أن يكون نعتا لوال و هو الاولى و أن يكون جملة مستانفة مقالا على التفسير الذى اوردناه تمييز و على ما قيل مفعول لاسم الفاعل المقدر .

(المعانى)

تصدير الجملة الأولى بأن المحققة يؤذن بان الكلام فى مقام انكار المخاطبين ليردهم الى ما هو الصواب عنده و انما وقعت الحالة بين الاسم و الخبر لكونها الاهم و انما جاء بالواو لكون الجملة و ان كانت واردة على نهج الحال غير واردة على أصلها لكونها اسمية و لكن اورد لنفى ما اعتقدوه و حكموا به من أن الاستعداد صواب و اثبات ما هو الحق و هو تأخير

الاستمداد الى أن ينقضى الوقت المضروب ، و مخدوعا لكونه واردا على أصل الحال و نهجها عرى عن الواو و غيره من الروابط ، و هنا القصر للافراد على تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين له المعتقدين ان اقامته يمكن أن يكون لغيرهما .

و الحاصل أنه عليه السلام قصر حاله فى وقت الاقامة على أحد الأمرين تمنى علة اقامته لا يكون الا الخداع أو العصيان لأمرى . الفاء فى فارودوا لربط الجملة الطلبية بالخبرية الاسمية ظاهر أو لافادة أن مضمون الجملة السابقة سبب للامهال و التأخير و فى فلم أرلى الا القصر للافراد و فيه من الايجاز ما يشق غباره ولا يدرك شأوه ، الفاء فى فقالوا للسببية الدالة على أن السابق علة لقولهم و ايراد ثم يؤذن ان بين القول و التقم تراخيا و الفاء فى فغيروا من أفصح الفآت و الباقى واضح من القواعد السالفة .

(البيـان)

فى لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه استعارة مكنى بها عن التفكر و التدبر فى حاله عليه السلام مع معاوية و أهـل الشام مستدعية لتشبيه الأمر الذى هو عبارة المخالفة بينه عليه السلام و بين معاويـة فى الخلافـة و هو معقول بالحيوان الشموس الذى يحتاج الانسان فى سوقه الى المقصد الى تعب و ضرب له و هو محسوس . و وجه الشبه اشتراكهما فى احتياج سائقهما الى التعب و هو عقلى و لتخييل أن الأمر من أفراد الحيوان و الا لم يصح اسناد الانف و العين اللتين من خواص الحيوان اليه .

و ذلك مثل قولهم مخالب المنية قـد نشبت ثم فى ضربت أيضا

إستعارة تبعية تصريحية مستدعية لتشبيه قصده عليه السلام الرأى الصائب بواسطة احالة الفكر و اتعابه بقصد السابق عدول الحيوان الشموس عن غـــير الجادة اليها بواسطة ضرب العين و الانف اللتين هما اعزا اعضاء البدن و موقعا الضرب عند التوجه الى غيرها و وجه الشبه اشتراكهما فى الافتقار الى معين و هو عقلى وكنى بظاهر هذا الأمر و باطنه عن وجوه الرأى فيه من الأصلح الخافى على الاكثر و الصالح و الفاسد و الأفسد و الباقى ليس فيه شىء زايد .

(البديع)

بين عينه و ظهره التوازى و الباقى ظاهر .

(الفحوى)

اعلم أنه قد غلب على ظن كثير من الصحابة بعد أن بايعوا عليا عليه السلام أن معاوية لا يدخل فى بيعتهم بواسطه أمارات لاحت على صفحات أحواله وكذا أشاروا الى امير المؤمنين عليه السلام حين أرسل جرير بن عبد الله البجلى[1] ، الى الشام بالاستعداد للحرب روى أن جريرا قال حين تعين بيعته[2] ، و الله يا أمير المؤمنين ما ادخرك من نصرتى شيئا

(١) جرير بن عبد الله بن جابر ابو عبد الله البجلى اسلم قبل وفاة النبى صلى الله عليه و آله بار بعين يوما وكان حسن الصورة و كان له فى الحروب بالقادسية و غيرها اثر عظيم و جعله عمر بن الخطاب على بجيلة ، ارسله على عليه السلام الى معاوية لاخذ البيعة و طال مقامه بدمشق الى ان استدعاه على الى الكوفة ولما ورد الكوفة ترك عليا عليه السلام و اقام بقرقيسيا و مات بها فى سنة ٥١ .

(٢) كذا فى الأصل .

وما

وما أطمع لك فى معاوية فقال عليه السلام قصدى حجة اقيمها فكتب عليه السلام معه .

أما بعد فان بيعتى بالمدينة لزمتك و أنت بالشام لأنه بايعنى الذين بايعوا ابا بكر و عثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد و انما الشورى للمهاجرين و الانصار اذا اجتمعوا على رجل فسموه اماما كان ذلك رضا فان خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردوه الى ما خرج منه فان أبى قاتلوه على غير سبيل المؤمنين و ولاه الله ما تولى و نصله جهنم و ساءت مصيرا .

ان طلحة و الزبير بايعانى ثم نقضا بيعتى فكان نقضهما كردتهما فجاهدا على ذلك حتى جاء الحق و ظهر أمر الله و هم كارهون : فادخل فيما دخل فيه المسلمون فانّ أحب الامور الى فيك العافية إلا أن تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك و استعنت بالله عليك و قد اكثرت فى قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الى أحملك و اياهم على كتاب الله .

و اما تلك التى تريدها فخدعة الصبى عن اللبن و لعمرى أن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ قريش من دم عثمان و اعلم انك من الطلقاء الذين لا يتحلى لهم الخلافة ولا يعرض فيهم الشورى و قد ارسلت اليك جرير بن عبد الله و هو من أهل الايمان و الهجرة فبايع ولاقوة الا بالله فكتب اليه معاوية جوابا عن خطابه .

أما بعد و لعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك و أنت برئ من دم عثمان كنت كأبى بكر و عمر و عثمان و لكنك أغريت بعثمان و خذلت عنه الانصار فأطاعك الجاهل و قوى بك الضعيف و قد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين

و لعمرى ما حجتك على كحجتك على طلحة و الزبير لأنهما بايعاك ولم أبايعك وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لأنهم أطاعوك ولم يطعك أهل الشام وإما شرفك فى الاسلام و قرابتك من النبى عليه السلام و من قريش فلست ادفعه .

و روى أن الكتاب الذى كتبه عليه السلام الى معاوية صورته هكذا أنى قد عزلتك ففوض الأمر الى جرير و السلام ، ثم قال لجرير صن نفسك عن خداعه فان سلم اليك الأمر و توجه الى فاقم أنت بالشام و ان تعلل بشىء فارجع فلما عرض جرير الكتاب على معاوية تعلل بمشاورة أهل الشام و غيرها فرجع فكتب معاوية فى اثر كتاب على عليه السلام من ولاك حتى تعزلنى و السلام .

قوله ان الى ان ارادوه أشارة الى أن أهل الشام فى حال كون جرير عندهم فى حالة الكفر بين الموافقة و المخالفة فى أن [1] ، أصلح و أوفق لنظام حالهم و ربما استقر رأيهم الى الموافقة و ان لم يستقر رأى جميعهم فربما يستقر رأى بعضهم فلو اشتغلنا فى تلك الحال بالحال باستعداد لحربهم لبلغهم ذلك قصروا عن الموافقة و احتاجوا الى التأهب و الاستعداد للحرب أيضا فيصير استعدادنا للحرب سببا لغلق الشام بالكلية وردهم عن الخير الذى أرادوه الى ما هو باطل فلا يكون الاستعداد فى هـــذا الوقت مناسبا لحالنا .

قوله و لكن أبى عاصيا : أشارة إلى انى قد عينت فيه وقتا يتصل بنا فيه لا يمكن تخلفه الا لأحد ما تعين من الموانع الاختيار أحدهما من

(١) كذا فى الاصل .

قبلهم و هو خداعهم و الآخر من قبل جرير و هو عصيان أمرى و مخالفة منه و كلا الأمرين يتجليان عن قريب و انما قيدنا بالموانع الاختيارية لئلا يبطل الحصر بالموت أو المرض و غيرهما .

قوله و الرأى مع الاناة : أشارة الى أن الرأى الحق انما يبنا من التأنى فى الأمور و التفكر فى اختيار أصلحها و الى هذا أشار الرسول صلى الله عليه و آله الاناة من الرحمن و العجلة من الشيطان و اذا كان الرأى الصائب أن يكون بعد تأن و تفكر فاخروا الاستعداد ولا تعجلوا فى الظاهر ثم بين بقوله : ولا اكره لكم الاعداد و ان المامور به ليس التأخير من حيث الصورة الظاهرة التى يدركها كل أحد و أن اعداد أنفسهم للحرب ان احتجنا اليها مما لا ينكر فى العقل و الشرع .

قال بعض الشارحين : انما نبه به على أمرين أحدهما أنه ينبغى لهم ان يكونوا على يقظة من هذا الأمر حتى يكونوا حال إشارته عليه السلام إليهم قريبين من الاستعداد . الثانى لا يتوهم أحد فيهم الضعف و العجز عن مقاومة أهل الشام . و قال ابن أبي الحديد فان قيل كيف يمكن الجمع بين قوله ان استعدادى الى أن أرادوه المقتضى للنهى عن الاستعداد و كراهتـــه له .

قوله ولا اكره لكم الاعداد : المقتضى لنفى الكراهية قلنـا الأول محمول على الاستعداد بالظاهر و الثانى محمول على التهيؤ بالباطن فلا يناقض ولو قلنا أنـــه عليه السلام بين أولا ان اظهار الاستعداد للحرب اغلاق للشام بالكلية و ثانيا نبههم على أنه عليه السلام لا يكره لهم توطين نفوسهم على الحرب ان احتجت لكان جيدا .

قوله و قلبت الى بطنه : إشارة الى إحالة الفكر فى الافراد التى يمكن أن يتعلق بها الرأى و المبالغة فى التفتيش عما هو الاصلح و الأوفق بحسب ما يقتضيه العقل أو الشرع .

قوله فلم الى الكفر : إشارة الى تعيين ما استقر عليه رأيه من الأمور الممكنة بعد التصفح الكثير و التقليب الوافر و هو قتالهم و ذلك لأنه إن لم يحضره لزمه ترك قتالهم و هو مستلزم لكفره عليه السلام بما جاء به محمد صلى الله عليه و آله على ما صرح به فى موضع آخر و قال أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه و آله و ذلك محال أن يتعلق اختياره فتعين له قتالهم .

و حاصل الأمر أن خلاصة رأيى رجعت الى أحد أمرين إما قتالهم أو تركه المستلزم للكفر ، و الثانى محال اختياره فتعين الأول و انما قلنا باستلزام تركه الجحود لأنه عليه السلام قد أمره بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين فلو ترك المأمور به لكان لا يكون الا لعدم اعتقاده عليه به جل جنابه المقدس عنه و هو مستلزم للكفر قوله أنه كان الى آخره إشارة الى ما تصور معاوية فى حق و جعله سببا لعصيانه عن أمرى من نسبتى الى دم عثمان غير مطابق للواقع .

بل ليس الحامل للناس على القتل الا منه و ذلك لأنه وال للامة و من شأن الوالى قسط قساط العدل و قمع الأباطيل و عدم ترجيح أقاربه بمجرد القرابة على بعض أفضل منهم و أحدث أحداثا فى الدين ما أحدثها رسول الله صلى الله عليه و آله ولا الشيخان المقدمان عليه و جعل للناس بتلك

بتلك الأحداث ذريعة الى القول عليه فقالوا ما قالوا ثم أنكروا عليه باللسان و العقوبة فغيروه عما كان عليه ما قالوا ثم أنكروا عليه باللسان و العقوبة فغيروه عما كان عليه من الوجود و أزالوه و أما الأحداث التى نقلت عنه كثيرة و لكن المشهور منها بين أرباب التواريخ عشرة .

الأول تفويض امور المسلمين الى من لا يستأهل لها من الفساق رعاية لمجرد القرابة دون حرمة الاسلام كالوليد بن عقبة [1]، حتى بدا منه التظاهر فشرب الخمر و سعيد بن العاص [2]، الذى أخرجه أهل الكوفة منها بوساطة اقدامه على الامور الخارجة عن نظام الشرع المقدس و عبد الله بن أبى سرح الذى فوض اليه مصر و ظلم على أهلها و تظلموا منه و لأجل كثرة ظلمه كثر الجمع عليه و أشدوا الحصار عليه .

(١) الوليد بن عقبة بن ابى معيط الاموى اخو عثمان لأمه قال ابن ماكولا رأى الوليد رسول الله صلى الله عليه و آله و هو طفل صغير ، و قوله عزوجل ان جاءكم فاسق بنبأ نزل فيه . ولاه عثمان الكوفة كان الوليد شريب خمر صلى الوليد باهل الكوفة صلاة الصبح اربع ركعات ثم التفت اليهم فقال ازيدكم فشهدوا عليه عند عثمان بأنه شرب الخمر و تقيأها و قال لعلى اقم عليه الحد فامر عبد الله بن جعفر فجلده اربعين و بعد مقتل عثمان اعتزل و قيل شهد صفين مع معاوية و اقام بالرقة حتى توفى بها .

(٢) سعيد بن عاص القرشى الاموى ولد سنة احدى و قتل ابوه العاص يوم بدر كافرا قتله على بن ابى طالب استعمله عثمان على الكوفة بعد الوليد بن عقبة و لما قتل عثمان لزم بيته فلم يشهد الجمل ولا صفين ثم ولى المدينة لمعاوية وله اخبار مذكورة فى كتب الرجال .

الثانى التفاتـه الى الحكم بن[1] ، العاص ورده الى المدينة بعد طرده رسول الله صلى الله عليه و آله منها و امتناع الشيخين عن رده فهو خالف فيه سنة الرسول و سيرة الشيخين .

الثالث أنه تخصص أقاربه بالتوسع فى أموال المسلمين من غـير استحقاق و قد روى أنه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته أربع ماية ألف دينار و قد روى أيضـا أنه اعطى مروان بن الحكم مائة ألف دينار و ذلك مخالف لسنـة الرسول صلى الله عليه و آله و من بعده من الخلفـاء .

الرابع أنه حمى الحمى عن المسلمين بعد تسوية الرسول صلى الله عليه و آله بينهم فى الماء و الكلاء .

الخامس أنه قد سوى بين المقاتلة و غيرها فى اعطاء المال من بيت المال و ذلك غير جائز فى الدين .

السادس أنه ضرب عبد الله[2] ، بن مسعود و هو من اكابر الصحابـة

(١) الحكم بن ابى العـاص الاموى ابو مروان بن الحكم عم عثمان بن عفان قال جبير بن مطعم كنا مع النبى صلى الله عليه و آله فمر الحكم بن ابى العاص فقال النبى ويل لامتى مما فى صلب هذا و هو طريد رسول الله نفاه من المدينة الى الطائف و خرج معه ابنه مروان فلما ولى عثمان الخلافة رده الى المدينة و جعل مروان حاجبا له قالت عائشة يا مروان اشهد ان رسول الله لعن اباك و انت فى صلبه و قد روى فى لعنه و نفيه احاديث كثيرة فليراجع .

(٢) عبد الله بن مسعود الهذلى كان اسلامه قديما و هو اول من جهر بالقرآن بمكة =

و أساطينهم

و أساطيئهم حتى كسر بعض أضلاعه .

السابع أنه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت [1] ، و أحرق المصاحف و أبطل ما لا شك فى آية من القرآن و ذلك مخالف لفعل النبي صلى الله عليه و آله و الخلفاء من بعده .

الثامن أنه أقدم على عمار بن [2] ياسر بالضرب مع كونه من اعاظم الصحابة و علمه بما قال رسول الله صلى عليه و آله عمار جلدة ما بين عينى يقتله الفية الباغية لا أنالها الله شفاعتى حتى أصابه الفتق .

= و هاجر الهجرتين و صلى القبلتين و شهد بدرا واحد و الخندق و بيعة الرضوان و هو الذى اجهز على ابى جهل و شهد له رسول الله بالجنة ، وله اخبار كثيرة مذكورة فى كتب الرجال توفى ابن مسعود بالمدينة سنة ٣٢ .

(١) زيد بن ثابت الانصارى الخزرجى كان عمره لما قدم رسول الله صلى الله عليه المدينة احدى عشرة سنة و استصغره رسول الله يوم بدر فرده و شهد احدا و الخندق و كان ينقل التراب فقال رسول الله نعم الغلام و كان معه راية بنى النجار يوم تبوك و كان يكتب لرسول الله توفى سنة ٤٥ .

(٢) عمار بن ياسر المذحجى ابى اليقظان و هو من السابقين الاولين الى الاسلام و امه سمية اول من استشهد فى سبيل الله و هو و ابوه و أمه من السابقين ، مر رسول الله بعمار و أمه و أبيه و هم يعذبون بالابطح فى رمضاء مكة فيقول صبرا آل ياسر موعدكم الجنة ، فضائله كثيرة و مناقبه مشهورة استشهد فى صفين رضوان الله عليه .

التاسع اقدامه على[1] ، ابى ذر بكسر العرض مع علمه بأن رسول الله صلى الله عليه و آله اثنى عليه و قال ما أقلت الغبراء ولا اطلعت الخضراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر

العاشر أنه عطل الحد الواجب على عبيد الله بن عمر حيث قتل الهرمزان بمجرد تهمة أنه امرباللؤلؤة بقتل ابيه و قدكان على عليه السلام يطلبه بذلك فهذه هى الاحداث المستفيضة و المطاعن المشهورة و قد اجيب عن هذه الاحداث باجوبة .... [2] مذكورة فى الكتب المصنفة فى هذا القسم و انما ذكرناها ليعلم معنى قوله احدث أحداثا و الله اعلم بحقيقية الحال .

*****

(١) جندب بن جنادة ابو ذر الغفارى اسلم و النبي صلى الله عليه و آله بمكة اول الاسلام فكان رابع اربعة و هو اول من حيى رسول الله بتحية الاسلام و بايع رسول الله على أن لا تأخذه فى الله لومة لائم و على ان يقول الحق و ان كان مرا و قال رسول الله ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق من ابى ذر نفاه عثمان الى الربذة و مات بها وله اخبار كثيرة و فضائل مشهورة .

(٢) كذا بياض فى الأصل .

٤٣ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيبانى إلى معاوية ، وكان قد ابتاع سبي بنى ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقه ، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام :ـ

قَبَّحَ اللهُ مَصْقَلَةَ فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ ، وَلَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ .

(اللغــــة)

هرب أى فر

خاس به يخوس و يخيس أى غدر به يقال خاس فلان بالعهد أى نكث و قولهم خاس البيع و الطعام من خاست الجيفة أى أروحت أى كانه كسد حتى فسد .

قبحه الله أى نحاه من الخير فهو من المقبوحين .

مصقلة هذا كان عاملا لأمير المؤمنين عليه السلام عــلى أردشير خرة[1] ، و بنو ناجية قبيله نسبوا أنفسهم الى سامة لوى بن غالـب فدفعهم قريش عن هذا النسب و سمتهم بنى ناجية و هى اسم امرأة سامة .

ساد قومهم يسودهم : سيــادة و سؤودا أو سيدودة فهو سيدوهم ســـــادة .

تقديره فعلة بالتحريك لأن تقدير سيد فعيل مثل سرى و سراة ولا نظير لهما يدل على ذلك أنه يجمع على سيائد بالهمزة مثل تبيع و تبائع و قال أهل البصرة تقديره سيد فيعل و جمع على فعلة كأنهم و جمعوا أسايدا مثل قادة و قائد و ذائد و ذادة و قالوا انما جمعت العرب الجيد و السيد على جيائد و سيائد بالهمزة على غير قياس لأن جمع فيعل فياعل بلاهمز .

التبكيت كالتقريع و التعنيف و بكته بالحجة أى غلبه فى و فوره بالواو

---

(١) اردشير خره من اجل كور فارس و معناه بهاء اردشير و اردشير من ملوك فارس و اكثرهــا ممتد عــلى البحر شديدة الحر كثيرة الثمار قصبتها سيراف قال الاصطخرى اردشير خرة تلى كورة اصطخر فى العظم و مدينتها جور .

احديهما بالواو و هو مصدر وفر الشيء بنفسه أى تم و معناه و التام أراد به تمام ما كان عليه ، الثانيــة موفورة و الموفور الشيء التام و الأولى أصح و فى بعض الروايات لو أقام أخذنـا تاما قدرنا على أخذه منه فان اعسر انظرناه و ان عجز لم نأخذه بشيء .

(الاعراب)

ظاهر

(المعـانى)

انما قطع فعل ليؤذن بتعليل استحقاقه الدعا عليه بالبعد عن الخير و الباقى ظاهر .

(البيـان)

ليس فيه شيء يحتاج الى بيان .

(البديع)

راعى المقابلة حيث قابل السادة بالعبيـــد و الانطاق بالاسكات و التصديق و التبكيت أسكته و بكتـه المتوازى و بين ميسورة و موفورة و لكن بينه بين و فوره المطرف .

(الفحوى)

اعلم أن فى كيفية قصة مصقلة روايات احديهما روى أن أمير المؤمنين عليه السلام وجه معقل بن قيس الرياحى الى المرتدين بسيف البحر فقتل المقاتلة و سبى الذرية و أقبل فنزل أردشير خرة و بهـا مصقلة بن هبيرة

الشيبانى صاح السبي امتن علينا فاشتراهم مصقلة بثلاثمائة ألف و اعتقهم و أدى مائتى الف ثم هرب إلى معاوية فقال عليه السلام ذلك و أنفذ العتق فقال مصقلة شعرا .

تركت نساء الحى بكر بن وائل . و اعتقت سبيا من لوى بن غالب
و فارقت خير الناس بعد محمد . لمال قليل لا محالة ذاهب

الثانية روى أن مصقلة بن هبيرة اشترى سبيا من بنى ناجية بألف ألف درهم و هم النصارى و قد ارتدوا و لم يف ماله بذلك و طالبه أمير المؤمنين به وكان عاملا من جهة أمير المؤمنين عليه السلام على المدائن ثم على الانبار فدخل مصقلة على أمير المؤمنين عليه السلام و قال ما ضرك لو كانت هذه التكرمة منك و ان مالى لا يفى بذلك و ان عثمان بن عفان كان يهب الاشعث بن قيس[1] كل سنة من مال أذربيجان مائة ألف درهم و أنا أشرف من الاشعث و اجود منه .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لاحظ فى هذا المال و المال للسلمين فلا بد من أدائه فقال مصقلة أمهلنى فأمهله أمير المؤمنين عليه السلام عشرة أيام فسفر الى الشام فأمر أمير المؤمنين بتخريب داره بالمدينة فبنى معاوية

(١) اشعث بن قيس الكندى ابو محمد وفد الى النبى صلى الله عليه و آله سنة عشرفى وفد كندة فاسلموا . وكان الاشعث ارتد بعد النبى فسير ابو بكر الجنود الى اليمن فأخذوا الاشعث اسيرا فاطلقه ابو بكر و زوجه اخته و شهد الاشعث اليرموك و القادسية و نهاوند ثم سكن الكوفة و شهد صفين مع على عليه السلام و لكن كان منافقا و الزم عليا على التحكيم ، و ابنته جعدة سمت الحسن بن على و ابنه محمد بن الاشعث شرك فى قتل الحسين .

له دارا بدمشق و اكرمه و انعم عليه فقال عليه السلام ذلك .

الثالث روى ان الحريث أحد بنى ناجية شهد أمير المؤمنين عليه السلام صفين ثم استهواه الشيطان فصار من الخوارج بسبب التحكيم فخرج هو و أصحابه الى المدائن مفارقا لعلى عليه السلام فوجه اليهم معقل بن قيس فى ألفى فارس من البصرة و لم يزل يتبعهم بالعسكر حتى ألحقوهم بساحل فارس وكانت جماعة كثيرة من قوم الحريث وكان فيهم من أسلم من النصرانية فلما رأوا ذلك الاختلاف ارتدوا و اجتمعوا عليه فاستولى معقل عليهم بقتل الحريث و جماعة منهم و سبا من كان ادرك منهم و سبا من الرجال و النساء ممن كان مسلما اخذ بيعته و خلى سبيله و احتمل الباقين من النصارى و عيالهم معه وكانوا خمسمائة نفر مرّوا بمصقلة .

فاستغاث اليه الرجال و طلبوا منه أن يعتقهم فبعث الى معقل بن قيس فابتاعهم منه بخمسمائة ألف درهم ثم وعده أن يحتمل المال فى أوقات مخصوصة فلما قدم معقل على أمير المؤمنين عليه السلام و اخبره القصة و شكر سعيه و انتظر المال من يد مصقلة فأبطأ به فكتب اليه باستعجاله أو بقدومه عليه فلما قرأ كتابه قدم عليه السلام و هو بالكوفة فسكت عنه اياما ثم طالبه بالمال فأوفى منه مائة ألف درهم و عجز عن الباقى و خاف فلحق بمعاوية فبلغ ذلك عليا عليه السلام فقال الفضل و التباين بين الروايات أبين من أن يحتاج الى بيان [1] .

اعلم أنه عليه السلام بعد الدعاء عليه بالبعد عن الخير أشار اليه

(١) كذا .

بقوله .

بقوله فعل الى العبيد الى أنه قد أخطا خطاء تاما حيث أقدم على شرى السبي و عتقهم اسوة بالسادة ذوى المروة و الحمية ثم هرب الى الشام و أتى بخصلة من خصال العبيد و هى الفرار ، ثم أنه عليه السلام اكد بيان خطائه بمثلين إحديهما أشار إليه بقوله فما انطق مادحه حتى أسكته أى أنه ما انطق مادحه بالاقدام على شرى الاسارى و اعتاقهم حتى جهل اسكاته مقرونا بانطاقه بهربه الى الشام .

و الحاصل ان احراز الفضيلة انما يكون باتمام أسبابها فاذا حصل بعضها صدق على من حصله أنه قد فعل فعلا استحق به المدح و اذا قصر فى الباقى حتى استولى عليه الرذيلة صدق على المقصرانه قد فعل ثانيا اسكت مادحه عن مدحه بسبب الفعل الأول و هذا مثل قولهم ما اجتمعوا حتى تفرقوا أى ان اتصال افتراقهم باجتماعهم فى أسرع زمان و يحتمل ان يكون معناه فما انطق مادحه بالاتيان بالفعل الجميل حتى أتى بفعل قبيح اسكته عن مدحه يعنى أنه جمع بين فضيلة فى أسرع اوقات .

الثانى أشارة إليه بقوله : ولا صدق و اصفه حتى بكته .

أى ما صدق قول و اصفه المبنى عن خصال الحميدة حتى جاء برذيلة منعته عن و صفه بالخير و هو قريب مما قلنا قوله : لوأقام الى و فوره أشارة الى تعيين طريق آخرله غير طريق الفرار و هو أنـه لوأقام عندنا لأخذنا ما قدر عليه و تيسر له و انتظرنا بما له بلوغه الى التمام اقتفاء لمقتضى قوله تعالى : و ان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، و هذه الرواية أشهر ماوردناه مبنيا على الروايات و بالله الحول و القوة .

* * * * *

٤٤ — ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ للهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ مِنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ، وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ، فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ

(اللغـــة)

القنوط : اليأس من الخير و قـد يقنط قنوطا مثل يجاس جلوسا و كذلك قنط يقنط مثل قعد يقعد فهو قانط و فيه لغة ثالثة قنط يقنط قنطا مثل تعب يتعب تعبا و قناطة فهو قنط قال الأخفش : و أما قنط يقنط بالفتح فيهما و قنط بالكسر فيهما فانما هو على الجمع بين اللغتين .

اليأس : انتفاء الطمع و قد يئس من الشيء ييأس يأسا و فيه لغة أخرى يئس ييئس بالكسر فيهما و هو شاذ .

الغفر : أصل اللغة هو إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس و منه قيل اغفر ثوبك فى الوعاء و اصبغ . . . [1] فانه أغفر للوسخ و الغفران و المغفرة من الله تعالى هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب و الاستغفار طلب ذلك بالمقال و الفعال .

نكفت من ذلك الأمر نكفا و استنكفت منه : أنفت و أصله من نكفت الشيء نحيته و من النكف و هو تنحية الدمع عن الخد بالاصبع ، لا حرج فيه روايتان الفتح و الضم و الفتح أولى .

يقال برح بالمكان يبرح براحا : أى زال عنه و صار إلى البراح و هو المتسع من الأرض لا زرع فيها و لا شجر و من قال أن الضم أولى لأنه من برح يبرح أى جاء بالعجب فقد جاء بالعجب لأنه بعد صحبته لا يناسب المقام و يريد أن البراح كثيرا ما يستعمل فى الزوال .

---

(١) كذا بياض فى الأصل .

قولهم لا أبرح افعل كذا أى لا زال أفعله و ذلك لأن نفى الزوال اثبات. الفقد عدم الشيء بعد وجوده أخص من العدم لأنه يقال فيما وجد ثم عدم و فى ما لم يوجد أصلا. منى أى قدر.

الجلاء بالمد: الخروج عن الوطن. التبست أى اختلطت و مزجت.

الكفاف: القوت و هو ما كف عن الناس أى اغنى و فى الخبر اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا.

البلاغ: الكفاف و الكفاية و منه قول الراجز.

ترج من دنياك بالبلاغ.

(الاعراب)

غير: حال من الله و يكون بمعنى لا كما فى قوله تعالى: «فمن اضطر غير باغ و لا عاد» و العامل فيه المصدر و هو الحمد و المنفيات الثلاثة بعده أيضا فى محل النصب على الحال و الباقى ظاهر.

(المعانى)

لما كان الحال فى التحقيق ما بعد غير كانت جارية على أصلها و نهجها معا و انما أتى بالأحوال الأربعة ليؤذن بتعليل استحقاقه الحمد ثم تكريره باعتبار وصفين آخرين فى قالب الموصول و الصلة دليل باهر على أن استحقاقه مسبب بعدم زوال رحمته و عدم فقدان نعمته و انه فى غاية العظمة و انما نكر رحمة و نعمة ليؤذن بعموم افرادهما أى انه هو الذى لا يزول منه فرد من افراد الرحمة و لا يفقد له فرد من أفراد النعمة و شخص من أشخاصها يعنى هو الآتى بجميع أشخاصها و ذلك لأن النكرة فى سياق النفى

يدل على العموم و انما نكرة دار ليؤذن بتحقيرها من أول الأمر .

ثم اتى بوصفه لينزجر السامع منها إذا رجع عقله و علم أن الفانى لا يركن اليه العاقل فى قوله و هى حلوة خضرة خواص احديها ذكر المسند إليه مضمر ليؤذن بالاهتمام بشأنها لتقرر صورتها فى ذهن السامع و بالاختصار المطلوب للبلغاء الثانية ايراد المسند نكرة ليؤذن بتحقيرها أى ليست حلاوتها لغاية حقارتها مما يبقى زمانا كثيرا و هذا قد أشار إليه على سبيل المطابقة بقوله : و قد عجلت للطالب و لا خضر بها أى طراوتها مما يلتفت إليه العاقل لحقارتها .

الثالث ايراد المعنى المراد فى الجملة الاسمية ليدلّ على الاستقرار و الثبوت الفاء فى فارتحال تقديره إذا كان حال الدنيا كذلك فارتحلوا فى بأحسن ما بحضرتكم من الزاد و لاحمال حيث ذكر ما موصولة و جعل الجار مع مجروره صلة له ليدل على أن شيئا ما فى حضرتكم يكون أحسن كل شيء يصلح أن يكون فى صحبة المرتحلين و . . . (١) التفصيل حيث بين بقوله من الزاد و اشتماله على الايجاز واضح و الباقى واضح .

(البيان)

فى و هى حلوة خضرة : يحتمل أن يكون من باب اطلاق الجزء على الكل و أن يكون استعارة مستدعية لتشبيه الدنيا بالمشتمل على الحلاوة و الخضرة و وجه الشبه أن الدنيا يميل إليها كل نفس ميلها إلى الشيء الحلو و تعلق بها كل نظر تعلقه بالأشياء الخضرة الطرية و هو عقلى و هى جيدة .

(١) كذا بياض فى الأصل .

فى

في دار الغرور : استعارة تصريحية تخييلية مستدعية بالحقيقة تشبيهات ثلاثة .

أ ـ تشبيه الحج بالمنزل الذي يرحل منه المسافر ووجـه الشبه اشتراكهما في ضرورة مفارقتهما .

ب ـ تشبيه الآخرة التي هي معرفة الله تعالى وهي معقولة بالمقصد للمسافر وهو حسي ووجه الشبه أن المقصد الخلائق بمقتضى أمر الله تعالى كما أن المقصد مطلب المسافر ومقطع سفره وهو عقلي .

ج ـ تشبيه هيئة قطع المنازل المدركة بعدد العقل لخروج المفارقة عن المنازل التي يحل فيها في أيام القطع وهي محسوسة ووجه الشبه اشتراكهما في السير وعدم الاتصال في المنزل وهو عقلي . وقد رشح تلك الاستعارة بذكر الزاد ومستلزماته على التقوى وقد عرفت وجهها فيما قبل وكنى عما حضركم عن الأعمال الصالحة التي ينتفع الانسان عليها إذ الحضور من لوازم المنفعة .

(البديع)

وقع بين القرار والدار الأول متوازي وبين رحمة ونعمة متوازي والترصيع كما بين غده وجلاه وبين الطالب والناظر متوازن كما بين الطالب والمطالع وفي قوله حلوة خضرة الخ .

(النحوي)

[illegible] سلامه [illegible] على مستحقه [illegible] مطلق [illegible] باعتبار [illegible] .

الأولى أشار إليها بقوله : غير منقوط من رحمته و هى حالة مأخوذة من قوله تعالى : « و رحمته وسعت كل شىء[1] » ، و قوله تعالى : « و لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » و إذا حقق العبد أن الله مما لا يجوز أن يحصل القنوط من رحمته بناء على انها شاملة لجميع أفراد الخلق بحيث لا يمكن الخلو عنها لأن الجميع مسندا إلى قدرته و هى حافظة للكل و انه رحمة أجل الحفظ طفر الى[2] الثناء عليه و مقابلة رحمته العامة الشاملة له التى لا يزول عنه بحال ما يكون فى وسعه من الحمد على جميل ذاته و من عمى أبصار بصيرته عن هذا المقام حصل له اليأس من رحمته فأولئك هم الخاسرون الآيسون من روحه .

الثانية أشار إليها بقوله : و لا مخلو من نعمته و هى مأخوذة من قوله تعالى : « و ما بكم من نعمة فمن الله[3] » ، و هذه أيضا مما يحث الحامد على حمده و ذلك لأن العبد إذا رجع عقله و تصور انه مسخر تحت قدرته قائم بها يحتاج إليها لكونه ممكنا محتاج إلى سبب و فيض يفيض عليه لحظة فلحظة استلزم ذلك وجوب تصريحه بلسان حاله أو مقاله بالثناء المطاق و الحمد اللايق به و العلم بأن كل ممكن لا يكون خاليا عن فيضه و نعمه و كذا ينبىء لسان حاله عن الثناء عليه و إليه اشار تعالى بقوله : « و ان من شىء إلا يسبح بحمده و لكن لا يفقهون تسبيحهم[4] » .

الثالث أشار إليها بقوله : و لا مأيوس من مغفرته ، و هى مأخوذة

(١) الاعراف : ١٥٦ .
(٢) كذا فى الأصل .
(٣) النحل : ٥٣ .
(٤) الاسراء : ٤٤ .

من قوله تعالى « يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا[1] » و من قوله تعالى : « ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم[2] » دالة على أن مغفرته شاملة لكل من كان له مثل إلى جناب الله الرفيع .

لكن قد استهوته الشياطين و أوقعته فى مهاوى الهوى بحيث لا يبقى له قوة المقاومة مع هواه بأن يخلصه فى العافية عن البقاء فى تلك الهاوية و إليه أشار الرسول صلى الله عليه وآله : من قال لا إله إلا الله فقد دخل الجنة فاذا لاحظ العبد هذه الحالة جذبته إلى الاعتراف بعموم احسانه المستلزم لأن . . .[3] لسان حاله أو مقاله بالثناء المطلق عليه .

الرابعة أشار إليها بقوله : و لا مستنكف عن عبادته و هى مأخوذة من قوله تعالى : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله و لا الملائكة المقربون[4] » و كونه تعالى بهذه الصفة يستلزم الاعتراف بأنه المستحق للتعظيم و الثناء عليه و انه الكامل المطلق الذى خلى بالكلية عن جهة النقصان و أما الوصفان الآخران فأشار إلى الأول منها بقوله : الذى لا تبرح له رحمته أى أنه الذى لا يزول منه رحمة بل رحمته دائمة باقية بقاء الملوبن[5] بل بقاء الذات .

و إلى ثانيهما بقوله : و لا تفقد له نعمة يعنى الذى لا يعدم النعمة التى أفاضها على أحد من خلقه ما دام استعداده باقيا و هو وصف له تعالى

(١) الزمر : ٥٣ . (٢) الرعد : ٦ . (٣) كذا بياض .
(٤) النساء : ١٧٢ . (٥) كذا .

بأنه لا يخل فى افاضة نعمته إذا كان القابل مستعدا لقبولها و بينه و بين قوله و لا يخلو من نعمته فرق إذ ذاك دال على شمول نعمته و هذا على عدم زوال نعمته بعد وجودها عند وجود استعداد القابل .

ثم أردف ذلك بالتشبيه على معايب الدنيا و مثالبها لئلا يركن إليها الطالب و يتخلف بركونه عن قطع العقبات الكؤودة فى طريق الآخرة فيبقى فى حكمة الذل اسيرا و عن لذة العزة غرا غريرا و قال : الدنيا إلى الجلا أى الدنيا دار قد وجب لها الفناء فى العاقبة على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « كل شىء هالك إلا وجهه[1] » و قدر لأهلها المنهمكين على لذاتها و غيرهم الخروج عنها على ما ينبىء عنه .

قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت[2] » و كل شىء ما له فى الفناء لا يحسن من العاقل لو كان باقيا أن يوطن نفسه على حبه خصوصا إذا كان هو أيضا فى مدرج الفناء بحيث لا يمضى عليه ان إلا و يتوقع الخروج منها ثم اشار أن لذاتها مع كونها على صدر الفناء ليست مما كان للعقول بها التذاذ بل لا تجد بها لذة إلا الحسن الظاهر و ذكر من متعلقات الحواس جهتين .

احديهما منسوبة إلى القوة الذائقة و هى حلاوتها و الأخرى إلى القوة الباصرة و هى خضرتها لأنهما هما الأعظمان و كل ما ليس للعقل به التذاذ فكيف يصح للعاقل أن يتبع عقله حواسه و يعرض وجه عقله بالكلية عن القبلة الحقيقية التى ملاذا العقول ثم نبه بقوله قد عجلت للطالب

(١) القصص : ٨٨ .　(٢) الانبياء : ٣٥ .

و التبست

و التبست بقلب الناظر على أن لذاتها مع كونها حسية ليست باقيــة أو بطيئة بل ربما لا يبقى ساعة و أن من طلبها فقد أوتى إياها حتى تعلقت بقلبه محبته ثم عجلت له و لزمه مفارقته عنها غير منتفع بها .

و إلى هذا أشار القرآن الكريم بقوله : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا[1] » و انما خص الناظر بالذكر لأن الخضرة التي توجه القلوب إليها هي حظ النظر ثم لما نبه على معاتبها أمر بالارتحال عنهـا و قال فارتحلوا منها إلى الزاد يعني إذا كان حال الدنيا هكذا فلا يجوز للعاقل أن يترك التوجه إلى المقصد الذي يطابق العقل و الشرع على سلوك الطريق المسلوك إليه و توطن قلبه على المقام .

بل لا بد له من أن يجعل العقل و الشرع دليلين و يقتدي بهما في قطع العقبات الشاقة التي في الطرائق المسلوك إلى المقصود الذي هو الوصول إلى حضرة الله و مطالعة أنوار كبريائه و يرتحل أولا من علائق الدنيا التي هي أول منزل من منازلها و لكن مطلقا بل لا بد معه من مصاحبة أحسن ما يحتاج إليه في قطع الطريق و هو الأعمال الصالحة بل التقوى على ما دلّ عليه قوله تعالى : « و تزودوا فان خير الزاد التقوى[2] » كما هو دأب المرتحل عن أول منازل سفره فانه يرتحل مصاحبا للزاد المحتاج إليه .

ثم نبه بقوله و لا تسئلوا إلى الآخر على ان البدن الذي هو مركب نفسه لا بد له أيضا من زاد يتقوى به على قطع المراحل و لكن لا يجوز

(١) الاسراء : ١٨ .   (٢) البقرة : ١٩٧ .

أن يأخذ أكثر مما يحتاج إليه فانه يثقل الظهر و يمنعه عن قطع المنازل كما ان الراكب لو حمل أكثر مما يطيق أن يحمله لثقل ظهره و عجز عن السير و بقى فى الطريق محبوسا عن الوصول إلى المقصد منكوسا و من هذا النهى يعلم أن ما يحتاج إليه المرء فى المطعم و الملبس و المسكن الضرورية ليس من الدنيا التى تطابقت الأخبار و الآثار على ذمها فاعلم و الله أعلم بحقيقة الحال.

* * * * *

٤٥ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

عند عزمه على المسير إلى الشام

اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِى الْأَهْلِ وَالْمَالِ . اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِى السَّفَرِ ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِى الْأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ : لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَبًا ، وَالْمُسْتَصْحَبَ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا .

(اللغـــة)

وعثاء السفر : مشقته و هو من الوعث هو المكان السهل الكثير الدهش يغيب فيه الاقدام و يشقّ على من يمشى فيه أوعث القوم أى وقعوا فى الوعث .

الكآبة : سوء الحال و الانكسار من الحزن و قد كئب الرجل يكئب كابة و كآبة مثل رأفة و رآفة فهو كئب و امرآة كئيبة أيضا و المنقلب : المرجع .

الخليفة : السلطان الأعظم فى الأصل و الجمع الخلائف على الأصل مثل كريمة و كرائم و خلفاء نظرا إلى أن الهاء فيه غير معتبر لأنه لا يقع الا على مذكر فيكون كظريف و يقال خلف فلان فلانا إذا كان خليفة و استخلفه أى جعله فالمستخلف هو الذى جعل خليفة كما أن المستصحب هو الذى جعل صاحبا .

(الاعراب)

الضمير فى لا تجمعها : للصحبة و الخلافة الدال عليهما الصاحب و الخليفة و الباقى ظاهر .

(المعانى)

تشم من أنت الصاحب فى السفر رايحة القصر للافراد و كذا من أنت الخليفة فى الأهل اللام فى الصاحب و الخليفة للحقيقة أى أنت الصاحب الحقيقة . . .[1] الذى لا يصح اطلاق الصاحب بالحقيقة الا عليك

(١) كذا بياض فى الأصل .

وأنت الخليفة الذى يجب أن تعول عليه لأنه المتحقق فى الخلافة و تكرير أنت يؤذن بالاهتمام بشأنه .

(البيان)

ظاهر ليس فيه شىء زائد .

(البديع)

ظاهر .

(الفحوى)

روى أنه عليه السلام دعا بهذه الدعاء عند وضعه رجله فى الركاب اعلم أن مقصوده عليه السلام من هذا الدعاء التجاء إلى الله فى خلاص نفسه عن الشدائد العارضة فى أثناء السفر العائقة عن قطع المراحل و المنازل و عما تسوء الحال . . . [1] المرجع من اصابة الحزن على الأمر الفائت و المعلولية و سلامتها فى الأحوال المقوية لها على الوصول إلى المقصود و بدأ بالنفس لانها أم الباب ثم ما يتعلق به من الأهل و المال و الولد .

ثم اعترف بأنّ عنايته هى الأصل دون عناية غيره تعالى و ان رعايته و حفظه هى الأصل دون رعاية غيرهما و قال : اللهم أنت الصاحب أى أنت الذى تنظر بنظر العناية إلى السالكين فى طريقك و أنت الذى تراعى أمورهم و يحفظها عن أن يتطرق إليها فساد ، ثم نبه بقوله :

(١) كذا بياض فى الأصل .

و لا

و لا يجمعهما غيرك على أنه تعالى بريء من الجهات و المكان عالم بالمشهد و المغيب اذ من المحال أن يكون ذو الجهة من الأجسام فى حال واحدة مستخلفا مستصحبا على ما أشار إليه بقوله: لأن المستخلف لا يكون مستصحبا و المستصحب لا يكون مستخلفا و الله أعلم.

* * * * *

٤٦ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فى ذكر الكوفة

كَأَنِّى بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ، وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ، وَإِنِّى لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءًا إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ.

(اللغـــة)

العكاضى : منسوب إلى عكاظ و هو اسم سوق للعرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها فى كل سنة فيقيمون شهرا و يتباعون و يتناشدون شعرا و يتفاخرون قال أبو ذويب :

إذا بنى القباب على عكاظ ﻫ و قام البيع و اجتمع الالوف

أى بعكاظ فلما جاء الاسلام هدم ذلك .

عركت الشيء : أعركه عركا دلكته .

النوازل : جمع نازلة و هى الشدة الحادثة من المصيبة .

الزلازل : الشدائد .

الجبار : فى صفته الانسان يقال لمن يجبر بقصه (١) بادعآء منزلة من المعالى لا يستحقها و هذا يقال الا على سبيل الذم و كثر استعماله فى الحاكم الظاهر الظلم و قد قال الجوهرى الجبار الذى يقتل على الغضب .

أما فى وصفه تعالى نحو الجبار المتكبر فقد اختلفوا فى سبب وصفه به قيل : سمى بذلك لأنه هو الذى يجبر الناس بفائض نعمه من قولهم جبرت الفقير و قيل لأنه يجبر الناس على حسب ما يريد و قد رده لفظا و معنى أما لفظا فلان وزن فعال لا ينبىء من اجبرت و من قال انه من الجبر الذى بمعنى القهر المجرد كما فى قوله عليه السلام : لا جبر و لا تفويض لا من لفظ الاجبار فقد أخطأ يعنى لأنه يستلزم الجبر المنفى اما معنى فلانه يستلزم رفع التكاليف السمعية كلها و ابطال أحكام الكتب السماوية .

---

(١) كذا .

قال بعض المحققين : ان الله تعالى أجبر الناس على أشياء لا انفكاك لهم منها حسب ما يقتضيه الحكمة البالغة الالهية لا على ما يتوهمه الغواة الجهلة و ذلك كاكراههم على المرض و الموت و البعث و سخر كل منهم لصناعة يتعاطاها و طريقة من الأخلاق و الأعمال يتحراها و جعله مجبرا فى صوره مخير فاما راض بصنعته لا بل تدعنها[1] حولا و اما كاره لها يكابدها مع كراهية لها كأنه لا يجد عنها بدلا .

و من ثم قال تعالى : « كل حزب بما لديهم فرحون » و قال تعالى أيضا : « نحن قسمنا بينهم معايشهم فى الحيوة الدنيا[2] » و على هذا الحد وصف بالقاهر و القهار و هو لا يقهر الا على ما يقتضى الحكمة أن يقهر عليه و إلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال يا بارئ المسموكات و جبار القلوب على فطرتها شقيها و سعيدها و هو تحقيق حسن جدا يدفع ما ذهب إليه المجبرة الغواة .

قال ابن قتيبة : هو من جبرت العظم فانه أجبر القلوب على فطرتها من المعرفة و هو ذكر لبعض ما حققناه . . . [3].

السوء اسم لكل ما يوقع الانسان فى الغم من الأمور الدنيوية أو الأخروية و الأحوال النفسية و البدنية و الخارجة من فوات مال و فقد حميم .

---

(١) كذا . (٢) الزخرف : ٣٢ .

(٣) كذا بياض فى الاصل .

(الاعراب)

بل هو خبر كان و اسمه الراجع إلى نفس المتكلم و تركبين و تعركين في موضع النصب على الحال تقدير الخطاب كأني حاضر بك حال كونك مما تعرك بالنوازل و تركب بالزلازل و الباقي ظاهر .

(المعـانى)

إنما لم يجيء بالواو في صدر تمدين و ما بعده من الجمل التي في محل النصب على الحال لكونها واردة على أصلها و نهجها معا و ذلك نحو جاء زيد يسرع أو يتكلم . في انى لا أعلم إلى آخره خواص .

احديها تصدير الجملة بأن و اللام ليوذن بأن الكلام قد اجراه عليـه السلام في مقام الانكار كأنه نزل الكوفة منزلة من يفهم الكلام و هو منكر لمضمون ما ألقي إليه ليقرر مضمونه في قلوب المنكرين .

الثانية جعل الخبر لأعلم ليؤذن بحصول علمه له في الحال على سبيل الإستمرار إذا اللام مخلصة للحال كما في قوله تعالى : انى ليحزنني و تقديم المسند إليه دليل الاستمرار نحو قوله تعالى : الله يستهزى .

الثالثة جعل المعلوم مصدرا بأن مع ضمير الشأن ليوذن بالتحقيق و بالاجمال و التفصيل لما عرفت في المقصد الاول من القاعدة الثانية .

الرابعة ايراد فاعل أراد و مفعوله منكرا ليدل على العموم .

الخامسة ايراد الكلام على وجه يفيد القصر . . . . [1] أكثر من المذكور منها و الله أعلم .

---

(١) كذا بياض في الاصل .

٤٧ — ومن خطبة له عليه السلام

عند المسير إلى الشام

اَلْحَمْدُ للهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ ، وَالْحَمْدُ للهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ ، وَالْحَمْدُ للهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافَإِ الْإِفْضَالِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي ، وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي ، وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هٰذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ مِنْكُمْ مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دَجْلَةَ ، فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ ، وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ .

قال الشريف : أقول : يعنى عليه السلام بالملطاط السمت الذى أمرهم بنزوله وهو شاطئ الفرات ، ويقال ذلك لشاطئ البحر ، وأصله ما استوى من الأرض . ويعنى بالنطفة ماء الفرات . وهو من غريب العبارات وأعجبها

(البيان)

فى تمدين مد الاديم : استعارة ينبىء عنه قوله تعالى : « ان فى خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولى الألباب »[1] .

و ثانيا كررا الحمد مقيت[2] بظهور النجم و خفوقه تنبيها على أن فيهما مع ضروب الالاء و صنوف النعماء و بها يستحق أن يحمد و قد أشبعنا الكلام فيه فى أول الخطبة .

و ثالثا ذكر الحمد لله فى حال كون إنعامه على الخلائق غير مفقود بل هو دائم الفيض و كون أفضاله مما لا يمكن أن يقال بل بحراء على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « و ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »[3] و أشار إليه و قال الحمد لله إلى الافضال و قد سبقت الاشارة إلى هذا المقام .

فأما قوله أما بعد : إلى آخره فمعناه أما بعد حمدا لله تعالى قد بعثت أى ارسلت مقدمتى للجيش و هو زياد بن النضر و شريح بن دانى فى اثنى عشر ألف فارس و أمرتهم ان يلزموا شاطىء الفرات و لا ينحرفوا عن سمته حتى يأتيهم أمرى فيما هو المصلحة لهم فامتثلوا أمره و اخذوا شاطئها من قبل البر مما يلى الكوفة حتى بلغوا غايات .

قد رأيت أى قد اقتضى رائى أن أقطع هذه النطفة .

أى أعبر هذه الفرات إلى جماعة قليلة منكم قد اتخذوا أوطانهم جوانب دجلة و أشار إلى أهل المدائن فاقيمهم معكم ليتوجهوا ناصرين لكم

(١) سقطت الخطبة ٤٨ و اوله الحمد لله كلما وقب ليل . (٢) كذا .

(٣) النحل : ١٨ .

إلى عدوكم و أجعلهم من امداد القوة لكم أى أقويكم بهم و يمددهم و روى أنه لما بلغهم أنه عليه السلام سار على طريق الجزيرة و ابن معاوية خرج فى عمومه لاستقباله كرهو أن يلقوهم و بينهم و بين عليّ الفرات مع قلة عددهم فرجعوا حتى عبروا الفرات من هيت[1] و لحقوا به فصوب آراءهم فى الرجوع إليه و الله أعلم .

* * * * *

(١) هيت بالكسر بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الانبار .

٤٨ – ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ ، وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ ؛ فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ ، وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ : سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ . وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ . فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ : لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ ، وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ – تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ ، وَالْجَاحِدُونَ لَهُ – عُلُوًّا كَبِيرًا .

(اللغـــه)

بطنت الوادی : أی دخلته و بطنت الأمر أی عرفت باطنه و منه الباطن فی أسماء الله عز و علا الامر : الشأن و جمعه امور .

دنوت منه دنوا : أی قربت فالدنو القرب بالذات أو بالحکم و قد یستعمل فی المکان و الزمان و المنزلة .

الجحود : الانکار مع العلم ، یقال جحده حقه و بحقه جحدا و جحودا .

(الاعراب)

به : متعلق بساواهم و الضمیر فی به لله تعالی تقدیره ولا قربه تعالی ساواهم بالله فی المکان .

(المعـانی)

ایراد الموصول مع صلته یؤذن بتعظیم من وجه الحمد الیه و أتی بالموصول مشیرا الیه و فی لا قربه ساواهم القلب أو التقدیر ولا قربه تعالی ساوی الله تعالی بالخلق فی المکان الذی لهم انما قطع سبق لعدم الربط بینه و بین ما قبله لهذا و انما جاء بالفاء لیتم الربط من الجملة الاسمیة الدالة علی الثبوت و الفعلیة الدالة علی التجدد و الله اعلم و هذه الکلمات کأنها اعلام فی الایجاز و الاختصار .

(البیـان)

لیس فیه شیء إلا اعلام الظهور فانه استعـارة تصریحیة مستدعیة

لتشبيه أثاره الظاهرة الدالة على كمال قدرته بالاعلام المنصوبة فى الطريق و الحيس[1] ، و هما محسوسان و وجه الشبه اشتراكهما فى الهداية .

(البديع)

راعى بين خفيات الامور و أعلام الظهور من المحسنات المعنوية المقابلة حيث قابل الظهور بالخفاء و من اللفظية المتوازى و الترصيع كما بين يبصره و تنكره و بين سبق الى اقرب منه المقابلة التامة حيث قابل العلو بالدنو و الأعلى بالاقرب وكذا فيما بعده و بين الوجود و الجحود المتوازى و الترصيع و فى سبق الى اعلا منه رد العجز على الصدر كما بين قرب الى أقرب منه و الله اعلم .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام حمد الله تعالى فى هذه الخطبة باعتبار اوصاف اجتمعت له تعالى مما لا يمكن اجتماعه لأحد من المخلوقات قوله : الذى بطن خفيات الامور يحتمل معنيين أحدهما أنه دخل فى بواطن الامور المخفية بحيث لا يمكن[2] ، صار أخفى منها عند العقول و الدليل عليه ان طريق الادراك اما الحواس أو العقل أما الحواس فلانه تعالى منزه عن الجسمية و الجهة ولا شىء مما ليس بجسم ولا ذى جهة مما يدركه الحواس الظاهرة ينتج أنه تعالى لا يدركه احدى الحواس .

اما العقل فلان ذاته تعالى منزها عن الحا . . . [2] التراكيب ولا شىء مما كان منزها عنها بمدرك للعقل كما هو ينتج أنه تعالى لا يدركه العقل

(١) كذا فى الاصل . (٢) كذا فى الأصل .

كما هو و اذا كان مما لا سبيل للعقل ولا لحس من الحواس الى ادراكه مدخل كان خفيا عندهما و أخفى الامور الباطنة لامكان اطلاع العقل عليه ان لم يمكن اطلاع الحس عليها .

الثانى أنه نفذ علمه فى بواطن خفيات الامور بحيث لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و الأرض و قد سبق بيان أنه عالم ببواطن الامور و ظواهرها قوله : آثار صنعه الظاهرة فى العالم بذاتها المحدثة المحوجة لذاتها [1] الى الاستدلال بها على الانتهاء الى سبب واجب وجوده غيره مفتقر الى آخر و الى هذا أشار القرآن الكريم بقوله : سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم أفلا تبصرون .

اعلم أن للناس فى اثبات واجب الوجود طريقتين أحدهما الاستدلالى بالأثر على المؤثر و هذا طريق المليين و ساير فرق المتكلمين فانهم يثبتون أولا حدوث الاجسام و الاعراض ثم يستدلون بعوارضها واحدة فواحدة على صفاته تعالى مثلا يستدلون باتقانها و أحكامها على كون فاعلها عالما حكيما و يتخصص تعالى فانه العالى بالمكانة و هى المنزلة لذاته لأنه مبدأ كل موجود و مرجع كل شىء و اليه أشار تعالى بقوله : كل شىء هالك الا وجهه أى أزلا و أبدا كل شىء معدوم لأن ما هو بصدد أن يعدم فليس له وجود حقيقى الا وجهه .

و بقوله : أ اله مع الله أى : ليس معه أزلا و أبدا ما يطلق اسم الشىء عليه فضلا عن الالوهية و هذه المكانة لا يليق الا به تعالى لذاته اذ لو كان

---

(١) كذا فى الأصل .

اضافيا لكان لا يتصور الابالا . . . .[1] و انه عال حيث لاوجود الاهو ولا نسبيا أى يكون عاليا عن الشيء كما يقال على فلان عن الأفعال الخسيسة لثبوت علوه حين ما هو و اذا كان كذلك كان سابقا فى العلو الذاتى على كل عال بحيث لا شيء أعــلى منه و لما كان وجودات الكائنات ظلال وجوده تعالى كان فى القرب منها أقرب كل شيء اذ لا يكون اقرب من من وجوده و الكشف عن هذا المقام ربما يفضى الى طعن الطاعنين الذين ليس لهم فهم هذا المقام .

قوله: فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه .

إشارة إلى رد حكم الوهم بأن استعلى على الاشياء كان بعدا عنها بقدر علوه بناء على أن حكمه لا يتعدى عن العلو المكانى و التخيلى و تاكيد لسبقه فى العلو العقلى يعنى أن استعلاؤه تعالى عليها بالعلية أو بالذات لا يوجب بعده تعالى عن الخلق بل يوجب القرب منها . قوله : ولا قربه ساواهم فى المكان به اشارة الى رد الحكم الوهم بأن القريب من الشيء مساوله فى المكان .

يعنى أن قربه تعالى لما كان بمعنى احاطته علما لا توجب المساواة بينه و بين الخلق فى مكانهم بل يوجب تنزهه عن المكان الذى اختص بهم لأن من ساوى مكاننا فى مكانه لا يمكن أن يساوى مكاننا آخر لاستحالة اجتماع الشيء فى مكانين فى آن واحدة قوله : لم يطلع العقول على تحديد صفته يحتمل معنيين .

أحدهما أنه تعالى لم يطالع العقول المجردة على حصر صفاته و تحديدها

(١) كذا بياض فى الأصل . (٢) كذا.

أى على الوصول الى نهايتها و على تعريفها بالحد المركب من الأمر المشترك و المميز المعرف للماهية اذ لا نهاية لما يعتبره عقولنا من النسب و الاضافات إليه تعالى ولا احرالها [1]. حتى يكون حدا و نهاية لما يعتبره عقولنا من النسب و الاضافات إليه تعالى ولا احرالها [1] ، حتى يكون حدا و نهاية لها .

الثانى أنه تعالى لم يطلعها على شرح حقيقة ذاته لينزهه عن الحد و الحا [2] ، التراكيب اللازمة له قوله : و لم يحجبها عن واجب معروفه إشارة الى أنه تعالى مع كونه ممن لا اطلاع للعقول عليه لم يحجب العقول عن معرفته الواجبة على كل مكلف و هى معرفته ببعض الاعتبارات فانه قد نصب الآيات و الأمارات لها بها يستدل على وجود الصانع الحكيم و قد أشار الى هذا المقام فى القرآن فى مواضع فمنها قوله تعالى : ان فى خلق السموات والارض و اختلاف - الى - لآيات لقوم يعقلون [2] ، .

و قد افاض على كل نفس قسطاس معرفته بحسب استعداد المقتضى له قوله : فهو الى الجحود تأكيد لما سبق أى أنه تعالى هو الذى يشهد لوجوده اعلام الوجود من الآيات الظاهرة التى نصبها الله تعالى اعلاما لوجوده يراها كل عاقل ينصر بصيرته على اقرار قلب ذى الانكار بناء على اتباع هوائه فان قلب كل جاحد معترف بوجوب وجوده و إليه أشار النبى صلى الله عليه وآله حيث قال : كل مولود ولد على الفطرة فأبواه يهودانه و يمجسانه و ينصرانه و أشار تعالى بقوله : فطرة الله التى فطر الناس عليها [3] ، و لما كان الجحود على نوعين أحدهما على سبيل الالتزام و ذلك جحود

(١) كذا . (٢) البقرة : ١٦٤ . (٣) الروم : ٣٠ .

المشبهين الذى يثبتونه تعالى على وجه التشبيه و ينفونه على غير هذا الوجه فاقرارهم به على وجه التشبيه مستلزم لنفسه تعالى لا على هذا الوجه .

الثانى على سبيل المطابقة و الاختيار و ذلك جحود الصانع مطلقا فانهم ينكرون وجوده مطلقا و ان كان قلوبهم معترفة به على سبيل الاضطراب و لما كان الله تعالى منزها عن نوعى الجحود و قولى الفريقين نزهه تعالى عنهما و قال الله تعالى عما يقول الى آخره ، شهادة العقول على وجود الصانع بين لا يدفع و مكشوف لا يتقنع .

روى أن زنديقا دخل على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فسأله عن دليل اثبات الصانع فأعرض عليه السلام عنه ثم التفت إليه فقال الزنديق : انى كنت مسافرا فى البحر فعصفت علينا الريح ذات يوم و تلاعبت بنا الأمواج من كل جانب فانكسرت سفينتنا فتعلقت بخشبة منها و لم يزل الأمواج تقلبها حتى قذفت منها الى الساحل و سلمت عليها فقال له عليه السلام أرأيت الذى كان قلبك اذا انكسرت السفينة و تلاطمت عليكم أمواج البحر فدعا إليه مخلصا فى التضرع له طالبا للنجاة منه فهو آلهك فاعترف الزنديق بذلك و حسن اعتقاده و الله أعلم .

اللطائف الرشيدية

سألت تلك الحضرة الرفيعة لا زالت فياضة عن تحقيق قوله عليه السلام : سبق فى العلو الى آخره عن واجب معرفته و عن أن التناقض يسبق منها الى الافهام من حيث أن العلو فى الغاية مما يناقض ظاهر الدنو فى

فى النهاية فبأى يحمل يمكن المختص عنه[1]، و نفع الخلاص منه فأفاد أدام الله ظلال جلاله مرتجلا ان المراد من كلمة الأولى بيان أما اذا اعتبرنا سلسلة الموجودات المرتبة و أخذنا النظر مترقيا منها درجة فدرجة و جدنا واجب الوجود لذاته قد سبق فى علو الرتبة الى حيث انقطع به نظرا الاعتبار و انتهى منه الامكان المحوج لنظرنا الى الترقى .

فلا يبقى شىء أعلى منه قدما ولا أدنى منه مصعدا و عن الكلمة الثانية بيان انا اذا أردنا ان نستدل على وجوده ما كان شىء أقرب الينا من ذاته و وجوده لانا اذا نظرنا الى انفسنا المحلاة بفنون غرائب الآيات و صنوف عجائب الدلالات وجدناها محفوفة بغواشى الامكان المطلع على مطالعة جمال الملك الديان من غير أن يرجع الى مشاهدة دلائل خارجية و وسائل ظاهرية و الى هذا المعنى أشار تعالى حيث قال : سنريهم آياتنا فى الآفاق و فى أنفسهم افلا تبصرون ، عاجلا الا نفس ظروف الآيات الدالة على وحدانيته و مقارلها و مظاهر .

فمن فتح عين بصيرته و طالع مرآة نفسه وجد وجوده أقرب شىء إليه و من ثم انكر على الراقدين فى مهود الغفلة المسندين ظهورهم الى مساند الطبيعة موبخا اياهم و قال أفلا تبصرون وما قال النبى عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه أشارة الى هذا المعنى أيضا و رسم أدام الله ظلال جلاله هنا أن مراده عليه السلام من هذا الخبر ليس ان من اطلع على كنه حقيقة نفسه اطلع على كنه حقيقة ذاته فان الاطلاع مما

(١) كذا .

يتعذر أو يتعسر وكيف يمكن هـذا ولا يمكن الاطلاع للعقول البشرية على كنه حقيقة ذاته المقدسة على ما ينبئ عنه قوله تعالى : وما قدروا الله حق قدره[1] .

فانه عليه السلام عاق العرفان على العرفان بل انما مراده عليه السلام منه بيان أن من أراد أن يعرف ربه فينبغى أن لا يغفل عن نفسه طالبا عرفانه من الامور الخارجة عن نفسه بل يوجه نظره الى نفسه التى هى أقرب الأشياء إليه و يرتقى من مطالعة أسراره المودعـة فيها الى مطالعة جمال كبريائه فان كل من طالع نفسه و آيات الله الكامنة فيها وجدها مفتقرة الى مبدع أبدعها و موجد غنى قادر أوجدها بكمال قدرته .

فمن هذا التقرير تمحض أن مراده عليه السلام من سبقه فى العلو الى أقصى الغاية العلو فى المكانة الثابت لكل مجرد من المجردات بالنسبة لا العلو فى المكان الذى يستدعى المقارنـة بالاجسام و المقارنة بالاجرام و من دنوه الى أعلى النهاية الدنو بالأثر و الايجاد لا الدنو بالمكان المستدعى للماسة مع الاجرام السفلية المتنافية للعلو فى المكان فاندفع التناقض بهذا التحقيق الذى أفاد ارتجالا و الاشكال عن الكلمتين اللتين جعلهما نتيجتين للكلمتين السابقتين .

و قوله ، لم يطلع العقول على تحديد صفته .

دليل على قصور العقول البشرية عن تحديد صفاته و حصرها بناء على أن صفاته تعالى لما كان عبارة عن نسب و اضافات يحدثها عقولنا بالقياس الى افراد الماهيات الممكنة التى أفاض عليها الوجودات و الاستعدادات

(١) الانعام : ٩١ .

وكانت غير متناهية كانت العقول قاصرة عن تحديدها لقصورها عن تصور مالا نهاية له ، و قوله : و لم يحجبها عن واجب معرفته تنبيه على أن العقول و ان خلقت قاصرة عن تحديد صفاته لكنها غير محجوبة عما أوجبه عليها من معرفته .

لأنه تعالى قد مكنها من الاستدلال بوجود الماهيات الممكنة على وجوب وجوده و أمرها حيث قال بل انظروا ماذا فى السموات و الارض و انظروا الى آثار رحمة الله و القرآن الكريم مشحون بأمثال ما أوردناه فهذا ما وصل الى فهمى من فحوى تقريره الشافى توضيحا الكافى تبيينا أدام الله ظلال جلاله و الله يؤيد بفهم حقايق كلامه من يشاء .

* * * * *

٤٩ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ ، فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنَ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ ، وَلٰكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ ، وَمِنْ هٰذَا ضِغْثٌ فَيُخْرَجَانِ! فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى .

(اللغــــة)

بدأت بالشيء بداء ابتداءت به و بدأته أى فعلته ابتداء و المبداء من الشيء هو الذى منه يتركب أو منه يكون و كذا البداء قد جاء بهذا المعنى و هو المراد هنا تولى العمل أى تقلد .

خلص الشيء : بالفتح فى الماضى و الضم فى الغابر خلوصا أى صار خالصا و الخالص كالصافى إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد ان كان فيه ، و الصافى قد يقال لما لا شوب فيه و خلص إليه الشيء أن وصل و خلصته من كذا تخليصا أى نجيته .

مزج الشراب : خلطه بغيره و مزاج الشراب ما يمتزج به و مزاج البدن ماركب فيه من الطبائع من الصحاح و قد عرفت أنه عبارة عن الكيفية الحادثة من تفاعل الكيفيات الاربع بعد مزج صواحبها .

المرتاد : اسم فاعل من ارتاد ارتيادا أى طلبه و منه قوله عليه السلام : اذا بال احدكم فليرتد ابوله أى ليطلب مكانا لينا و منحدرا .

الضغث : قبضة حشيش مختلط الرطب باليابس و أضغاث أحلام الرؤيا التى لا يصح تأويلها لاختلاطها و ضغث الحديث خلطه .

(الاعراب)

يخالف فيها كتاب الله : جملة وقعت نعتا لاحكام و الضمير فى عليها عائد الى الأحكام المبتدعة و الاهواء المتبعة .

(المعانى)

فى انما بدؤ وقوع : القصر بطريق انما للافراد على تنزيل المخاطبين منزلة

منزلة المعتقدين أن مبدأه كما يكون بهذا يكون بغيرهـا و يخالف جاء بـه للتأكيد و زيادة التوضيح و اشتمال فلو أن الى المعاندين على الاختصـار لأن كلامن الشرطين صغرى من قياس حذفت كبراه و الباقى ظاهر .

(البيـان)

فى مزاج الحق : استعارة تصريحية المستعـار منه محسوس و هو خلط الماء بالشراب و المستعار له معقول و هو اشتباه الحق بالباطل لالتباس أحـدهما بالآخر و وجـه الشبه اشتراكهما فى عـدم التمييز عقلى و ذكر خلص لترشيحها .

و فى ضغث : أيضا استعارة تصريحية المستعار منه فيهـا محسوس و هو القبضة من الحشيش و المستعار له فيها معقول و هو البعض من الحق و الباطل و وجه الشبه اشتراكهما فى القلة بالنسبة الى ما هو كثير هو عقلى .

(البديع)

بين تتبع و تبتدع المتوازى و الترصيع و رعاية المقابلة بين الحق و الباطل ظاهرة و الباقى ظاهر .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام أشار فى هذا الفصل بقوله : انما الى دين الله الى ان مبدأ وقوع الفتن المقضيـة الى قطع سلسلة نظام العالم و فساده ليس الا اتبـاع الاراء الماطلة و ابتداع الأحكام الباطلة المخالفة لأحكام الله

(١) كذا بياض فى الأصل .

الناطق بها كتاب الله و ذلك لما عرفت أن المقصود من وضع الشرائع و انزال الكتب السماوية انما هو ربط الاسباب المؤدية الى عمارة العالم و نظامه اذ لولاها لوقع الهرج و المرج فى العالم.... [1] الى فساده و تبدد أحواله المستطمة.

فكلما اتبع رأى او ابتدع حكم مخالف لكتاب الله و سنة رسوله لاختل قاعدة أحكامها و بقدر تطرف الاختلال اليها تتطرق الفساد فى العالم و ذلك اشارة الى أن الفتن انما هاجت بسبب اتباع آراء الغواة وابتداع أحكام الخوارج ثم نبه علـى أن السبب لابتداع الارآء الباطلة و اشتباه المقدمات الحقة بالمقدمات الباطلة يستعملها المبطلون فى استعلام المجهولات فقياسين قد حذف كثرتهما [2]،.

الأول اشار اليه بقوله فلو أن الباطل الى المرتادين و هو صغراه وكبراه و لكن خفى عليهم الحق فينتج لم يكن الباطل خالصا من مزاج الماء لأن استثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم أما الصغرى فلأن طالب الحق اذا كانت مقدمات الشبهة بينة غير مختلطة بالحق أدرك وجه فسادها بأدنى سعى فلم يخف الطريق الموصل الى الحق عليه و اما الكبرى فبينته بذاتها و لهذا قد حذفها.

الثانى أشار الى صغراه بقوله ان الحـق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين وكبراه لم ينقطع عنه ألسن المعاندين فينتجان فلم يكن الحق خالصا من خلط الباطل لما مر أما الصغرى فلأن مقدمات المطلوب التى استعمها المبطلون لو كانت كلها حقة مرتبة ترتيبا حقا خالية

(١) كذا بياض. (٢) كذا.

عن الغلط فى مادتها أو صورتها فكانت النتيجة منها حقة لم يمكن للقائد أن تطمن عليها بالألسنة ولا أن يخالفها .

و أما الكبرى فواضحة و قد أشار الى ما هو فى معنى النتيجة بقوله، و لكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا فيمزجان أى يؤخذ من الحق بعض و من الباطل بعض ليخلطان بحيث لا يهتدى الى التمييز بينهما الا الذى كحل الله بصيرته بمكحل الهداية و غرضه عليه السلام من القياسين بيان ان اتباع الآراء الباطلة و اشتباه أحدهما بالآخر، ثم أشار بقوله ، هنالك الى أوليائه ان عند الاشتباه يستولى الشيطان على أوليائه و يزين لهم اتباع الارآء الباطلة و الاحكام الخارجة عن كتاب الله بايرادها فى صورة الحق و يغويهم .

قوله ينجو الذين سبقت منا الحسنى : اشارة الى أن من خصه الله بنظر عنايته و فتح عين بصيرته المميزة بين المقدمات الحقة و الباطلة ينجو من ظلمات الشبهات متمسكا بتوفيق الله تعالى اولئك عنها مبعدون الله أعلم .

* * * * *

٥٠ — ومن كلام له عليه السلام

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم الماء

قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ ، وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ ؛ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ ؛ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ . أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغُوَاةِ . وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ ، حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ .

(اللغـــة)

الشريعة : مشرعة المآء و هى مورد الشاربة .

استطعم : أى طلب أن يطعمه لمحلة المنزلة .

الريان : ضد العطشان يقال : رويت من المآء بالكسر روى ريا و روى مثـــل رضى و ارتويت و ترويت كله بمعنى و رويتـــه ترويه أى جعلته ريان .

اللة : بضم و تخفيف الميم الجماعة القليلة و قيل ما بين الثلاثة و العشرة .

الغواة : جمع غاو و هو العادل عن الصراط المستقيم .

عمس : بالتشديد و التخفيف أى ابهم و عمى يقال ليل عماس أى مظلم لا يدرى من أين يؤتى له و منه قولهم جاء بأمور معمسات أى مظلمة ملوية عن جهتها .

النحور : جمع نحر و النحر موضع القلادة من الصدور و هو المنحر الأغراض جمع غرض و هو الهدف .

(الاعراب)

يردوا مجزوم على أنه جواب الأمر و الموت مبتداء و فى حيوتكم خبره تقـــديره الموت ثبت فى حيوتكم و مقهورين و قاهرين حالان من المخاطبين و العامل فيهما الفعل المقدر فى الجملة الظرفية .

(المعـانى)

الفاء فى فاقروا : لعطف الجملة الطلبية على الجملة الخبرية ظاهرا و باطنا جواب لشرط محذوف دلّ عليه سياق الكلام يعنى إذا كانوا يستطعمون

منكم القتال فاقروا رووا و أورده هنا للتخيير و قد نبه فى أحد شق ما خبر فيه على أن من أطلق عليه اسم الرجل لا يصح ان يختار إلا القسم الثانى فكأنه عليه السلام بهذا التخيير اختبر أحوالهم و مبلغهم فى الرجولية و كذا الفآء فى فالموت و اللام فيه و فى الحيوة للحقيقة و . . . . . .[1] و الحالان واردان على أصل الحال لكونهما مشتقين و نهجها لكونهما ثابتين و الباقى معلوم .

(البيان)

فى استطعموكم القتال : استعارة مكنى بها تخييلية مرشحة المستعار منه فيها محسوس و هو الطعام ، المستعار له معقول و هو القتال و وجه الشبه اشتراكهما فى كونهما مطلوبا لهم و هو عقلى و قد رشحها بذكر الاستطعام و يحتمل أن يكون فيه استعارة تبعية تصريحية مستدعية لتشبيه هيئة تجسرهم بالقتال بمنعهم المآء عنهم و هى معقولة بهيئة طلب الطعام بالقول المنبىء عنه و هى محسوسة .

وجه الشبه انهم يطلبون القتال بمنعهم المآء عنهم كما أن الطالب للأكول يطلبه بالقول ، فى روو السيوف من الدماء استعارتان مكنيتان أحدهما مستدعية لتشبيه السيوف و هى محسوسة بالعطشى و وجه الشبه اشتراكهما فى الافتقار إلى التروية و لتخييل أنها من أفرادهم و إلا لم يصح تشبيه التروية إليها .

الثانية مستدعية لتشبيه الدماء بالماء و هما محسوسان و وجه الشبه

(١) كذا بياض فى الأصل .

أن الدماء بكل السيوف و يجعلها غنية عن الحرب كما أن الماء يجعل العطشان ريان غنيا عن الماء و هو معقول و بذكر التروية رشحت الاستعارتان و حصلت القرينة عليهما ، فالموت مجاز عن الشدائد و الأهوال التى تلحقهم من سقوط المنزلة و المذلة و ماضاها هما من باب اطلاق الاسم المسبب و إرادة السبب و يحتمل أن يكون المراد به موت النفس بترك الجهاد الذى هو مستلزم للحيوة الطيبة و يكون مجازا من باب اسم المشابه على ما يشابهه.

فى جعل نحورهم اغراض المنية : استعارة و تشبيه أما الاستعارة فهى استعارة مكنى بها تخييلية المستعار منه فيها محسوس و هو الرأى و المستعار له معقول و هو الموت و وجه الشبه اشتراكهما فى الايذاء و الاهلاك يعنى كما أن الرامى بسهامه يؤذى المرمى و يهلكه كذلك الموت بمقدماته من الأمراض الصعبة تؤذى الشخص المقصود بالاصابة و تشرفه على الهلاك و هو معقول و هى تستلزم تخييل أنه من افراد المنية و إلا لم يصح إضافة الأغراض إليه.

اما التشبيه فهو تشبيه نحورهم بالأغراض التى يجعلها الرامى مقصد الرمى و هما محسوسان و وجه الشبه أن نحورهم قد جعلوها فى صدد أن يصيبها سهام المنية من الطعن و الضرب و الذبح و سائر وجوه القتل لغرض الرامى هدفا لأن . . . [1] و هو معقول.

(البديع)

راعى من مذلة و محلة المتوازى و الترصيع و بين الدماء والماء المطرف

(١) كذا بياض فى الأصل.

و فى فالموت إلى قاهرين المقابلة حيث الحيوة بالموت و المقهور بالقاهر .

(الفحوى)

اعلم أنه عليه السلام قد حث أصحابه إلى الجهاد فى هذا الفصل لا يوجد البتة فى كلام غيره الأولى أشار إليه بقوله : قد استطعموكم القتال فانه يدل على أن قتالهم عند خصومهم فى غاية السهولة و ذلك تعريض لعجزهم إذ لو كانوا شجعان أبطالا ما طلبوا منهم القتال بمنعهم الماء عنهم و تعيير لهم و مثل هذا من أقوى الحوادث إلى القيام بالحرب .

الثانية أشار إليها فاقروا إلى الماء يعنى إذا منعوا عنكم الماء و عدوكم من الضعفة و المساكين فأنتم مخيرين بين أمرين اما ترك القتال و هو مستلزم للاقرار بالمذلة و العجز و الانقياد للاعداء و تأخير المنزلة عن رتبة أهل الشرف فأورد اللازم على صورة الأمر لينزعج نفوسهم عن التخاذل و التقاعد و يثور نايرة الرجولية فى بواطنهم أو القيام بالقتال كما هو شأن الابطال و أنه عليه السلام راعى فى هذا التخيير لطائف .

ا ـ انه أمر بالتخيير مع أن المقصود حثهم على القتال ليختبر أحوالهم و ليتلطف بهم فى هديهم و لا يكون أمرا على سبيل القطع و لأنه علم من حالهم . . . [1] لا يختارون الترك .

ب ـ انه أورد اللازمين لترك القتال لينفر طباعهم عنه و يحرصهم على القتال .

ج ـ انه جعل ترويهم من الماء مرتبا على تروية السيوف من الدماء

(١) كذا بياض فى الأصل .

ليعلموا أن لا طريق لهم إلى التروى إلا القتال و هى من أقوى الحوادث لهم إلى القتال .

الثالث أشار إليها بقوله : فالموت إلى قاهرين و هى جذب لهم إلى القتال باقصى ما يمكن من البلاغة و ذلك لأنه صور لهم أولا ان الحيوة الفانية الدنيوية التى تطلبونها من ترك القتال مستلزمة لموتات متعاقبة حال كونكم مقهورين فان المذلة و العجز و الانقيـاد للعدو و تأخير المنزلة عن أهل الشرف اللازمة لكونكم مقهورين موتات متعاقبة عنـــد أهل المروة و أولى الألباب .

إلى هذا أشار القرآن الكريم حيث قال أموات غير احياء و أن الموت البدنى الذى تقعون فيه إن كنتم قاهرين مستلزم للحيوة الطيبة الباقية فى الدنيا و الآخرة أما فى الدنيا فلأنه يستلزم الذكر الجميل الذى هو أطيب حيوة عنـــد أولى الألباب أما فى الآخرة فلأنه مستلزم للبقـاء الأبدى و الحيوة السرمدية على ما ينبىء عنه قوله تعالى : « و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين[1] » و قوله تعالى : « و لا تقولوا لمن يقتل فى سبيـــل الله أموات بـــل أحياء و لكن لا تشعرون[2] » .

إذا كان الحيوة الفانية المطلوبة بترك القتال مستلزمة للموتات المتعاقبة و الموت البـدنى الذى يمكن أن يلحقهم لو قاموا بالقتال مستلزم للموت المستلزم للحيوة السرمدية واجبا لا يعرض عنـــه إلا من لم يكن له نور و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور[3] .

(١) ال عمران : ١٧٠ . (٢) البقرة : ١٥٤ . (٣) النور : ٤٠ .

الرابعة أشار إليها بقوله : ألا إلى الخبر و هى أنه عليه السلام قد نفر أصحابه عما كان معاوية عليه من كونه قائد غواة و ممن أرى أصحابه الباطل فى صورة الحق و ليس عليهم الحق و هما رذيلتان لازمتان للفجور و غلبة الهوى عليه و عما كان أصحاب معاوية عليه من كونهم غواة عن الحق ضلالا عن سبيل الحق و قد انقادوا للباطل عن شبهة اعتقدوا حقيقتها و هما رذيلتان أوليهما من لازم عدم البصيرة و الجهل و الأخرى من لازم الجهل المركب .

الخامسة أشار إليها بقوله : حتى إلى المنية ، و هى اشارة إلى تمكنهم فى الجهل المركب و غاية تلبس الحق عليهم و إلى أنهم قد جعلوا نفوسهم محافظة على الباطل الذى تصوروا أنه حق فى معرض التلف غير مبالين بالموت البدنى و غرضه عليه السلام تعيير أصحابه بالتخاذل و التقاعد عن الحرب .

و من تأمل هذا الكلام الوجيز لفظا العزيز معنى و نحوى و سرح نظره فى رياض لطائفه و حلى جواد فكره فى حدائق ظرائفه و حدق صدقا فى شقايق نكاته و فتق أنوار أكمامه فى أرجاء تراكيبه علم يقينا انه عليه السلام لم يدع لقوس البلاغة منزعا إلا نزعه و لا لغاية الفصاحة علما الا دفعه و الحمد لله الذى اطلعنى على بعض لطائف كلامه عليه السلام و جعلنى من المتشبثين باذيال عوارفه و الله أعلم .

* * * * *

٥١ — ومن خطبة له عليه السلام

أَلَا وإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا، وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ. فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْوًا، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ، فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الْأَمَدُ، فَوَاللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ، وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِ الرُّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ. وَاللهِ لَوِ انْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ انْمِيَاثًا، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ، مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ، دَمًا، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جُهْدِكُمْ، أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ الْعِظَامَ وَهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ.

(اللغـــة)

تصرمت : أى انقطعت .

آذنت : أى أعلمت .

تنكر معروفها : أى جهل خيرها .

الادبار : ضد الاقبال و يروى جدا بالجيم فمعناه منقطعـــة الدر و بالحاء و الذال المعجمة و معناه سريعة الذهاب .

حفزه يحفزه حفزا : أى دفعه من خلفه و الليل يحفز النهار أى يسوقه و حفزته الريح أى طعنته .

السكان : جمع ساكن كما أن القطان جمع قاطن و هـــو المقيم ، الحدو سوق الابل بالحداء و هو الغناء السمله المآء القليل يبقى فى أسفل الاناء و غيره مثل الثميلة و الجمع سمل .

قال ابن أحمر : مثل الوقائع فى أنصافها السمل و سمول عن الأصمعى قال ذو الرمة[1] :

على حميريات كأن عيونهـا ٭ فلاة الصفا لم يبق الا سمولها

و اسمال عن أبى عمرو و انشد : بترك اسمال الحياض تبسا ، و السملة بالضم مثل .

السملة : الاداوة الاناء .

المقلة : بفتح الميم و سكون القاف حصاة يقسم بها المآء عند قلته

(١) ذو الرمة الشاعر و هو غيلان العدوى و الرمة بالضم قطعة من حبل بالية و منه قول على عليه السلام يذم الدنيا و اسبابها رمام أى بالية .

ليعرف بها مقدار ما يسق لكل واحد من الأشخاص .

المتمزز : تمضض السراب قليلا قليلا .

الصديان : العطشان نقع الماء العطش .

ينقع نقعا و نقوعا : أى سكنه و فى المثل الرشف أنقع أى ان الشراب الذى يترشف قليلا قليلا أقطع للعطش قال الخليل :

أزمعت على أمر فانا مزمع عليه إذا ثبت عليه عزمه .

قال الكسائى : يقال ازمعت الأمر و لا يقال أزمعت عليه قال الأعشى : أأزمعت من آل البلى ابتكارا ، و قال الفرآء : أزمعته و أزمعت عليه بمعنى مثل أجمعته و أجمعت عليه رجل فلان .

ارتحل و ترحل : بمعنى أى شخص من منزل إلى آخر والاسم الرحيل .

المقدور : المقدر الذى لا بد من كونه .

الأمد : الغاية كالمدى يقال ما أمدك أى منتهى عمرك .

حن يحن حنينا : أى أن جزعا على الفائت .

الوله جمع واله : هو الذى ذهب عقله لفقد محبوب .

العجال : جمع عجول و هى الناقة التى فقدت ولدها .

هديل الحمام : صوته .

جار الثور يجار : أى صاح و الجؤار الصوت و جأر الرجل إلى الله أى تضرع بالدعاء . المتبتل : المنقطع من الدنيا إلى الله .

يقال تبتل تبتلا : إذا انقطع عن الدنيا إلى الله و كذلك التبل .

الرهبان : جمع راهب و هو المتعبد من النصارى خوفا من الله تعالى

و عذابه و الرهبة و هو مع تحرز و اضطراب .

انماث الشيء : أى ذاب و تحلل .

(الاعراب)

أمزجا متعديا و لازما و هنا لازم و ما فى ما كان موصولة .

و لو تمززها : جملة شرطية وقعت نعتا لجرعة و المقدور نعتا للدار و اللام فيه بمعنى الذى .

الزوال : مرفوع على أنه معمول اسم المفعول تقديره التى قدر على أهلها الزوال .

لو قد حننتم : جملة شرطية شرطها قد حننتم و ما عطف عليه إلى الأولاد و التماس مفعول له و احصتها كتبه جملة وقعت نعتا لسيئة و جزؤها لكان قليلا و اسم كان ضمير راجع إلى المذكور و بالله .

لو انماثت : أيضا جملة شرطية شرطها لو انماثت و ما عطف عليه إلى دما ، و دما تمييز و ما فى الدنيا للدوام و المدة و ما فى ما جرت نافية و أنعمه منصوب على أنه مفعول جرت و هداه أيضا فى محل النصب على أنه معطوف على أنعمه .

(المعانى)

انما أتى بالأفعال الماضية الدالة على الوقوع بعد الدنيا تنبيها على أن ما سيقع لا محالة كالواقع و ايذانا بأن المقارنة أمر ضرورى لكل شخص فى فهى تحفز خاصيتان احديهما ذكر المسند إليه مع أن القرينة المقالية مشعرة به ليؤذن بالاهتمام بشأنه و أن الحافز كأنه الدنيا دون غيرها .

الثانية جعل المضارع خبرا مسندا ليؤذن بالاستمرار و الدوام كما فى قوله تعالى: « الله يستهزئ بهم ».

ثم انه نقل عن الفعل المضارع إلى الماضى المصدر بقد ليؤذن بوقوع ما يكون العافية إليه و فى فلم يبق القصر للقلب على تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين يعنى ليس الأمر من الدنيا ما تصور ثم من البقاء و الدوام بل الأمر بالعكس و ايراد لو تمززها الصديان لم ينقع وصفا باكيد[1] للقلة و يسير لأحد التوبين من التعظيم و التحقير عن الاخر، الفاء فى فازمعوا للسببية المؤذنة بأنه إذا لم يبق من الدنيا إلا القليل فالازماع واجب و الأمر هنا يفيد الوجوب.

و هذه: فى هذه الدار للتحقير و وصفها أيضا بقوله: المقدور على أهلها الزوال يشعر بالحب على الرحيل عنها لحقارتها بالنسبة إلى الدار المقدور على أهلها الثبات و البقاء و النهى المشتمل على النون المشدودة يفيد وجوب الانتهاء على أبلغ وجه و تصدير الجملة الشرطية بالقسم البار و اللام فى جوابها دليلان على أن الكلام منساق فى مقام الانكار و اشتمال هاتين الشرطيتين على الايجاز و المبالغة و الاجمال و التفصيل خصوصا سالت عيونكم دما على تعظيم شان أنعم الحق كأنه علم فى رأسه نار.

(البيـان)

فى تصرمت و آذنت و أدبرت استعارات قد عرفتها فى الخطبة التى هى بعض منها و هى أما بعد فان الدنيا قد أدبرت و آذنت بوداع

(١) كذا فى الاصل.

فلا يحتاج إلى اعادتها ، فى فهى تحفز بالفناء استعارتان تخييليتان مكنيان .

احديهما مستدعية لتشبيه الدنيا بالسابق و وجه الشبه ان الدنيا يسوق الانسان إلى الآخرة بانقضاء عمره كما أن السائق يسوق الدواب إلى المقصد و هو عقلى ، هذا ان جعلنا الحفز بمعنى السوق أما إذا جعلناه بمعنى الطعن فالمستعار منه فيها الطاعن و هو محسوس و المستعار له فيها الدنيا و هى معقولة أو محسوسة وجه الشبه أن الدنيا يطعن سكانها بمصائبها و أحداثها المشابهة للرماح كما أن الطاعن يطعن المطعون بالرماح و الحاصل اشتراكهما فى الايذاء و يغير أحوال المقصود بالطعن و هو عقلى .

الثانية المستعار منه فيها محسوس و هو آلات السوق من السوط و ما شاكله المستعار له معقولة و هو الفناء و وجه الشبه أن الموت هو السبب الذى ينقل الانسان من الدنا إلى الآخرة كما أن السوط هو الذى ينقل الابل و يحثها على الانتقال من موضع إلى آخر و هو معقول و يحفز قرينة الاولى و الباقى بالفناء قرينة[1] الثالثه ، و فى تحدو بالموت جيرانها أيضا استعارتان تخييليتان مكنيان المستعار منه فيها محسوس و هو الحادى و المستعار له الدنيا و وجه الشبه أن الدنيا يقرب سكانها إلى المقصد الأصلى الذى هو دار الآخرة كما أن الحادى يقرب الابل الى المقصد الذى وجهها اليه و هو عقلى .

الثالثة المستعار منه فيها محسوس بحسن السمع و هو الحد أو المستعار له معقول و هو الموت و وجه الشبه ما ذكرنا آنفا و هو معقول ،

---

(١) كذا فى الأصل .

فى أمر منها ما كان حلو استعارة مكنى بها تخييلية المستعار منه فيها محسوس و هو المطعوم القابل للحلاوة و المرارة على سبيل البدل وا لمستعار له فيها معقول و هو أحوال الدنيا القابلة لوجهى ما يلذ و يولم على سبيل البدل .

وجه الشبه اشتراكهما فى صلاحية الالذاذ و الايلام و هو معقول ، و فى كدر منها أيضا استعارة مكنى بها المستعار منـه فيها محسوس المـاء القابل للصفاء و الكدورة و المستعار له معقول و هو أحوال الدنيا العارضة بالشخص و وجه الشبه ما ذكرنا و قرينـــة الأولى ذكر الامرار و الحلو و الثانية ذكر الـكدورة و الصفو . فى لم يبق منها الاسملة إلى لم ينقع استعارتان و تشبيهان أما الأولى فهى تخييلية تصريحية مستدعية لتشبيه الباقى من الدنيا بالنسبة إلى كل شخص و هو معقول ببقية الاناء و هى محسوس و وجه الشبه اشتراكهما فى القلة .

اما التشبيه الأول فهو تشبيه الباقى بعد تخييلة فردا من افراد السملة ببقية الماء فى المطهرة و هى محسوسة و وجه اشتراكهما فى غاية القلة وعدم الانتفاع يعنى كما أن البقية فى المطهرة لا يدفع عطش العطشان و لا يصلح للانتفاع كذلك الباقى لا يدفع حرص الطالب المتعطش اليها و لا يصلح الانتفاع ، أما الاستعارة الثانية فهى أيضا تصريحية المستعار منه فيها محسوس و هى الجرعة و المستعار له معقول و هو الباقى من الدنيا و وجه الشبه اشتراكهما فى القلة .

أما التشبيه الثانى فهو تشبيه الباقى بعد جعله فردا من أفراد الجرعة بجرعة المقلة و وجه الشبه اشار اليه بقوله : لو تمززها الصديان لم ينقع يعنى

كما أن جرعة المقلة تمضضها العطشان لم يسكن عطشه به كذلك الباقى لو ظفر به الطالب للدنيا المتعطش اليها لم يسكن عطشه به كذلك الباقى لو ظفر به الطالب للدنيا المتعطش اليها لم يسكن ولهه اليها به فى قد حننتم حنين الوله قد شبه انينهم و تضرعهم إلى الله بحنين الذى ذهب عقله لفقد محبوب و الناقة التى فقدت ولدها و وجه الشبه اشتراكهما فى الشدة و العامة .

فى قد جأرتم قد شبه تضرعهم إلى الله بالدعاء بتضرع المنقطعين عن الدنيا إلى الله من الرهبان و وجه الشبه اشتراكهما أيضا فى الكمال و انما خص الرهبان بالذكر لأنهم أشد المتعبدين تضرعا فى انماثت قلوبكم انمياثا كناية عن الخوف الغالب البالغ إلى النهاية فان من بلغ خوفه النهاية يقال ان قلبه قد ذاب خوفا فى سالت عيونكم دما المجاز من باب اطلاق السبب القابل و ارادة المسبب إذا السائل الذى هو الدمع انما يجرى من العيون وكناية عن الاعتراف بغاية التقصير و نهاية الخوف من الله تعالى .

(البديع)

راعى بين انقضاء و حذاء المطرف كما بين سكانها و جيرانها و لو اعتبرنا المسدد لكان المتوازى و بين حلوا و صفوا المتوازى .

فى قوله أمر إلى صفوا : المقابلة حيث قابل المرارة بالحلاوة والكدورة بالصفو و فى فلم يبق إلى لم ينقع مراعاة النظير حيث أتى بجميع أوصاف الماء و بين الأمل و الأمد المتوازن ، فى قوله فيما أرجو إلى عقابه المقابلة حيث قابل الرجاء بالخوف و الثواب بالعقاب كما فى رغبة منه أو رهبة الباقى ليس فيه شيء طائل .

(الفحوى)

اعلم أنه عليـه السلام بنى هـذا الفصل على التنبيه على التنفير عن الدنيا بتحقيرها فى أعين المخاطبين و الأمر بالرحيل عنها و النهى عن الركون إليها و على تعظيم ثواب الله و ما ينبغى أن يرجى منـه و يلتفت إليـه مما أعد الله للمحسنين من عباده و لا يعلمه إلا من حرقت سحاب وجهه الستور الحائلة بينه و بين بصيرته مثل أمير المؤمنين و وبيل عقابه المعد لمن تمرد عن طاعته و خلع ربقة الانقياد لأوامره عن رقبته و على أن العبد و ان بذل مجهوده و أفنى طاقته فى جزاء ما أفاض تعالى عليه من أنعمه العظام لا يقدر أن يقابلها بما يليق بها فهنا مقاصد ثلاثة .

الأول فى التنفير عن الدنيـا و تحقيرها قوله : ألا و ان الدنيا قد تصرمت أى قد نقضت أحوالها الحاضرة لكل شخص فى كل حين و آذنت بانقضاء أى لسان حالها قـد أعرب بأنها لا يبقى لأحد و تنـكر معروفها أى بغير ما كان معروفا منها إلى مجهول يعنى إذا وجـد الانسان لذة من لذاتها ملائمة لطبعـه من أمن و صحة و فراغ و جاه و مال و ولد و أنس بها و ألفها بحيث كأنها صديق من أصدقائه تزول عن قريب و تصير مجهولة منـكرة بعـــد ان كانت معروفة و أدبرت حذا أى ولت الحال كونها قد انقطعت عن كل شىء و قطعت تعلقها عـن كل موجود مسرعة بحيث لا يمـكن لأحد أن يلحقها .

قوله فهى تحفز بالفناء سكانهـا : أى فالدنيا من شأنها أن يسوق الساكنين بها على سبيل الاستمرار بالفناء إلى دار الآخرة التى هى المقصد

الأصلي و تحدو بالموت جيرانها أى تسوق بالحذاء و تحث جيرانها على قطع المنازل إلى الوصول إلى الموت الذى هو آخر منزل من منازل الدنيا، قوله و قد أمر إلى صفوا : أى قد تبدلت لذاتها فصارت آلاما يعنى أن الأحوال التى يجدها الانسان لذيذة فى بعض الأوقات صافية حلوة خالية عن شوائب العوارض الكريهة المنغصة معراة عن . . . [1] الأمراض تبدلت و تغيرت و ما من شخص إلا و تصدق عليـه ان لذته قد اعقبت ألما إما من شباب تبدل بكبر أو فرح تبدل بغم أو صحة تبدلت بمرض أو فراغ تبدل بشغل.

قوله فلم يبق منها إلى لم ينقع : اشارة إلى تحقيرها بالنسبة إلى كل شخص و تنفير الطباع عن الأنس بها فان تمتع كل بالنسبة إلى بقائه فيها قصير و الالتذاذ بلذاتها بالقياس إلى عمره يسير و قد عرفت وجه الاستعارتين و التشبيهين ثم لما فرغ من أحوالها و تنفير الطباع عنها أمر بتصميم العزم و الثبات عن الانتقال عنها بالعقل و قال فازمعوا عباد الله أى صمموا العزم على فطام النفوس عن شهواتها و الارتحال عنها بالالتفات إلى الله و الاقبال إلى القبلة الحقيقية التى امروا بالتوجه اليها و قطع المراحل، التى نصب الله عليها منارا و أعلاما واضحة .

قوله المقدور عـلى أهلها الزوال : حث لهم على الأزماع و ذلك لأن المخاطب الذى له أدنى دراية اذا سمع هذا الوصف و الأمر عرف أنـه يفارق عنها بالأختيار فهى تفارق عنه بالاضطرار فلم تبق عنده الا الحسرة و الندامة ثم أردف ذلك الأمر بالنهى عن أن يغلب عليهم الأمل

(١) كذا بياض فى الأصل .

فى اقتناء لذاتها فانه المنسى للآخرة و العاش[1] المعظم عن عوائق الارتحال وكذا خصصه بالذكر و بالنهى عن توهم طول الغاية التى هى الموت فانه أيضا يسود صفائح القلوب يكدر الواح النفوس على ما ينبئ عنه قوله تعالى « فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم و كثير منهم فاسقون » فيوقعه فى الغفلة الموقعة الى مهاوى اتباع الهوى الذى يصد عن الحق و لما كانا من أعظم العوائق على ما سبقت الاشارة اليهما خصصهما بالذكر .

المقصد الثانى فى التنبيه على عظم ثواب الله تعالى و عقابه اعلم أنه عليه السلام لما نفر طباع الناس عن الالفة بالدنيا بتحقيرها فى أعينهم وأمرهم بالارتحال عنها و نهاهم عن طول الأمل و توهم طول الحيوة عين لهم ما ينبغى أن يلتفتوا بخواطرهم اليه و توجهوا وجوه قلوبهم اليه و هو ثواب الله المعد للمحسنين و أبدى لهم ما ينبغى لهن يخشى منه و هو عقاب الله تعالى .

يعنى ليس المرجو ما تصور ثم من أسباب اللذات الدنيا . . . .[1]

تبتلى الرهبان و الزهد الحقيق الذى . . . من الأموال و الأولاد بالكلية ورفضها عن ساحة القلب . . . يجتمع ذلك من العبادة و الزهد فى أن يرفع لكم عنده درجة من درجات الجنان أو يغفر لكم سيئة موصلة الى درك من دركات النيران و قد أحللت بها كتبه التى كتبها الحافظون على عباده حفظها له الموكلون عن ضبط الاحوال الجارية على العباد لكان ذلك . . . بالنسبة الى ما رجوه لكم من ثوابه و أخاف عليكم من عقابه قليلا . . . الذى يتوقع المتقرب اليه .

---

(١) كذا فى الاصل .

من أن يترفع له درجة أقل بالنسبة الى ما رجوه فينبغى أن يخلص لكليته الى الله لينال له هو أعظم مما يتصورا به . . [1] له بالتقرب . . . و الذى يتوهم المتقرب اليه من العقاب المرتب على السيئة و يتوقع الخلاص منه بغفرانه منه أقل بالنسبة الى ما اخاف عليه . . . فالواجب عليه أن نفر بكليته اليه لتخلصه من العقاب المخوف الذى هو أعظم مما توهمه و لما كان الاطلاع على حقيقة ما أعده الله للمتقين المتقربين اليه من الثواب .

* * * * *

(تم طبع كتاب شرح نهج البلاغة)

(١) كذا بياض .